الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

كليّة العلوم الإنسانيّة والعلوم الإسلاميّة

قسم الحضارة الإسلاميّة

شعبة اللغة العربية والحضارة إسلامية **تخصص: دراسات قرآنية**

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث (ل. م. د)

التوظيف البلاغي عند أَمْحمّد بن يوسف أَطْفَيِّش (1238هـ - 1821م/1332هـ – 1914م) من خلال تفسيره هميان الزاد إلى دار المعاد - الربع الثاني من القرآن - أنموذجاً.

إشراف الأستاذ الدكتور:

بن نعمية عبد الغفار

إعداد الطالبة:

زريفي فاطمة

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللّقب	الرّتبة	جامعة الانتماء	الصّفة
1	سلطاني الجيلالي	أستاذ	جامعة وهران 1	رئيساً
2	بن نعمية عبد الغفّار	أستاذ	جامعة وهران 1	مشرفاً ومقرّراً
3	مولاي سميرة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة وهران 1	ممتحناً
4	بوسلاح فايزة	أستاذة محاضرة –أ–	المدرسة العليا للأساتذة بوهران	ممتحناً
5	رأفة محمد	أستاذ محاضر– أ –	جامعة الشلف	ممتحناً

السنة الجامعية:

1445 . 1446هـ/ 2023 . 2024م


بسم الله الرحمن الرحيم

اقتباسات

في قولـه تعـالى: ﴿هَـذَا بَيَـانٌ لِلنَّـاسِ وَهُـدًى وَمَوْعِظَـةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: آل عمران 138.

في قولـه تعـالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: البقرة 117.

في قولـه تعـالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَـالَ تَحْسَـبُهَا جَامِـدَةً وَهِيَ تَمُـرُّ مَـرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: النّمل 88.

الإهـــــــداء

أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين، أبي العزيز، وأمي الحبيبة، وإلى أخي، ورعى الله تعالى عائلتي وأحاطها بكلّ الحفظ والبركة.

وأهدي هذا العمل أيضاً إلى كلّ الصّديقات والرّفيقات منهم: زكيّة، خيرة، صبرينة، أسماء، عائشة، فاطمة، نوال، سهام، نصيرة، مليكة، وإلى أبناء عمي: إلياس، شهيناز، سناء، إسحاق،

أتمنّى من المولى عزّ وجلّ أن يكون الخير والنّجاح حليف الجميع في الحياة وأن يرزقهم الله تعالى كلّ السّعادة، وإلى كلّ من كان له يد العون من قريب أو بعيد، ولو بكلمة طيّبة أو نصح رشيد.

شـــــــــكر وعرفـــــان.

قال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾، والبخيل من يبخل على ربّه عزّ وجلّ بالشّكر والامتنان على النّعم القليلة والكثيرة، وعسانا أن لا نكون من الكثير الّذي يكفر ولا يشكر، نشكر الله تعالى على فضله ونعمه الّتي لا تحدّ ولا تحصى والّتي تأتي حين نشعر وحين لا نشعر، فلك الشّكر والحمد يا ربّنا على منحي درجة الدّكتوراه المتواضعة، وعلى كلّ شيء. فلك الشّكر والحمد والثّناء دائماً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّوَجَلَّ**"، وعليه، نشكر الأستاذ المشرف الدّكتور بن نعميّة عبد الغفّار على كلّ الجهود الّتي يقدّمها وعلى الأسلوب القيّم الّذي يتواصل به مع طلابه، فلكم كلّ الاحترام والتقدير.

ثم نشكر الأساتذة المناقشين على احتضانهم للأطروحة، وعساهم أن يتلطّفوا بها، ويرحموا زلاّتها.

ونشكرهم أيضاً على النّصائح والتّوجيهات الّتي يقدموها من أجل الارتقاء بطالب العلم وتحفيزه إلى المستوى المنشود.

مقدمة

الحمـد لله نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونتوكّـل عليـه، ونعـوذ بالله مـن شـرور أنفسـنا، ومـن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً، ونشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد:

سبحانه تعالى أحسن خلق كلّ شيء وبقدر معلوم، عظيم في صنعه فقد أتقن كلّ شيء، انطق ما ينطق وما لا ينطق، رقيب على عبده فلا تخفى عليه خافيّة، وهو بكلّ شيء عليم.

نزل القرآن الكريم على خير أمّة، وعلى لسان قومها فجاء يخاطب العقل والنّفس، وعلى مرّ العصور تهافت النّاس إلى معرفة كتاب الله تعالى، ومعرفة ما تخفيه الآيات من دلالاتٍ ومعانٍ تجعل العبد في تعمّق بحثاً عن الله تعالى الّذي يتجلّى في كلامه العظيم من آيات وسوّر، ويغوص في أمواج القَصَص والعبر ومصير الأمم الخاليّة، ليصل به إلى الإيمان الجازم بالله تعالى والتّصديق بوحدانيّته، والإيمان بكتبه ورسله عليهم السّلام، وما على العبد المؤمن سوى الرّجوع إلى ربّه تعالى باعتقاد يقين، وتوبة نصوحة، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ التّحريم الآية 08.

تعتبر بلاغة القرآن الكريم من الدّراسات الّتي اختصّ بها مجموعة من العلماء، فبرعوا في تخريج البلاغة القرآنية الّتي قسّمها العلماء إلى بيان ومعاني وبديع من آيات كتاب الله الحكيم، وكلّ عبّر عن رأيه واجتهاده في التّوظيف البلاغيّ، وكان الشّيخ أمْحمّد بن يوسف أطفيّش الجزائري الاباضيّ من العلماء البارزين في ميدان البلاغة وعلومها، وقد ضمّن كتابه التّفسير المسمى (هميان الزّاد إلى دار المعاد) فنون كثيرة تنوّعت ما بين تشبيه واستعارة، وبين أسلوب خبري وأسلوب إنشائي، وبين التفات ومقابلة، وغيرها من الفنون البلاغيّة.

سبب اختيار الموضوع:

عملت إدارة القسم الممثّلة في هيئة التّدريس على تحديد مجموعة من المواضيع المتعلّقة بفروع قرآنيّة مختلفة، منها: ما تعلّق بعلوم القرآن، ومنها: ما تعلّق بالتّفسير، ومنها: ما تعلّق بأعلام الدّراسات القرآنيّة، ومنها: ما تعلّق بالبلاغة القرآنيّة، وهو الجانب الّذي تمّ اختياره لأسباب

متعدّدة، منها: ما هو ذاتيّ يتمثّل في حبّ الاطلاع على علماء بلادنا الجزائر من مختلف المناطق واللّهجات، وما هو موضوعي يتمثّل في معرفة التّوظيف البلاغيّ القرآنيّ ومعرفة غرضه ومراده، وبيان التّنوّع البلاغيّ القرآنيّ وتفرّده في التّوظيف باختياره ألطف الألفاظ وأحسن المعاني.

أهداف الموضوع:

اعتنت الدّراسة بمجموعة من الأهداف يمكن بيانها على النّحو التّالي:

1/ تسليط الضّوء على أهمّ شخصيّة جزائريّة ألا وهي الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش الغرداوي الاباضي وإبراز لموسوعة علميّة شاملة في مختلف الفنون الأدبية واللغوية والبلاغية والنحوية والرياضيات والحساب والفلك والتاريخ والتفسير والقراءات والسنة والحديث وغيرها من الفنون العربية الإسلامية.

2/ تبيّن براعة الشيخ اطفيش في استنباط البلاغة العربية من علوم بيانية وعلوم معانية وعلوم بديعية على الشواهد القرآنية المتنوعة والفريدة في حسن اختيار الألفاظ والدقة في تخريج المعاني ذات العبارات الجليلة والراسخة.

3/ معرفة أغراض الشّاهد البلاغي ومدى مساهمته في توضيح اللّفظ وإظهار المعنى المراد.

4/ بيان تأثير تلك الأغراض الجليلة على النّفس البشريّة والوجدان، لأن النفس البشرية دائما بحاجة إلى اتعاظ وتذكر، وتوعية وإرشاد، وتنوير وهداية.

أهميّة الموضوع:

إنّ البحث في موضوع التّوظيف البلاغيّ القرآني له من الأهميّة ما يكفي للفهم والتّعلم وإدراك بأنّ الله تعالى عظيم وحكيم في كلامه، بحيث حفظه وصانه عن النّقص والتّقليد، وعليه فأهميّة الدّراسة تكمن في الوقوف على الشّواهد البلاغيّة القرآنيّة الّتي أبدع في تخريجها العالم الفذّ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش، فأحسن إخراجها في أبهى حلّة، يكاد يختلف عن غيره في التّوظيف والاستخراج، والتّتبّع.

إشكاليّة الموضوع:

نظراً لطبيعة موضوع البحث ظهرت الإشكاليّة التّاليّة: ما هي نظرة الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش للتّوظيف البلاغيّ القرآنيّ؟، وما هي الفنون البلاغيّة الّتي وظّفها؟، وترتّب على هذا الطّرح التّساؤلات التّاليّة:

ما هو سبب اختيار الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش لتفسير القرآن الكريم؟، وما هو المنهج المتّبع في طريقة تأليفه؟، وما هي المنهجيّة المعتمدة في ذلك؟، وما هي الأدلّة الّتي اعتمدها في الاستدلال عليها بإسقاط الشّواهد البلاغيّة على الآيات القرآنيّة؟، وما أثر توظيف الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش للبلاغة القرآنيّة؟، وما هي الأغراض الّتي تبيت من التّوظيف البلاغيّ للشّواهد القرآنيّة؟.

منهج البحث:

ظهر من خلال دراسة البحث المنهج الاستقرائي التّحليلي الّذي يعتمد على دقّة الاستخراج والتّتبّع وتبيين الغرض البلاغي من الشّاهد القرآنيّ.

منهجيّة البحث:

ركّز البحث على دراسة التّوظيف البلاغي عند الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش، مع تحليل المادّة العلميّة المتعلّقة بالفصول والمباحث، ثم دراسة محتوى الكتاب مع التّركيز على استخراج الشّواهد القرآنيّة البلاغيّة المحدّدة من سورة الأعراف إلى سورة الكهف، ومراعاة الفنّ البلاغي الأكثر استدلالاً وإلماماً من خلال التّوظيف البلاغيّ في تفسير (همیان الزّاد).

أهم مصادر ومراجع الموضوع:

تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع مع تنوّعها واختلافها في تناول المادّة العلميّة، ومن أهمّها: الزركلي (الأعلام)، محمد بن موسى بابا عمي وآخرون (معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر)، الزَّبيدي (تاج العروس)، ابن منظور (لسان العرب)، إبراهيم المطعني (خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغيّة)، بكير بن سعيد أغوشت

(قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش (1236 – 1332هـ / 1820 – 1914م)، حياته – أثاره الفكرية – جهاده)، محمد بن إسماعيل البخاري (صحيح البخاري)، مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم).

الدّراسات السّابقة:

موضوع التّوظيف البلاغي عند الشّيخ أَمْحمّد أطفيّش من خلال تفسيره (هميان الزاد) لم تتناوله الدّراسات البحثيّة بشكل خاص وأوسع، وإنّما القليل منها كان له حظّ البحث والتّحليل منهم: سليمان الشعيلي (منهج الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره هميان الزّاد) ماجستير، هذه الأطروحة لم تصلني بشكل كامل وإنّما تحصلّت على بضع صفحات احتوت على الفهرس وبعد إمعان النّظر وجدت أنّ صاحب الأطروحة ذكر المنهج المعتمد وألمّ بشكل أوسع في ذكر الشّواهد البلاغيّة مع الشّرح والتّفصيل، أمّا بعض الأطروحات فقد تناولت مؤلفات أخرى للشيخ أطّفيّش مثل: محمد مصطفى درويش الخواجا (منهج الشيخ محمد بن أطفيش في تفسيره تيسير التفسير) ماجستير في التفسير وقد تناول الباحث ذكر التّوظيف البلاغي الخاص "بتيسير التفسير"، أحمد لقدي (أمْحمد بن يوسف أطفيش وجهوده البلاغية مع تحقيق كتابه (ربيع البديع في علم البديع)، دكتوراه العلوم، وكان قد اعتمد صاحب الأطروحة على اسخراج الشّواهد البلاغيّة من هذا الكتاب من غير إدراج الشّواهد البلاغية الموجودة في تفسير (هميان الزّاد).

خطّة البحث:

من أجل مناقشة الإشكاليّة السّابقة اعتمد البحث على خطّة مقسّمة إلى مقدّمة وخمسة فصول، وخاتمة، أمّا المقدّمة فقد تناولت: كلّ ما علق بحدود الموضوع من المفاهيم العامّة إلى شرح معالم الخطّة، وتناول الفصل الأوّل: عصر وحياة الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطفيّش، قسّم إلى مبحثين، المبحث الأوّل: حدّد فيه البطاقة الجغرافيّة والحياة السّيّاسيّة والاجتماعيّة الاقتصادية والعلميّة، أمّا المبحث الثّاني: حدّد فيه ترجمة حياة الشّيخ أطفيّش، أمّا الفصل الثّاني: فقد تناول

فيه مفهوم التّوظيف البلاغي بإبراز البطاقة الفنّيّة لكتاب (هميان الزّاد)، والفصل الثّالث: خصّص لتوظيف علم البيان حدّد فيه التّشبيه والتّمثيل والاستعارة والمجاز والكناية، والفصل الرّابع: خصّص لتوظيف علم المعاني حدّد فيه الأسلوب الخبري، الأسلوب الإنشائي، المسند والمسند إليه معرفة، المسند والمسند إليه نكرة، الحذف والإيصال، الإظهار والإضمار، الاستثناء، والفصل الخامس: خصّص لعلم البديع حدّد فيه المقابلة، تأكيد المدح بما يشبه الذّم، حسن التّعليل، الإلتفات، المشاكلة، وفي كلّ من علم المعاني وعلم البديع اختير النّوع الأكثر انتشاراً، أمّا بقيّة الفنون مثل الطّباق والسّجع والجناس لم تدرج كونها ربما سبق الإشارة إليها في الرّبع الأوّل من تفسير القرآن الكريم، مثل فنّ الطّباق حيث بيّن فيه الشّيخ أمحمّد أطّفيّش بقوله: "الطّباق كثير لا يحتاج إلى التّشبيه عليه"، وختمت الأطروحة بذكر بعض المختصرات الّتي ألمت بما جاء في البحث، ثم إدراج قائمة المصادر والمراجع والّتي تليها مجموعة من الفهارس وكذا فهرس الموضوعات، ثم الملّخص بالعربيّة والانجليزيّة.

وفي الأخير وليس آخراً إن أصبنا فمن الله تعالى ورضوانه ثم على من سهر على تدعيم البحث وإنهائه، وإن أخطئنا فمن النّفس والشّيطان.وصلّ اللّهم على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

في قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾: سورة الأعراف الآية 89.

نَرْجُوا مِنَ اللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَاد.

الفصل الأول: عصر وحياة الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أَطْفِيّش

المبحث الأول: عصر الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أَطْفِيّش

المبحث الثاني: الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطْفَيِّش حياته وآثاره.

المبحث الأوّل: عصر الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أَطْفِيّش

عرفت الجزائر احتلالاً متنوّعاً ومتعدّداً في مختلف الفترات بداية بالاحتلال الرّوماني إلى الاحتلال الإسباني مروراً بالاحتلال العثماني، وأخيراً الاحتلال الفرنسي الّذي دام حوالي مائة واثنان وثلاثين (132) سنة مخلّفاً مليوناً ونصف المليون شهيد، لكن رغم ذلك كان في كلّ فترة تظهر نخبة من العلماء الّذين ناضلوا من أجل إحياء الضّمير الإسلاميّ والوطنيّ الجزائريّ آملاً في غدٍ أفضل.

في هذا الصّدد نتعرّف على البيئة الّتي عاصرها الشّيخ أمْحمد بن يوسف أطّفيّش ومعرفة موقعها الجغرافيّ من حدود ودرجات مئويّة ومناخ، ومعرفة الحالة السّيّاسيّة وما الّذي يسودها من استعمار أو استقلال، ومعرفة الحالة الاجتماعيّة وما يعاش فيها من استقرار أو تدهور، ومعرفة الحالة العلميّة وما تمر به من تخلّف وجهل وانعزال، أو ما تزهر به من علم وعلماء.

المطلب الأوّل: البيئة الجغرافيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري

انتشر الأمازيغ في شمال إفريقيا من واحة سيوه بمصر شرقاً إلى جزر الكناري في المحيط الأطلسيّ غرباً، ومن شواطئ البحر الأبيض المتوسّط شمالاً إلى الحدود الجنوبيّة للصّحراء الكبرى على ضفاف واد النّيجر، وعندما دخلت كتامة وصنهاجة وزناتة إلى الغرب، إلتجأ بنو واسين إلى الصّحراء بين مُلْوِيَة شرق المغرب الأقصى والزّاب ناحيّة بسّكرة وعندما استقرّ بنو مزاب ببلاد الشّبكة باسم أَغْلَانْ، مع بني إخوته عبد الواد وتُجِينْ وزَرْدَالْ وذلك في القرن الثّاني للهجرى.[1]

على هذا الأساس فإنّ بني مزاب استوطنوا بلاد الشّبكة منذ ثلاثة عشر قرناً، ومن المعلوم أنّ مدينة العطف تَاجْنِينْتْ أسست قبل عشرة قرون وهي أقدم المدن المزابيّة الباقيّة إلى الآن، ولكن سبقت تَاجْنِينْتْ ثلاثة قرون ملك فيها بنو مزاب الشّبكة واتخذوها وطنهم، وعمّروها وأنشئوا فيها

[1] . يوسف بن بكير الحاج سعيد، الهوية المزابيّة أهمّ عناصرها وتشكّلها عبر التاريخ، المطبعة العربيّة، 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، ط2، 1435هـ 2014م، ص11، ص12.

قراهم الأولى على ضفاف واد مزاب وروافده، منها: أَغْرَمْ نَتْلَزْضِيتْ، أَوْلَوَالْ، أُخِيرَهْ، أَغْرَمْ نْوَدَّاي، تْمْزَّارْتْ، مُومُّو، تِرْشِينْ، أَقْنْونَّايْ، تْلَاتْ مُوسَى.[1]

هذا وتعتبر منطقة واد مزاب منطقة صحراويّة تبعد عن عاصمة الجزائر جنوباً وفي خط مستقيم بنحو 600 كلم، وصولاً إلى عاصمتها غرداية[2]، وقدرت مساحتها بـ 52 كلم، وترتفع عن سطح البحر بـ 500 متر، أو 515 مترا، وتبعد عن المنيعة بـ 300 كلم، وتبعد عن ورقلة بـ 200 كلم، وتبعد عن تمنراست بـ 1200 كلم، وتبعد عن الجلفة بـ 300 كلم[3]، وتبعد عن قسنطينة شرقا بـ800 كلم، وعن وهران غربا 800 كلم، وعن تمراست جنوبا 1500 كلم.[4]

ويتخلّل المنطقة بعض الوديان إلاّ أنّها في الأغلب جافّة لا تجري إلاّ لبضعة أيّام، وكثيرا ما تتعرّض للجفاف، فتبقى البيئة جافّة قاسيّة، لكن لم تمنع النّاس الّذين استوطنوها بأن يقيموا فيها

[1] . يوسف بن بكير الحاج سعيد، المصدر السابق، ص12.

[2] . إبراهيم بحاز، ملامح من المجتمع المزابي في بعض تراث الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش (ت1914م)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنيين 13 و12هـ – 19 و18م، من خلال المصادر المحلية، يومي 19 صفر 01 ربيع الأول 1433هـ الموافق لـ 24 و25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي، ص13.

[3] ـ محمد جودي، واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط، دراسة تنميطية، إشراف، د، معروف بلحاج، السنة الجامعية 2006 – 2007م، ص02، ص03.

[4] بكير بن سعيد أغوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيّا – تاريخيّا – اجتماعيا، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، غرداية، 1991م، ص20.

عمرانا وحضارة تناقلها الألسنة، وشهدت بها الآثار والأعمال[1]، ووادي ميزاب يشمل المدن التّاليّة[2]:

العطف (تاجنْيت): هي أقدم مدن ميزاب تأسيساً 402هـ/1012م، أمّا كلمة (تاجنْيت)، فتدلّ على المكان المنخفض.

بونورة (آت بونور): بونور اسم قبيلة بربريّة، أسّست عام 457هـ/1065م، وتدلّ كلمة بونور على جبل منقطع عن باقي الهضبة.

مليكة (أتمليشت): قبيلة أمازيغيّة منتشرة في شرق الجزائر أسّست عام 756هـ/1355م، أرجع القطب تسميّتها "أن تكون سميّت لرجال عمّروها من بلاد تسمّى مليكش.

بني يزقن (آت يزجن): وفيها لغات كثيرة: بني يزجن، بني يزقن، بني إزقن، بني يسجن، أسست عام 720هـ/1321م.

غرداية (تاغردايت): معنى كلمة الأرض المستصلحة الواقعة عن ضفّة مجرى الوادي، أسّست عام 477هـ - 1085م)، قيل عن تغردايت تصغير لكلمة أغرداي وهو الجبل.

---

[1]. أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلاميّ في الجزائر، دار الكتاب الحديث، 1433هـ - 2012م، ص 651./ مصطفى بن الناصر وينتن، آراء الشّيخ أمحمد بن يوسف أطْفيّش العقديّة، (1239هـ – 1332هـ)، (1821م – 1914م)، جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ص17، ص18.

[2]. بكير بن سعيد أغوشت، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش (1236 – 1332هـ / 1820 – 1914م)، حياته – أثاره الفكرية – جهاده – مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، 1989م، ص48./ إبراهيم بن علي، معتمد الصواب من شواهد قواعد الإعراب لمحمد بن يوسف أطفيّش (ت1332هـ - 1914)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفكر النحوي واللّسانيّات، دراسة وتحقيق، إشراف، د، أحمد بلّخضر، 2014/2013م، ص100.

المطلب الثاني: الحياة السيّاسيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري

شهدت الجزائر كغيرها من البلدان استعمار متتالي من دخول السّلطات العثمانيّة على الأراضي الجزائريّة وخصوصاً المناطق البربريّة بغرداية وهم أهل وادي ميزاب الّذين استجابوا لنداء الحاكم العثمانيّ الدّاي حسين بموجب معاهدات التّعاون يحكمون بموجبها منطقتهم ولهم أمناء ينوبون عنهم لدى السّلطة العثمانيّة، ثم دخول الاستعمار الفرنسيّ وبدأه بالاستيلاء على الأراضي وسلب الخيرات[1]، ولم تسلم وادي ميزاب هي الأخرى وجاءت فرنسا إلى احتلالها عام 1882م[2]، وأخضعت المنطقة للقوانين التعّسفيّة العسكريّة من قبل الجنرال راندون[3]، لكن لم يبقى الجزائريّون وخاصة الميزابيّون مكتوفي الأيدي بل عزموا على أن يحي الضّمير الميزابيّ ومن بينهم القطب الشّيخ أمحمد أطفيّش الّذي عاصر دخول الاستعمار العثمانيّ وقد عبّر عن رأيه في الدّولة العثمانيّة بأنّها كانت سلطة عادلة يملأها الود والعرفان[4]، ولم يتسنّى للشّيخ أطفيّش إلاّ أن يحمل على عاتقه مهمّة إصلاح المجتمع الميزابيّ، وإخراجه من الجهل والتّخلّف[5]، ولم يتسنّى له أيضاً الذّهاب كجند من جنود الحريّة فالتجأ إلى القلم والدواية ليخط مؤلفات تحت طياتها إيقاظ الجزائريين والعرب المسلمين من غفلتهم وما يخطط له الاستعمار.

---

[1]. مصطفى بن ناصر وينتن، المصدر السابق، ص17، ص18.

[2]. سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، منهج الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره "همیان الزاد" رسالة ماجستير، المشرف فضل حسن عباس، أيار 1996م، ص07.

[3]ـ مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871م – 1914م)، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، (1431هـ –2010م)، ج2، ص07.

[4]ـ أحمد جلايلي، من رواد النهضة الحديثة، محمد بن يوسف أطفيّش الجزائري (1238هـ – 1821م/1332هـ – 1914م)، قسم اللغة العربية وآدابها المركز الجامعي ورقلة، مجلة كلية الآداب، ع02، م01، نوفمبر 2001م، ص85.

[5]ـ بالحاج أوزايد، جهود الشّيخ أطفيش الإصلاحية ومواقفه الوطنية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، الجزائر، ع 12، 2011م، (مقدمة)، ص191/ بكير بن سعيد أغوشت، المصدر السابق، ص53، ص56.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري

رغم وجود الاستعمار الفرنسيّ وما خلّفه من أضرار نفسيّة وجسديّة وفكريّة وعقديّة ودينيّة للمجتمع الجزائريّ المسلم فقد حافظ على أصالته وتجذره في الإسلام، والمحافظة على الدّين الواحد قبل المطالبة بحقّه في الاستقلال والحريّة[1]، ولم يخلوا المجتمع الميزابيّ من ركب النّهضة والإصلاح بإنشاء هيئة عرفيّة تحكمه تسمى (العزّابة) أو (حلقة العزّابة) وهم: "جماعة من الأشخاص تمتعوا بالأهلية الكاملة لقيادة المجتمع الإباضي"، وهذه الأهليّة إمّا علميّة، أو خبرة طويلة في مجالات الحياة، أو معرفة تامّة بأحوال المجتمع، إلى غير ذلك من الأمور الّتي تسمح للشّخص بتولّي القيّادة[2]، ويكون نظام العزابة متمركزاً بالمسجد الّذي هو في الأساس سلطة تحكم وتسيّر المجتمع في ضبط أخلاقه وقيّمه الإسلاميّة الّتي تنبع من القرآن الكريم، وتدعو الأئمة والشّيوخ إلى التّحلي بروح الدّعوة والإرشاد، أمثال الشّيخ امحمد بن يوسف أطّفيّش الّذي ناضل من أجل الدّعوة وإصلاح المجتمع في محاربة كلّ أشكال البدع والخرافات الزّائفة[3]، وبذلك نجد جلّ مخطوطاته ذات توجه دينيّ يحفظ كيان الفرد من الانحلال والانحراف، وحاولت هذه المؤلّفات أن تضبط المجتمع على نسق واحد وتحدّد العلاقة بين أفراده[4]، وقد ساهم أيضاً في تخفيف أعباء الفرد بتوحيد المهور

---

[1]. بكير بن سعيد أغوشت، المصدر السابق، ص15/ بكير بن سعيد أغوشت، المصدر السابق، ص51، ص52.

[2]. عبد الرّؤوف قرناب، جهود علماء الجزائر في الرّد على التّنصير إبّان الاحتلال الفرنسيّ (1830هـ - 1962)، مذكّرة ماجستير في العلوم الإسلاميّة، إشراف، محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدّة، 1436هـ - 2015م، ص137.

[3]. بكير بن سعيد أغوشت، ص15/ بكير بن سعيد أغوشت، المصدر السابق، ص51، ص52.

[4]. أبو ياسين محمد بن أحمد، العناية بالمخطوط في وادي ميزاب، ملتقى المخطوط لولايات شمال الصحراء، ص95.

في النّكاح في منطقة بني يزقن، وذلك من أجل تسهيل الزّواج والمساهمة الفعليّة في تأسيس الأسر الميزابيّة المسلمة، وقد ترك الكثير من الصّدقات الجاريّة والأوقاف الثّابتة.[1]

أمّا الجانب الاقتصاديّ في واد ميزاب فقد تميّز بالصّناعة النّسيجيّة والفخّار ودباغة الجلود، وبيع التّمر مقابل الصّوف والسّمن، وغيرها من أنواع السّلع التّجاريّة[2]، لكن هذا التّميّز لم يدم طويلاً بسبب تدخّل الحكم في ضمّ الصّحراء إلى الممتلكات الفرنسيّة فأدّى ذلك إلى انتشار الفقر وتناقص العمّال، فقد كان عدد صنّاع الزّرابي يبلغ ستّة ألاف عامل قبل الاحتلال، وبعده تناقص العدد وأصبح أكثر من ألف وخمسمائة عامل بسبب الضّرائب الّتي تفرضها السّلطات الفرنسيّة على الجزائريّين منذ سنة 1853م، وكان مبلغ الضّريبة خمس وأربعون ألف فرنك ذهبيّ وبدأ هذا المبلغ يتضاعف فوق معيشة الشّعب الجزائريّ المحدودة الدّخل فزاد الفقر فقراً.[3]

---

[1]. أَمْحمَّد لقدي، أَمْحمد بن يوسف أطفيش وجهوده البلاغية مع تحقيق كتابه "ربيع البديع" في علم البديع، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، إشراف د، محمد ناصر بوحجّام، تخصص، تحقيق المخطوطات، جامعة الحاج لخضر باتنة1، 1437 – 1438هـ/ 2016 – 2017م، ص24.

[2]. بكير بن سعيد أغوشت، المصدر السابق، ص26.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيش (1236هـ - 1332م)، المصدر السابق، ص15، ص16.

المطلب الرابع: الحياة العلمية في وادي ميزاب خلال القرن التاسع عشر هجري

تميّزت وضعيّة التّعليم في الجزائر بالانتشار في العهد العثمانيّ وبخاصّة في المدن الكبيرة كالجزائر العاصمة، قسنطينة، وهران، بجاية، تلمسان، مازونة (غليزان)، فقد أنشأت المدارس الابتدائيّة المتمثّلة في الكُتَّاب والزّوايا والمساجد الّتي عملت على المحافظة على الشّخصيّة الجزائريّة ومحاربة الأميّة بدواً وحضراً[1]، أمّا بالنّسبة للفترة الاستعماريّة الفرنسيّة فتميّزت بقلّة العلماء الجزائريّين المؤهّلين للتّدريس والتّوعية والإرشاد، فقد كان يذهب جِلّة من العلماء للتّدريس في البلدان الإسلاميّة كجامع الزّيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر، وجامع القرويين بفاس المغرب، وبعد تحصّلهم على المعارف يتوجّهون إلى الجزائر للتّدريس في الجوامع مقابل مرتّب زهيد تدفعه السّلطات الفرنسيّة[2]، وسرعان ما لمست سيطرتها في القضاء على الإسلام وكلّ ما يمدّ له بصلة من الزّوايا والمساجد والمدارس القرآنيّة، وغيرها، ويصوّر الشّيخ أبو اليقظان، وهو شاهد عيان على ما حلّ بالشّعب الجزائري فيقول: "لقد تسلّطت على الأمّة عوامل ثلاثة لو تسلّط عامل منها على أمّة كبيرة لزعزع ركنها، وهدّ بنائها ألا وهي الجهل والفقر والافتراق، فالجهل: أفقدها الشّعور بوجودها وكيف تذب عنه، والفقر: أقعدها عن العمل وشلّ أعضائها عن الحركة، والافتراق: أذاب قوتها وذهب بريحها"، والحالة هذه عرضة للتّلف والهلاك والاضمحلال، وألقت أيضاً السّياسة الصّليبيّة الّتي انتهجتها فرنسا بضلالها على الحياة العلميّة والفكريّة في الجزائر، فأغلقت المدارس والمساجد وحُوِّل معظمها إلى كنائس[3]، لكن لم يبقى على الجزائريين سوى رفض كلّ تلك القوانين وردعها بشتّى الوسائل في مقاطعة المحتل وعدم العمل في إرادته، وامتناعهم من إدخال أبنائهم في مدارسه، ورفضهم التّجنيد في صفوف جيشه، ولم يخلوا هذا القرار من مخلّفات في توليد الصّراعات

---

[1]- آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، مجلة دراسات نفسية وتربوية، ع07، ديسمبر 2011، ص59.

[2] . محمد صلاح حقي، صورة الجزائر في القرن19 من خلال المصادر التونسية "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، و"صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" نموذجاً، مجلة آفاق فكرية، تونس، ع05، خريف 2016، ص54.

[3] . سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، المرجع السابق، ص07 وما بعدها.

وانتشار الفتن الدّاخليّة الّتي خلّفتها العصبيّة القبليّة، ثم حدوث الانحطاط على المستوى الثّقافي في غيّاب سلطة الجيش النّظاميّ أو ما يعرف بسلك الشّرطة[1]، وعلى غرار المدن الجزائرية لم تخلوا منطقة وادي ميزاب من الرّكود العلميّ، ثم جاء الشيخ المعروف بعمي سعيد بن علي الجربي في القرن الخامس عشر ميلادي، والثّلث الأول من القرن السّادس عشر منه فانقضها، إلى أن توفيّ عام 927هـ - 1521م ، وعُرف في تلك الفترة أن واد ميزاب عرف نهضة وسرعان ما اضمحلت وزالت في عهد الشّيخ عبد العزيز الثّميني الّذي عاش في الفترة الممتدّة من 1718م حتى 1818م، وكان ممن حاربوا الجهل والبدع[2]، وجاء من بعده شيوخ مخلصين للعلم والوطن أمثال الشّيخ أمْحمّد بن يوسف أطّفيّش، والشّيخ إبراهيم بن يوسف أطفيّش، وغيرهم كثير ممن حملوا على عاتقهم مهمّة النّهوض بالبلاد وأن يتركوا بصمتهم جليّة خالدة إلى يوم الدّين، وقد لمس صيتهم الشّعوب الشّقيقة مثل بلاد تونس ومصر وعمان والسّعوديّة، وغيرها من الأقطار العربيّة المسلمة المستعمرة[3]، وهذه ميزة له بحق في كونه أراد الخير لنفسه ولعامة النّاس، متواضع، وعلمه ثمرة يأكل منها الجميع، وعين تروي رمق كلّ متعطش للمعرفة والتّعلّم.

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيش (1236هـ - 1332م)، الكافي في التصريف، تحقيق ودراسة عائشة يطو، مطبعة عُمان، ط1، 1433هـ - 2012م، ص14.

[2] . إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص13.

[3]. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995م، ص402، ص403.

المبحث الثّاني: حياة الشّيخ أَمْحَمّد بن يوسف أَطفيّش.

تزخر الجزائر بالعلماء النّجباء والنّبغاء، منهم الشّيخ أمْحمد بن يوسف أطّفيّش الّذي ذاع صيته في مسقط رأسه، وفي ربوع بلاده، وخارج البلاد، وعليه لا بد من التّعرف على هذه الشّخصيّة، من اسمه ونسبه، مولده ونشأته، تعلّمه وتعليمه، بصمته وأثاره.

المطلب الأوّل: اسمه ونسبه، مولده ونشأته.

أوّلاً: اسمه.

هو أَمْحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير[1] "أَطْفِيّشْ".[2]

ثانيّاً ـ نسبه:

ينحدر الشّيخ أمحمّد أطفيّش من عائلة جزائريّة عريقة وشهيرة بالعلماء، وبالتّحديد من عشيرة آل بامْحمد نسبة إلى جدّه الحاج محمد بن عبد العزيز المعروف بالشّيخ بامْحمد، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني من العائلة الحفصيّة المالكة بتونس ما بين (625 - 983هـ / 1229 - 1574م)، وينتهي إلى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه العدويّ، نسبة إلى

---

[1]ـ محمد بن يوسف أطفيش، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، علّق عليه أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب سلطنة عمان، ص07، ص08.

[2]ـ لُقِّب أمْحمّد بن يوسف بأطَّفَيّش، قيل أنّ صديقه نداه إلى الطعام فلقبه به، ومعناه: لفظ بربري، مركب تركيبا مزجيا من ثلاث كلمات، الأولى "أَطَّفْ" بفتح الهمزة وتشديد الطاء المفتوحة وسكون الفاء، ومعناها ببعض لغات البربر "أمسك"، والثانية "أَيَّا" بفتح الهمزة وتشديد الياء، ومعناها "أقبل أو تعال"، والثالثة "أَشْ" ومعناها "كل"، فمجموع الجملة "أَطَّفْ أَيَّا أَشْ"، وترجمتها "أمسك ـ تعالى ـ كل"، يقال إنّ أحد أسلاف صاحب التّرجمة لقّب به لمناداته صديقا له يدعوه إلى الطّعام، (محمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، جامع الشمل في حديث خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، شرح أحاديثه وعلق عليه، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1407هـ – 1987م، ج01، ص03، ص04./ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط05، 2002م، ج7، ص156).

عدي بن كعب بن لؤي القرشي جد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه[1]، ويبيّن الشّيخ أطفيش بنفسه في العديد من مؤلّفاته نذكر منها قوله: "نسبي في بني عديّ من العرب، ولساني بربريّ موافق العربيّة كلّها إلاّ قليل"[2]، ويقول هو في نفسه في أرجوزة له[3]:

وَنَاظِمُ الأَبْيَاتِ مِنْ بَنِي عَدَيِ يَتَّصِلُ اتِّصَالَ يَوْمٍ بِغَدِ

محمدٌ بْنُ يُوسفَ بْنُ عِيسَى نَجْلُ كِرَامِ سَادَةٍ وَكَيْسِيْ

مَعَ اجْتِمَاعٍ فِي عَدَيْ يَعْمَرٍ وَبِالنَّبِي فِي لُؤْلُـــــؤٍ وَزُمُرٍ.

أمّا والده فذو شخصيّة بارزة في زمانه ومن أعيان وقته، كان مشهوراً بالذّكاء والصّلاح والثّقافة والشّجاعة، نال حظّه من العلم بمجالسة العلماء واختلاطه بالمثقفين، وحارب أيضاً البدع والخرافات في بني يزقن.[4]

أمّا أمّه فكانت تدعى السّيدة مامّة ستيّ بنت الحاج سعيد بن عدون بن يوسف بن قاسم بن عمر بن موسى بن يدر، من عشيرة آل يدر من بني يسجن[5]، هذه العشيرة الّتي نبغ منها

---

[1] . إبراهيم بن علي، المرجع السابق، ص108،/عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، (1400هـ - 1980م)، ص19، ص21.

[2]- تيسير التّفسير، قطب الأئمة الشّيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيّش، (1332هـ – 1914م)، تحقيق وإخراج، الشّيخ إبراهيم بن محمد طلاي، بمساعدة لجنة من الأساتذة، ط01، 1425هـ – 2004م، ج04، ص347.

[3]- محمد مصطفى درويش الخواجا، منهج الشيخ محمد بن أطفيش في تفسيره تيسير التفسير، إشراف، د، أحمد فريد، رسالة ماجستير في التفسير بكلية لدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 08 ذي الحجة 1404هـ الموافق لـ 18 ماي 1994م، ص38./فاطمة جريو، محمد بن يوسف أطفيش (ت. 1332هـ) وآرائه النّحوية من خلال كتابه "الكافي في التصريف"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، العام الرابع، ع30، مايو 2017م، ص68.

[4] . إبراهيم بن عليّ، المرجع السابق، ص108.

[5]- أمْحمّد بن يوسف أطفيّش، مختصر كتاب الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، اختيار وترتيب، إبراهيم بن يوسف بازين، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط01، 1439هـ – 2018م، ص11.

علماء من بينهم جدّ والدة أطّفيّش الأوّل عدّون يسمى حمو والحاج، كان عالماً ورعاً شجاعاً حكيماً، وكان أكبر صديق ونصير للشّيخ عبد العزيز الثّميني، وعَمُّ والدة أطّفيّش الشّيخ أبو يعقوب يوسف بن عدّون، خَلَفَ الشّيخ عبد العزيز الثّميني في مشيخة المسجد ببني يزقن، وخلفه في الزّعامة العلميّة بوادي ميزاب، وقاد النّهضة الحديثة بعده، وخاله الشيخ عمر بن الحاج سعيد نتموسني عالماً ومفتيّاً بوادي ميزاب، ولُقِّب بنتموسني وهو لفظ بربريّ معناه الدّين والشّريعة، وذلك لسعة علمه بالشّريعة الإسلاميّة وورعه.[1]

ثالثاً: مولده:

اختلف في ولادة الشّيخ أَمْحمد بن يوسف أطّفيّش، قيل ولد سنة 1237هـ – 1818م[2]، وقيل ولد سنة (1236 – 1820م)[3]، وقيل ولد سنة (1237 - 1821م) في بلدته بني يزقن[4]، انتقل به والده إلى غرداية، حيث قضى طفولته فيها، توفيّ والده وعمر الشيخ لم يتجاوز سنّ الأربع سنوات، فأصبح يتيم الأب منذ صغره، لكن أمّه عوضت عليه ذلك برعايتها وحسن تربيتها له، ولما ظهرت عليه ملامح الذّكاء والفطنة أدخلته أمّه مجلس الكُتّاب لحفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز الخامسة[5]، فحفظ القرآن الكريم واستظهره وهو ابن ثماني سنين، ثم أخذ العلم عن علماء بلده حتّى نبغ واشتهر[6]، ومن بين الشّيوخ عمّ والده الشّيخ المفسّر الإباضي محمد

---

[1] . أمْحمَّد لقدي، المرجع السابق، ص25.

[2] أمحمّد بن يوسف أطفيّش اليسجني، شرح لغز الماء، إخراج، قيّم مكتبة القطب وحفيده محمد بن الحاج محمد بن الشيخ أمحمّد أطفيّش، بلدية الكرمة، وهران، الجزائر، ط02، 1429هـ – 2008م، ص80.

[3] خير الدّين الزّركلي، المصدر السابق، ج7، ص156./ رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج12، ص133.

[4] أبو القاسم الشيخ بالحاج، جهود الشيخ أمحمد أطفيّش في النّهضة والإصلاح، العالميّة للطّباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة، تيبازة، 1439هـ – 2018م.

[5] . إبراهيم بن عليّ، المرجع السابق، ص109.

[6] . معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص658.

بن يوسف ولازمه إلى أن توفيّ، انتقل إلى تونس وحضر دروساً في جامع الزّيتونة وفي بلدان عدّة سيأتي بيانها في ذكر رحلاته، وكان مرجعاً للفتوى في المذهب الإباضيّ عند المشارقة والمغاربة.[1]

هذا وتعدّدت ألقاب الشّيخ أطّفيّش، نذكر المعلوم منها: ما هو منسوب إلى بلده كالميزابيّ[2] المصعبيّ اليسجنيّ، ومنها ما هو منسوب إلى مذهبه كالوهبيّ الإباضيّ[3]، ومنها الحفصيّ العدويّ الجزائريّ[4]، وما هو منسوب إلى تنوّع العلوم والمعارف الّتي ألّفها كالقطب[1]، ومنها الإمام، والعلامّة،

---

[1]ـ محمد أبو الأرقم، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط01، 1426هـ، ج01، ص156.

[2] . يُعدّ المؤرخون أصل تسمية بني ميزاب، إلى قبيلة بني مصعب الّتي عمّرت هذه المنطقة قديما، وهي إحدى فروع قبيلة زناتة البربريّة، حيث يذكر المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون أنّ بني مصعب يعود نسبهم إلى مصاب ابن بادين من قبيلة زناتة، الذي انتقل إلى وادي ميزاب هو وإخوته فيقول: "وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فمن إنضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب البربريّة، فرع زناتة العظيمة، ثم تحوّلت التّسميّة من بني مصعب إلى بني ميزاب مع مرور الزمن، (أبو القاسم الشيخ بالحاج، موجز تاريخ وادي ميزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي، العالمية للطباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة، تيبازة، 2017م، ص07، ص08)/ (لفظ ميزاب اسم آلة وزوب الماء، أي انحداره وانصبابه كالميزان آلة الوزن، جرى تسمية أهل القرى السبع: غرداية، ومليكة، وبونورة، وبن يزقن، والعطف، والبريان، والقرارة، بالجنوب الصّحراوي الجزائريّ ببني ميزاب ذلك نسبة إلى ميزاب الكعبة، وقال القطب الإمام أطفيّش في رسالته المطبوعة: فالميزابي اسم تأهّل له كل إباضي وهبي من أهل الدّعوة، ولو من عمّان وذلك أنّهم كلّهم يقفون في الطّواف تجّاه ميزاب الكعبة للدّعاء ولا يقف في ذلك سواهم من أهل المذاهب الأخرى، أو لأنّ أبي بلال مرداس بن جدير دخل الحجر الحطيم في ليلة مقمرة صاحيّة يدعو الله أن يظهر دينه فقطرت عليه قطرة من ميزاب بلا سحاب وهو تحته علامة لإجابة الدعّاء وكان يدعوا جاهرا راغبا فسمعه أهلوا الطّواف فأمنوا على دعائه، والوجه الأول أعظم شهرة لكثرة فاعليه وتكرّره، والّذي يطمئن إليه القلب أنّ ميزاب اسم لذلك الوادي بعينه، وما روّي لأبي بلال مرداس فيه غموض، والوقوف تجاه ميزاب الكعبة مقطوع به، فالأقرب إلى الصّواب ما رواه ابن خلدون بأن مضاب بن يادي انتقل إلى الوادي لأسباب سياسيّة فتناسل فيه فسمّي باسمه "واد مزاب" أبو حمو بزبادي ملك تلمسان، (حمّو محمد عيسى النّوري، دور الميزابيّين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، م1، ج1، ص27).

[3]. أمْحمد بن يوسف أطفيش، المصدر السابق، ج02، ص 145.

[4]. عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج12، ص133.

وأطلق عليه علماء المشرق قطب المغرب[2]، وجاءت الكثير من محققي كتب الشّيخ أطفيّش مدوّنة العنوان بالقطب.[3]

رابعاً: نشأته.

نشأ الشّيخ أَمْحمد بن يوسف أطّفيّش بين قومه وعُرف عندهم بالزّهد والورع، واشتغل بالتّدريس والتّأليف وهو شاب لم يتجاوز السّادسة عشرة من عمره، انكبّ على القراءة والتّأليف حتى قيل إنّه لم ينم في ليلة أكثر من أربع ساعات[4]، نشأ عصاميّاً لم يسافر للدراسة خارج موطنه وجعل همّه الوحيد الحرص عل اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها واشترائها من كلّ البلدان، رغم قلّة ذات اليدّ وصعوبة الاتّصال، إلى أن تجمّعت له مكتبة غنيّة تعتبر فريدة عصرها بالنّظر إلى ظروف صاحبها وبعده عن مراكز العلوم والعمران.[5]

---

[1]ـ محمد بن موسى بابا عمي، وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط01، 1420هـ – 1999م، ط02، 1421هـ - 2000م، دار الغرب الإسلامي، ج2، ص399.

[2]. قادة الأحمر، المنهج الإصلاحي في فكر الشّيخ بن يوسف أطفيّش القطب من خلال رحلاته العلمية وآرائه الفكرية، مجلة الحوار المتوسطي، م09، ع01، 31 مارس 2018م، ص252.

[3]. أَمْحمّد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، مختصر كتاب الذخر الأسنى، المصدر السابق، ص18.

[4]. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ج02، ص236.

[5] . محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المصدر نفسه، ج2، ص399.

المطلب الثّاني: طلبه للعلم ومكانته العلميّة

أوّلاً: طلبه للعلم

ظهر على الشّيخ أَمْحمد أطفيّش نبوغاً لا مثيل له واجتهاد منذ بداية عهده بالدّراسة حينما كان يُقبل على حلقات الدّرس اقبالاً منقطع النّظير، دعمته عزيمة صادقة[1]، فقد كان يزاحم الطّلاب من أجل العلم والتّعلم فنال بذلك المبادئ الأولى في اللّغة وعلوم الدّين على مختلف العلماء والمدرّسين، وساعده في ذلك قوّة الذّكاء وسرعة الحفظ وحدّة الاستيعاب للشّيوخ طالباً للعلم ليل نهار لا يكل ولا يمل، بالإضافة إلى حبّه للعلم وإعطائه الدّرجة الأولى من أولوياته[2]، وكان من أولوياته أيضاً حبّ وطنه والاعتزاز بعلمائه وشيوخه فلم يكن مثل بقيّة العلماء الّذين يميلون إلى الدّراسة بالخارج بل أراد أن يطلب العلم على يد مشايخ كبار جزائريّين ليكون مفخرة لأهل بلده ويجلس على ترابها الطّاهر يناضل ويكافح الفقر والجهل، فكان يشتري الكتب الثّمينة على حساب فقره وجوعه[3]، وقد استطاع الشّيخ أطّفيّش من خلال تعلّمه وما اكتسبه من حبر الكتب أن يغيّر الأوضاع الميزابيّة ويصلح مجتمعه من المفاسد فيربّي الفرد على الأخلاق القويمة، لأنّ بالتّنشئة السّليمة ينشأ مجتمع قويّ سليم، وسار إلى تطوير هدفه بفتح حلقة علميّة خاصّة طوّرها بعد مرور الزّمن وأبدع فيها حتّى صارت معهداً مُتخصّصاً في الدّراسات الإسلاميّة أشبه ما يكون في المدارس والجامعات النّظاميّة المعاصرة، وكان المعهد نتيجة رصيد الخزائن والمكتبات الّتي وجدها في بلدته مما تركه مشايخه ومما امتلكه من الكتب، فجعله ذلك يمتلك القدرة على التّدريس وهو لا يزال في العشريّة الثّانيّة من عمره قبل أن يبلغ العشرين، حين أعان أخاه في التّعليم، ثم فتح في داره حلقة خاصّة به رعاها وحاول تحسينها وتطويرها من حين لآخر[4]، ولم يكفيه التّغيير والإصلاح ولم

---

[1] . أحمد عيساوي، المصدر السابق، ص654.

[2] . أبو القاسم الشيخ بالحاج، جهود الشيخ أمحمد أطفيّش، المصدر السابق، ص14، ص16.

[3] . إبراهيم بن علي، المرجع السابق، ص 106.

[4] . أبو القاسم الشيخ بالحاج، جهود الشيخ أمحمد أطفيّش، المصدر نفسه، ص14، ص16.

يجد وسيلة أسرع لإيصال الرّسالة للشّعب والأمّة سوى التّأليف والكتابة، فراح القلم يبدع وينوع في مختلف العلوم، وذلك لخدمة وصلاح الأمّة الجزائريّة، ومن بين المؤلفات الّتي هدفت إلى إصلاح الشّعب الجزائري وإخراجه من جهله، تفسير سماه (هميان الزّاد إلى دار المعاد)، وتفسير آخر سماه (تيسير التّفسير).

ثانيّاً: مكانته العلميّة

الشّيخ أَمْحمد أطّفيّش يعتبر من أئمة أكبر علماء ميزاب قديماً وحديثاً في الجانب الدّينيّ بالخصوص إن لم نقل أكبر علماء الاباضية[1]، محدّث، شاعر، بيانيّ، عروضيّ، منطقيّ، سياسيّ وإصلاحيّ[2]، استظهر القرآن وهو ابن 09 سنوات، ثم بعده حفظ عشر سنوات المتون الطّويلة، وبدأ التّأليف والتّدريس، ونظم الأبيات وهو ابن 16 سنة، وما إن وصل 20 سنة حتى صار أحد علماء مزاب، أصغر من فسّر القرآن المسمى (بالهميان) وعمره 25 سنة[3]، كلّ هذه الصّفات الفريدة الّتي اتّصف بها الشّيخ أَمْحمّد أطّفيّش جعلت منه محطّ أنظار الشّيوخ خاصّة الشّيخ نجل عبد العزيز الثّميني الّذي قدّم له خزانة من كتب والده، قائلاً له: "هذه كتب والدي ومؤلفاته تحت تصرّفك فخذ منها ما شئت في أي وقت شئت"، حتى أنّه استغلّ زواجه رواجاً لتزويد مكتبته العلميّة بالكتب النّفيسة حين تزوّج من امرأة علم كانت تملك مكتبة ثريّة ورثتها عن أبيها[4]، وبذلك أصبحت ليديه مكتبة ضخمة تعج بالمؤلّفات الورقيّة والرّسائل والجوابات، وغيرها، فمنها ما

---

[1]. جابر بن الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، للجلسات العائلية والدروس التعليمية، دراسة شاملة شيّقة مركّزة بالصّور، ط01، 1437هـ – 2016م، ص115.

[2]ـ محمد مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1949م، ج1، ص362./ عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج12، ص133/ / محمد بن سعيد الهاشمي، العلاقات الثقافية العمّانية الجزائرية في العصر الحديث من خلال فكر الشيخ أطفيش 1236هـ – 1820هـ/ 1332هـ – 1914م، سلطنة عمان، منشورات مخبر البحث التاريخي "مصادر وتراجم" جامعة وهران، الجزائر، ط01، 1434هـ – 2013م، ص52.

[3]. جابر بن الحاج سعيد، المصدر نفسه، ص115.

[4]. محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المصدر السابق، ج2، ص400.

هو مخطوط بيده، ومنها ما كان هديّة ومنها ما اشتراه، ومنها ما جعلها أصحابها موقوفة عنده[1]، فجعلته نفائس الكتب عالم موسوعيّ من كبار المجتهدين في أصول العقيدة والتّوحيد، فقد ناهض التّعصّب للرّأي والمذهب، ودعا لتقبّل وجهة نظر المخالف[2]، فقد كتب في كشف الكُرب: "والحقّ يقبل من كلّ من جاء به"، ويورد في نصوصه أقوال المذاهب الإسلاميّة ويحرص على الأمانة العلميّة ويفضّلها على ما يعتبره مفسدة، أي إنكار رأي الآخر، ولم يكن التّأليف هو المجال الوحيد الّذي برع فيه الشّيخ بل استطاع أن يبرز في مجال الدّعوى، فتدرّج في حلقات العزّابة كعنصر عاديّ مُكلّف بتجهيز الموتى ثم أصبح بعد ذلك شيخ الحلقة ثم تولّى الفتوى والتّدريس والقضاء، وصار قبلة الوافدين والقاطنين لما له من مكانة علميّة مع شغفه بالتّدريس، فقد ألقى أثناء وجوده بالمدينة المنوّرة دروساً بالمسجد النّبويّ المعمور شرح فيها العقيدة السنوسيّة.[3]

[1] . براهيم زدك، معالم الحياة الثّقافيّة ببلدة قصر"بني يزقن" بوادي مزاب من خلال فهرست مخطوطات القطب أطفيّش، مجلة متون، جامعة الدكتور مولاي طاهر سعيدة، م01، ع02، 01 ديسمبر 2018م، ص203.

[2] . محمد العربي ولد خليفة، قطب الأئمة أطفيش (العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن)، جائزة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011م، ص09.

[3] . أحمد عيساوي، المصدر السابق، ص655.

المطلب الثالث: النّهضة الإصلاحيّة ومحاربة الاستعمار

أوّلاً: النّهضة الإصلاحيّة

تعدّ الحركة الإصلاحيّة في وادي ميزاب حركة إسلاميّة معتمدة في مرجعيّتها على مصادر الشّريعة الإسلاميّة قرآناً وسنّةً، وأنّ دوافعها ومنطلقاتها كانت عقديّة وحضاريّة قبل أن تكون مذهبيّة أو عرقيّة، وأنّ تقييدها بالمذهب الاباضيّ والتزامها بأعراف المجتمع الميزابيّ أملته الظّروف التّاريخيّة والمناخ الاجتماعيّ الّذي ظهرت في وسطه.[1]

إنّ للحركة الإصلاحيّة دور فعّال في إحياء الوعي في أوساط المجتمع الجزائريّ، وكانت سبب محفّز في مجابهة الاستعمار الفرنسيّ وإصرار قويّ في عمليّة إحباط كلّ وسائله بإخراجه من أرض الوطن الطّاهرة.

هذا وتتّسم الحركة الإصلاحيّة في كونها قامت في جوهر مكنوناتها على أصول شعبيّة خالصة منذ اليوم الأوّل الّذي ظهرت فيه كجمعيّة وطنيّة بدأت تمارس أعمالها النّضاليّة وفق المنهج الّذي رسمت خطوطه وحدّدت مناهجه وخاضت المعارك الطّاحنة من أجل تجسيده في أهداف شعبيّة ذات دلالات وطنيّة واضحة والّتي كانت تقوم في المجلات التّربويّة، وفي المجالات التّوجيهيّة وفي المجلات السّياسيّة من أجل التّأهيل العقليّ، والرّوحيّ، والذّوقي، تأهيلاً يحول دون تحقيق الأهداف الاستعماريّة الّتي كانت ترمي إلى سلخ الجزائريّ عن ذاتيّته الأصيلة، ومشاعره الخاصّة، وذوقه الجماليّ.[2]

إنّ هذه الكميّة الهائلة من التّأليف تعكس بصدق تسارع الشّيخ أطّفيّش مع الزّمن لتأسيس مدرسة، وبعث نهضة المستقبل، وتعكس بصدق توظيف الكتابة سلاحاً ورفضاً للأيديولوجية

[1]. أبو القاسم الشّيخ بالحاج، موجز تاريخ وادي ميزاب، المصدر السابق، ص61.

[2] . سليمان بشنون، الجذور الشّعبية في الحركة الإصلاحيّة، دار هومه، الجزائر، 2012م، ص05، ص08، ص09.

الدّخيلة واشحاذاً لهمم المسلمين، وإنّها لشراهة حقيقيّة في الكتابة ترمز إلى رغبة الرّجل في استعجال النّهضة وتخليص الأمة من الجهل والاستعمار.[1]

ثانيّاً: جهاده

عمل الشّيخ أَمْحمد أطّفيّش بكلّ ما لديه من قوّة على محاربة السّلطة الفرنسيّة بتدوين العلم الشّرعي في مختلف فنونه، وقام بالمشاركة في الحركة الوطنيّة فأبعده الفرنسيّون متوجّها إلى القاهرة، واشتغل بالسّياسة فكان ممثّلاً لدولة إمامة عمّان في جامعة الدّول العربيّة ورئيساً لوفدها في هيئة الأمم المتّحدة، وأسّس أوّل مكتب سيّاسي لدولة إمامة عمّان في القاهرة، وشهد بعض المؤتمرات الإسلاميّة في القدس وبغداد.[(2)]

فقد نشر الشّيخ وهو ـ كعالم من علماء الجزائر المسلمة غيور على دينه ووطنه ـ إصلاح كلّ الجوانب الرّوحيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة في المجتمع الجزائريّ وبخاصّة المجتمع الميزابي الّذي كان يعاني من العادات السّيّئة كالجهل والكسل والفساد، والانحراف الخُلقي، والإيمان بالاعتقادات الباطلة كتقديس الموتى، وهي العادات التي استغلها الاستعمار ودعمها بمزجها مع عاداته الجاهلية فنشر كل ما يسيء للإسلام ويشوه الهوية الإسلامية الجزائرية كانتهاك الحرمات وتجهيل الشعب الجزائري، وعمل جاهداً على أن يدمّر كل ماله علاقة بالإسلام كالمساجد الّتي حُوّلت إلى كنائس، والمدارس الّتي حُولت برامجها العربية الإسلاميّة إلى برامج فرنسيّة محضة.

[1] . أحمد جلايلي، المرجع السابق، ص91.

[2] . محمد أبو الأرقم، االمصدر السابق، ج1، ص156.

المطلب الرابع: مذهبه

أوّلاً: مذهب الشّيخ أطفيّش

مذهب الشّيخ أَمْحمد بن يوسف أطفّيّش إباضيّ، وقد لمح إليه في العديد من الصّفحات حين فسّر القرآن الكريم المسمى (هميان الزّاد)، ومن أمثلة ذلك: هذا مذهبنا معشر الإباضية[1]، هو من أصحابنا الأباضيّة[2]، هو مذهبنا معشر الأباضية المغربيّة.[3]

أمّا الفرقة الّتي ينتمي إليها الشّيخ القطب أطفيّش فهي الفرقة الوهبيّة، كما جاء في كلامه: فأصحابنا الإباضيّة الوهبيّة هم الجماعة[4]، والّذي نقوله نحن معشر الإباضيّة الوهبيّة.[5]

كما اعتزّ الإمام أطفيّش بمذهبه الإباضيّ المغاربيّ الوهبيّ، وجعله بوابة في تفسير الكثير من السّور والآيات، مثل قوله: "واعلم يا أخي رحمك الله أني استقريت هذه المذاهب المعتبرة كمذهبنا معشر الأباضيّة، ومذهب المالكيّة، ومذهب الشّافعيّة، ومذهب الحنفيّة، ومذهب الحنبليّة، بالمنقول والمفعول، ولم أرى مستقيماً منها في علم التّوحيد والصّفات، سوى مذهبنا، فإنّه مستقيم خال عن التّشبيه والتّعطيل، حججه لا تقاومها حجّة، ولا تثبت لها، والحمد لله وحده[6]، وهو قولنا معشر الإباضيّة[7]، وعندنا معشر الإباضيّة الوهبيّة[1]، هذا إجراء الآية على مذهبنا معشر الإباضيّة[2]، فمن ذلك وغيره أخذنا معشر المغاربة الإباضيّة.[3]

---

[1]ــ محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد الى دار المعاد، المكتبة الشاملة الإباضية، موقع التفاسير http://www.altafsir.com، ج02، ص151.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص 228.

[3] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 109.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج02، ص 145.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج02، ص 139.

[6]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1586.

[7] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص 379.

ثانيا: المذهب الإباضيّ

ظهر المذهب الإباضيّ في القرن الأوّل الهجري في البصرة، ويُعدّ من أقدم المذاهب الإسلاميّة، وتسميّته يقال أنّه جاء عن طريق الأمويّين حيث نسبوهم إلى عبد الله بن أباض بن تميم بن ثعلبة، من بني مرة ابن عبيد رهط الأحنف بن قيس نشأ في مدينة البصرة[4]، وعلّة التّسميّة تعود إلى المواقف الكلاميّة والجداليّة والسياسيّة الّتي اشتهر بها عبد الله بن أباض في تلك الفترة، ويرجع تأسيس المذهب الإباضيّ إلى جابر بن زيد الّذي أرسى القواعد الفقهيّة، ومن تلاميذه عبد الله بن إباض الإباضيّ،[5] وتتمثل جذور المذهب في مبايعة عبد الله بن وهب الرّاسبي، من طرف بعض الصّحابة والتّابعين الّذين أنكروا التّحكيم على عليّ كرّم الله وجهه، وفيهم أهل بدر ومن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة كحرقوص بن زهير السّعدي، وفروة بن نوفل، وسارية بن لجام السّعدي، وكانت هذه النّشأة في شوّال سنة 37هـ، وهكذا نرى أن الّذين كانوا مع عليّ من صفين متوادعين فروا عليه وعرفوا لذلك باسم الخوارج، أو الشّراة عند المؤرّخين عامّة، فلابد أن

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج01، ص 344.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 89.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 99.

[4] . عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرق الإباضية، تنسيق وتعليق، إبراهيم بن يوسف بازين، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط04، 1437هـ- 2010م، ص27.

[5]. محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع التجاية قليوب، مصر، القاهرة، 1422هـ - 2001م، ص28/ معزّ الدّين محمد الحسيني، أسماء القبائل وأنسابها، شرح وتحقيق، كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1440هـ – 2000م، ص39، ص40/ عدون بن الناصر جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيّش 1236- 1332هـ/ 1818- 1914م، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، حوالي 1410هـ - 1990م، ج01، ص36./ أبو محمد بن قتيبة، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م، ص622./ أبو الحسين الملطيّ العسقلاني، وآخرون، التّنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص52،/ مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ، ج1، ص62./ سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، طرابلس، ص21).

نوضّح أنّ الشّيء الوحيد الّذي يربط الإباضيّة بالخوارج هم رفضهم المشترك للتّحكيم والدّعوة إلى إمامة المسلمين عن طريق حريّة الاختيار والكفاءة الشّرعيّة لهذا المنصب بين المسلمين جميعاً[1]، ويطلق الاباضيّون الوهبيّون على أنفسهم اسم أهل المذهب وأهل الدّعوى وأهل الاستقامة[2]، حيث أنّهم لا يحكمون بتكفيرهم بل أنهم يعتبرون التّزاوج والميراث مع غيرهم من المسلمين حلالاً وهم لا يستبيحون قتل غير الخوارج من المسلمين إلاّ في حالة إعلان الحرب[3]، والمذهب الإباضي لا تزال دعائمه راسخة في جنوب الجزائر، ووادي ميزاب، وجنوب تونس، وشمال ليبيا، وجبال نفوسه، وعمّان.[4]

[1] . بكير بن سعيد أغوشث، دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، ط3، (1408هـ – 1988م)، ص 14، ص15.

[2] ـ كريم داودي، التعارض والترجيح في المذهب الاباضي – دراسة مقارنة بالمذاهب الأخرى – بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الفقه وأصوله، إشراف د، لخضر لخضري، جامعة وهران1، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، 1433هـ – 2012م، ص33.

[3] . أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق، إسماعيل العربي، درا الغرب الإسلامي، ط2، ص09.

[4] . كريم داودي، المرجع نفسه، ص17، ص18.

المطلب الخامس: رحلاته العلميّة (داخل الوطن وخارجه).

الشّيخ أَمْحمد أطفيّش كغيره من العلماء له رحلات علميّة مكّنته من التّحصيل العلميّ وكوّنت له مكتبة ثريّة في عقله صقلت أفكاره فراح يبدع في كلّ مكان.

أوّلاً: رحلاته الوطنيّة

كانت رحلات الشّيخ أَمْحمّد أطّفيّش نحو المدن الجزائريّة قليلة ومحدودة على غرار مدن الجنوب وخاصّة في مدينة غرداية بوادي ميزاب، ولم تشمل رحلاته الوطنيّة سوى المدن الّتي مر بها إلى البقاع المقدسة من بينها الأغواط والجلفة وبوسعادة وفيها زار زاوية الهامل وألقى دروساً توجيهيّة على طلاّبها ومدرّسيها، وزار أيضاً مدينة المديّة، البليدة، الجزائر العاصمة، مدينة برج بوعريريج، قسنطينة، عنابة، مدينة قالمة، باتنة، بسكرة، وكان أطّفيّش يستقبل بحفاوة بالغة، ويعقدون معه مجالس للأساتذة والفتوى والدّرس في النّهوض بالهمم وتقويّة العزائم ومحاربة الاستعمار.[1]

أ/ رحلته إلى مدينة بريان

قام الشّيخ أَمْحمّد أطّفيّش بهذه الرّحلة سنة 1272هـ - 1855م، وحظر خلالها احتفالات أهلها بالمولد النّبويّ الشّريف، وخصّص أوقات فراغه للإجابة على أسئلة النّاس وفتواهم، وكانت همّته عاليّة في تأليف كتابه (تحفة أهل البريان) في علم الميراث، وعندما رجع إلى أهله في بني يزقن، شغفه بكتاب سماه (تحفة أهل بريان) وطبع الكتاب بعنوان التّحفة والتّوأم في علم الفرائض.[2]

ب/ رحلته إلى القرارة

[1] . قادة الأحمر، المرجع السابق، ص256/ أمْحمَّد لقدي، المرجع السابق، ص24.

[2] . قادة الأحمر، المرجع نفسه، ص255.

كان الشّيخ أَمْحمّد أطّفيّش يتراوح على هذه المنطقة شهراً في الخريف وشهراً في الرّبيع، ونظراً لتأثّر الشّيخ بهذه المنطقة برفع همّتها وبعث العلم والنّهضة في أهلها والتّنفير من الاحتلال سعت إدارة الاحتلال لعزله عنها، وهو ما جعل أعيان المدينة يشترون له نخيلاً ليملكها لتكون سبباً لدخوله المدينة إذا عزلته إدارة الاحتلال، فيظهر لهم عقد الأرض وأنّه ذاهب إلى رعاية نخيله سواء بالتّأثير في الرّبيع، أو جني التّمر في فصل الخريف فيطلق سراحه، وكان الشّيخ يوزّع أيّامه في الدّعوة والتّعليم وإصلاح ذات البين والتّأليف.[1]

ج/ رحلته إلى مدينة ورجلان (ورقلة)

زارها الشّيخ أَمْحمد أطفيش سنة 1320هـ الموافق ل1902م، واستقبله أهلها خلال إقامته بها بين المجالس الدّعويّة والعلميّة، يجيب خلالها عن ما أشكل عن النّاس من أمور دينهم ودنياهم.[2]

الفرع الثّاني: رحلاته الخارجيّة

أوّلاً: الرّحلة الحجازيّة

رحل الشّيخ إلى بلاد الحجاز قاصداً الحج مرّتين، وفي كلتهما اغتنم الفرصة للاستزادة والاطلاع.[3]

أ/ الرّحلة الحجازيّة الأولى

[1]. قادة الأحمر، المصدر السابق، ص255.

[2]. قادة الأحمر، المصدر نفسه، ص256.

[3]. خير الدين شترة، إسهامات علماء الجزائر بالمهجر من أواخر القرن 19م إلى منتصف القرن 20م، "المشرق العربي أنموذجاً"، مجلة الحوار الفكري، تصدر دوريا عن مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ط11، ع12، ربيع الأول 1438هـ – ديسمبر 2016م، ص37.

كانت رحلة الشّيخ أَمْحمد أطّفيش الحجازيّة الأولى حوالي سنة (1290هـ – 1873م)، وهي الّتي تعوّد ذكرها كثيراً في مؤلّفاته، فمكث في مكّة مجاوراً سنة كاملة، ودرّس خلال وجوده كتاب (السنوسيّة في عقائد المالكيّة)، إلّا أنّ شرح هذا الكتاب لم يصل إلينا، ثم دوّن في تلك الرّحلة معظم ملاحظاته ولقاءاته مع الشّخصيّات المهمّة والعلماء، وألّف فيها كتابه الشّهير في المنطق (إيضاح المنطق في بلاد المشرق)، وقد كتب القطب على وجه الورقة الأولى ألّفته في مكّة، ولعلماء مكّة، تطاول إليه وذلك في عهد الشّيوخ الشّافعيّين دحلان، ومحمد، والشّيوخ الحنفيّين عجماً وعرباً، فمن العجم التّركيّين الشّيخ محمد حقيّ بن عليّ بن إبراهيم مؤلّف (حزب الأبرار وحصن الأخبار)، وقد أعار القطب هذا الكتاب لملك زنجبار سعيد بن الصّقري، وهذا بعد عودته من الحجّ ليقوم بطبعه على نفقته الخاصّة، وهذا ما ورد في جانب الورقة الأولى نفسها بخطّ القطب نفسه (إلى الشّيخ سعيد بن عليّ الصّقري بطبعه وبردّه إلى مؤلّفه أمحمد بن الحاج يوسف مع نسخة من مطبعة، لأنه لم يُنسخ).[1]

ب/ الرّحلة الحجازيّة الثّانيّة:

أمّا عن رحلت الشّيخ أَمْحمد أطْفيّش الحجازيّة الثّانيّة فكانت سنة (1303هـ – 1886م)، وقد كتب فيها قصيدته الحجازيّة الأربع أبيات الأولى[2]:

هَجَرْنَا مَسَاقِطَ الرُّؤُوسِ وَمَا نَرَى سِوَى الحَجَّ إِنَّ الحَجَّ قَدْ حَانَ

وَغَيْرَ اعْتِمَارٍ وَالزِّيَّارَةِ لِلنَّـــــــبِيْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَحَا

فَلِلَّهِ حَمَدُ حَمَدُ فَإِنَّ لِذِي البـــقَا وَحَمْدُ فَقِيرٍ لِلْمَعْنِيِّ عَنِ ....

خَرَجْنَا بِضَحْوَةِ الخَمِيسِ بِمِثْلِ مَا خَمِيسٍ وَنَحْنُ فِي خَلَاءٍ عَنِ ....

[1] . أمحمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، الشّهير بقطب الأئمة، (1238هـ – 1821م / 1332هـ – 1914م)، دراسة وتحقيق، يحي بن بهون حاج أمحمد، العطف، غرداية، ط1، 2007م، ص40، ص41.

[2] . أمحمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، الشّهير بقطب الأئمة، المصدر نفسه، ص62.

فقد ذكر فيها مسلك رحلته تلك إلى الحجاز ذهاباً وإيّاباً، وأهمّ المدن الّتي نزل بها، والنّاس الّذين اجتمع بهم في كلّ مرحلة، وقد عاد منها مع بداية سنة 1304هـ.[1]

ثانيا: رحلته إلى تونس

ساهم علماء المنطقة في نشر الحركة العلميّة بشكل أوسع، وذلك بخروجهم إلى تونس من أجل الاستزادة وأخذ العلم، ونشره في منطقة وادي ميزاب، فكانت الهجرة الميزابيّة إلى البلاد التّونسيّة متميّزة جداً، لكونها أخذت الصّبغة العلميّة بشكلٍ كبير، وكان طلبة العلم يقصدون الحاضرة التّونسيّة فرادى وجماعات، نظراً لما اكتسبته تونس من الشّهرة العلميّة والثّقافيّة، ومكانة جامع الزّيتونة المعمور لكون تونس دولة حماية مثلها مثل منطقة ميزاب، وكان الشّيخ أَمْحمد أطّفيّش ممن رحلوا إلى تونس للاستزادة، فأقام بها وأمّ جامع الزّيتونة، ولعله التقى ببعض علماء الزيّتونة، وبعد بضع سنين من تعدد الرّحلات أضحّ معهده القبلة الأولى للطّلبة من كافة قرى وادي ميزاب، كما كانت مقصداً لطلبة العلم من خارج البلاد.[2]

ثالثا: رحلته إلى مصر

زار الشّيخ أطّفيّش أثناء رحلته إلى الحجّ مروراً بالقاهرة عاصمة مصر وزار مسجد الأزهر الشّريف، وتناقش مع علمائه في بعض مسائل العلم، وقال عن هذه الزّيارة وعن رحلته في وصف الشّيخ: (أمّا المصاحف الكبار فلا تغيّر عند الإمام وهي كتب كبار بخط غليظ جدا متفاسح السّطور والحروف لا تحتمل الحمل إلى المحاضر، والكتاب تجعل على محامل وقد شاهدتها في المدن الكبار بتلك الصّفة ككتب السّلطان في مصر، وفي وكالة الجاموس الإباضيّة قرب مسجد ابن

[1] . أمحمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، الشّهير بقطب الأئمة، المصدر السابق، ص41.

[2] عبد القادر عزام عوادي، هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة (1881 – 1956)، دار نزهة الألباب، ساحة العقيد لطفي، ولاية غرداية، مارس 2018م، ص130، ص131.

طولون في مصر جزء منها، ولم يكن في رواقهم الّذي في الجامع الأزهر وهو رواق لهم عند رواق المالكيّة في الجامع الأزهر).[1]

رابعا: رحلته إلى عمّان

لقد تبادل الشّيخ أَمْحمد أطّفيّش مع علماء عمّان وساستها رسائل عدّة في موضوعات مختلفة حيث وردت هذه المراسلات والخطابات في كتاب (كشف الكرب)، جمعه ورتّبه الشّيخ أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين المضيربي (ت/ 1373هـ – 1953م)، ونسخه مساعد بن مسعود بن سالم بن سعيد بن محمد الزكواني، وكان قد انتهى من نسخه في الأوّل من شهر ربيع الأول (1364هـ – 14 فبراير 1954م)، وكان قد عمل ذلك بناء على طلب الشّيخ عيسى بن صالح بن عليّ بن ناصر الحارثي (ت/ 1365هـ – 1946م)، وقد نشرت وزارة التّراث والثّقافة الكتاب في طبعته الأولى (1405هـ – 1985م)، للمجلّد الأوّل (263)، وفي عام (1406هـ – 1986م)، للمجلّد الثّاني (381)، وظهر على المجلّد الثّاني اسم محقّقه محمد بن عليّ الصّليبي، ولعلّ الأستاذ محمد أشرف على طباعته ومراجعته، حيث لم يتّضح أنّه قام بتحقيقه، لكنّه وضع مقدّمة من أربع صفحات، وعدداً من صوّر صفحات المخطوط في الجزء الثّاني.[2]

[1]. قادة الأحمر، المرجع السابق، ص258.

[2]. محمد بن سعيد الهاشمي، المصدر السابق، ص72.

المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه

أوّلاً: شيوخه

الشّيخ أمحّمد بن يوسف أطّفيّش ككلّ عالم من علماء زمانه أخذ مفاتيح العلوم من شتّى أفذاذ المشايخ الكبار، ليتذوّق من مختلف مشارب المعرفة، لنذكر منهم:

1- الشيخ عمر بن سليمان نوح.[1]

2- سعيد بن يوسف بن عدون اليسجني وينتين المعروف ب(الحاج سعيد أن بافو).[2]

3- محمد بن عيسى ابن عبد الله آزبّار.[3]

4- إبراهيم أطفيش (شقيقه).[4]

5- الشيخ عبد العزيز الثميني.[5]

[1] . زوّج ابنته عائشة للقطب أطّفيّش، فوهبت له الخزانة التي ورثتها عن أبيها، (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر السابق، ج2، ص400.)

[2]. تولى التدريس والوعظ والإرشاد في ميزاب، أخذ العلم عن القطب أطفيش، (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج2، ص188).

[3]. انتخبه علماء وادي ميزاب شيخاً عليهم، ومن تلاميذه: القطب أطفيّش. (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج02، ص392، ص393./ عادل نويهض، المصدر السابق، ص12.

[4]. هو جدّ أبي إسحاق إبراهيم أطفيّش، وأخو القطب أمحمد بن يوسف أطفيّش وهو أكبر منه عمرا، من تلامذه: أخوه القطب أطفيّش. (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج02، ص36، ص37./ عادل نويهض، المصدر نفسه، ص19.

[5] . المعروف بضياء الدين، من شيوخ القطب أطفيش. (خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص12./ عبد العزيز الثميني (ضياء الدين)، كتاب النيل والشفاء العليل، شرحه، محمد بن يوسف أطفيّش، مكتبة الارشاد، المملكة العربية السعودية، جدة، ط02، 1392هـ – 1972م، ط03، 1405هـ – 1985م، ج01، ص10.

ثانيًا: تلاميذه.

بعد أن صقلت المعرفة وفاضت الأشربة عند الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطّفيّش وذاع صيته قصده طلبة العلم من الجزائر وخارجها ليتعلّموا العلوم الشّرعيّة ويتزوّدوا من ينابيع المعرفة، ومنهم:

1- سعيد بن تعاريت.[1]
2- الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي.[2]
3- الشيخ إبراهيم بن بكير حفار.[3]
4- إبراهيم بن محمد بن يوسف أطفيّش (أبو إسحاق).[4]
5- سليمان باشا الباروني.[5]
6- سليمان بن صالح ابن ادريسو.[6]
7- إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان.[7]

---

[1]. ولد بجربة، حضر دروس القطب أطفيش بميزاب. (عادل نويهض، المصدر السابق، ج02، ص179، ص180).

[2]. تعلم بمعهد القطب أطفيّش. (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر السابق، ج02، ص229).

[3]. قال في وصف شيخه القطب أطفيش في كتابه "السلاسل الذهبية بالشمال الطفيشية": "يقال علماء العصر ثلاثة الشيخ أطفيش بالأقطار الجزائرية، والشيخ محمد عبده بالأقطار المصرية، والشيخ جمال الدين الأفغاني أو الفراتي بالأقطار الحجازية".(كروم الحاج أحمد بن حمو، محاضرة بعنوان "العلماء الوافدون إلى وادي مزاب ودورهم في التغيير الاجتماعي"، الجلسة العلمية الرابعة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ثقافة – تربية – تراث، 2005م، ص16).

[4]. أخذ مبادئ العلم عن عمّه القطب أطفيّش. (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج02، ص24./ عادل نويهض، المصدر نفسه، ص19).

[5]. من مدينة جادو بليبيا، أخذ العلم عن القطب أطفيش. (أبي اليقضان الحاج إبراهيم، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، (1376هـ – 1956م)، ص47، ص49/ محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج2، ص206، ص207).

[6]. تتلمذ على القطب أطفيّش. (محمد بن عيسى باب عمّي، وآخرون، المصدر نفسه، ج02، ص197).

[7]. ولد بالقرارة، رحل إلى ميزاب ليلتحق بمعهد القطب أطفيّش. (محمد بن موسى بابا عمي، وآخرون، المصدر نفسه، ج2، ص27، ص28).

المطلب السّابع: وفاة الشّيخ أَمْحمّد أَطْفِيّش

أصيب الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطّفيّش بمرض الحمّى الّذي دام أسبوعاً وكان سبب في وفاته، بعد أن قضى قرابة قرن في الجهاد العلمي والإصلاح الاجتماعيّ والسيّاسيّ، وكان ذلك يوم السّبت 25 ربيع الثّاني 1332هـ الموافق لـ 23 مارس 1914م، عن عمر يناهز الخمسة والتّسعين (95) سنة[1]، وقيل عن عمر السّتّة والتّسعون (96) سنة[2]، وقيل عن عمر السّبعة والثّمانون (87) سنة[3]، وكانت وفاته ببني يسجن، وقد رثاه عدد من الشّعراء منهم: العالم أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم البهلاني العمّاني (1860م – 1920م)، بقصيدة لاميّة مطلعها[4]:

عِشْ مَا تَشَأْ وَرَاقِبْ فَجْعَةَ الأَجَـلْ سَيَنقَضِي العُمرُ فِي بَطْءٍ وَفِي عَجَلْ

يَا قَوْمُ قُومُوا فَالثُّغُورُ كَثِـيرَةْ لَنَمْلَأَهَـا إنَّ العَدُوَّ مُشَمِرْ

وَيَا قَوْمُ مَا تِلْكَ الخلَافَاتُ بَيْنَكُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الخِلَافَ مُدَمِّرْ

---

[1] . محمد بن سعيد الهاشمي، المصدر السابق، ص58.

[2] . فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط01، 1407هـ – 1986م، ج01، ص304.

[3] ـ فتحي دادي بابا، منهج الشيخ أطفيّش في التعامل مع السنة النبوية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الدين الحديث، إشراف، د، خير الدين سيب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، السنة الجامعية: 1436 – 1437هـ/ 2015 – 2016م، ص30.

[4] محمد بن سعيد الهاشمي، المصدر نفسه، ص58، ص59.

المطلب الثّامن: آثاره العلميّة (مؤلفاته):

يُعدّ الشّيخ أطّفيّش من العلماء الّذين ألّفوا في مختلف مجالات العلوم، فقد درس التّفسير، والحديث، والفقه، وعلم الكلام، وأسباب النّزول، والقراءات القرآنيّة، والرّسم والخطّ، والنّحو، والصّرف، والبلاغة، والعروض، والمنطق، والتّاريخ، والفلك، والطّب، وغير ذلك من العلوم، ومن المؤلّفات الّتي بلغت ثلاثمائة كتاب، نذكر منها[1]:

في التّفسير:

1.هميان الزّاد إلى دار المعاد: هو أوّل تفاسيره يتطرأ الحديث عنه في جزئيّة التّعريف بالكتاب.

2.داعي العمل ليوم الأمل: تفسير في أربعة أجزاء، وهو من سورة الرّحمن إلى سورة النّاس، قيل إنّ المؤلّف كان ينوي مواصلة هذا التّفسير إلى أن يصل التّفسير إلى اثنان وثلاثين (32) جزءاً، ولكن توفيّ قبل إتمامه.[2]

3.تيسير التّفسير للقرآن الكريم: ألّفه الشّيخ وعمره خمسة وعشرين 25 سنة، وهو اختصار للتّفسير السّابق، تمّ طبعه بالجزائر في رجب (1326هـ - 1908م) في ستّة أجزاء، ثم أعيد طبعه بتحقيق من الشّيخ إبراهيم طلاّي سنة (1996م إلى 2003م في سبعة عشر مجلداً، صدرت الطّبعة الأولى منه في سبعة مجلّدات طبع بلاد المغرب، وبالحروف المغربيّة وصدرت أجزاؤه بين سنتي 1327/1325هـ، وقد أعادت وزارة التّراث القوميّ والثّقافة في سلطنة عمّان طبعه.

في التّجويد:

1.جامع حروف ورش: طبع سنة (1325هـ ـ 1907م).

2.تلقين التّالي لآيات المتعالي: هو شرح لجامع حروف ورش.

---

[1]. عادل نويهض، المصدر السابق، ص19، ص21/ محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص236./ محمد مصطفى درويش الخواجا، المرجع السابق، ص362، ص363.

[2] . أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998م، ج07، (1830هـ – 1954م)، ص15.

في الفقه وأصوله:

1.شرح النّيل وشفاء العليل: في عشرة أجزاء كبيرة.

2.الذّهب الخالص المنوه بالعلم القالص: اختصر فيه (قواعد الإسلام) للجيطالي وحاشيته لأبي عبد الله محمد بن أبي ستّة، طبع في القاهرة عام (1343هـ - 1925م).

في الحديث:

1.فاء الضّمانة بأداء الأمانة: وهو في ثلاثة مجلّدات، طبع الجزء الأوّل في المطبعة البارونيّة بالقاهرة عام (1306هـ ـ 1889م)، والجزء الثّاني بمطبعة الأزهار البارونيّة بالقاهرة عام (1325هـ ـ 1907م)، والجزء الثّالث عام (1326هـ - 1908م).

2.جامع الشّمل في حديث خير الرّسل: طبع بالبارونيّة عام (1304هـ ـ 1887م).

في اللّغة

1.صيدة الغريب نظم مغني اللّبيب لابن هشام الأنصاريّ.

2.المسائل التّحقيقيّة في بيان التّحفة الأجروميّة (مخطوط).

في الصّرف

1.الكافي في التّصريف (محقق).

2.شرح لاميّة الأفعال (مطبوع).

في البلاغة

1.تخليص العاني من ربقة جهل المثاني (مخطوط).

2.بيان البيان في علم البيان (مخطوط).

3.ربيع البديع في علم البديع (مخطوط).

4.شرح الاستعارات: هو شرح على شرح عصام الدّين إبراهيم محمد على متن الاستعارات.

في التوحيد والعقيدة:

1.شرح عقيدة التّوحيد: لأبي عمر بن جميع، طبع في الجزائر عام (1326هـ - 1908م).

2.الجنّة في وصف الجنّة: شرح للقصيدة العبريّة في وصف الجنّة، لأبي عبد الله محمد الكندي، طبع بالقاهرة عام (1320هـ - 1885م).

في التاريخ:

1.الرّسالة الشّافيّة في بعض تواريخ أهل ميزاب: ألّفها بطلب من وزارة التّعليم الفرنسيّة، قدمه ماسكوري 1876م، طبعت عام (1299هـ ـ 1882م)، وترجم جزءاً منها إلى الفرنسيّة بير كوبير لي عام 1971م.

2.رسالة موسّعة في تاريخ وادي ميزاب: طبعت عام (1351هـ ـ 1932م.

في الفلك والحساب

1.مطلع الملك في فنّ الفلك أو مسلك الفلك: شرح للرّسالة (الفتحيّة في الأعمال الجيبيّة) لبسط الماردِيني.

2.شرح لغز الماء، قيّم مكتبة القطب وحفيده محمد بن الحاج محمد بن الشّيخ أمحمّد أطّفيّش، طبعت الطّبعة الثانية تحت نفقة المحسن الفاضل الكريم أ – ب، بلدية الكرمة، وهران، الجزائر، عام 1429هـ – 2008م.

في المخطوط:

1.رسالة في تواريخ بعض أهل وادي مزاب.

2.شرح أسماء الله الحسنى.

الفصل الثّاني: مفهوم التّوظيف البلاغي مع التّعريف بكتاب (هميان الزّاد)

المبحث الأوّل: مفهوم التّوظيف البلاغي لغةً واصطلاحاً

المبحث الثّاني: التّعريف بكتاب (هميان الزّاد إلى دار المعاد)

المبحث الأوّل: مفهوم التّوظيف البلاغيّ لغةً واصطلاحاً

المطلب الأوّل: تعريف التّوظيف لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف التّوظيف لغةً

توظّف يتوظّف توظّفا، فهو متوظّف[1]، وظّف الوظائف جمع الوظيفة والعدد أوظفة، والجمع: وظّف ووظائف[2]، وظّف الوظيف مستدق الذّراع والسّاق من الخيل والإبل ونحوهما، قال الأصمعي: يستحب من الفرس أن تعرض أوظفة رجليه، وتحدب أوظفة يدي، ووظفت البعير، إذا قصرت قيده، قال ابن الأعرابي: يقال مر يظفهم، أي يتبعهم، والوظيفة ما يقدر للإنسان في كل يوم من طعام أو رزق.[3]

ثانيّاً: تعريف البلاغة لغةً

هي الفصاحة، والبلغ والبلغ: البليغ من الرّجال، ورجل بليغ وبلغ وبلغ: حسن الكلام فصيحه، والجمع بلغاء[4]، وبلغت الرّسالة[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾:[6]، أي قاربنه[7]، وقد بلغ

---

[1]. أحمد مختار، معجم اللّغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، دار النشر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م، ج1، ص242./ أحمد بن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م، ج1، ص930.

[2]. الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق، د، مهدي المخزومي، د، إبراهيم السّامرّائي، دار ومكتبة الهلال، ج8، ص169.

[3]. أبو نصر إسماعيل الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م، ج4، ص1439.

[4]. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج08، ص420.

[5]. ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، ج01، ص369.

[6]. سورة البقرة الآية 234.

[7]. أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النّموذجية، بيروت، صيدا، ط05، 1420هـ - 1999م، ج01، ص39.

في الجودة مبلغاً، ويقال: أمر الله بَلغ بالفتح، أي بالغ[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[3]: أي: فزعت، بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى: مثل يضرب للأمر إذا اشتدّ حتّى جاوز الحدّ، حسن عنده تركيب الكلام، واستخدامه مع فصاحة وبيان: أثّر بأسلوبه[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**﴾.[5]

ثالثاً: تعريف البلاغة اصطلاحاً.

هي إصابة المعنى والقصد إلى الحجّة مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل.[6]

هي "الإيجاز"، وينقسم إلى قسمين: إيجاز حذف، وهو أن يحذف شيء من الكلام وتدلّ عليه القرينة،كقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا**﴾[7]، وإيجاز قصر، وهو تكثير المعنى وتقليل الألفاظ كقوله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ممّا جمع فيه شرائط الرّسالة: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾،[8] وسمع أعرابيّ رجلاً يتلوها فسجد وقال: سجدت لفصاحته، ذكره أبو عبيد.[9]

---

[1] . أبو نصر إسماعيل الفرابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م، ج04، ص1316.

[2] . سورة الطلاق الآية 03.

[3] . سورة الأحزاب الآية 10.

[4]. أحمد مختار، المصدر السابق، ج01 ص241، ص242.

[5] . سورة يوسف الآية 82.

[6] . عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1423 هـ، ج1، ص295.

[7] . سورة يوسف الآية 82.

[8] . سورة الحجر الآية 94.

[9]. شهاب الدّين النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ط1، 1423هـ، ج7، ص04.

المطلب الثّاني: تعريف التّوظيف البلاغي كلفظ مركّب

هو اكتشاف أسرار لغة القرآن الكريم من خلال التّفسير، وإبراز الوجوه الجماليّة والفنيّة للآيات القرآنيّة في صيغتها البلاغيّة المعجزة الّتي تعكس جماليّة اللّغة وعمق تأثيرها وغناء مدلولاتها، أو هو أسلوب علمي زاوج بين الأدب والتّفسير في استجلاء العناصر الجماليّة للآيات القرآنيّة.[1]

[1]- صباح مجاهدي، أثر التوظيف الصرفي في تيسير التفسير لأحمد بن يوسف أطفيّش (ت 1332هـ – 1914م)، رسالة ماجستير في اللغة العربية، المشرف، د، بوعناني مختار، جامعة وهران، السانية، 2008م، ص15.

المبحث الثّاني: التّعريف بكتاب (همیان الزّاد إلى دار المعاد)

المطلب الأوّل: بطاقة تعريف الكتاب وسبب تأليفه

أوّلاً: بطاقة تعريف الكتاب والتسمية ومعنى التسمية

أ/ تعريف الكتاب

يعتبر كتاب (همیان الزّاد إلى دار المعاد) من الكتب المؤلّفة في مجال تفسير القرآن الكريم، يظمّ مختلف العلوم منها الأدبيّة الّتي تظمّ النّحو والصّرف والبلاغة، وبرع الإمام أمحمد بن يوسف أطفيّش في تفسيره هذا الّذي بلغ المجلّدات، قيل أنّه في ثلاثة عشر مجلداً كباراً[1]، وقيل في أربعة عشر مجلداً[2]، وقيل في خمسة عشر مجلداً طبعة سنة 1991م دون تحقيق[3]، والموجود في المكتبة الشّاملة الاباضيّة ستّة عشر مجلداً.

كما اختلف في سنّ تأليف الهميان، قيل ألّفه في الرّابعة والعشرين من عمره أي في سنة 1260هـ – 1844م[4]، وقيل: في سنّ الخامسة والعشرين[5]، وقيل: في سنّ الثّلاثة والثّلاثين (33) أي في سنة 1238هـ[6]، وقيل: ألّفه في سنة 1271هـ – 1852م، وهو في سنّ الرّابعة والثّلاثين من عمره[7]، وورد في شرح القطب للغز الماء، قوله: "ومثل هذا كثير في القرآن كما تراه في

---

[1] . محمد حسين الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص233.

[2] . خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج07، ص 157.

[3]. راشد بن علي بن عبد الله الحارثي، قضايا اللغة في تفسير هميان الزاد للشيخ محمد بن يوسف أطفيّش – سورة البقرة أنموذجاً – كلية العلوم الشرعية، محافظة مسقط، سلطنة عمان، مجلة الصراط، م23، ع01، جويلية 2021م، ص210./محمد مصطفى درويش الخواجا، المرجع السابق، ص68.

[4] . محمد بن سعيد الهاشمي، المصدر السابق، ص63.

[5]. مصطفى بن الناصر وينتن، تاريخ تفاسير القطب، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، مقال على الانترنت، تاريخ النشر 30 جوان 2018م، ص05.

[6]. مصطفى بن الناصر وينتن، آراء الشّيخ أمحمد بن يوسف أطْفيّش العقديّة، المرجع السابق، ص25، ص26.

[7] . محمد بن يوسف أطفيّش (1332هـ – 1914م)، تيسير التّفسير، تحقيق وإخراج، الشّيخ إبراهيم بن محمد طلاي، بمساعدة لجنة من الأساتذة، ط01، 1425هـ – 2004م، ج01، المقدمة، ص(غ). نسخة مصورة من ولاية غرداية.

تفسيرنا (هيميان الزّاد إلى دار المعاد) الّذي نحن في هذا الوقت الّذي هو في عام ألف ومائتين وثلاث وثمانين على قرب من اختتامه بإذن الله تبارك وتعالى"[1]، وهذا يدل أنّه أتمه سنة 1283هـ، ومما زاد يقيناً لهذا التّاريخ هو توجّه بعض الباحثين مثل الدّكتور ونتن إلى المخطوطة الأصليّة لكتاب شرح لغز الماء فوجد التّاريخ المطبوع صحيح[2]، طبع مرّتين، إحداهما في زنجبار على نفقة السّلطان برغش من (1305 ـ 1314هـ)، وهو في أربعة عشر جزءاً[3]، والثّانيّة في سنة 1401هـ، في سلطنة عمّان تحت إشراف التّراث القومي في طبعة ذات حلّة جديدة وأنيقة[4]، وشمل تفسير القرآن كلّه[5]، رغم ذلك تلاشت معظم تفاسير الخوارج ولم يبق منها إلاّ القليل ومنه هذا التّفسير، وربّما يرجع هذا إلى أنّ معظم فرقهم انعدمت ولم يبق لها أثر إلاّ الاباضيّة الّتي انتشرت في بلاد المغرب، وحضر موت، وعمّان.[6]

كما تميّز الكتاب بالتّوسّع والإطناب، فقد حشر كلّ معلومة تتعلّق بالموضوع أو تقترب منه وهو ما يشهد له واقع الهميان في كبر حجمه وتوسّع المؤلف فيه، إذ كان يعقد فصولاً ومباحث لمواضع تتعلّق خاصّة بعلوم القرآن خارج التّفسير وهو بنفسه يشهد لهذا المنحنى وتغيّر منهجه بين بداية عهده بالتّأليف فيه وأواخره فيقول:(فهذه ثاني حاشيّة على شرح أبي القاسم الدّاوي على الأجروميّة تكون على مواضع، وضعت الحاشيّة الأولى حال صغري وفيها بعض تطويل جداً وأنت تدري شأن المبتدأ...).[7]

ج/ تسميته

---

[1] . أمحمّد بن يوسف أطفيّش، شرح لغز الماء، المصدر السابق، ص16.

[2]. مصطفى بن الناصر وينتن، تاريخ تفاسير القطب، المرجع السابق، ص05.

[3] . محمد بن يوسف أطفيّش، تيسير التّفسير، المصدر السابق، ج01، المقدمة، ص (غ).

[4]. بكير بن سعيد أغوشت، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش، المصدر السابق، ص158.

[5] . أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج07، ص15.

[6] . عماد عليّ عبد السّميع، التّيسير في أصول واتّجاهات التّفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، 2006م، ص128.

[7] . مصطفى بن الناصر وينتن، تاريخ تفاسير القطب، المرجع نفسه، ص03، ص04.

اختلف في تسميّة كتاب تفسير الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش، فجاء في نسخة الشّاملة الإباضيّة والّتي كان عليها البحث معظم الاعتماد (هميان الزّاد إلى دار المعاد)، والّتي لا تحتوي على المقدمة وكذا الجزء الأوّل من سورة الأعراف وعدم وجود سورة يونس وسورة هود، وجاء في كتاب "تيسير التّفسير" للشّيخ أطفيّش أنّ السّبب الّذي جعله يعمد إلى تفسير القرآن مرّة أخرى "أنّه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بـ (هميان الزّاد إلى دار المعاد ...الخ) [1]، وجاء في نسخة محملّة (بي دي ياف) موافقة للمطبوع محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، (هيميان الزاد إلى دار المعاد)، سلطنة عمان، وزراة التّراث القوميّ والثّقافة، مطابع سجل العرب، 1408هـ – 1988م، وجاء في الموقع الالكتروني "مجلّة مجمّع الفقه الإسلاميّ التّابع لمنظّمة المؤتمر الإسلاميّ بجدّة، (هميان الزّاد ليوم المعاد)، وتميزت هذه النسخ كونها لا تحتوي على مقدمة الكتاب ولا الخاتمة، وجاء في كتاب قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش (حياته – أثاره الفكرية – جهاده)، لبكير بن سعيد أغوشت، (هيمان الزّاد إلى دار المعاد).

ج/ معنى التّسمية (هميان الزّاد إلى دار المعاد)

الهميان: هميان الدّراهم، بكسر الهاء الّذي تجعل فيه النّفقة، والهميان: شداد السّراويل، والهميان: الموضع.[2]

والزّاد هو كلّ عمل انقلب به من خير أو شرّ، عمل أو كسب[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[4]، أي: التزوّد من الدّنيا للآخرة.[5]

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، تيسير التّفسير، المصدر السابق، ج01، المقدمة، ص 01.

[2] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج03، ص2236.

[3] . جمال الدين بن منظور، المصدر نفسه، ج03، ص138.

[4] . سورة البقرة الآية 197.

[5] . محمد بن محمد الزبيدي، ج08، ص155.

ثانيّاً: سبب التّأليف

نبغ الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش في زمن لويس تيرمان الّذي كان حاكماً للجزائر، وتميّزت عهدته بأظلم العهود في مجال التّعليم على الخصوص[1]، فعمد الشّيخ آنذاك إلى تفسير القرآن الكريم في الجزائر عامّة وفي بني ميزاب خاصّة، فكانت جرأة منه لم يسبق إليها أحد قبله ولا بعده إلاّ بفترة وجيزة، وكان هدفه الأسمى خدمةً للدّين الإسلامي وخدمةً للأدب العربي، جاعلاً بذلك تحدياًّ كبيراً للمخطوط الاستعماري نحو الثّقافة العربيّة الإسلاميّة.[2]

هذا وألّف قطب الأئمّة الشّيخ محمد بن يوسف أطفيّش وهو من رواد النّهضة الحديثة عدداً جمّاً من الكتب، والّتي لا ريب أنّها تعالج نوازل معيشة، فيكون دوره الريّاديّ في قضيّة العمل على نحو ما مضى قوله من أثر أمثال هؤلاء المصلحين في هذه المسألة إمّا بالتّأصيل أو بالتّغيير.[3]

وبيّن الشّيخ أطفيّش في مقدّمة تفسير (هميان الزّاد) وجهة نظره في التّفسير العام، دون أن يغفل الفكر الإباضي في هذا التّفسير، والرّد على المخالفين فما زاغوا فيه، وإيضاح مذهب الاباضيّة الوهبيّة واعتقادهم، وذلك بحجج عقلية ونقلية.[4]

[1]. أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج07، ص17.

[2]. أبو القاسم سعد الله، المصدر نفسه، ج07، ص19.

[3]. محمد بن يوسف أَطَّفَيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ج11، ص614.

[4]. بكير بن سعيد أغوشت، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش، المصدر السابق، ص159.

المطلب الثّاني: مصادر كتاب (همیان الزّاد)

الملاحظ من تتبّع تفسير (همیان الزّاد) نجد أنّ الشّيخ أطفيّش كان من العلماء الّذين تميّزوا بالابداع والاجتهاد، وإدراجه لكتب المؤلفين كان بسبب التّأكّد والحيطة، والخوف من الغلط، فكان في تفسير أي سورة يدرج نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وسبب نزولها، والحكمة منها، برأيه واجتهاده، وممّا تعلّمه من الشّيوخ والمكتبات، ومن المصادر والمراجع الّتي رجع إليها نذكر منها[1]:

1/ شيخ الإسلام.

2/ الزّجاج.

3/ الثّعلبي: عرائس القرآن.

4/ تفسير القشيري (لطائف الإشارات): القشيري هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النّيسبوري المعروف بأبي القاسم القشيري (ت 465هـ)، يعتبر تفسيره اللّطائف تفسير صوفي للقرآن الكريم، مطبوع (316/3، 388/6).

5./ تفسير البغوي (معالم التّنزيل): البغوي هو الحسن بن مسعود بن محمد البغوي (ت510هـ)، طبع تفسيره المعالم وهو متداول 88/8.

6/ تفسير الزّمخشري: وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر إمام المفسّرين البيانيّين (514/268،3/9).

7/ تفسير ابن عطية (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): ابن عطية هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن أبي بكر الغرناطي (ت546هـ)، طبع الكتاب ومنه ثلاث عشرة مجلداً (433/7، 24/8).

[1]. محمد مصطفى درويش الخواجا، المرجع السابق، ص77، ص98.

8/ تفسير الرّازي (التّفسير الكبير المعروف بمفاتح الغيب): هو فخر الدّين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن البكري المعروف بالفخر الرّازي، (46/1، 99/7).

9/ الفتوحات المكيّة لابن العربي: هو محي الدّين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي المالكي الصّوفي، (ت638هـ)، وكتاب مطبوع ومتداول (213/12، 313/7)، 282/6.

10/ تفسير القرطبي: هو أبي عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت671هـ)، (427/1، 254/7).

11/ الإنصاف لابن المنّير (الإنصاف من الكشّاف): هو أحمد محمد بن المنير الإسكندري المالكي، (ت683هـ)، (467/5، 78/10).

12/ تفسير ابن الجزري (التّسهيل لعلوم التّنزيل): هو محمد بن أحمد بن جزي الكلبي المالكي (ت 741)، مطبوع ومتداول (92/9).

13/ تفسير البحر المحيط (البحر المحيط): هو أثير الدّين محمد بن يوسف الأندلسي المعروف أبي حيان، أحد أئمة التّفسير وهو مطبوع وله تفسير آخر (النهر البارد)، والشّيخ ينقل عن كلا التّفسيرين (267/1، 107/6).

14/ تفسير ابن كثير: هو الإمام الحافظ عماد الدّين إسماعيل بن كثير القرشي، (ت774هـ)، (474/7، 143/11).

15/ حاشية التفتزاني على الكشاف: هو السعد التفتزاني مسعود بن عمر وهو عالم بالعربيّة والمنطق، (ت793هـ)، والكتاب مخطوط، ومنه نسخة في مكتبة الأزهر تحت رقم (1804)، (336/2، 314/5).

16/ تفسير السّيوطي (الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور): هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، (ت911هـ)، (439/7، 480/7).

17/ حاشية عصام الدّين عليّ البيضاوي: هو عصام الدّين إبراهيم بن محمد بن عرب الاسفرايني، (ت943هـ)، يعتبر الكتاب مخطوط، ومنه نسخة في الأزهر، ونسخة في الرّباط، ونسخة في كوبريلي، وللشّيخ شرح على هذه الحاشية (11/8).

18/ ابن هشام: هو أبو محمد بن عبد الله يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت 761)، له (مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب)، (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، (شذرات الذّهب في معرفة كلام العرب).

المطلب الثّالث: المنهجيّة المعتمدة في (همیان الزّاد)

بدأ الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش في تفسيره (همیان الزّاد إلى دار المعاد) بتقديم تمهيد لكلّ سورة ذكر فيها أسماءها، والمدنيّ والمكيّ، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها، ثم ذكر الرّوايات التي وردت في فضلها، ويذكر بعض فوائدها مثل التّحصين والشّفاء وطلب الرّزق، ويذكر سبب نزولها، واستخراج معانيها اللّغوية، والصّرفية، والنّحوية، والبلاغية، والفقهيّة، ويعدّد وجوه قراءتها، والتّمثيل للسّور والآيات من شواهد القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة، والشّعر العربيّ، وأقوال الصّحابة رضي الله عنهم، وأقوال العلماء، ويختم تفسيرها ببيان فوائدها الجمّة.

يقول: (لو شئت والحمد لله لفسّرت القرآن كلّه بما يظهر لفكري وأقتصر عليه، فلا يرى من توغّل في المعقول والمنقول معاً أحسن منه، ولكنّي أقصد الاحتياط فذكرت ما ظهر لي، وما ظهر لغيري، وربما اقتصرت على ما ظهر لغيري لأكون من أهل الدّرجة الوسطى في التّفسير، فإنّ أهله ثلاث أقسام) وهي:[1]

القسم الأوّل: من يغوص بفكره ويقتصر على فكره.

القسم الثّاني: من يذكر قوله وقول غيره.

القسم الثّالث: من يقتصر على قول غيره ويسمى ناقلاً.

وبذلك انتهج الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش في تفسير الكتاب العزيز طرق عدّة في الرّجوع إلى المراجع والمصادر، فقد ظهر في تفسيره متأثراً بأبي حيّان الأندلسي نحواً، وبالزمخشري عقلاً[2]، ويظهر من خلال ذلك تطابقاً، أو زيادة أو نقصاناً، أو اختلافا تامّاً، ومن أمثلة ذلك نجد أنّه:

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثّاني، ص 42، ص 43.

[2]. بكير بن سعيد أغوشت، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش، المصدر السابق، ص159.

يجتهد أوّلاً في استخراج المعنى والتّوظيف البلاغيّ المناسب، ثم يرجع ذلك إلى آراء العلماء، بدلالة لفظة (ثم رأيت)، (هذا ما يتبين لي وعليه الأكثر)، (ولم أر أحداً تكلّم عليه)، (هذا ما ظهر لي)، (كذا يتبادر لي)، (هذا ما يظهر لي بالاجتهاد)، وأمثلة ذلك:

أوّلاً: مرة ينظر في عدّة مراجع ومذاهب لكن لا يأخذ بها، بل يعوّل برأيه واجتهاده.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ**﴾[1]

﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا**﴾: سمى ذلك تربصاً تغليباً لتربص الحسنى الأخرى وهي الموت، أو المراد بإحداهما خصوص الموت، أو مشاكلة، لقوله: ﴿**وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ**﴾، الخ، هذا ما ظهر لي والحمد لله في توجيه ذلك، ولم أر أحداً تكلم عليه.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[3]

﴿**وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾: كلّ مهتد ومن خالف ذلك فهو مبتدع ضال ولو كان جمهور، هذا ما يظهر لي بالاجتهاد.[4]

ثانياً: مرة ينظر في تفسير عالم ما أو أكثر فيجد تطابقاً.

كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[5]

---

[1]. سورة التوبة الآية 52.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص 22.

[3]. سورة البقرة الآية 170.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج02، ص 145.

[5]. سورة الأنفال الآية 23.

﴿**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾: المراد بهما معا سماع التفهم والقبول، ولك أن تجعل ذلك على طريق القياس الاقتراني، أن تجعل الوسط متحدا كما علمت، وتجعل الخير بمعنى الإيمان، والانتفاع مطلقا بمعنى السّعادة، ولا بمعنى الإيمان والانتفاع الّذين يموت عليها الإنسان، أي: لو علم الله في الأزل أنهم يؤمنون ويعملون الصالحات لأسمعهم الآيات والوعظ، ولو أسمعهم الآيات والوعظ لارتدوا عن ذلك للشقاوة، فينتج لو علم فيهم الإيمان والعمل الصالح لتولوا عنهما بعد العمل بهما للشقاوة، والوجه الأول أظهر عندي، وكلاهما جائز، هذا ما ظهر لي بعد التأمل، ثم رأيت ابن هشام أشار إلى الثاني والحمد لله على موافقة علامة.[1]

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[2]

﴿**إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾: العمل الحسن يورّث الحياة الطّيّبة الدّائمة في الجنّة، وهذه الحياة مفقودة في أهل النّار، وتفسير الآية على العموم المذكور هو الحقّ الواضح، ثم اطلعت والحمد لله على أنّه قول مجاهد والجمهور.[3]

ثالثاً: مرة ينظر في تفسير عالم ما أو أكثر ثم يأخذ برأيهم.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[4]

﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا**﴾: قال الشيخ إسماعيل رحمه الله عن النّبي صلى الله عليه وسلم: "**لَا تَقْتُلُوا الضَّفَادِعَ، فَإِنَّ نَقِيقَهَا الَّذِي تَسْمَعُونَ تَسْبِيح**"[1]، وإنّ إبراهيم عليه السّلام لما

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص 350.

[2]. سورة الأنفال الآية 24.

[3]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص 351.

[4]. سورة الأنبياء الآية 68 – 69.

أُلقى في النار استأذنت دواب البر والطير أن تطفئ عن إبراهيم النار، فأذن الله للضّفادع مزكأت على النار، أي رمت بنفسها عليها، فذهب ثلثاها، أي ثلثا كل ضفدع، وبقي الثلث، فأبدل الله لها بحرارة النّار برد الماء، وظاهره ما أذن في الإطفاء إلاّ للضفادع وذكر بعضهم خلاف ذلك.[2]

[1]. إبراهيم أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الطب، في الضفدع يتداوى بلحمه، تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط01، 1409م، رقم الحديث23710، ج05، ص62.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج08، ص 394.

المطلب الرّابع: المنهج المتّبع في (همیان الزّاد)

يقول الشّيخ أمحمد بن يوسف أطّفيّش: "اعلم أنّ الحقّ هو القرآن والسّنّة، وما لم يخالفهما من الآثار، فمن قام بذلك فهو الجماعة والسّواد الأعظم ولو كان واحداً، لأنّه نائب النّبي صلى الله عليه وسلم، والصّحابة رضي الله عنهم والتّابعين الّذين اهتدوا، وكلّ مهتد، ومن خالف ذلك فهو مبتدع ضال ولو كان جمهور، هذا ما يظهر لي بالاجتهاد".[1]

أوّلاً: تفسير القرآن بالقرآن

اهتم الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش بتفسير القرآن الكريم واستدلّ للكثير من الآيات القرآنيّة ممّا يناسب شرحها بآيات قرآنيّة أخرى ليوضّح الكثير من السّيّاقات والدّلالات الّتي تفيدها الآية، منها:

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾.[2]

﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾[5]، وفي الاستدلال بالآية الثّالثة نظر، فإنّ المراد لن ترضى عنك اليهود حتّى تتّبع ملّتها، ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتها، وصحّح بعضهم وذلك القول.[6]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج02، ص145.

[2]. سورة الأنفال الآية 73.

[3]. سورة الكافرون الآية 06.

[4]. سورة البقرة الآية 120.

[5]. سورة يونس الآية 32.

[6]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص 420.

ثانيّا: تفسير القرآن بما رويّ عن النّبي صلى الله عليه وسلم

ككلّ عالِمٍ فقد استدلّ الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش بالسّنّة النّبويّة الشّريفة حتى وصل إلى حدٍّ الأحاديث في تقارب مع الآيات، ليجعل تفسيره يجمع بين القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الطّاهرة.

في قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[1]

﴿**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾: فإنّ النّصرة لا تكون إلاّ بريح يبعثها الله تعالى، يضرب بها وجوه العدوّ[2]، وعنه صلى الله عليه وسلم: "**إِنِّي نُصِرتُ بِالصَّبَا، وَإِنَّ عَاداً أُهْلِكَتْ بِالدَّبُور**".[3]

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصّحابة رضي الله عنهم

في قوله تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾.[4]

﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا**﴾: روى عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أمر الله تعالى موسى أن يختار سبعين رجلاً، فاختار فبرزوا معه ليدعوا الله، فقالوا في دعائهم: اللهم أعطنا ما لم يُعط أحد قبلنا، ولا تعطيه أحدا بعدنا، فأخذتهم الرّجفة لاعتدائهم في الدّعاء.[5]

---

[1] . سورة الأنفال الآية 46.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص388.

[3]. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف، د، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط01، 1421هـ - 2001م، من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد الطلب عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث1956، ج03، ص425.

[4] . سورة الأعراف الآية 01.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص220.

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال العلماء

تميّزت تفاسير الشّيخ أطفيّش بكونها مؤلّفة على منهج القدامى القائم على الشّرح التّحليلي المفصّل لآي القرآن الكريم، معتمداً على أصول التّفسير المتعارف عليها، من تفسير فقهيّ ولغويّ، وإصلاحيّ وحجاجيّ، وإلى غيرها من ألوان التّفسير المختلفة.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[2]

﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**﴾: قال الزّجاج: النّزغ أدنى حركة يكون، ومن الشّيطان أدنى وسوسة، قال عياض: أجمعت الأمّة على عصمة النّبي صلى الله عليه وسلم من الشّيطان في جسمه وخاطره ولسانه.[3]

خامساً: تفسير القرآن بالشّعر

يعتبر الاستدلال بالشّعر أو النّثر من الأمور المهمّة الّتي كان العرب يستدلّون بها على كلامهم، وكانت عرب قريش آنذاك لا تخلوا مدوّناتها أو معلّقاتها من دمج كلامهم، سواء كان نثراً أو شعراً من أشعار غيرهم أو نثر أحدهم، وعلى غرار العادة فقد انتهج الشّيخ امحمّد بن يوسف أطفيّش في تفسيره (هميان الزّاد) بالاستعانة بمجموعة لا بأس بها من كلام الشّعراء والاجتهاد في اختيار ما يناسب من ذلك الشّعر ليتناسب والآية المراد تفسيرها، فكان تارة يذكر اسم الشّاعر، وتارة لا يذكره فيشير إليه بلفظ الغائب مثل: (قال الشّاعر)، وكان كلّما ذكر محلّ الشّاهد اكتفى به، وأحياناً أخرى يقوم بشرح مفرداته بإسهاب أو دونه.

في قوله تعالى: ﴿**إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾.[1]

---

[1] . يحي بن يحي، أصول التفسير عند الإباضية من خلال منهج الشيخ أطفيّش القطب في كتابه (تيسير التفسير)، مجلة التفاهم، ص117.

[2] . سورة الأعراف الآية 200.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص293.

﴿**وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾: أي لا يلبثون في تلك الأرض بعد خروجك منها زماناً قليلاً، ثم نهلكهم أو نخرجهم[2]، قال الشّاعر أبو عبيدة وهو ينشد النّبي صلى الله عليه وسلم[3]، (من البحر الكامل)[4]: عِفْتُ الدِّيَّارَ خِلاَفَهُمْ فَكَأَنَّمَا ... بَسِطَ الشَّوَاطِبِ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا

الشّواطب النّساء اللّاتي يشققن الجريد ليعمل منه الحصير، والشّطب سعف النّخل الأخضر، والآية تعطي أن اليهود لم يستفزوه فلم يهلكوا إهلاكا يكون جزاءاً لاستفزازهم وإهلاكهم وإخراجهم، الواقعان إنّما هما لغير الاستفزاز وذلك قريظة أهلكوا والنّضير أجلوا.[5]

سادساً: تفسير القرآن بسبب نزول الآية

في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[6]

﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾: قال الكلبي: إنّ أناساً ممّن لا عهد لهم لم يوافقوا الموسم الّذي قرأ فيه على صدر هذه السّورة، وكانوا بأرض اليمامة، وكأنصاري من بني قيس بن ثعلبة، ولما بلغهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتال المشركين الّذين لا عهد لهم إذا انسلخ الأشهر الحرم، أقبلوا إلى المدينة قيل: بعد ما انسلخت ليجدّدوا بينهم وبينه حلفا فلم يصالحهم إلاّ على الإسلام أو يُقتلوا، فخلى سبيلهم حتّى بلغوا مأمنهم وهو اليمامة، وأقاموا بها

---

[1] . سورة الإسراء الآية 75 – 76.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج07، ص 351.

[3] . سراج الدين النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1419هـ - 1998م، ج12، ص353.

[4] . أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج02، ص386.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج07، ص 351.

[6]. سورة التّوبة الآية 05.

حتّى أسلم النّاس، فمنهم من أسلم، ومنهم من أقام على نصرانيته، وفيهم نزلت الآية: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: فهي نزلت بعد الموسم، وزعم بعضهم أنّ آية القتل السّابقة نسخت حين أسلمت العرب طوعاً وكرهاً بقوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1]: فرفع السّيف عن أهل الكتاب بإعطاء الجزية.[2]

سابعاً: تفسير القرآن بالقراءات القرآنيّة

في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾.[3]

﴿**فَنِعْمَ**﴾: قرأ فنَعْم بفتح النّون وإسكان العين، الأصل نَعِم بفتح النّون وكسر العين، خفّف بإسكان العين فبقيّت النّون مفتوحة، وأمّا قراءة الجمهور فالأصل عليها نَعِم بفتح النّون وكسر العين كذلك، ثم كسرت النّون تبعا للعين، ثم خففت بإسكان العين، فبقيت النّون على الكسر، أو نقلت كسرة العين النّون المفتوحة قبلها، فكانت العين ساكنة لنقل حركتها والنون مكسورة بكسرة النّقل.[4]

ثامناً: تفسير القرآن بالآراء الفقهيّة

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.[5]

﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾: قال مالك، وأحمد: الرّقاب للعبيد يشترون ويعتقون، لرواية عن ابن عباس: لا بأس أن يعتق الرّجل من الزّكاة، وقال أبو حنيفة: لا يعتق بها رقبة كاملة، لكن يعطى منها في عتقها، ويعان بها مكاتب، وقال الزهري: نصف للمكاتبين ونصف ليشتري به عبيداً قَدَم

[1] . سورة البقرة الآية 256.

[2] أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج5، ص 439.

[3] . سورة الرّعد الآية 24.

[4] . أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص367.

[5] سورة التّوبة الآية 60.

إسلامهم فيعتقون، وعن مالك: يُعتق العبد ويُعان المكاتب، والواضح ما ذهبنا إليه، والشّافعي: أن المراد إعطاء المكاتب، لأنّ هذه الأصناف إنّما تُعطى لمنفعة المسلمين، أو لحاجة في أنفسها، والعبد ليست له علّة من هاتين، ويدلّ له أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾[1]، لكنّه عبد عند الشّافعي ما لم يتخلّص، ويعجبني قول ابن حبيب من المالكيّة بأنّه فدى الأسرى من سهم الرّقاب، ومَنَعه غيره.[2]

تاسعاً: تفسير القرآن بالنّاسخ والمنسوخ

في قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾.[3]

﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا**﴾: قيل الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾[4]، وهو رواية عن ابن عباس، وقال الكلبي منسوخة بقوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾[5]، وعن الحسن لا تجهر بصلاتك كلّها ولا تخافت بها، وهو رواية عن ابن عباس.[6]

عاشراً: تفسير القرآن بالمسائل الصّرفيّة والنّحويّة

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[7]

﴿**بَلَاءً حَسَنًا**﴾: رحمة حسنة، ورحمة الله إنعامه، وبلاء اسم مصدر، والمصدر إبلاء.[8]

---

[1]. سورة النّور الآية 33.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص35.

[3]. سورة الإسراء الآية 110.

[4]. سورة الأعراف الآية 55.

[5]. سورة الحجر الآية 94.

[6]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر نفسه، ج07، ص407.

[7]. سورة الأنفال الآية 17.

[8]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص343.

في قوله تعالى: ﴿**اللَّهِ الَّـذِي لَـهُ مَـا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ وَوَيْـلٌ لِلْكَـافِرِينَ مِـنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾.[1]

﴿**وَوَيْلٌ**﴾: هلاك وهو نقيض الوأل وهو النّجاة، إذا نصب فهو مفعول مطلق لعالم بقدر من معناه، وأصله النّصب وعدل عنه إلى الرّفع لتكون الجملة فعليّة فتفيد الثّبوت، وكذا في سلام عليكم، والحمد لله، ولكن لهما فعل وقيل إنّ للويل أيضاً فعلاً فيشتقّ أيضاً سائر المشتقات.[2]

الحادي عشر: تفسير القرآن بالرّوايات الإسرائيليّة

في قوله تعالى: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾.[3]

﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾: إبليس أي: أزلهما أو أصدرهما أو أذهبهما، قيل: قام عند الباب فناداهما، وروى أنّه أراد الدّخول فمنعته الخزنة، فدخل في فم الحيّة فدخلت به وهم لا يشعرون، وقيل: تمثّل في صورة دابّة فدخل ولم يشعروا، وقيل كانت الجنّ تدخل الجنّة وإنّما منع منها إبليس وحده، فأرسل بعض أتباعه منهم فأزلهما، فنسب الإزلال إليه لأنّه آمر به ومحبّ له، وذكر بعضهم أنّ الحية كانت صديقة لإبليس، فلما منعته الخزنة من الدخول أتاها فسألها أن تدخله الجنّة في فيها فأدخلته وهم لا يعلمون به مع أنّها مرّت عليهم، وكان لها أربع قوائم كقوائم البعير من أحسن الدّواب وكانت من خزان الجنّة، قيل وسمّ أنيابها من مكث إبليس في فيها، ومسخها الله عز وجل لذلك وردّ قوائمها في بطنها، وقيل: كانا على باب الجنّة وكانا يخرجان منها، وكان إبليس عدوّ الله قريباً من الباب، فوسوس لهما، وقد دخل مع آدم الجنّة لما دخل.[4]

---

[1]. سورة إبراهيم الآية 17.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص395.

[3]. سورة البقرة الآية 36.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر نفسه، ج01، ص251.

الفصل الثّالث: توظيف علم البيان من خلال (هميان الزّاد) – الرّبع الثّاني من القرآن الكريم –

المبحث الأوّل: التّشبيه

المبحث الثّاني: التّمثيل

المبحث الثالث: الاستعارة

المبحث الرّابع: المجاز

المبحث الخامس: الكناية

تمهيد: مفهوم علم البيان لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف علم البيان لغةً

علم البيان هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن، وأصله الكشف والظّهور[1]، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ**﴾[2]، والبيان على ضربين[3]: أحدهما بالحال وهي الأشياء الدّالة على حال من الأحوال من آثار صفة، والثّاني بالإخبار وذلك إمّا أن يكون نطقاً أو كتابةً، فما هو بالحال، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[4]، وما هو بالإخبار، كقوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**﴾.[5]

ثانيّاً: تعريف علم البيان اصطلاحاً

علم البيان هو التّعبير عمّا يدور في الذّهن وتحسّ به النّفس بأسلوب فنّيّ رائع، أو هو المميّزات البلاغيّة الّتي يتفاضل بها الأدباء والشّعراء ويظهر بها فضل الكلام على الكلام[6]، أو هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليه، وبالنّقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[7]، وينقسم إلى عدّة فنون: فنّ التّشبيه، فنّ التّمثيل، فنّ الاستعارة، فنّ المجاز، فنّ الكناية.

---

[1]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج13، ص69.

[2]. آل عمران الآية 138.

[3]. الزّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج34، ص305.

[4]. سورة البقرة الآية 168.

[5]. سورة النحل الآية 43 – 44.

[6]. عبد الفتاح بسيوني، علم البيان – دراسة تحليلية لمسائل البيان – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية، الأحساء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط02، 1418هـ – 1998م، ص 10.

[7]. أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وكتابة الهوامش والتعليق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 02، 1407هـ - 1987م، ج01، ص 162.

المبحث الأوّل: التّشبيه

المطلب الأوّل: مفهوم التّشبيه لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف التّشبيه لغةً

التّشبيه هو التّمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل (شبّه) بتضعيف الباء، يقال شبّهت هذا بهذا تشبيهاً أي: مثّلته به[1]، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرّجل أمّه: وذلك إذا عجز وضعف[2]، والتّشبيه هو تشابه الشّيئين واشتبها، وشبّهته به وشبّهته إيّاه،[3] والجمع: (مشابه) على غير قياس، كما قالوا: محاسن ومذاكر، و(الشّبهة): الالتباس، و(تشبّه) فلان بكذا، و(أشبه) فلاناً و(شابهه)، و(اشتبه) عليه الشّيء، و(الشّبه)، و(الشّبه): ضرب من النّحاس[4]، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿**آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾،[5] أي: يشبه بعضها بعضاً، والمشبهات من الأمور: المشكلات[6]، وجاء في قوله تعالى: ﴿**مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾[7]، والآيات المتشابهات في القرآن ألم، والر: ما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها، وبينهم أشباه، أي أشياء يتشابهون فيها.[8]

---

[1]. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم البيان)، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ – 1985م، ج02، ص 61.

[2] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج13، ص503، ص504.

[3]. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1419هـ - 1998م، ج01، ص 493.

[4]. أبي بكر الرازي، المصدر السابق، ج01، ص 161.

[5] . سورة آل عمران الآية 07.

[6]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج3، ص404.

[7]. سورة الأنعام الآية 140.

[8]. أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م، ج4، ص193.

ثانيّاً: تعريف التّشبيه اصطلاحاً

التّشبيه هو تصوير شيء بشيء لوجود علاقة بينهما تسمى علاقة (المشابهة)، مثل قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[1]، شبّه قلوبهم بالحجارة والجامع القسوة، والقسوة هنا قسوة معنويّة اتجاه الخير والحقّ والفضيلة أمّا الحجارة فقسوتها ماديّة.[2]

التّشبيه هو العقد على أنّ أحد الشّيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل[3]، مثل قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾.[4]

ثالثاً: أركان التّشبيه

للتّشبيه أركان أربعة وهي: (المشبّه) وهو الأمر الّذي يراد إلحاقه بغيره، (المشبّه به): هو الأمر الّذي يلحق به المشبّه، (وجه الشّبه): هو الوصف المشترك بين الطّرفين، ويكون في المشبّه به، أقوى منه في المشبّه، وقد يذكر وجه الشّبه في الكلام، (أداة التّشبيه): هي اللّفظ الّذي يدلّ على التّشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تذكر الأداة في التّشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمر في رعيّته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرّحمة والعطف.[5]

رابعاً: أقسام التّشبيه

---

[1]. سورة البقرة الآية 74.

[2]. أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، تقديم رشرى طعيمة، فهمي حجازي، ياسر برهامي، دار التوقيفية للتراث، درب الأتراك خلف الجامع الأزهر، القاهرة، 2011م، ص 42.

[3]. أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق، السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط05، 1997م، ج01، ص 236، ص 264.

[4]. سورة البقرة الآية 74.

[5]. أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق، د، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص219.

1. تشبيه مرسل: هو ما وجدت فيه الأداة، مثل: قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾.[2]
2. تشبيه مؤكّد: هو ما حذفت فيه الأداة، مثل: قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾.[3]
3. تشبيه مفصّل: هو ما حذف فيه وجه الشّبه، مثل: قوله تعالى: ﴿**وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾.[5]
4. تشبيه مؤكد بليغ: هو ما ذكر فيه وجه الشّبه، مثل قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾.[6]
5. تشبيه بليغ: هو ما حذفت فيه الأداة ووجه الشّبه، مثل قوله تعالى: ﴿**وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾.[8]

خامساً: اعتبارات التّشبيه

1. تشبيه مفرد بمفرد حسّيّين، مثل قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾.[9]
2. تشبيه مفرد بمفرد عقليين، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾.[10]

---

[1]. سورة هود الآية 24.

[2]. سورة الصافات الآية 49.

[3]. سورة آل عمران الآية 133.

[4]. سورة الواقعة الآية 22 – 23.

[5]. سورة الرحمن الآية 58.

[6]. سورة النّمل الآية 88.

[7]. سورة الأحزاب الآية 46.

[8]. سورة الإسراء الآية 34.

[9]. سورة الرحمن الآية 14.

[10]. سورة آل عمران الآية 59.

تشبيه مفرد بمفرد الأحد عقليّ والأخر حسّيّ، مثل قوله تعالى: ﴿**كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾.[1]

تشبيه مركب بمركب حسّيّين، مثل قوله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾.[2]

3. تشبيه مركب بمركب عقليين، مثل: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾.[3]

4. تشبيه مركّب بمركب الأحد حسيّ والأخر عقليّ، مثل: قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ**﴾.[4]

5. تشبيه مفرد بمركب، مثل: قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ**﴾.[5]

6. تشبيه مركب بمفرد، مثل قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾.[6]

سادساً: أنواع التّشبيه

1. **التّشبيه التّمثيليّ**: في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ**﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى**﴾.[8]

2. **التشبيه التّخييليّ**: في قوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾.[1]

---

[1]. سورة إبراهيم الآية 24 – 25.

[2]. سورة الكهف الآية 96.

[3]. سورة الجمعة الآية 05.

[4]. سورة غافر الآية 58.

[5]. سورة النور الآية 35.

[6]. سورة البقرة الآية 17.

[7]. سورة آل عمران 117.

[8]. سورة هود الآية 24.

3. **التّشبيه الوهمي**: في قوله تعالى: ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً**﴾.[2]

4. **التّشبيه الضّمني**: يلمّح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾.[3]

5. **التّشبيه المقلوب** (المعكوس): في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ**﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾.[8]

6. **التّشبيه المطلق**: في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾.[9]

ثامناً: الغرض منه

تأنيس النّفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بياناً، أو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار فإنك إذا قلت: زيد أسد كان الغرض بيان حال زيد وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة.[10]

---

[1]. سورة الصافات الآية 65.

[2]. سورة النّور الآية 39.

[3]. سورة الروم الآية 28.

[4]. سورة النّمل الآية 17.

[5]. سورة البقرة الآية 275.

[6]. سورة القلم الآية 35

[7]. سورة ص الآية 28.

[8]. سورة الأحزاب الآية 32.

[9]. سورة الشورى الآية 32.

[10]- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط01، 1376هـ - 1957م، ج03، ص 415.

المطلب الثّاني: توظيف التّشبيه من خلال (همیان الزّاد) – الرّبع الثّاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1]

﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: شبّه مصير الجنّة إليهم بمصير المال إلى الوارث، والآية نصّ في أنّ الجنّة بالعمل[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير الجنّة والّذي لا يصل إليه سوى من عمل واجتهد في بلوغ مقام الله تعالى بحسن العبادة، والصّبر على الأمر بالمعروف والإحسان وتجنّب النواهي، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[4]

﴿**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾: شبّههما بما حرّم من القول، أو الفعل، أو الاعتقاد على المكلّف أن يفعله، وإنّما قدّموا الماء لأنّ العطش أشدّ من الجوع، قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الْمَاءُ**"[5]، أي: عند الحاجة إليه[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم في جهنّم يذوقون العذاب، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا**

---

[1]. سورة الأعراف الآية 43.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، هيميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزراة التراث القومي والثقافة، 1408هـ – 1988م، ج06، القسم الثاني، ص81.

[3]. سورة طه الآية 57.

[4]. سورة الأعراف الآية 50.

[5]. أبو يعلى بن يحي التميمي، المصدر السابق، أول مسند ابن عباس، رقم الحديث2673، ج05، ص77.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج06، القسم الثاني، ص91.

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[1]، ويصارعون الآلام والضّر والأوجاع، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**﴾[2]، فاستعانوا بأهل الجنّة بماء يبرد تلك الأوجاع، ويطفئ نار الآلام، وهو الماء عزيز في الدّنيا وأعزّ في الآخرة.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾[3]

﴿**شَهْوَةً**﴾: ذلك تشبيه لهم بالبهيمة، إذ لا حامل لهم ذلك إلاّ مجرّد الشّهوة، والعاقل ينبغي أن يكون داعيه إلى الجماع طلب الولد، فإنّ أصل الجماع إنّما هو التّناسل، وعمارة الدّنيا ليعمل فيها للآخرة[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ السّبب في عمارة الأرض هو هدف فاضل، ألا وهو عبادة ربّ الكون سبحانه وتعالى، دون تحويل الجماع إلى نزوة، أو زواج من أجل المتعة، أو اللّجوء إلى الخطيئة وارتكاب الرّذيلة، والاعتداء على شرع الله في قلب الموازين، كما قال تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[5]، فالأرض العظيمة لا تكون إلاّ بنسل شريف عظيم الأعراق.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[6]

﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ**﴾: **إِصْرَ**: الثّقل الّذي ألزمه الله تعالى بني إسرائيل في فرائضهم وأحكامهم ووضعه عن المسلمين، ولذلك قيل للعهد إصر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذْتُمْ عَلَى**

---

[1]. سورة النساء الآية 56.

[2]. سورة التوبة الآية 35.

[3]. سورة الأعراف الآية 81.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 36.

[5]. سورة النمل الآية 55.

[6]. سورة الأعراف الآية 157.

ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]، أي عهدي، لأنّ العهد ثقل ومنع من الأمر الّذي أخذ له[2]، فشبّه الله تعالى ذلك الثّقل والحمل بالشّخص المحبوس الممنوع عن الحركة[3]، ﴿**وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾: جمع غلّ وهو ما يقيّد به، وذلك تشبيه لأحكام التّوراة بما يغلّ به الإنسان، فلا يقدر على العمل لثقلها، فكل من الإصر والأغلال عبارة عن ثقل أحكامها وشدّتها، كتعيين القصاص، قيل: القصاص في العمد والخطأ من غير شرع للديّة والعفو، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقطع الموضع النّجس من الثّوب والبدن، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق من اللّحم، ووجوب الصّلاة في الكنائس، وترك العمل يوم السّبت[4]، وقيل الآية كناية عن أمور شديدة ممّا ذكر[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى لليهود والنّصارى الأدلّة والبراهين على عموم رسالة النّبي صلى الله عليه وسلم، وشمولها لكلّ الطّوائف وجميع الأجناس على تباين مذاهبها واختلاف نحلها[6]، وأنّ الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم جاءهم برسالته العظيمة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلّ الطّيبات ويحرّم الخبائث، ويحقّق للإنسان كرامته ويضع عنه الأغلال الّتي كبّل بها، وأنّ الواجب على من أراد الفلاح أن يؤمن به، وأن يقف بجانبه مؤيّداً ونصيراً، وأن يتّبع النّور الّذي أنزل معه، وإظهاره للنّاس جميعاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم نبيّ كافة النّاس من المسلمين واليهود والنّصارى، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾.[7]

---

[1]. سورة آل عمران الآية 81.

[2]. أبو محمد بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج01، ص 96.

[3]. أبي بكر البقاعي، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج04، ص 118.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج 05، ص 226.

[5]. أبو الليث السّمرقندي، بحر العلوم، ج01، 556.

[6]. أحمد الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1425هـ – 2004م، ج01، ص 113.

[7]. سورة الأعراف الآية 158.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1]

﴿**كَأَنَّهُ ظُلَّة**﴾: هو كلّ ما أظلّك وأشرف عليك من سقف أو سحاب أو غيرهما، فإنّما شبّهه بالظّلة مع أنّه ظلّة، لأنّ الجبل ليس ممّا يكون ظلّة في العادة، فشبّه بالظّلة الّتي اعتادوها كسقف وسحاب، أو المراد الظّلة الّتي هي أشهر وأشدّ اعتيّاداً وهي السّقف المعتمد على نحو جدار فصحّ التّشبيه، فيكون شبّه بظلّة كانت عمداً[2]، على سبيل التّشبيه المرسل معقول بمعقول[3]، والجامع الانتفاع بعلوّ الصّورة،[4] وهذا ما جاء في قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع بني إسرائيل لما أتاهم بالتّوراة وأحكامها فأبو أن يقبلوها لشقّتها وثقلها، فأمر الله تعالى بقلع الجبل من أصله حتّى قام على رؤوسهم[5]، فسجدوا لله تعالى وأيقنوا إخلاص العبودية له وحده دون سواه، وأحكموا ميثاقهم، وعملوا وفق ما جاءت فيها من أحكام وشرائع، دون تغيير أو تحريف،كما في قوله تعالى: ﴿**خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال تخويف اليهود وكيفية الإطاحة بهم، بإظهار العظمة في نزول الآيات والبرهانين عليهم ومعارضتهم لها، وكيف أنّهم انتهوا بالسّجود لله الواحد الأحد[7]، وأنّ مهما أصرّوا واستمرّوا في العناد وإنكار

---

[1]. سورة الأعراف الآية 171.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج5، ص248.

[3]. بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، ج03، ص 368.

[4]. بدر الدين الزركشي، المصدر نفسه، ج03، ص421.

[5]. بدر الدين الزركشي، المصدر نفسه، ج03، ص 425.

[6]. سورة البقرة الآية 63.

[7]. أحمد الرّاغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط01، 1422هـ - 2001م، ج01، ص 101.

الإلوهية، فسيأتي يوم ليس ببعيد يعترفون رغماً عنهم بقوّة الآيات الدّالة والبراهين، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**﴾[1].

في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[2]

﴿**نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ**﴾: ذلك مثل ضربه الله تعالى لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله[3]، وتصوّر هذه الآيات رجلاً أتاه الله العلم بالآيات الموجبة للتّصديق بالحقّ، وأنّ هذه الآيات أحاطت بقلبه ونفسه كما يحيط لإيهاب أي الجلد بالجسم ولكنّه ترك الأخذ بالهدى استجابة لداعي الشّيطان، وصار من الضّالين الّذين أغواهم إبليس اللّعين فكان مثله كمثل الكلب يلهث دائماً، إن ترك يلهث، وإن حمل عليه يلهث، فكلّ كلمة في هذه الآيات تؤدّي معنى لا تعني عنه كلمة أخرى مهما حاول الإنسان، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة[4]، روي عن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله لمن عُرِض عليه الهدى، واستعدّ له فأعرض عنه وأبى أن يقبله، وقيل: المراد به فرعون، والمراد بالآيات الحجج والمعجزات الدّالة على صدق موسى عليه السّلام[5]، وقيل: هو المنافق، وقيل: هذا المثل الّذي ضربتُه لهذا الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثل القوم الّذين كذّبوا بحججنا وأعلامنا وأدلّتنا، فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلِخ من آياتنا الّذي آتيناها إيّاه، في تركه العمل بما آتيناه من ذلك، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المنافقين الّذين عايشوا نزول الوحي، ورأوا بأعينهم المعجزات، وسمعوا بآذانهم النّصائح والعضات،

---

[1]. سورة النّساء الآية 171.

[2]. سورة الأعراف الآية 175.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج5، ص 259.

[4]. علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق، محمد خلف الله، وآخرون، دار المعارف بمصر، ط03، 1976م، ج01، ص 82.

[5]. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1415هـ، ج05، ص 106.

كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ**﴾[1]، لكن أبوْ إلاّ أن ينسلخوا عن واقعهم الّذي أدركته حواسهم ونفرت منه قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾[2]، فنال الشّيطان الرّجيم منهم ليكون أكبر همّهم.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3]

﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ**﴾: شأناً ومنزلةً، أو لرفعنا درجته أو شأنه، أو لرفعناه عن الكفر، وعلى كلّ حال فالرّفع إلى منازل الأبرار من العلماء، ﴿**بِهَا**﴾: بسبب الآيات وعلمه إيّاها، وملازمتها بأن نثبته عليها، والأصل ولو لزم العمل بها لرفعناه بها ولكن بالمشيئة، ﴿**وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ**﴾: ميله إلى الدّنيا أو السّفالة والرّغبة فيها، كأنّه قيل: لكنّه لم يعمل بها ولو أراد لم نشأ، ﴿**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾: في اختيار الدّنيا، وإرضاء قومه أو زوجته على ما مر في بلعام، فأمهله الله تعالى، لكن الله تعالى قادر على أن يتوفاه قبل أن يقع في المعصية، ودفعناه عنها بالآيات[4]، ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾: الصّفة المشبّهة بالمثل هو كلام مشهور يشبه مضربه بمورده موصفة الكلّ الشّبيهة بالمثل المذكور ووجه الشّبه لخسة، فهو كالكلب في أخسّ أحواله، ضلّ قبل أن يؤتى الآيات، وضلّ بعد ما أوتي بها، كما أنّ الكلب يلهث أبداً بالزّجر والطّرد، وذلك لضعف فؤاده وانقطاعه، كما قال ابن عباس، بخلاف سائر الحيوان فإنّما يلهث إذا حمل عليه، واللّهث إدلا ع اللّسان من التّنفّس

[1]. سورة هود الآية 34.

[2]. سورة نوح الآية 07.

[3]. سورة الأعراف الآية 176.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص261.

الشّديد، أو التّنفّس بسرعة، وتحرّك أعضاء الفم معه، وامتداد اللّسان، وأكثر ما يعترى ذلك مع الحرّ والتّعب وشدّة العطش، أو هو في حرصه على المال وأمر الدّنيا، مع أنّ الله قد أعطاه وأغناه عن التّعرّض لهما، وفي ميلها إليها عن الآيات كالكلب في اتّصال لهثه، أو هو حريص عليهما وعظته أو لم تعظه، كالكلب يلهث حملت عليه أو لم تحمل[1]، قيل: إن بلعام عوقب بأنّه كان يلهث كالكلب، وإن قلت: ذكر بعض أنّه شبّه بأخص الحيوان في أخس أحواله، وأخص الحيوان الخنزير؟، قلت: نعم أخصها الخنزير لكن بالشّريعة، وأمّا بالطّبع فأخصّها الكلب[2]، وقيل هو مثل الّذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به[3]، وقيل هو المنافق لا ينيب إلى الحقّ دعي أو لم يدع وعظ أو لم يوعظ كالكلب يلهث طرد أو ترك[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ**﴾[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الأقوام الّذين آتاهم الله تعالى البيّنات ثم لم يعملوا بها، كما قال تعالى: ﴿**سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾[6]، عناداً واستكباراً مع وضوحها، وقد ظلموا أنفسهم دون غيرهم حيث عرضوها للعذاب والعقاب بسبب ما اختاروا من التّكذيب والعصيان، فجمعوا بين التّكذيب بالآيات وظلم أنفسهم بالمعاصي[7]، والتّنبيه على ترك حبّ الدّنيا، لأنّ حبّها يمثّل رأس كلّ خطيئة، كما جاء قول النّبي صلى الله عليه وسلم: "**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ**

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص261.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص261.

[3]. أبو الحجاج مجاهد، تفسير مجاهد، تحقيق، د، محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط01، 1410هـ - 1989م، ج01، ص 347.

[4]. أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق، الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق، الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1422هـ - 2002م، ج04، ص 309.

[5]. سورة الأعراف الآية 193.

[6]. سورة الأعراف الآية 177.

[7]. أبو الحسن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه وقرظه، أ، د، عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1415هـ – 1994م، ج03، ص1550.

الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِه"[1]، وفيه تحذير عالم الدّنيا الّذي يدلع لسانه في تقرير العلم عطشاً إليها وحرصاً[2]، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾.[4]

﴿**إِنَّ كَيْدِي**﴾: أي أخذي، وسمّاه كيداً مع أنّ الكيد الخداع بالأخذ تشبيهاً بالكيد، لأنّ في الظّاهر إحسان وفي الباطن خذلان[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى درجة التّخويف والتّهويل من كيد الله تعالى، من عذاب شديد ومصير وخيم، على من كذّب وتولّ وعصى وتجبّر، كما قال تعالى: ﴿**فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[7]

﴿**مُرْسَاهَا**﴾: أي إرساءها، أو زمان إرسائها، كما تقول: متى يوم الجمعة، والإرساء إثبات الجسم الثّقيل، والرّسوّ ثبوته، واستعمل الإرساء في السّاعة تشبيهاً لها بالجسم الثّقيل[8]، الغرض منه

---

[1]. أحمد البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة النصوص وتخريج الأحاديث، د، عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف على التحقيق وتخريج الأحاديث، مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون، الهند، ط01، 1423هـ – 2003م، باب الزهد وقصر الأمل، رقم الحديث9783، ج12، ص487.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص261.

[3]. سورة الحج الآية 08.

[4]. سورة الأعراف الآية 183.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص272.

[6]. سورة القلم الآية 45.

[7]. سورة الأعراف الآية 187.

[8]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص276.

تبيين الله تعالى أنّ أمر قيّام السّاعة أمر مقضي، ولا يعلم وقتها إلاّ الله تعالى المشرّع والمؤقّت، كما قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾[2]

﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**﴾: فيه تشبيه الشّيء بنفسه، أي يجادلونك في الحقّ الّذي هو إخراجك من بيتك جدالاً مثل جدال إخراجك، أو مثل إخراج ربّك إيّاك من بيتك وهم كارهون، قال عكرمة: أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، كما أخرجك ربّك، أي الطّاعة خير لكم كما كان الإخراج خيراً لكم[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الأنفال استقرّت لله والرّسول صلى الله عليه وسلم وثبتت مع كراهتم ثبات، مثل ثبات إخراج ربّك إيّاك من بيتك وهم كارهون[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[5]، واختصاص الله تعالى نبيّه عليه السّلام بالأنفال، وتفويض أمرها إلى حكمه من حيث الإثابة والجزاء، بإخراجه من بيته مطيعاً لله تعالى، سامعاً لأمره راضيّاً بحكمه، على كراهة المؤمنين لذلك في الطّاعة، فشبّه

[1]. سورة الأحزاب الآية 63.

[2]. سورة الأنفال الآية 05.

[3]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص309.

[4]. أبو البركات النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق وتخريج الأحاديث، يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم، محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت، ط01، 1419هـ - 1998م، ج01، ص631.

[5]. سورة البقرة الآية 216.

الله تعالى ثوابه بهذه المزيّة بطاعته المرضيّة، فكما بلغت طاعته الغاية في نوع الطّاعات، فكذلك بلغت إثابة الله له الغاية في جنس المثوبات.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[2]

﴿**إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾: روي عن قتادة: أنّ ﴿**مُكَاءً**﴾ هو الصّفير، و﴿**تَصْدِيَةً**﴾ هي التّصفيق، فشبّه الله تعالى صوت تصفيقهم أو صيّاحهم بالصّوت الّذي يردّه الجبل ونحوه في عدم النّفع[3]، وشبّههم في ذلك بالطّيور تمكوا وتصدى، وهذا دليل على بطلان صلاتهم تلك[4]، فكانوا كالأنعام الّتي لا تفقه معنى العبادة، ولا تعرف حرمة بيوت الله تعالى[5]، وكانوا أيضاً يطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساءًا وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته يخلطون عليه[6]، وكان سبب نزول الآية ما روى أنّه لما قال النّضر بن الحارث: إنّ هذا إلاّ أساطير الأوّلين، قال النّبي صلى الله عليه وسلم: ويلك إنّه كلام ربّ العالمين، فقال: ﴿**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[7]، وروى أنّ معاويّة قال لرجل من سبأ: ما جهل قومك حين

---

[1]. محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط04، 1418هـ، ج09، ص 173.

[2]. سورة الأنفال الآية 35.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص368.

[4]. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ، ج08، ص322، ص323.

[5]ـ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1417هـ – 1997م، ج01، ص468.

[6]ـ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط02، 1418هـ، ج09، ص311.

[7]. سورة الأنفال الآية 32.

ملّكوا عليهم امرأة!، فقال: بل أجهل من قومي قومك، حين قالوا: الآية[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حكم الصّفير والتّصفيق وهو التّحريم، وبطلان الرّقص في التّعبد[2]، وبيان أنّ هذه الأفعال شيطانيّة يتبعها كلّ مبتعد عن ذكر الله تعالى[3]، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[4]، وعلى ذلك يجب على كلّ مسلم أن يحترم بيوت الله الطّاهرة وأن يقدّسها، ففيها يبجّل اسم الله الأعظم وفيها يتلى أعطر كلام، ومنع المشرك الكافر بالله تعالى من التّقرب من بيوت الله مثل المساجد وبيت الله الحرام[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[7]

﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ**﴾: الدّأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه، والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة المنافقين في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم[8]، أي: دأب هؤلاء الّذين كفروا بك يا محمد، كدأب آل فرعون، ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾: من قبل آل فرعون، كقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب[9]، الغرض منه تبيين الله

---

[1]. محمد محمود الحجازي، التّفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ، ج01، ص825.

[2]. جابر بن أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط05، 1424هـ – 2003م، ج02، ص304.

[3]. مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، التدقيق اللغوي، أحمد راتب حموش، ط01، 1428هـ – 2007م، ج03، ص366.

[4]. سورة الزخرف الآية 36.

[5]. يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج05، ص600.

[6]. سورة التوبة الآية 28.

[7]. سورة الأنفال الآية 52.

[8]. أبو البركات النّسفي، المصدر السابق، ج01، ص 239.

[9]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص398.

تعالى حال من كفر بآياته المقدّسة وجحد بها وأنّ لهم الويل يوم القيّامة بما نفقوا وكذّبوا على غرار من قبلهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**﴾[1]، فساء ما كانوا يعملون.

في قوله تعالى: ﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾[2]

﴿**اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾: استبدلوا بالقرآن عرضاً يسيراً، وهو إتباع الأهواء والشّهوات، شبّه تركهم القرآن الكريم مع تمكّنهم من إتباعه ببيعه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير من استبدل بالآيات القرآنيّة والكونيّة الدّالة على وجود الخالق تعالى وأنّه هو الواحد الأحد الّتي ثمنها الهداية ودخول الجنة، بثمن بخس وهو الضّلال في الصّدود والمعارضة والتّجاهل لكلّ الحوادث والمعجزات، كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾.[4]

وفي قوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾[5]

﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾: ﴿**وَيَشْفِ**﴾: تخلّص البدن من المرض، ﴿**صُدُورَ**﴾: إذهاب حرارة الغيظ الجاثم على الصّدر[6]، شبّه الله تعالى إزالة ما حصل في قلوب المؤمنين من فعل

---

[1]. سورة الأنفال الآية 50.

[2]. سورة التوبة الآية 09 – 10.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص443.

[4]. سورة البقرة الآية 16.

[5]. سورة التّوبة الآية 14.

[6]. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2010م، ج02، ص 1152.

الكفرة بإزالة المرض، والمراد بقوم مؤمنين المؤمنون كلّهم، ولو من لم يصبه الأذى من جهة الكفّار، لأنّ المؤمنين كجسد واحد، يتضرّرون بما أصاب أدناهم فالتّنكير للتّعظيم، أو المراد قوم مخصوصون[1]، كما رويّ عن مجاهد قال: "هم خزاعة حلفاء محمد"[2]، وذلك أنّ قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكراً عليهم[3]، والمعنى: قاتلوهم كما أمرتكم، فإنّكم إن فعلتم ذلك يعذبهم الله بأيديكم ويمكّنكم من رقابهم قتلاً، ومن صدورهم ونحورهم طعناً، ويخزهم بذلّ الأسر والقهر والفقر[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى الغضب الشّديد الّذي أكنّه المسلمين في صدورهم من أجل ربّهم تعالى، وفيه دليل على تثبيت النّبوة، فوعدهم الله تعالى بنصرهم على الأعداء، ونصرة ما أتى به النّبي صلى الله عليه وسلم[5]، وذلك بذهاب غيظهم وانتقامهم، وأنّ الله تعالى رحيم ورحمته شملت من يشاء من عباده، وهو القدير والعالم بمن يتوب منهم، ومن يبقى على ضلالته، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.[6]

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السايق، ج05، ص448.

[2]. أبو الحجاج مجاهد، المصدر السابق، ج01، ص 365.

[3]. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط01، 1420هـ - 2000م، ج11، ص 369.

[4]. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط01، 1365هـ - 1946م، ج10، ص 68.

[5]. أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1408هـ - 1988م، ج02، ص 436.

[6]. سورة التّوبة الآية 15.

في قوله تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]

﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: أي: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كفعل من آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله وفعله هو الإيمان، وقيل: المراد من يستوي بين المؤمن والمشرك[2]، تشبيه مرسل مجمل مركب حسي عقلي، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ كلّ عمل أو فعل يقوم به الإنسان لا بد أن يرتبط بالإيمان بالله تعالى، والإيمان برسله عليهم السّلام جميعاً، وباليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾[3]، ومهما صنع المشرك من جميل وعجيب فلن يقبل منه إلاّ بالايمان والتّوبة.

في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[4]

﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن، والشريعة، والمعجزات، والدّلائل على تنزّهه عن الشّركة وعن الولادة، وقيل: النّبوة، وقيل: القرآن الدّلائل على التّنزّه عمّا ذكر، وقيل: المعجزات والقرآن والشّريعة والوليّ التّعميم، ﴿**بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾: بأن يكذّبوا ذلك، أو بأقوال لا صحّة لها، أو بتحريف الكتاب أو بالإشراك أو شبّه القرآن، وما ذكر معه بنور سدّ الآفاق وانتشر في الدّنيا، وشبّه تكذيبهم وما ذكر معهم بنفخ الفم في ذلك النّور ليزول[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته العظيمة على حفظ دينه المنير المؤيّد بالبراهين الواضحة

---

[1]. سورة التّوبة الآية 19.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص455.

[3]. سورة البقرة الآية 177.

[4]. سورة التوبة الآية 32.

[5]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص 486.

والحجج الدّامغة والدلائل السّاطعة الّتي هي في شدّة بيانها وكمال ظهورها من الأقوال الكاذبة الملفّقة، فينصر الإسلام ويبقى القرآن الكريم على مرّ العصور النّور السّاطع بدون توقف أو انقطاع[1]، كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2]، فقد ذمّ الله تعالى اليهود في قولهم الكذب بأنّ عزير ابن الله، وذمّ النّصارى في قولهم السّوء بأنّ المسيح ابن الله، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[3]، وهم في ذلك مفترون آثمون، فقد أطاعوا بذلك أحبارهم ورهبانهم في قولهم الإثم واستحلالهم الحرام وتحريمهم الحلال، كما في قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾[4]، وما أمروا إلاّ بإفراد الله تعالى في التّعظيم والعبادة والتّشريع، سبحانه وتعالى عمّا يشركون[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[6]، وبيان الله تعالى عظيم قدرته في نشر نوره بالإسلام وإتمامه على الكون كلّه ليصل كلّ معمورة، رغماً عن كراهة الكافرين ونذالة المشركين.

في قوله تعالى: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[7]

---

[1]. عبد القادر آل غازي، بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول)، مطبعة الترقي، دمشق، ط01، 1382هـ - 1965م، ج06، ص 427.

[2]. سورة الصف الآية 08.

[3]. سورة التوبة الآية 30.

[4]. سورة التوبة الآية 30.

[5]. مأمون حموش، المصدر السابق، ج03، ص 461.

[6]. سورة التوبة الآية 30.

[7]. سورة التّوبة الآية 69.

﴿**كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا**﴾: فيه بيان للتّشبيه، والواضح أنّ التّشبيه في الأمر بالمنكر وما بعده، وعلى الأوّل فالمراد التّشبيه في جمع الدّنيا، والإعراض عن الآخرة، فكان هذا بياناً له، وعلى الثّاني فالمراد بيان أنّ من قبلهم كانوا بهذه الصّفة مدّة ولم تدفع عنهم موتاً، بل ماتوا إلى عذاب مقيم فكذلك أنتم[1]، الغرض منه تبيين لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم أنّ الأمم السّابقة والّتي كانت كافرة رغم اتّصافها بالقوّة وكثرة الأولاد والأموال لم تمنع عن نفسها العذاب مثل قوم نوح، كما قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ**﴾ الّذين أصيبوا بالغرق، وقوم هود، كما قال تعالى: ﴿**أَوْ قَوْمَ هُودٍ**﴾ الّذين أصيبوا بالرّيح، وقوم صالح، كما قال تعالى: ﴿**أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ**﴾ الّذين أصيبوا بالصّيحة، وقوم لوط، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ**﴾، الّذين أصيبوا بالأمطار الحجريّة[2]، كما أنّها لم تكتب لنفسها الخلود ولم تملك القوّة السّحريّة بأن تمنع مصيرها وهو الموت المحتوم على كلّ مخلوق، واحذري أيّتها الأمم اللاّحقة بأن تنغمس في شهوات وملذّات الدّنيا وتنسي الآخرة، وإنّما عليك إتباع أوامر الله تعالى وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالمصير ربّما يكون أعظم.[3]

في قوله تعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[4]

﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ**﴾: ﴿**الْخَوَالِفِ**﴾: النّساء، وقيل: مع أدنيّاء النّاس وسفلتهم، يقال: فلان خالفة قومه إذا كان دونهم[5]، ﴿**وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: بالنّفاق[1]، شبّه الله

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج6، ص47.

[2]ـ محمد بن يوسف أَطْفَيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، جامع الكتب الإسلامية، موقع التّفاسير والتّرجمات، https://ketabonline.com، م01، ص1563.

[3]. محمد علي الصّابوني، المصدر السابق، ج01، ص 509.

[4]. سورة التّوبة الآية 87.

[5]ـ حسين بن محمد البغوي، تفسير البغوي، (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1420هـ، ج02، ص 378.

تعالى الكفر الّذي اختاروه بما يختم به الكتاب ويمنع من نشره، لأنّه مانعهم الهدى، كما في قوله تعالى: ﴿**فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾: لا يعلمون ما في الجهاد، وموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من السّعادة والفوز، وما في التّخلّف من الشّقاوة والهلاك[2]، والمعنى: أنّ الله تعالى قد ختم على قلوبهم فلا تقبل جديداً من العلم والموعظة غير ما استقرّ فيها واستحوذ عليها وصار وصفاً لازماً لها، لأنّ النّفاق قد أثّر فيها بحسب سنّة الله تعالى في الارتباط بين العقائد والأعمال، فهم لا يفهمون ما أمروا به، فهم تدبر واعتبار فيعملوا به[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى بأنّ الإيمان الأصحّ هو الجهاد في سبيل الله تعالى وفي دعوة النّاس إلى المحاربة بالنّفس والنّفيس من أجل الإسلام، ومن أجل رسوخ القيّم الإنسانيّة السّاميّة في النّفس والوجدان، أولائك هم المفلحون حقّا في الدّنيا لهم الخيرات الكثير والبركات وفي الآخرة لهم جنّات تجري من تحتها السّيول والأنهار، كما في قوله تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[5].

في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[6]

---

[1]. أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط01، 1415هـ، ج01، ص 476.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص69.

[3]. أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج10، ص 179.

[4]. سورة التوبة الآية 86.

[5]. سورة التوبة الآية 88.

[6]. سورة التوبة الآية 125.

﴿**فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا**﴾: أي كفراً، سمي رجساً تشبيهاً بالأشياء المتّسخة المنتّنة، أو بنفس النّجس أو الوسخ، أو لأنّه يورث الرّجس الّذي هو العذاب[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ القلوب الّتي تحمل الكفر لن يزيدها الله تعالى سوى غمّاً بعد غمٍّ، ولن تموت إلاّ وهي في غمرة الغمم والنّكد، كما قال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[3]

﴿**قَدَمَ صِدْقٍ**﴾: أراد بالقدم الثّواب على أعمالهم تشبيهاً لغوياً بالشّيء ناله الإنسان بالسّعي إليه بقدمه، فسمى باسم آلته[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظمة القرآن الكريم في إظهار الحقّ والصّدق على يد الصّادق الأمين، بشر منهم ومرسل إليهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[5]، مبشّر بالنّعم والخيرات الدّنيويّة والآخرويّة، ومنذّر بالعذاب والعقاب النّاتج عن التّمسك بالعادات المشركة وإنكار للآيات الدّالة، وتكذيب الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام في وجود الإله الواحد سبحانه لا شريك له.

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص126.

[2]. سورة الأعراف الآية 183.

[3]. سورة يونس الآية 02.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، هيميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزراة التراث القومي والثقافة، 1409هـ – 1989م، ج08، القسم الأول، ص13.

[5]. سورة التوبة الآية 128.

في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[1]

﴿**وَالْقَمَرَ نُوراً**﴾: أي ذا نور، أو سماه نوراً مبالغة، والضّياء أقوى من النّور، ولذلك نسب الضّياء للشّمس، والنّور للقمر، وإنّما وصف الله نفسه بالنّور، كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[2]، وهذا من التّشبيه البليغ، لأنّه شبّه هداه الّذي يهتدي به قوم، ويضلّ عنه آخرون بالنّور في اللّيل، ولو شبّهه بالضّياء لكان مقتضاه أن لا يضلّ عنه أحد إذ كان كالشّمس، وقيل: النّور أعمّ، وقيل: الضّياء نفس الشّيء الّذي له شعاع كجرم الشّمس، وجرم النّار، والنّور الشّعاع الواقع بالعَرَض على نحو الأرض والجبل وعلى جرم القمر، فإنّ جرمه لا شعاع له، وإنّما شعاعه واقع عليه من الشّمس، فالآية كالدّليل على أنّ نوره بالعرض لا بالذّات، والحقّ عندي أنّ الشّعاع عَرَض لا جسم[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى من آياته العظيمة خلق القمر وجعله نوراً يضاء به في ظلمة اللّيل، وكلّ ذلك تسخيراً للإنسان حتّى يعيش حياة كلّها نور وضياء، وبدون عياء أو تعب، وبذلك لابد للإنسان أن يشكر ربّه تعالى على تلك النّعمة الدّائمة، كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**﴾.[4]

في قوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[5]

---

[1]. سورة يونس الآية 05.

[2]. سورة النور الآية 35.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 18.

[4]. سورة الفرقان الآية 62.

[5]. سورة يونس الآية 22.

﴿**وَجَرَيْنَ بِهِمْ**﴾: كأنّه قيل: وأجرينهم الفلك، شبّه نقلها إيّاهم من مكان لأخر بالإجراء[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم قدرته في التّهويل والتّخويف وإصابته الكفار والمشركين بالعذاب كتعميم مياه البحار على الفلك وما عليها حتى كاد الغرق ولم يكد باستغفار أهلها وطلب نجاتهم شرط الإخلاص والشّكر، وما إن وصلوا برّ الأمان حتى أشركوا، وويلهم من عذاب البرّ إذ كان أهول وأمَرّ.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]

﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ**﴾: حالها العجيبة في سرعة الذهاب بعد إقبالها، والاغترار بها التي هي كالمثل المضروب، وليس المشبه به مجرد الماء، بل هو وما بعده إلى، ﴿**كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾، فذلك تشبيه تمثيلي، ويقال له مركب[3]، ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**﴾: أي أخذت زينتها من ألوان النبات، وأصناف الثمار، شبّهها بعروس أخذت عطرها وثيابها، واستعملتها للزّينة[4]، ﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾: أي محصودة، والمراد التّشبيه بما حصد بنحو المنجل وذهب به، شبه زوال الدنيا بعد إقبالها بزوال خضرة النبات وذهابه بثماره بعد سكون النفس، إلى أنه قد سلم من الحوائج، ودخل في زوال الدنيا زوال الإنسان عنها بالموت، فإن من مات فقد زالت عنه الدنيا، وقال الشيخ هود: ذلك مثل للبعث،

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص41.

[2]. سورة يونس الآية 24.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 45.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص 46.

ورد على منكره، فكما أنه قادر على إحياء الأرض بالنبات بعد ذهابه، قادر على إحياء الموتى[1]، والجامع الهلاك مع سرعة الانقضاء والزّوال[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى التّذكير في أخذ العبرة من الأقوام السّابقة الّتي أشركت وكفرت بالله تعالى وعاندت رسلها عليهم السّلام، مغترة بقوتّها وزهائها في الدّنيا فلم يبقى لهم أثر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**﴾[3].

في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**﴾[4]

﴿**وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**﴾: شبّه حال الشرّكاء بالنّطق فأسند إليها القول، كما تقول: نطقت الحال بكذا وذلك في الأوثان، وقيل: ينطقها الله لهم بذلك ليشتدّ خزيهم لأنّهم يرجون شفاعتها، ويلقيهم الله تعالى مع الأوثان في النّار يعذبون بها أبدا ولا تتألم الأوثان[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الميئوسة لعبدة الأصنام والأوثان، كما يؤيّد على أنّ الشّركاء في ذلك هي الأوثان، كما قال تعالى: ﴿**فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**﴾[6]، لأنّها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل فهي أولى وأنسب بالغفلة[7]، وكون هذه المعبودات من الجماد ومصنوعة من الحجر أو الطّين أو الخشب وغيرها،[8] فإذا لم تكن تنطق في الدّنيا فالله تعالى قادر

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص 47، ص 48.

[2]. بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، ج03، ص421.

[3]. سورة مريم الآية 98.

[4]. سورة يونس الآية 28.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 56، ص 57.

[6]. سورة يونس الآية 29.

[7]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص57.

[8]. عبد القادر آل غازي، المصدر السابق، ج 03، ص 32.

على أن ينطقها بالحقّ في الآخرة يوم الحشر والنّشر الموعود، كما لم يكن للأيدي، والأرجل، والجوارح أن تنطق في الدّنيا، فالله تعالى بقدرته العليّة جاعل تلك الجوارح تنطق بالحقّ على أصحابها، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**﴾[2]

﴿**وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ**﴾: أي: لا يعقلون الآية فيهتدون بها وذلك بمنزلة لا يعقلون، شبّههم بمن هو أصمّ وأعمى، والحال أيضاً أنّه لا عقل لهم، فإنّ الأصمّ العاقل قد يتفرّس بما رأى بعينه، أو بدوى صوت ما إذا وقع في صماخه، والأعمى العاقل ينتفع بما يسمع[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال القوم الّذين شهدوا وعهدوا رسلاً عدّة وفي وقت واحد، لكن رغم ذلك عمت بصيرتهم، وصمّت أذانهم تكبّراً وتجبّراً وعناداً، على أن لا يتركوا آلهة أبائهم وأجدادهم، الميراث الوحيد الّذي ورثوه، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾[4]، وكيف لله أن يهدي قوماً لم يهيّئوا لأنفسهم مجالاً للرّضا بوجود إله واحد، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[5]، وبأنّ الرّسل والأنبياء عليهم السّلام جميعهم سخّرهم الله تعالى لهداية النّاس وإخراجهم من الضّلال إلى النّور، وكونهم بشر مثلنا، فمن يكون مثلك يفهمك، وإيصال الرّسالة

[1]. سورة فصلت الآية 20 – 21.

[2]. سورة يونس الآية 43.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص70.

[4]. سورة نوح الآية 07.

[5]. سورة الرعد الآية 11.

المقدّسة على الطّريقة البشريّة يكون له وقع في النّفس وصداً خاص، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[2]

﴿**لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾: من شكوك والعقائد الفاسدة، والجهات لا مهلكة، تشبيه ذلك بالمرض، وخص الصدر للذِّكر، لأنّه موضع القلب، الّذي هو أفضل عضو، والموعظة والشّفاء عامّان، بمعنى أنّه في نفس شفاء، ولو لم يستشف به الكافر[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى قداسيّة القرآن الكريم العظيمة من السّوّر والآيات الّتي تشرح الصّدور وتنير القلوب، فيتّزن العقل ويتّضح الطّريق، طريق الهدى والاستقامة، طريق الرحمة والاستعانة، كما قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[5]

﴿**وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ**﴾: العذاب أو الخذلان، فسمّاه باسم العذاب وهو لفظ الرّجس لأنّه سببه، أو شبّه الخذلان بما هو خبيث منتن فسمّاه باسمه وهو لفظ الرّجس، وقيل: الرّجس العذاب والخذلان، وعن ابن عباس السّخط[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ إيمان النّفس وكفرها لا يكون

---

[1]. سورة هود الآية 119.

[2]. سورة يونس الآية 57.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 83.

[4]. سورة الإسراء الآية 82.

[5]. سورة يونس الآية 100.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص137.

إلاّ بمشيئته وقدرته، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وعلى النّفس أن تجاهد وتصبر على دينها مع مواكبة التّطورات المعاصرة، وأمّا الذين ينزّلون رغم وجود الآيات الرّبّانيّة المحيطة بهم، ومجيء الرّسل والأنبياء عليهم السّلام منهم وإليهم، فعليهم رجس وخزي عظيم، كما قال تعالى: ﴿**فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]

﴿**نُنْجِ**﴾: المشبّه تنجيّة المؤمنين، والمشبّه به تنجيّة الرّسل عليهم السّلام، أي: ننجّي محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من الهلاك ونهلك المشركين[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى صدق وعده في نجاة الرّسل عليهم السّلام ونجاة أتباعه من المؤمنين المخلصين في الدّنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ**﴾[5]، وهذا ما جرى مع النّبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار رضوان الله عليهم في جميع الغزوات، سواء كانوا من المهزومين أو من المنصورين، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾.[6]

---

[1]. سورة الأنعام الآية 125.

[2]. سورة النحل الآية 94.

[3]. سورة يونس الآية 103.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص139، ص140.

[5]. سورة مريم الآية 72.

[6]. سورة التوبة الآية 25.

في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[1]

﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ**﴾: فريق الكفر وفريق الإيمان، شبّه فريق الكفر بإنسان جمع بين العمى والصم وهو عدم سماع شيء أصلا، أو شبه فريق الكفر بإنسان أعمى وبآخر أصم، والتّشبيه على الوجهين من طريق العرب في المركب الوهمي بأن يمثل حال فريق الكفر لتعاميه عن الآيات، وتصامه عن استماعها وامتناعه عن تدبرها بحال الأعمى والأصم، أو بحال الأعمى وحال الأصم أو المركب العقلي الأعمى، ﴿**وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ**﴾: راجع لفريق الإيمان شبّهه بإنسان جامع بين البصر والسّمع أو بإنسان سميع وبآخر بصير على حد ما مرّ، والتّشبيه من المركّب الوهمي أو العقلي كما مر، أعني على طريق العرب في ذلك تعالى الله عن الوهم، وعن الاتصاف بالعقل أو عدمه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى إقراره وإخباره أمر استحالة التّساوي[3]، وبيان الوعد الّذي عهده على المؤمن الصّالح بدخول الجنّة الّتي يتوعّد، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[4]، وإظهار الوعيد على الكفّار والمنافقين الّذين رفضوا الانصيّاع لكلام الله تعالى وأبوْ السّجود له، بدخول جهنّم، وساء ما يوعدون، كما في قوله تعالى: ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾.[5]

[1]. سورة هود الآية 24.

[2]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1500.

[3]. معمر أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق، محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ، ج01، ص 287.

[4]. سورة فصلت الآية 30.

[5]. سورة يس الآية 63.

في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1]

﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: شبّه الله تعالى دينه بإنسان يمشي على طريق موصل إلى المطلوب وقيل: إن ربي يحملكم على صراط مستقيم، أي يدلكم عليه، وهو خير لكم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ دينه الّذي نزل متسلسلاً وعلى أحقاب، ووحياً على أنبيائه ورسله عليهم السّلام، إنّما هو دين يدعوا إلى الاستقامة الرّوحيّة في عبادة إله واحد، والثّبات في الإخلاص له مهما مرّت الأزمنة وانقطع الوحي، وانتهى جيل المرسلين عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾[4]

﴿**أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾: شبّه الله تعالى هلاك قوم شعيب بهلاك ثمود، لأنّهما هلكا بالصّيحة[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ عقابه ليس محصور على فئة معينة من الزّمن، وإنّما اختصّ بكلّ من استحقّ العقاب، ونزول العذاب عليهم بنفس المقدار والكيفيّة، كأمر مدين وثمود

[1]. سورة هود الآية 56.

[2]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1532.

[3]. سورة الأنبياء الآية 92.

[4]. سورة هود الآية 95.

[5]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1569.

[6]. سورة هود الآية 94.

الّذين هلكوا بالصّيحة، وفي ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر، وينذر، ويحذر، كما قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾[2]

﴿**فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**﴾: سماه مورداً لهم أي: مدخلاً إيّاهم في النّار، ويجوز أن ينزل النّار لهم منزلة الماء، فسمى إتيانها وروداً وإتيانها وارداً، والمتقدّم مورود بضم الميم، وشبّهه بالّذي يتقدّم النّاس إلى الماء ليهيّئه لهم، فهو مورود لهم، وهم بعده واردون[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ عذابه لا يضاهيه عذاب في جعل نار الجحيم لمن يستحقّها، ومنزلة ومكانة جعلت فقط للقوم الظّالمين والمستهزئين، والكفّار المشركين، كما قال تعالى: ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾[5]

﴿**بِئْسَ الرِّفْدُ**﴾: أي: رفدهم أو للّعنة، شبّه الله تعالى اللّعنة المسندة إليها لعنة أخرى بالعطاء المسند إليه عطاء آخر[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه لا يوجد عقاب أشدّ من لعنة على القوم الكافرين، تخزيهم في الدّنيا بإنزال الغضب الشّديد بدل الرّحمة وما ينتظرهم من يوم الآخرة

[1]. سورة الذاريات الآية 55.

[2]. سورة هود الآية 98.

[3]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1572.

[4]. سورة الملك الآية 06.

[5]. سورة هود الآية 99.

[6]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1573.

ألعن وأعظم وأخزى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾[2]

﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾: روي في قول مقاتل، والضّحّاك، وقتادة، الزّفير أوّل صوت الحمار، والشّهيق آخره إذا ردّه في جوفه، وذلك لشّدة كربهم لاستيلاء الحرارة على قلوبهم، وانحصار الرّيح فيها، وفي التّعبير بالشّهيق والزّفير تشبيه بأصوات الحمير[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظمة جهنّم وشديد الألم الّذي تحيطه بأصحابها من الكفّار والعاصين والمشركين بالله تعالى، فيصيبهم الاختناق والصّعوبة في التّنفّس من جرّاء الحرارة والانحباس الهوائي، فيصيرون بين حالتي الزّفير والشّهيق، كما قال تعالى: ﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ**﴾[4]

في قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[5]

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾: هو تشبيه ما لا يعرف بما يعرف، إذ شبّهت تلك الدّار بهذه، أو ثبتت لها ما لهذه من سماء وأرض، ووجه الشّبه أنّهما جسمان، وليس في ذلك حكم بدوام هذه، فضلاً عن أن يقال: إثبات الدّوام للمشبّه به مبني على عرف المشركين من العرب وعادتهم، ونحوهم ممن يعتقد دوامها[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال كلّ من الكافر

---

[1]. سورة القصص الآية 42.

[2]. سورة هود الآية 106.

[3]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1580.

[4]. سورة الأنبياء الآية 100.

[5]. سورة هود الآية 107.

[6]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1581.

الّذي يدخل النّار، والمؤمن الّذي يدخل الجنّة، وتحديد مصيرهما بالخلود ما دامت السّموات والأرض على الوجود، إلاّ إذا أراد الله تعالى مشيئة أخرى بتغيير ذلك، فله القرار سبحانه وتعالى وإليه المصير، كما قال تعالى: ﴿**النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾[2]

﴿**ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾: أنصار يمنعونكم من النّار، أي: لا ينصركم الله إذ قضى بتعذيبكم، شبّه امتناعه بشيء بعيد لا يتوصّل إليه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه العظيم في التوّكّل والاستناد، وأنّ قوّة الشّرّ لن تدوم في البلاد، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ**﴾[4]، وأنّ الله تعالى ينصر منهم أولياءه ويجنّبهم النّار ويدخلهم الجنّة، ألا أنّ أولياؤه هم المتّقون المحبّون للخير، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[6]

﴿**ويُعلِّمكَ**﴾: مستأنف غير باق في حين التّشبيه، كأنّه قيل: وهو يعلّمك كذا، قالوا قلت: يجوز كونه في حيرة فيعطف على يجتبيك، فيكون المعنى يجتبيك للأمور العظام، أو للنّبوّة والملك وللتّعليم لك، كما اجتباك لمثل هذه الرّؤيا، أو كما اجتباك لهذه الرؤيا يجتبيك لما ذكر،

---

[1]. سورة الأنعام الآية 125.

[2]. سورة هود الآية 113.

[3]. محمد بن يوسف أطفيش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1587.

[4]. سورة آل عمران الآية 196.

[5]. سورة الأنفال الآية 34.

[6]. سورة يوسف الآية 06.

ولتعليم تأويل الرؤى جمع رأى كهدى[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي**﴾[2]، الغرض منه بيان الله تعالى تفضيله للأنبياء عليهم السّلام لما يحملونه من رسائل ربّانية ثقيلة عليهم، وذات مسؤوليّة عظيمة، وفيه إظهار لحال سيّدنا يوسف عليه السّلام وما كان يعانيه من حسد إخوته له فأراد الله تعالى أن يواسيه ويرأف بحاله ويعلّمه الصّبر على الشّدائد بالرّؤية الّتي رآها في منامه من سجود الكواكب والشّمس له، كما قال تعالى: ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[3]، فكانت الرّؤية دليل وعلم على صورة حياته بكاملها من ضعف وفقر إلى قوّة وملك، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾[4]، بحيث وهبه معجزة تفسير الرّؤى والأحلام وإنّها لحكمة حيث فسّر لرجلين ما رؤى، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾[5]، فكان له من معرفة الأمور العظام ما لا يقدر لأحد من البشر كونه نبيّ وكلامه من وحيه تعالى سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾[6].

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[7]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص140.

[2]. سورة يوسف الآية 37.

[3]. سورة يوسف الآية 04.

[4]. سورة يوسف الآية 100.

[5]. سورة يوسف الآية 41.

[6]. سورة النساء الآية 113.

[7]. سورة يوسف الآية 18.

﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾: والدّم لا يكون كذبا وذلك من الاستعارات الرائعة[1]، قال ابن جنّي أصله البياض الخارج على أظفار الصّغار، شبّه به الدّم اللاّصق على القميص[2]، وفي رواية أنّهم لم يجيئوا أوّلاً بقميصه إليه بل أمسكوه عندهم حتّى، قال: ما علامة ذلك؟!، فأخرجوه إليه، وقيل: لما قالوا له: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[3]، قال لهم: أروني قميصه، فأروه إيّاه فقال: والله الّذي لا إله إلاّ هو ما رأيت ذئباً أحلم من هذا لم يخرّق له قميصاً، ولم يشقّ له جيباً، وصاح صيحة وخرّ مغشيّاً عليه، فلم يفق إلاّ بعد ساعّة طويلة، فلمّا فاق بكى بكاءً شديداً، وأخذ القميص يشمّه ويضعه على وجهه وعينيه[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه يجب على كلّ مؤمن يعلم أنّ الله تعالى مصدر كلّ خير، وهو أولى بعرفان الجميل، وهو الّذي يعين على الصّبر، ويثيب عليه ويكون صبراً جميلاً، وهذا ما حدث مع سيّدنا يعقوب عليه السّلام في الصّبر الجميل مخاطباً أولاده الّذين سولت لهم أنفسهم إلقاء يوسف عليه السّلام في غيابات الجبّ[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾، فعلى كلّ شخص يمرّ بأوقات عصيبة ما عليه سوى بالصّبر والصّلاة، فالصّلاة تنير طريق المؤمنين والصّبر مفتاح الحلول والأفراح، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[6]

---

[1]- إبراهيم العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط01، 1423هـ، ج02، ص164.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص157.

[3]. سورة يوسف الآية 17.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص157.

[5]- حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، وزارة الثقافة بدار الكتاب، 2009م، ج01، ص 566.

[6]. سورة البقرة الآية 153.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]

﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾: الشّغاف بمعنى غلاف القلب، وهو وصول الحبّ إلى شغاف قلبها[2]، قال عكرمة، ومجاهد: دخل حبّه شغاف قلبها، وقال الحسن: لوصل الحبّ شغاف قلبها لماتت، ولكن الشّغاف الجلدة اللاّصقة بالكبد وهي جلدة بيضاء، لصق حبّه بلقبها التصاق الجلدة بالكبد، ويناسبه ما روى عن الضّحّاك: إنّ المعنى هلكت عليه حبّاً، بأن يريد أنّه شبّه شدّة حبّها بوصول الحبّ الشّغاف إلى التّأدية إلى الموت، وقيل: المعنى خالط جميع بدنها ظاهراً وباطناً لحمها وعرقها وعظمها، وقيل: الشّغاف الدّماغ، وقيل وسط القلب، وقيل: مكان الرّوح، وقرئ بالعين المهملة من شغف البعير إذا طلاه بالقطران فأحرقه بالقطران[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى التّعلّق الشّديد للسّيدة زليخة بحبّ سيّدنا يوسف عليه السّلام كمن يصل به شدّة الموت، كون من طبيعة النّفس البشريّة أن تميل إلى ما هو أجمل وأبهى، يريح القلب ويقرّ العين، وحتى إذا رأت أجمل من الأخر نسيت السّابق، وإنّ الله جميل يحبّ الجمال، وكون سيّدنا يوسف عليه السّلام أتاه الله تعالى نصف جمال البشريّة جمعاء كما جمع قلبه صفاء القلوب جميعاً، رقّة، وطاعة، واحترام، وإخلاص، ولم يضاهيه أحد في تلك المعجزة الرّبّانيّة سوى الرّسل والأنبيّاء عليهم السّلام.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[4]

---

[1]. سورة يوسف الآية 30.

[2]ـ أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج03، ص195.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص188.

[4]. سورة يوسف الآية 108.

﴿**قُلْ**﴾: يا محمد ﴿**هَذِهِ**﴾: أي هذه السّبيل الّتي هي ملّة الإسلام، أو هذه الشّريعة ﴿**سَبِيلِي**﴾، والسّبيل يؤنّث، شبّه الإسلام بطريق يمشي فيه ويوصل إلى المقصود، لأنّه يوصف إلى رضا الله تعالى وثوابه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[1]، الغرض منه تنزيه وتعظيم الله تعالى الطّريق إلى الدّعوى بيقين وتصديق لله تعالى في توحيده وعدم الإشراك به جلاّ وعلى[2]، كما قال تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[4]

﴿**كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾: التّشبيه: فإنّ وجه الشّبه الرّسوخ، وأنّ النّخلة شبيهة بالإنسان من حيث أنّها خلقت من فضلة طينة آدم، وأنّها تموت بقطع رأسها بخلاف سائر الشّجر، وإنّها لا تحمل حتى تلقّح بطلع الذّكر، وإنّ الكلمة الطّيبة ترفع عمل المؤمن إلى السّماء وترفع في نفسها أيضاً، كما أنّ فرع النّخلة مرتفع في جهة السّماء[5]، جاء في رواية عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هِيَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، أَصْلُها ثابِتٌ فِي الْأَرْضِ، وَفَرْعُها أَعْلَاهَا فِي السَّماءِ، كَذَلِكَ أَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ رَاسِخٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالتَّصْدِيقِ فَإِذَا**

---

[1]. سورة الممتحنة الآية 01.

[2]. ابن جرير الطبري، المصدر السابق، ج16، ص 291.

[3]. سورة آل عمران الآية 195.

[4]. سورة إبراهيم الآية 24 – 25.

[5]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص421.

تَكَلَّمَ بِهَا عَرَجَتْ فَلَا تُحْجَبُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[1]، كما قال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[2]، الغرض منه تبيين أنّ الإنسان المؤمن يجب عليه أن يحصل على الكثير من الثّمار في الدّنيا بأن يختار لكلامه كلمة طيّبة يتفوّه بها مع النّاس بحيث تنبع من قلبه المؤمن، يكون فحواها إرشاد النّاس لما فيه الخير والصّلاح لهم، والعمل الصّالح في تقديم الموعظة والنّصح، ودعوتهم إلى حسن عبادة الله تعالى من تجنّب المعاصي والنّهي عن المنكر، وإتباع النّبي صلى الله عليه وسلم في سنّته المجيدة بحيث تكون كلّ كلمة راقيّة ترفع بصاحبها إلى الجنّة الخالدة، وكلّ عمل صالح يقيه من النّار الحارقة، كما في قوله تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[3]، كما يقابله الإنسان المنافق الخبيث له من النّصيب شجرة زقوم خبيثة أصلها في الجحيم، ومنها يأكلون ومنها يشربون الحميم، كما في قوله تعالى: ﴿**أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾[5]

﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**﴾: المشركون الّذين يدعون الأصنام من دون الله تعالى، ﴿**لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ**﴾: لا تستجيب هذه الأصنام من طلبهم شيئا، ﴿**إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ**﴾: "**إِلَّا كَبَاسِطِ**" الاستجابة تكون كاستجابة باسط "**كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ**" والمعنى لكنّهم كباسط كفيه إلى الماء "**لِيَبْلُغَ فَاهُ**" ليصل الماء إلى فمه، ﴿**وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**﴾: لا يظفر فمه

[1]. حسين بن محمد البغوي، تفسير البغوي، المصدر السابق، ج03، ص37.

[2]. سورة فاطر الآية 10.

[3]. سورة الأنفال الآية 37.

[4]. سورة الصافات الآية 62- 63.

[5]. سورة الرعد الآية 14.

الماء، لأنّه لا يشعر بإشارته وطلبه، ولا يقدر على إجابته ولا طاقة له، فيموت عطشاً، تشبيه تمثيلي، فشبه الله تعالى الّذي لا يظفر على الماء بداعي الصّنم لا يتّصل بالنّجاة من عذاب الدّارين بصنمه، ويصحّ أن يكون من أراد أن يغرف الماء للشّرب فيبسط كفيه ويدخلهما في الماء، أو صبّ في كفّيه مبسوطتين، فكما أنّ هذا لا يبقى في كفّيه ما يزيل به العطش من الماء، كذلك طالب الصّنم لا يتّصل من طلبه على شيء من دنيا أو أخرى[1]، وفي ذلك بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة، والحسرة بما يفوت من درك الطّلبة، وفي ذلك الزّجر عن الدّعاء إلاّ لله عزّ وجلّ الّذي يملك النّفع والضّرّ، ولا يضيع عنده مثقال ذرّة[2]، الغرض منه إظهار للبشرية أنّه ليس من يلي أمورها من غير الله تعالى الّذي يجلب لهم النّفع ويدفع عنهم الضّر، فأمّا الآلهة المزعومة من أصنام وأوثان ونحوها فلا تستطيع أن تفعل شيئا حتّى لنفسها[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً، وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[4]، فعليك يا أمّة محمد صلى الله عليه وسلم التّقوى في الطّاعة والإخلاص لله تعالى الواحد الأحد.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[5]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج 06، ص 352.

[2]. علي بن عيسى الرماني، المصدر السابق، ج01، ص 83.

[3]. وهبة الزحيلي، المصدر السابق، ج03، ص 128.

[4]. سورة الحج الآية 73.

[5]. سورة الرعد الآية 16.

﴿**هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾: شبّه المشرك بالأعمى في كونه لا يهتدي إلى مصالحه، ولا يستطيع التّحرّز عن المهالك، والموحّد بالبصير المهتدي لذلك المتحرّز عما يهلكه، ويجوز أن يراد بالأعمى الصّنم، فإنّه لا يهتدي لذلك ولا يتحرّز عما يهلكه، ولا يرى ولا يسمع ولا يعلم شيئاً من عبادتهم إيّاه ولا غيرها، ولا يحيي ولا يرزق، ولا يعاقب ولا يثيب، ولا يخلق، وبالبصير الله، فإنّه الغنيّ عن سواه، المحتاج إليه من عداه، الخالق الرّازق، المعاقب المثيب، العالم بالأقوال والأفعال والأحوال، ﴿**هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ**﴾: شبّه الشّرك بالظّلمة في عدم الاهتداء عن الهلاك إلى المصالح، والإيمان بالنّور في الاهتداء عنه إليها، ويجوز أن يراد بالأعمى والبصير من لا عين له باصرة، ومن هو باصر، فإنّهما لا يستويان، فكذلك لا يستوي المشرك والموحّد، وبالظّلمات والنّور ظاهرهما أيضا، فإنّهما لا يستويان، فكذلك لا يستوي الشّرك والإيمان[1]، الغرض منه عدم تسوية الخالق بالمخلوق وهو الصّنم، وكيف تتساوى ظلمات الأوثان والبدع والخرافات مع النّور الرّبّاني الّذي يتجلّى كيانه في الآيات القرآنيّة والآيات الكونيّة، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ**﴾[2]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[3]

﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ**﴾: يؤمن به ويعمل به مثل، ﴿**كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾: عمى القلب لا يعلم أنّ ذلك هو الحقّ ولا يعمل به، ولا يستبصر، ليسا سواء، وقيل: نزلت في حمزة عم النّبي صلى الله عليه وسلم، وأبي جهل، وهو مشهور، قال به ابن عباس: وقيل: عمى عمار بن ياسر وأبي جهل فمن يعلم هو حمزة أو عمار، ومن هو أعمى أبو جهل على

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص355.

[2]. سورة الشعراء الآية 218.

[3]. سورة الرّعد الآية 19.

القولين[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكافر الّذي يجحد بالآيات والدّلائل الرّبّانيّة، فهو أعمى عن رؤية النّور وإن صحّت سريرته، وأمّا من صدّق بالآيات وتفكّر في المعجزات، فهم أصحاب العقول العاملون على مقتضى عقولهم[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾[4]

﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءُ**﴾: خلاء وهو الفسحة الّتي بين السّماء والأرض لم يشغلها جسم وإنّما أخبر به لتضمّنه معنى الخالي كأنّه قيل أفئدتهم خاليّة عن الفهم كما هو شأن المتحيّر الدّهش، قال ابن جريج أفئدتهم خاليّة من الخير والحق، وقال ابن عبيدة خاليّة من العقل، وقال قتادة: مواضع أفئدتهم خاليّة بانتقال الأفئدة عنها إلى حناجرهم لا تخرج ولا تعود إلى مواضعها، وقال سعيد بن جبير: أفئدتهم ذات هواء بمعنى أنّها متردّدة تهوى في أجوالهم ليس لها مكان تستقرّ فيه ويحتمل أن يكون شبّه الأفئدة بالهواء الّذي هو الرّيح في شدّة الاضطراب لشدّة الهول[5]، الغرض منه بيان الله تعالى مصير الظّالمين وأن لا استعجال في تعذيبهم، وإنّما يؤخّر عقابهم وإنزال العذاب بهم إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة[6]، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾.[7]

في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ**﴾[8]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص361.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص361.

[3]. سورة الزمر الآية 09.

[4]. سورة إبراهيم الآية 43.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06 ص 451.

[6]. ابن جرير الطبري، المصدر السابق، ج17، ص 29.

[7]. سورة إبراهيم الآية 42.

[8]. سورة الحجر الآية 20.

﴿**مَعَايِشَ**﴾: ذلك تشبيه بما مدّته زائدة كصحيفة والمعيشة ما لا بد للإنسان به في حياته من طعام وشراب ولباس ونحو ذلك، هو حاصل من الأرض والجبال كالثّمار والنّبات والماء والذّهب والفضّة، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين، يعني: البهائم الّتي تؤكل لحمها ويعاش منها، ويعني: ما ينتفع به من البهائم مما لا يؤكل لحمها[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى النّعم الّتي فضّلها على بني آدم في سائر الأرض رفقاً به وتنعّماً عليه ليعيش حياة كريمة ميسّرة[2]، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[4]

﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾: الموجود في القرآن جمع الرّيح حيث الرّحمة وإفرادها حيث العذاب، شبّه الرّيح الّتي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بنحو النّاقة الحامل، كما شبّه ما ليس كذلك بالعقيم، وفي كلام الزّجاج إشارة لذلك، ويدلّ له قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا**﴾[5] أي: حملت، وعن ابن عمر: الرّياح ثمان أربع رحمة: المرسلات والمبشّرات والنّاشرات والذّاريّات، وأربع عذاب الصّرصر والعقيم والعاصف والدّبور[6]، وكان صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الرّيح قال: "**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ،**

---

[1] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص484.

[2]. محمد القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية (في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه)، تحقيق، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ، د، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط01، 1429هـ - 2008م، ج06، ص 3876.

[3]. سورة الأعراف الآية 10.

[4]. سورة الحجر الآية 22.

[5]. سورة الأعراف الآية 57.

[6]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06 ص486.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ"[1]، الغرض منه تذكير الله تعالى بني آدم على جميع النّعم والّتي مصدرها الماء الّذي ينزل من السّماء بتجمّع الرّيّاح والسّحب، ومن قدرته عزّ وجلّ إبقاء الماء في الآبار والعيون والوديان لتنعم به جميع الكائنات الحيّة، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ**﴾: غفلتهم أو حيرتهم أو ضلالتهم أو غوايتهم، أو نحو ذلك، أو شدّة غمّتهم، شبّه ذلك بالسّكر بنحو الخمر بجامع زوال التّمييز بعقولهم بين الخطأ الّذي هم فيه والصّواب الّذي يشار به إليهم، ﴿**يَعْمَهُونَ**﴾ يتردّدون، شبّه تقلّبهم في أفعالهم بتقلّب السّكران في سكرته[4]، الغرض منه بيان حال المشركين وهم في الضّلالة كحال السّكران بحيث لا يميزون الحقّ من الباطل، ولا النّافع من الضّار، فهم في العذاب مثل حال السكران، كما قال تعالى: ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[6]

﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ**﴾: لم يقل أفمن يخلق كمن لا يخلق مع أنّ القاعدة في الكلام العربيّ (تشبيه النّاقص بالكامل) لأنّ المعنى كيف تنقصون حقّ الخالق وتسوونه بغير الخالق هذا ما ظهر لي[7]،

---

[1]ـ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، رقم الحديث 899، ج02، ص616.

[2]. سورة الروم الآية 48.

[3]. سورة الحجر الآية 72.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص30.

[5]. سورة الحج الآية 02.

[6]. سورة النحل الآية 17.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص77.

وقال القاضي للتّنبيه على أنّهم بالإشراك بالله تعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها، ويجوز أن يكون (**مَنْ**) للعقلاء المعبودين إلزاماً لحجّة على طريق المبالغة كأنّه قيل ليس العالم الخالق كالعالم الّذي لا يخلق، فكيف يكون كمن لا يعلم ولا يخلق[1]، الغرض منه ذمّ فعل تسويّة الخالق مع مخلوقاته في إظهار عجزهم وضعفهم النّاتج عما يعبدون من لا حول له ولا قوّة له، وتبيين لعظم القدرة الإلهيّة الّتي لا مثيل لها، كما في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[3]

﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى**﴾: أي أخبر بولادتها وأصل التّبشير الإخبار بما يسر واستعمل هنا في مطلق الإخبار استعمالاً للمقيّد في المطلق واستعمل الشّيء في ضدّه فبشّر بمعنى أنذر وذلك تشبيه واستعارة بأن شبّه الإخبار بالأمر الّذي يسرّ بالإخبار بالأمر الّذي يحزن بجامع أن كلا يؤثّر في القلب والوجه فالإخبار بما يسرّ بحدث فرحاً في القلب والوجه والإخبار بما يحزن عكسه، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ خلقه للأنثى مثل خلقه للذّكر وأنّهم سواء مهما تغيّرت الشّكليات، فهم مخلقين لعبادة الواحد الأحد ولا تفرّقهم سوى تقوى القلوب[4]، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾[6]

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص77.

[2]. سورة الشورى الآية 11.

[3]. سورة النحل الآية 58.

[4]- أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط03، 1407هـ، ج02، ص612.

[5]. سورة الليل الآية 03 – 04 – 05.

[6]. سورة النحل الآية 68.

﴿**أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾: ليس ما تبنيه لتتعسل فيه، أو لتسكن فيه بيتاً حقيقيّاً بل سماه بيتاً تشبيهاً للبيت الّذي يبنيه الإنسان في الشّكل، وحسن الصّنعة، وصحّة القسمة، قيل تبني البيت على شكل مسدّس من أضلاعه متساويّة لا يزيد بعضها على بعض لمجرّد طباعها ولو كان مدوّراً أو مثلّثاً، أو مربّعاً، أو غير ذلك[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرات المخلوق العظيمة رغم صغر حجمه وضعف قوّته، إلاّ أنّه بخفّة سرعته وإتقانه في العمل واتخاذه الزّهور والورود غذاءً، ومما يعرش الإنسان من الأشجار المثمرة ذات الزّهور المبهجة، يأخذ رحيقاً فيعطي عسل مصفّى شفاء ودواء، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ**﴾: لا تجعلوا لله أمثالاً فإنّه لا يشبهه شيء كيف تُشَبّهون ما لا يقدر على شيء بمن يقدر على كلّ شيء، من خلق ورزق وإحياء وإماتة وغير ذلك وكيف تشركون به ما لا يقدر على شيء وكيف تقيسونه عليه، وضرب المثل تشبيه حال بحال، وهو مأخوذ من قولك: هذا ضرب هذا أي مثله، والضّرب النّوع[4]، الغرض منه إظهار الوعيد الّذي ينتظر الكفرة الفجرة الّذين زعموا أنّ لله مثلاً وشبيه،كما جاء على لسان اليهود والنّصارى[5]، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ**

---

[1] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص 129.

[2]. سورة النحل الآية 68.

[3] . سورة النّحل الآية 74.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 138.

[5]. محمد سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة، القاهرة، ط01، يناير1997م، ج02، ص 126.

بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1]، وعلى الّذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[2]، وأنّ هذه الشّبه ليس لها نصيب من الصّحة، وأنّ الله تعالى الواحد الأحد خالق كلّ شيء من العدم وأنّ لو كان للكون آلهة عدّة لا اختلفتا، كما في قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[4]، لا شريك له سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[5]

﴿**تَتَّخِذُونَ أَيْمَانُكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ**﴾: دخلاً: فساداً وهو الخيّانة والخديعة بنقض العهد واليمين، وأصل الدّخل ما يدخل في الشّيء وليس منه، أريد به هنا ما يدخل العهد واليمين على سبيل الإفساد، وقيل هو إظهار الوفاء وإبطال النّقض، ولا يصحّ في تفسير الآية به إلاّ على الزّيادة على التّشبيه، فإنّ تلك المرأة لا تبطن في حال الاشتغال بالغزل أن تنقضه، بل يبدو لها إلاّ أن ينزل ما يبدو لها من النّقض منزلة نقض أبطنته من حيث أنّ مآلها النّقض، أو أريد الإبطان الحادث المتّصل بالنّقض، أو كانت تبطن ذلك من أوّل الأمر[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى الّذين يبطلون عهودهم ويتراجعون عنها بالمرأة الّتي كانت تغزل الصّوف بقوّة وإحكام ثمّ تفسده، ومنه تحذير المسلمين من غدر المشركين لهم، كما في قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى**

[1]. سورة التوبة الآية 30.

[2]. سورة المائدة الآية 73.

[3]. سورة الأنبياء الآية 22.

[4]. سورة الأنعام الآية 19.

[5]. سورة النّحل الآية 92.

[6]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص160.

حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1]، ونهيه تعالى أيضاً الّذين يعاهدون العهود ويعقدون العقود ثم يحلفون بالله تعالى وعند رأيتهم أنّ الجماعة الّتي انحازوا لها قويّة أو ضعيفة ينكثون بذلك العهد والوثاق، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ**﴾[2]، وهذا ما قيل أنّه نزلت الآية في القوم الّذين بايعوا الرّسول صلى الله عليه وسلم وعندما رأوا أنّ جماعة المشركين أكبر قوّة من المسلمين أراد بعضهم أن يتخلّ عن بيعته ويخدع النّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما حدث في غزوة أحد حيث أكنّوا الغدر في أنفسهم وكانوا السّبب في هزيمة جيش النّبي صلى الله عليه وسلم وانتصار الكفّار، لكن الله تعالى أيّدهم بنصره فخفّف عنهم بالصّبر[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[4]، وكما في قوله تعالى: ﴿**فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾.[5]

﴿**وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[6]

﴿**فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**﴾: على طريقة الإسلام الواضحة، شبّه الخروج إلى النّفاق والشّرك عن الإسلام بزلق القدم في نحو الأرض المبتلّة الّتي تزلق الأقدام، والعرب تقول لمن وقع في بلاء بعد عافيّة زلت قدمه[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من يعرف الإسلام ويؤمن به ثم ينحرف إلى

---

[1]. سورة البقرة الآية 120.

[2]. سورة المائدة الآية 53.

[3]. أبو زكرياء الفراء، معاني القرآن، تحقيق، أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط01، ج02، ص 113.

[4]. سورة الأنفال الآية 66.

[5]. سورة الصف الآية 14.

[6]. سورة النحل الآية 94.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص163.

النّفاق والكفر، وأنّ له السّوء من عذاب أكبر من عذاب من كفر بالآيات من أوّل وهلة، لأنّ المنافقين هم أشدّ الصّفات خبثاً وقبحاً ونذالةً من الكافر الّذي يباشر ويعلن فتكون الوطأة على المؤمن أخفّ من وطأة المنافق الغادر، كما قال تعالى: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[2]

﴿**أُوْلَئِكَ**﴾: أي من صفة ذلك، ﴿**الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾: خذلهم، ﴿**وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾: شبّه ترك التّوفيق بالرّبط على الشّيء والختم عليه كأنّهم قد ألقى ستر على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فكانوا لا يدركون الحقّ ولا يتأمّلون فيه والسّمع مصدر فلذا أفرده أو بمعنى الإذن وعلى هذا فأفرده لإرادة الجنس بقرينة أضافته لضمير الجماعة ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾: عما يراد بهم من غضب الله عزّ وجلّ وعذابه أو عن تدبّر العاقبة أو مما خالفوا له من العبادة كما قال صاحب لاميّة العجم[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من لم يفهم المواعظ ولم يسمعها ولم يبصر الآيات الّتي استدلّ بها على الحق فله عذاب في الآخرة[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا**﴾[6]

---

[1]. سورة المنافقين الآية 04.

[2]. سورة النحل الآية 108.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص185.

[4]. أبو الطيب محمد القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدّم له وراجعه، خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا، بيروت، 1412هـ - 1992م، ج07، ص 322.

[5]. سورة البقرة الآية 07.

[6]. سورة الإسراء الآية 13.

﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ**﴾: أي عمله وما قدّر له، شبّه ذلك بطائر يطير بجناحه كأنّه أطير إليه من الغيب والقضاء فطار فإنّ انتقال ذلك من القضيّ إلى الخارج شبيه بالطّيران، ومن ذلك طار له سهم إذا خرج، وقد ذكر ابن عيينة أن الآية من قولك طار له سهم إذا خرج، وقلّ طائره ما قضى عليه من عمل سعادة وشقاوة، وفيه أشبه المذكور وإن قلت ما نكتة التّشبيه قلت من عادة العرب التّيمّن والتّشاؤم بالطّير وكثر ذلك حتّى فعلته بالضّباء أو حيوان الفلا يتيمنون بذهابه يميناً وهو السّنوخ ويتشاءمون بذهابه شمالاً وهو اليروح، وتسمّى ذلك تطيّراً وتعتقد أنّ التّطيّر قاضٍ بما يلقى الإنسان من خير وشرّ فخاطب العرب بما تعرف فاستعير لفظ طائر لما هو سبب الخير والشّر من قدر الله وعمل العبد وقيل عبّر التّطير بالحظّ والعمل إذ هما متلازمان بالطّائر بحسب معتقد العرب في التّطيّر[1]، كما قيل: "هو عمله إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا"[2]، وروي عن قتادة عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَه فِي عُنُقِهِ**"[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير كلّ إنسان معه كتابه فيه حسناته وفيه سيئاته،[4] وقد جاء في قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾[5] ينطق بكلّ شاردة وواردة يعرض فيها شريط حياة كلّ عبد، وهناك تجزى كلّ نفس ما عملت، كما في قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ**﴾[6]، فإن عملت صالحاً فلنفسها وحقّها جنّة النّعيم، وإن عملت سيّئة فعليها وحقّها نار الجحيم، كما في قوله تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ**

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص274.

[2]. أبو الحجاج مجاهد، المصدر السابق، ج01، ص 429.

[3]. محمد الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق، د، مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1426هـ - 2005م، ج07، ص17.

[4]. محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، ج01، ص302.

[5]. سورة الجاثية الآية 29.

[6]. سورة يونس الآية 30.

عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1]، وما كان ليعذّبهم الله تعالى ويظلمهم إلاّ أن أرسل عليهم قبلاً رسلاً وأنبياءً عليهم السّلام يبشّرونهم بالخير وينذرونهم من الشّر، كما قال تعالى: ﴿**لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[2].

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾.[3]

﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾: شبّه العهد المنكوث بإنسان مظلوم تشبيهاً بليغاً[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى عهده القائم والثّابت الّذي لا يتغيّر بتغير الأزمة أو الأمكنة، فكلّ أمر ألزمنا الله تعالى بفعله وعمله إلاّ وجب علينا المحافظة عليه، خاصّة الحقوق الّتي توجب على الإنسان مراعاتها وعدم تجاهلها أو احتقارها، كحقّ اليتيم، وحقّ السّائل، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[5]، وحقّ المسكين، وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[7]

﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى**﴾: عن الحقّ لا يراه بقلبه، شبّه فساد قلبه بعمى العينين، ﴿**فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى**﴾: شبّه بالأعمى الّذي هو فاقد إحساس العين، والمعنى أنّ من كان عمياً

---

[1]. سورة الإسراء الآية 15.

[2]. سورة غافر الآية 17.

[3]. سورة الإسراء الآية 34.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص301.

[5]. سورة الضحى الآية 09 – 10.

[6]. سورة الفجر الآية 18.

[7]. سورة الإسراء الآية 71 – 74.

في الدّنيا من جهة دينه فهو أشدّ في الآخرة[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه من كان في الدّنيا أعمى عن الآيات القرآنيّة والبراهين الكونيّة فهو في الآخرة أعمى وأشدّ كونه لا يمكنه الخروج أو التّراجع عكس الدّنيا[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[4]

﴿**فَلَعَلّكَ بَاخِعٌ**﴾: قاتل، ﴿**نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ**﴾: جمع أثر وهو علامة وطء القدم في الأرض مثلاً، شبّه الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم لما تداخله من الحزن على إعراض قومه عن الإيمان والإسلام بمن فارقه أحباؤه فكان يتبع آثارهم في الأرض بجسمه وقلبه أو بقلبه ويتقطّع حسرات على فراقهم حتّى يقتل نفسه حزناً عليهم وتلهّفاً[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى التّعلق الشّديد للنّبي صلى الله عليه وسلم بأمّته ومحبّته لمن أرسل إليهم نذيراً وبشيراً، آملاً في دخولهم الإسلام واعتناقهم الواحد تلوى الآخر براية توحيد لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾.[7]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 347.

[2]ـ جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1422هـ، ج03، ص 41.

[3]. سورة طه الآية 124.

[4]. سورة الكهف الآية 06.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص418.

[6]. سورة القصص الآية 56.

[7]. سورة النمل الآية 64.

في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾.[1]

﴿**أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾: فسطاطها شبّه ما يحيط بهم من النّار، وكان عليهم كالجدار بالفسطاط المضروب كبيوت الشّعر وغيره فسمّاه باسم الفسطاط بجامع إحاطة كل بما في داخله، وذلك مقتضى قول (ابن عباس)، أو شبّه ما يحيط بهم من حيطان جهنّم من حديد أو حجر أو ممّا شاء الله وعمد ممدّدة بالفسطاط فسمّاه باسمه، وذلك بعد قوله: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾[2]، وقيل: (السّرادق) الحجرة الّتي تكون حول الفسطاط، وقيل: دخّانها، وذلك أيضاً على التّشبيه[3]، الغرض منه ترهيب النّفس بتصوير الضّخامة والرّهبة في وصف نيران يوم القيامة، وأنّ كلّ شررة من شرر نيرانها الملتهبة تكون شدّة طيرانها على أبعد مرمى، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**﴾[4]، وقد تحدّث النّبي صلى الله عليه وسلم عن جحيم جهنّم وعن وصفها من أكل الزّقوم وشرب الحميم، برواية عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ عَلَى الأَرْضِ، لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، وَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ غَيْرُهُ**".[5]

---

[1]. سورة الكهف الآية 29.

[2]. سورة المؤمنون الآية 108.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص476.

[4]. سورة المرسلات الآية 32 – 33.

[5]. حسين بن محمد البغوي، شرح السّنة، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط02، 1403هـ - 1983م، كتاب الفتن، باب صفة النار وأهلها نعوذ بالله منها، رقم الحديث4408، ج05، ص246.

في قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾.[1]

﴿**كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ**﴾: أي: مضت مدّة يسيرة، فاختلط، أو نزل ما بين الإنزال والاختلاط منزلة العدم لقلّته جداً إن جعلنا الاختلاط اختلاط عروق النّبات بالماء، ومبالغة في ترتيب اختلاط الشّجر بعضه ببعض بسبب الماء إن فسّرنا الاختلاط باختلاط الشّجر بعضه ببعض، أو لأنّه لا مدّة أصلاً إن جعلنا الاختلاط اختلاط نفس الشّجرة بالماء، ثم إذا فسّر باختلاط العروق بالماء أو اختلاط الشّجر بعضه ببعض، احتوت هذه الآية على اسم التّشبيه وهو (مثل)، وهي من قبيل تشبيه المركّب بالمركّب، والأصل في الكاف، ونحو ومثل وشبّه، ونحو ذلك من أدوات التّشبيه الدّاخلة على المفرد أن تدخل على المشبّه به لفظاً أو تقديراً، نحو قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ**﴾[2]، أي كمثل (**ذَوِيْ صَيِّبْ**)، وقد تدخل على غير المشّبه به كهذه الآية إذ ليس المراد تشبيه حال الدّنيا بالماء ولا بمفرد مقدّر بل تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها ناضراً شديد الخضرة ثم يعبس فتطيره الرّيح كأن لم يكن فذلك تشبيه مركّب من هيئات منتزعة فقد تبيّن أنّ من جعل الكاف فيها داخلة على مشبّه به محذوف تقديره: مثل (ماء سها سهواً)، ظاهراً لأنّ المشبّه به ليس مثل الماء ولو باعتبار تقييده بما رتّب على إنزاله، بل المشبّه به هو الماء والمرتّبات عليه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الدّنيا في سرعة زوالها مما فيه تنبيه البشريّة أن لا تعبد الدّنيا وما فيها من ملهيات وملذّات ومغريات، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾.[4]

---

[1]. سورة الكهف الآية 45.

[2]. سورة البقرة الآية 19.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص493.

[4]. سورة الأنعام الآية 32.

في قوله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾[1]

﴿**حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**﴾: مبالغة كقولك: زيد أسد، أو على نيّة أداة التّشبيه، أي: مثل نار، أو كنار في شدّة الحرّ، فإنّ الحديد المذاب أخو النّار، أو نار حقيقة، انظر إلى اشتعال الفحم والحطب وإلى حمرة الحديد وصيرورته جمرة حمراء[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته الّتي لا تضاهيها أيّة قدرة في التّبيين للإنسان كيفيّة إلانة الحديد الصّلب، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾[3]، بجعله على النّار حتى يصير قطراً يتقاطر فيدمّرون به العدو، ومنه صنعت الأجهزة الكهرومنزليّة والأسلحة والمدافع الفتّاكة والقنابل الهالكة وغيرها من احتياجات الإنسان، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[4]، وهذه من النّعمة الّتي أمنّها الله تعالى على عبده ليؤمن به ويزداد إيماناً بعد شكره.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[5]

﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**﴾: بطل عملهم، شبّه عملهم بشيء محسوس موجود لكن لا نفع فيه أو بما غاب فلم يكن به نفع في الحضرة[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال أعمال الكفّار والمشركين الّذين أشركوا مع الله تعالى إله آخر، وأنّهم تعاموا وتصامّوا عن قبول الهدى وإتباع الحقّ وحسبوا أن اتخاذهم أولياء من دون الله ينجيهم من عذابه[7]، وأنّه لا منفعة من عملهم ذاك فهو إذا

---

[1] . سورة الكهف الآية 96.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج8، ص66.

[3] . سورة سبأ الآية 10.

[4] . سورة الحديد الآية 25.

[5] . سورة الكهف الآية 104.

[6] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص 77.

[7] . أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج16، ص21.

نفعهم في الدّنيا فهو حتماً منتهيّة صلاحيّته في الآخرة، فمن لم يربط عمل الدّنيا بعمل الآخرة سيضلّ في الخسران الأبدي، كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾[2]

﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً**﴾: أي حساباً، لأنّه لا عمل لهم غير باطل فضلاً عن أن نحسبه لهم ولو كان كجبال تهامة، شبّه إظهار عمل الإنسان وبيان ما يترتب عليه من الخير بوزن شيء وعبر عنه بوزن ونفاه لا عمل خير لهم باق ويدخلون النار بغير حساب، ويجوز أن يكون وزنا بمعنى مقدارا من الخير[3]، قال صلى الله عليه وسلم:"**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا﴾**"[4]، الغرض منه بيان حال أعمال الكفّار الباطلة والمحبطة، وأنّها لن تعرض في ميزان لكي تقارن أو تفحص أو تميّز، عكس الإنسان المؤمن بربّه المقصّر في طاعته، توضع أعماله في ميزان لتقارن سيّئاته بمقابل حسناته وترجّح الكفّة الأقوى[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾.[6]

---

[1]. سورة هود الآية 20.

[2]. سورة الكهف الآية 105 – 106.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص 78.

[4]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ [الكهف: 105]، رقم الحديث 4729، ج06، ص93.

[5]. أبو السعود مصطفى، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج05، ص250.

[6]. سورة الأنبياء الآية 47.

المبحث الثّاني: التّمثيل

المطلب الأول: مفهوم التّمثيل لغة واصطلاحا

أوّلاً: تعريف التّمثيل لغة

مثل تمثيلاً وتمثالاً بالشّيء: ضربه مثلاً[1]، ولي مثله ومثيله ومماثله، ومثل به مثلة، ومثل قائماً: انتصب مثولاً: رأيته ماثلاً بين يديه، وتمثل به: تشبه به[2]، المثل واحد الأمثال، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ**﴾[3]، أي فعليه جزاء مماثل لما قتل من الصّيد وهو قيمة الصّيد، والتّمثال ما تصنعه وتصوّره مشبها بخلق الله تعالى من ذوات الرّوح والصّورة.[4]

ثانيّا: تعريف التّمثيل اصطلاحاً

التّشبيه عام والتّمثيل أخص منه، فكلّ تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيل.[5]

التّمثيل من المثل وهو الشّيء يضرب للشّيء فيجعل مثله، والمثل: الحديث نفسه، وأكثر ما جاء في القرآن نحو قوله جل وعز: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾[6]، فيها أنهار، فمثلها هو الخبر عنها، وكذلك قوله تعالى: ﴿**ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[7]: إخبار الله تعالى فصار خبره عن ذلك مثلاً.[8]

المطلب الثّاني: توظيف التّمثيل من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

[1]ـ أحمد رضا، معجم متن اللّغة، (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ - 1960م، ج05، ص244.

[2]. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، المصدر السابق، ج2، ص193.

[3] . سورة المائدة الآية 95.

[4] . برهان الدين الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، ج1، ص435.

[5] . عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ج01، ص30.

[6] . سورة الرّعد الآية 35.

[7] . سورة الحج الآية 73.

[8]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج08، ص228.

في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1]

﴿**بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾: أي: المطر بمعنى قدام رحمته واستعيرت لها اليدان تمثيلاً بالإنسان، فإنّه إن كان الشّيء أمامه أو في حجره فهو بين يديه، لأن يدي الإنسان يتقدمانه عند المناولة، وعند المشي استعانة، وسمى المطر رحمة لأنّه سبب للحياة وغيرها، وهو من أجل النّعم وأحسنها أثرا[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الرّياح مخلوق مهمّ وضروري في دورة الحياة، فهو سبب في تغير المناخ من صيف إلى شتاء، ومن إنزال المطر لأنّه روح الحياة ومصدرها، كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾[3]، نبات، خضرة، بهجة، هواء نقي، وهذا الأمر الجليل يجعنا نفكر في عظم الله تعالى وأن لا نسبّ ملكه رياح كانت أم رعود، جفاف عمّ أم رطوبة.

في قوله تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾[4]

﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا**﴾: مثل بالمؤمن والكافر، فالمؤمن ينتفع بالقرآن وتظهر عليه آثاره من العبادات والأخلاق الحميدة كالبلد الطّيب يظهر فيه أثر الغيث من حشيش وأزهار وثمار، والكافر لا ينتفع بالقرآن ولا تظهر عليه آثاره بل يزداد كفرا كالسّبخة إنما تزداد بالماء ضرّاً كالانزلاق، وكإنبات الشّوك، ونحوه، عن النّبي صلى الله

---

[1]. سورة الأعراف الآية 37.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 164.

[3]. سورة الفرقان الآية 48.

[4]. سورة الأعراف الآية 58.

عليه وسلم قال: "**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**"[1]، الأوّل مُثِّل للعالم والعامل، والثّاني للعالم غير العامل، والثّالث لمن لا علم ولا عمل، أو يعمل بلا علم، وزاد لهذا التّمثيل ما قبله حسنا[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أصناف النّاس اثنان مؤمن طيّب القول والفعل والعمل، ينفع نفسه وينتفع منه غيره، كدعاء شخص على نزول المطر فاستجاب الله تعالى له فارتوى كلّ من حوله، روي: "**عَنْ أَنَسٌ قَالَ: إِنِّي لَقَاعِدٌ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، إِذْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، حُبِسَ الْمَطَرُ، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، ادْعُ اللهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، قَالَ أَنَسٌ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ فَأَلَّفَ بَيْنَ السَّحَابِ، قَالَ حَجَّاجٌ: فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ السَّحَابِ فَوَبَلَتْنَا، قَالَ حَجَّاجٌ: سَعَيْنَا حَتَّى رَأَيْتُ الرَّجُلَ الشَّدِيدَ تَهُمُّهُ نَفْسُهُ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَمُطِرْنَا سَبْعًا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، إِذْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، حُبِسَ السِّفَارُ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْفَعَهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا"، قَالَ: فَتَقَوَّرَ مَا فَوْقَ رَأْسِنَا مِنْهَا، حَتَّى كَأَنَّا فِي إِكْلِيلٍ يُمْطَرُ مَا حَوْلَنَا وَلَا نُمْطَرُ**"، أو دعاء رفع العذاب فيمسّ كلّ كافر ومؤمن، كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا**

[1]. صحيح البخاري، المصدر السابق، باب فضل العلم، باب فضل من عَلِم وعَلَّم، رقم الحديث79، ج01، ص27.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 121، ص 122.

وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.[1]

في قوله تعالى: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[2]

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: هذا تمثيل وكناية عن دخولهم الجنة، ولا غل فيهم[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى تميّز سكان الجنّة عمّا عاهدوه في الدّنيا بنزع العداوة والحسد، فهم دائماً سعداء فرحين بما آتاهم الله تعالى من نعيم لا ينفذ، لا يطلب جهداً ولا مقابلاً، كما قال تعالى: **﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.**[4]

في قوله تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**[5]

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: محاسن الأخلاق والأمور الشّرعيّة، كقول: لا إله إلا الله، روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السّلام: **"يَا جِبْرِيلُ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟"، قَالَ: مَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ"**[6]، وهذا تمثيل بالغاية في فعل الخير، وأداء المعروف[1]،

---

[1]. سورة الأعراف الآية 134.

[2]. سورة الأعراف الآية 43.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 79.

[4]. سورة الحجر الآية 47.

[5]. سورة الأعراف الآية 199.

[6]. أبو بكر بن عبيد (أبي الدنيا)، مكارم الأخلاق، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة، باب (ذكر الحياء وما جاء فيه قال أبو بكر: "بدأنا بذكر الحياء وما جاء في فضله لقول أم المؤمنين رضي الله عنها: رأس مكارم الأخلاق الحياء")، رقم الحديث25، ج01، ص24.

الغرض منه بين الله تعالى أوامره في الأمر بالمعروف مثل الصّدقات والمعاملة الحسنة والقول الطيب، ونشر الخير في كل مكان، ومعاملة جميع النّاس بالودّ فكلّنا سواسية على هذه الأرض لأنّنا منها خلقنا وإليها نرجع ومنها نعود مرة أخرى، والنّهي عن المنكر كتذكير النّاس بتجنب الفواحش والمحرمات واحترام الطريق وصيانة أعراض الناس، وقد اجتمعت في رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الخصال، حتى قال صلى الله عليه وسلم: "**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**"،[2] وتنبيه النّبي صلى الله عليه وسلم بأن لا ييأس من المعارضة الشّديدة لكفار قريش من دعوة الإسلام، وإلى تنوير الصّدور بالقرآن الكريم، وأن يصبر على أذاهم ويجاهد نفسه ويحكم قبضة سيفه حتّى بلوغ النّصر، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾[4]

﴿**وَيُسَبِّحُونَهُ**﴾: في كل وقت عما لا يليق، أي ينزهونه فيمن قال سبحان الله فقد نزهّه عموما عما لا يليق، ومن قال: لا إله إلا الله فقد نزّهه عن الشّركة، ﴿**وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾: والتّسبيح والسّجود تمثيل للعبادة العامّة الّتي لا يستكبرون عنها[5]، الغرض منه بيان الله تعالى أن الملائكة دائماً في خشوع وتضرّع لله تعالى، عكس الشّيطان الّذي تكبّر وعصا، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[6]، وتبعه في

---

[1] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص292.

[2] ـ محمد القرطبي، تفسير القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط02، 1384هـ – 1964م، ج07، ص 345.

[3] . سورة السجدة الآية 27.

[4] . سورة الأعراف الآية 206.

[5] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص300.

[6] . سورة البقرة الآية 34.

ذلك الكافرون ليستمروا في غفلتهم ودنيا كلّها عصيان ونسيان[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[3]

﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**﴾: قيل عن الحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد، وتنبيه على أنّه عليم بمكنون القلب مما عسى أن يغفل عنه صاحبه[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه المتحكّم في أقدار الإنسان وأنّه الأقرب إلى ما يقوم أو يفعل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[5]، فالشّخص يريد شيئا ولا يكون ذلك إلاّ بتوفيق من الله عزّ وجلّ ومشيئته، فمثلاً يريد الطّاعة ويجد نفسه في المعصيّة، ويريد المعصيّة ويجد نفسه مطيعاً لله عزّ وجلّ، وهناك من كتب له الجنّة ويبشّر بدخول النّار، وهناك من كتب له النّار فيبشّر بدخول الجنّة، وذلك حسب الأعمال الّتي نقوم بها في الدّنيا، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ**﴾[6]، لذلك لا بد للمرء بأن يتوكل على الله تعالى في كل شيء، وأن يعزم أموره بقوله إن شاء الله تعالى يكن ذلك أو لا يكن، كما في قوله تعالى: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ**

[1]- أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1408هـ – 1988م، ج02، ص398.

[2]. سورة الانفطار الآية 06.

[3]. سورة الأنفال الآية 24.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص352.

[5]. سورة ق الآية 16.

[6]. سورة الأنعام الآية 108.

الصَّالِحِينَ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3]

﴿**لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾: المراد بذكر الله تعظيمه، وافتتاح الجملة به للتّبرّك، وأنّ من حقّ الخمس أن يتقرّب به إليه، وأنّه هو الحاكم في الخمس يقسّمه كيف شاء، وليس المراد أنّ له سهما من الخمس، فالدّنيا والآخرة كلها لله، فإنّما يقسم الخمس على الخمسة المذكورة بعده، أو سهمه سهم الرّسول فيقسم أيضا الخمس المذكور على الخمسة المذكورة، وقال مالك والزّجاج: قسّمه على الخمسة تمثيل بأهم من يدفع إليه لا حصر، فيجوز إعطاء الغير منه[4]، كقوله سبحانه: ﴿**قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ**﴾[5]، وقد أجمعوا على جواز إنفاق الخير على غير من ذكر، والصّحيح الأول، وبه أقول، وهو قول الشّافعي، وأبي حنيفة ومالك، وابن عباس، والحسن بن محمد، وعطاء، وقتادة، والنّخعي، وهو ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله[6]، الغرض منه بين الله تعالى أن غنائم العدو وما بحوزته تأخذ وتقسّم على خدمة بيت الله تعالى الحرام بمكة وإصلاحها، وتقسم على النبي صلى الله عليه وسلم لأنّه فيها حق فهو مشارك وقائد الجيش ومدبر النصر والفائز بالغنائم، لكنه كعادته لا يحب أن يكون له شيء منها فوزعها على الأقارب واليتامى والمساكين،

---

[1]. سورة القصص الآية 27.

[2]. سورة التوبة الآية 51.

[3]. سورة الأنفال الآية 41.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 376، ص377.

[5]. سورة البقرة الآية 215.

[6]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص 378.

وقيل يجوز أن توزع في غير ذلك من الوالدين[1]، فهما حق على من تركهما وحدهما عجزان يصارعان الحياة وذهب لقتال المشركين.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2]

﴿**وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ**﴾: أتخلّص منكم لا يصيبني ما يصيبكم، وهذه المقالة أيضا في الظّاهر بلسانه يسمعونها، أو تمثيل بحاله وعدم إغنائه عنهم شيئا[3]، الغرض منه بين الله تعالى أن من يدعي القوة والجبروت بسلطان يسيّره ويوجّهه نحو طريق الضّلال ويوسوس له بأن ما يعبد لا بد أن يشرك به، وما نهيت عنه من الحرام لابد أن تقع فيه، لكن يأتي يوم ويواجه ذلك السلطان الذي ادعى القوة والخلود بالانتكاسة والهوان ويتبرأ من كل مخلوق اغتر به، ويحسب نفسه أنه لن يصيبه العذاب بعد الخداع والتمويه، فنسي أن له رب مراقب محاسب معاقب، وسيعاقب أشد عقاب كسائر البقية، كما في قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[4]، وكما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.[5]

---

[1]. محمد القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية، المصدر السابق، ج04، ص2825.

[2] . سورة الأنفال الآية 48.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص393.

[4]. سورة الحشر الآية 16.

[5]. سورة إبراهيم الآية 22.

في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾[1]

﴿**فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ**﴾: خصت هذه الجهات والله أعلم، لأنّهم طلبوا بجمع المال وحبسه، الوجاهة عند النّاس، وأن يكون ماء وجوههم مصونا ويتلقون أيضا أكل الطّيبات، ولإكثار منها حتى تنفخ جنوبهم، فلذا تكوى جنوبهم، وطلبوا بذلك أيضا اللّباس النّاعم يطرحونه على ظهورهم، فلذا تكوى ظهورهم، أو لأنهم إذا سئلوا يتبين أثر المنع، وكراهة الإعطاء في جباههم ووجوههم بالتّعبّس، واجتماع جلدة الجبهة، وإذا كرّروا السّؤال مالوا بجانبهم إلى جهة غير جهة السّائل، وإن ألحّوا ولّوهم ظهورهم، وقيل: لأنهم يتعبّسون عن الفقراء إذا رأوهم، وإذا جمعهم مجلس مالوا عنهم وولّوهم ظهورهم، وزع بعضهم أنها خصت لأنّها أشرف الأعضاء الظّاهرة لاشتمالها على الدّماغ والقلب والكبد، وزعم بعضهم أنّها خصّت لأنّها أصول الجهات الأربع، وهي مقادم البدن ومآخره وجنباه، وقيل: ليس المراد خصوص تلك المواضع، بل المراد التّعميم، وتلك المواضع تمثيل كما تقول: ضربت زيدا الظّهر والبطن، وتريد تعميمه بالضّرب[2]، الغرض منه بين الله تعالى أهميّة الصّدقات والزكاة، وأمر بها في مواطن عدة من الآيات، وجعل لمن يكنز ويدخر حق الأقارب واليتامى والمساكين والفقراء هو أصل البليّة وأشدها، بها تحمى وتصهر في نار حامية لتكوى بها أجسامهم، جزاءا بما تعدوا على حدود الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[4]

---

[1] . سورة التّوبة الآية 35.

[2] . أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص490.

[3]. سورة التوبة الآية 35.

[4] . سورة التّوبة الآية 80.

﴿**إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾: وليس السّبعون حداً إن جاوزه في الاستغفار أرجئت المغفرة، بل تمثيل للكثرة، فإنّ المراد أنّه لا يغفر لهم ولو استغفر لهم عدد التّراب، بدليل وصفهم بالكفر بعد هذا، وهو مانع من الغفران، وخصّ السّبعين لأنّ العرب تستكثرها، وقد كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمّه حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة، وشاع استعمال السّبعة والسّبعين، والسّبعمائة ونحوها في التّكثير، لأنّ السّبعة تشتمل على جملة أقسام العدد، وهي آحاد وعشرات ومئون، وآحاد ألف وعشرات ألوف ومئات ألوف وآحاد ألوف ألوف فكأنّها العدد[1]، الغرض منه بين الله تعالى أن الكفار والمشركين لن يغفر لهم الله تعالى ولو داوموا على الاستغفار حياتهم كلّها، ولن تنفعهم شفاعة النّبي صلى الله عليه وسلم وهو يستغفر لهم، كما قال تعالى: ﴿**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[2]، وهذا فيه تيئيس الكفّار بالطّمع في الرّحمة ودخول الجنّة، فالنّار مثواهم ومثوى الظّالمين، ﴿**فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[4]

﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾: تمثيل لإثابة الله تعالى إيّاهم الجنّة على بذل أموالهم وأنفسهم في سبيله لا حقيقة شراء، لأنّهم خلق له وملك وأمواله رزق منه وملك له، وبيّن ما لأجله الشّراء[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى ثمن دخول الجنّة العظيم وهو

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص61.

[2]. سورة المدثر الآية 48.

[3]. سورة فصلت الآية 24.

[4]. سورة التّوبة الآية 111.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 103.

التّرغيب في الجهاد والإنفاق فيه بالنّفس فتَقتل وتُقتل، وبالنّفيس بما استطاع من الأموال والعتاد، فلا يبخل على الجهاد والقتل في سبيل الله تعالى ولا يسأل المقابل، فإن انتصروا فحلال عليهم الغنائم، كما قال تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، وإن انهزموا فلا هزيمة مع الله تعالى فلهم السّكون والطّمأنينة في الدّنيا، والأجر والثّواب في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[3]

﴿**بِقَدَرِهَا**﴾: أي: بمقدارها الّذي في علم الله أنّه نافع غير ضار، لأنّ الماء مثل للحق موجب أن يكون نافعاً غير ضار لأراضي الناس، أو بنائهم، أو حرثهم، أو شجرهم، ﴿**فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾: فالماء مثل للحق في إفادته ونفعه وثباته، فكما أن الماء النازل من السّماء ينتفع به أنواع المنافع شراباً وطعاماً، وسقياً للحرث والشجر والنبات، وبناء وغسلا للوسخ من الأرض وبدن وثوب، وغير ذلك، وثبت بعضه في موضعه أيام ينتفع به، ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار والقني، كذلك الحق وهو دين الله، والقرن ينتفع به دنيا وأخرى، ويثبت في القلب راسخا كالنّور، يتوصّل به صاحبه إلى المنافع، وتحترز به عن المضار، وينكس الظّلمة

[1] . سورة الأنفال الآية 69.

[2] . سورة الصف الآية 11 – 12.

[3] . سورة الرعد الآية 17 – 18.

والغفلة عن القلب بقدر ما أوتى منه، والزّبد مثل للباطل، فكما أنّ ذلك الزّبد لا تقع فيه في ظاهر الأمر لنا، ولو كان خلقه حكمة، ولا يثبت، فكذلك الباطل[1]، ﴿**زَبَدٌ مِثْلُهُ**﴾: أي مثل زبد الماء، فألحق كالّذي يتخلّص من الموقد عليه من حلي وأمتعة في الحسن والبقاء والاستنفاع، والباطل كالوسخ المتولّد من الموقد عليه في عدم الانتفاع به، وعدم الحسن[2]، ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**﴾: أي بينهما بالتّمثيل، ويجوز أن يكون الأصل كذلك يضرب الله مثل الحق والباطل، فالحق دين الله، والقرآن والنور الحاصل في القلب متهما كالماء في البقاء والنفع، وإزالة الوسخ والباطل، وهو دين الشيطان والظلمة الحاصلة في القلب، إنّ اعتقاد السّوء كالزّبد في عدم النّفع، وسرعة الزّوال والذهاب[3]، ويكون المعنى: إن الله يضرب للمؤمنين والكافرين الحق والباطل مثالا لهم، أو يضرب الحق والباطل في شأنهم، ومثله ولو كان واقعاً في القرآن، لكن الأولى خلافه، لأنّ الأصل عدم الفصل، فلو كان كذلك لقيل، كذلك يضرب الله الحق والباطل للّذين استجابوا لربّهم الحسنى، والّذين لم يستجيبوا له[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من أشرك واتبع الهوى، فمهما تيسّرت له الأمور وانشرحت له الدّنيا، فلا يغرّنّك كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم، واتساع ملكهم ونفوذهم، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[5]، فحتما ذلك حبل طويل، ما عسا أن يسحب بشدّة أو ببطء.

في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾[6]

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص 357.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 358.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 359.

[4] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 360.

[5] . سورة التوبة الآية 55.

[6] . سورة الرعد الآية 35.

﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ**﴾: أي صفتها العجيبة البالغة مبلغاً يضرب بها المثل في الغرابة[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى تعظيم والتّشويق والتّرغيب في حبّ الجنّة ونعيمها الّذي كُتب له الخلود، كما في قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[2]، والتّنفير والتّرهيب من هول نار الجحيم، الّتي أعدّت للكافرين بالله تعالى، والجاحدين بنعمه، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[3]، مع تنبيه العقول النائمة، وإيقاظ القلوب اللاهيّة في غير الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[4]

﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾: عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**هِيَ الحَنْظَلُ**"[5]، وبذلك قال أكثر المفسّرين ومجاهد وعن ابن عباس أنّها الكشوث بشين معجمة وثاء مثلّثة وهو نبت يتعلّق بأغصان الشّجر من غير أن يضرب بعروق في الأرض، وفي رواية أخرى عنه: أنّها الثّوح، وقيل: إنّ ذلك كلّه تمثيل وأنّ المراد ما يعمّ كلّ شجرة لا يكون ثمرها طيباً حلواً، وعن ابن عباس أنّها الكافر لا يقبل الله عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد عمله إلى السّماء[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ كلام الكافر لا ثقة له مدام مشركا ومتكبرا على آيات الله تعالى، ولا صلاحية لقراره لأنّه منبعث من كفر وضلال، مثل شجرة مثمرة لكن ثمارها تسقط قبل أن تنضج ولا يستفيد منها صاحبها، أو تنضج وتدهش كل من يراها فيرغب في أكلها وإذا بها جافّة لا طعم

---

[1] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص 383.

[2]. سورة الزخرف الآية 72 – 73.

[3]. سورة آل عمران الآية 131.

[4] . سورة إبراهيم الآية 26.

[5]. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط02، 1395هـ - 1975م، رقم الحديث3119، ج05، ص295.

[6] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص423.

لها، فيضطر صاحبها لقلعها وجعلها لأغراض مختلفة، كما في قوله تعالى: ﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ**﴾[2]

﴿**وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ**﴾: مثّلهم الله تعالى في الظّلم واستحقاق ما استحقوا من الهلاك[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه الخبير والعليم في ضرب الأمثال، فحين تمثّل الكفّار في الطّغيان والفساد، كان لهم مثل المصير والجزاء، يتجرّعون من نفس الكأس، ويتذوّقون من نفس الطعم، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾[5]

﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾: أي مربوطين ربطاً شديداً كما يدلّ التّشديد على المبالغة بربط كلّ واحد منهم مع آخر بحسب اقترانهم في الدّنيا في العقائد والأعمال، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾[6]، ويجوز أن يكون تمثيلاً لمؤاخذتهم على ما عملوا واعتقدوا[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى قوّته العظيمة في الإحاطة بالمجرمين والكفّار وإدخالهم نار جهنّم، مكبّلون بأصفاد متينة من حديد، لا يقدرون على ردعها ولا ردّها، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**﴾.[8]

---

[1]. سورة الفتح الآية 29.

[2]. سورة إبراهيم الآية 45.

[3]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص453.

[4]. سورة يونس الآية 04.

[5]. سورة إبراهيم الآية 49.

[6]. سورة التكوير الآية 07.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 460.

[8]. سورة الفرقان الآية 13.

في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]

﴿**فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً**﴾: مثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا جيداً كثيراً بتصرف فيه كما شاء، ومثل الأصنام مملوك عاجز عن التصرف أصلا، فكأنه قيل مثلكم في إشراك الأصنام بالله كمثل من سوى بين العبد ومالكه، وهذا لا يقبله العقل مع استواء المالك منكم والمملوك في الجنسية، وأصل الاحتياج والعجز، فكيف تستوي الأصنام التي هي أعجز من العبد إذ هي جماد، فالله جل جلاله القادر الغني على الإطلاق الرازق في أعظم شيء وهو العبادة، وهذا قول مجاهد والضحاك والزجاج، وهو أولى لمناسبته ما قبل وما بعد في تبيين أمر الله والرد على أمر الأصنام، وقال ابن عباس وقتادة العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل للكافر والمرزوق رزقاً المتصرف فيه سراً وجهراً مثل للمؤمن، وذلك أن الكافر محروم من عبادة الله والثواب عليها، فهو كالعبد في الذل والفقر، وأنه لم يقدم خيراً فيما رزقه الله من المال فهو فقير من حسنات الصّدقة، كأنه لم يملك شيئاً، والمؤمن مثاب بعبادة الله وصدقته فهو عزيز غني، وقال عطاء العبد المملوك أبو جهل، والحرّ المالك أبو بكر رضي الله عنه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه الملك العزيز يقدّم لعباده الكرامة والاحترام المطلوب، وإن عَبَدَه المرء أحسن عبادة يزداد حبّه به، فيجازيه في الدّنيا بالصّبر والثّبات، والبركات، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[3]، ويجازيه في الآخرة بالأجر والثّواب، ودخول الجنات، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ**

[1] . سورة النّحل الآية 75.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص139.

[3] . سورة الأعراف الآية 96.

الثَّوَابِ﴾[1]، أمّا المشرك بالله تعالى فيجعله فقيرا محتاجا، حتّى وإن كان أغنى النّاس في الدّنيا، ذليلا، فاقد للكرامة، لا يجد معنى لحياته سوى الأكل والشّرب، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ**﴾[2]، لا عبادة ولا أجر ولا حسنات، لا بركة في الدّنيا ولا مفاجئة آخرويّة، فقط جحيم فوق جحيم، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[4]

﴿**هَلْ يَسْتَوِي هُوَ**﴾: أي ذلك الأبكم الكل الّذي لا يأتي بخير، وذلك مثل للأصنام إذ لا تنطق وتضرّ، ولا تنفع ولا تعقل، وهي ثقيلة على من يعبدها بالنّقل والخدمة والذبح لها، وقيل هو أبو جهل، ﴿**وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: سيرة حسنة من دين ومكارم الأخلاق في نفسه، ولغيره، ولذلك استقام له الأمر بالعدل، وهذا مثل لله، وليس المراد أنه يوصف بالسّيرة ومكارم الأخلاق، وهو مقابل لأبي جهل، وقيل الأبكم ابن أبي جهل وقيل الأبكم الكافر، والآمر بالعدل المؤمن، وقيل الأبكم أبي ابن خلف، ومن يأمر بالعدل، حمزة وعثمان بن مظعون رضي الله عنه، زاد قومنا عثمان بن عفان، وقيل هو والأبكم مولى له بأمره بالإسلام، ويأمره المولى بالإمساك عن النّفقة[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته العظيمة في إظهار العدل والمساواة بين خلقه، فلا ظالم ولا مظلوم، عكس عبدت الأصنام فهم من يوجّهونها، ويحملونها، ويصنعونها، ويصلحونها إذا

---

[1]. سورة آل عمران الآية 195.

[2]. سورة محمد الآية 12.

[3]. سورة المائدة الآية 10.

[4]. سورة النّحل الآية 76.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص141.

تضرّرت، وما عسا الصّنم المتحجّر أن يعدل بين النّاس، أو يلبّي حاجتهم إذا أرادوا ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا**﴾[1]، فهي بكماء لا تسمعهم وهم يتضرعون لها بصوت عالي، فكيف تسمع ما يلج في صدورهم، وما يخطر على أفكارهم، فذلك الله سبحانه وتعالى، يعلم الجهر وما يخفى، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[4]

﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً**﴾: روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور هي مكة، على أنّ المضروب لهم المثل غير أهلها ممّن أبطر النّعمة فأهلك خوفهم بالسّنين الّتي أصابت أهل مكّة، أو على أنّ المضروب لهم المثل هم أهل مكّة، خوفهم بالسّنين الّتي أصابتهم ليزدجروا فلا تصيبهم مرّة أخرى، والّذي يفهم من كلام حفصة رضي الله عنها أنّ القرية غير مكّة، خوف أهل مكّة أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل تلك القرية من السّنين، وذلك قيل هو قبل أن تصيبهم سنون، فلمّا لم يزدجروا أصابتهم، وقيل بعده خوفهم أن يعود إليهم مثلها، وهذه القرية الّتي هي غير مكّة ذكرت على سبيل الفرض والتّقدير لا قرية موجودة معيّنة، ويحتمل أن تكون معيّنة لأنّ المثل يضرب بالموجود وغيره، والمعين والمبهم، واختار بعضهم أنّها مكّة[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ عذابه لا يقتصر على الكفّار والمشركين فقط، وإنّما قد يمسّ قوم قد عرفوا صدق النّبوّة، وأيقنوا بنزول الوحي، وبرهان الآيات على التّوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى وحده، ثم يعودون إلى الكفر والهجران،

---

[1]. سورة الفرقان الآية 55.

[2]. سورة الأعلى الآية 07.

[3]. سورة فصلت الآية 40.

[4]. سورة النحل الآية 112.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص189.

فينتقم منهم الله تعالى أشدّ انتقام، بابتلاء يتباين بين خوف في افتعال الحروب والفتن، ومن جوع في امتناع السّماء عن المطر، ومن أمراض مختلفة ومعدية للإنسان والحيوان والنّبات، كما قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾[3]

﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ**﴾: لا تمسك عن الإنفاق في الخير والمباح كل الإمساك كالّذي ربطت يده إلى عنقه لا يطيق أن يمدها بالإعطاء فهذا تمثيل لمنع الشّحيح، ﴿**وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾: فتعطى جميع ما عندك كالّذي لا تنقبض كفه على شيء ولا يطيق قبضها فكان لا يحفظ بها شيئا، وهذا تمثيل لإسراف المبذّر فإنّ المبالغة في الإعطاء هكذا إسراف ولو في الخير، وتلك قضيتان سالبتا عموم فأفادتا أنّه مأمور بأن يمسك عن الإنفاق بعض الإمساك، ويبسط به بعض البسط فذلك هو التّوسّط المسمى بالكرم لا شحّ ولا تبذير[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى كيفية إعطاء الصّدقات لمن يحتاجها ويستحقها بقدر معلوم، وبأن لا يمنح أمواله كلها فيندم على إخراجها فتذهب حسناتها وبركاتها، ولا يمنع نفسه من إخراج النّصيب من أمواله وممتلكاته حتى لا يكون بخيلاً لا يحب الخير لغيره، ويكون هو السبب في إسعاد غيره وإدخال البهجة إلى قلوب المحتاجين واليتامى، فلا بد للإنسان المؤمن أن يرى بأن تلك الأموال مهما كانت كثيرة أو قليلة فهي من عند الله تعالى وهو الذي يرزق العباد، وما عليه سوى العبادة بالصلاة وتأدية الزكاة وعمل

[1] . سورة البقرة الآية 155.

[2] . سورة الأنبياء الآية 35.

[3] . سورة الإسراء الآية 29.

[4] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص295.

الخيرات، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[2]

﴿**لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**﴾: لأقطعنّهم من أصلهم عن دينك بالإغواء، وهو من احتنك الجراد الأرض إذا جرد عليها بالأكل وهو مأخوذ من الحنك والحنك اللحي، فكأنّه مثل إغواءهم بجعل الحيوان اللّقمة في فمه بين أشداقه، ويجوز أن يكون المعنى لا يسلن باحتناكهم على أنّه تمثيل لإمالتهم عن دين الله، كقولك حنكت الدّابة إذا شدّدت على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد، ويقال احتنكت السّنة المال أي جرّته[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى الجبروت والوقاحة والتعنت الذي وصل به الشيطان فور حسده وغيرته من مكانة أبونا وسيدنا آدم عليه السّلام وهو أفضل مخلوقاته[4]، وكأنّه يراهن ويعمل تحديا مع شخص مثله، وكيف وهو يقول لله تعالى لأغوينهم ولأضللنهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين التائبين، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[5]، ولأنّه لا يستطيع أن يجعلهم في صفّه بإيمانهم القوي وتوكلهم الكبير على الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾.[6]

---

[1]. سورة الإسراء الآية 30.

[2]. سورة الإسراء الآية 62.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص335.

[4]. جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ، ج06، ص 474.

[5]. سورة الحجر الآية 39 – 40.

[6]. سورة الإسراء الآية 65.

في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[1]

﴿**إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾: أي: سريع الزّوال، وقال الزّمخشري تمثيل[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنه لابد للحق وهو الإيمان بأن يظهر ويسود ولو طال الزمن بثلاث وعشرون سنة من الدعوة إلى نشر الإسلام، فيجمع الأمة المحمدية كلها على دين واحد وإله واحد، وأن لا بد للباطل وهو الشّرك والكفر بأن يزهق ويختفي ويمحى من على وجه الأرض[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ**﴾[4]، وكما في قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**﴾[6]

﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ**﴾: أي الكافر مع المؤمنين أو للكافر والمؤمنين، وقيل: مثّل بعينة وأصحابه، وسلمان وأصحابه، والرجلان من بني مخزوم من أهل مكة أحدهما مسلم وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد يا ليل، وهو زوج أم سلمة قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والآخر كافر، ﴿**جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ**﴾: جعلنا للكافر بستانين من أعناب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا حافتهما أي: ما حولها نخلا محيطة بهما، وجعلنا بين أجزاء كل واحدة أي وسط كل واحدة زرعا جامعا للأقوات والفواكه، متصل العمارة مع الشّكل الحسن والترتيب

---

[1] . سورة الإسراء الآية 81.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج07 ص 373.

[3]. أبو سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1418هـ، ج03، ص265.

[4]. سورة محمد الآية 03.

[5]. سورة الأنبياء الآية 18.

[6] . سورة الكهف الآية 32.

المهذب أو لتكون كل جنة جامعة لذلك والزرع ما يزرع كبر وشعير وذرة وحمص، ونحو ذلك مما يقتات به[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه فنّان متفنّن في كلّ شيء مبدع الجنان، من بساتين خضراء تسرّ النّاضرين، وهو الرازق يرزق من يشاء من عباده، الكافر والمسلم بغير حساب، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾[2]، فلا يمكن للمؤمن أن يحسد أخاه أو يتكبّر عليه لأنّ الله تعالى فضّله في الرّزق والنّعم، واعلم أخي المسلم أنّ الله تعالى لا يريد منّا الرّزق وإنّما العبادة والصّلاة، كما قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾.[3]

[1] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص480.

[2] . سورة سبأ الآية 39.

[3] . سورة طه الآية 132.

المبحث الثّالث: الاستعارة

المطلب الأوّل: مفهوم الاستعارة لغةً واصطلاحًا

أوّلاً: تعريف الاستعارة لغةً

الاستعارة من (عور)، واستعار: طلب العارية، واستعاره الشّيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه[1]، وهي على وزن (استفعال) ثم نقلت إلى نوع من التّخييل لقصد المبالغة.[2]

ثانيًا: تعريف الاستعارة اصطلاحًا

الاستعارة جمع بين شيئين بمعنى مشترك بينهما يكسب بيان أحدهما بالآخر، ولا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء: مستعار، ومستعار منه، ومستعار له، فاللّفظ المستعار قد نقل من أصل إلى فرع للإبانة، والمستعار منه والمستعار له، لفظان حمل أحدهما على الآخر في معنى من المعاني هو حقيقي للمحمول عليه مجازي للمحمول، مثل قوله تعالى: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾:[3] فهذا مستعار، ومستعار منه، ومستعار له، فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل الأصل الّذي هو النّار إلى الفرع الّذي هو الشّيب قصداً للإبانة، وأمّا المستعار منه فهو النّار والاشتعال لها حقيقة، وأمّا المستعار له فهو الشّيب والاشتعال له مجاز.[4]

ثالثاً: أقسام الاستعارة باعتبار الطّرفين

1. **استعارة تحقيقيّة**: يكون المستعار له محققاً عقلاً، ينصّ عليه ويشار إليه إشارة عقليّة، وتنقسم بدورها إلى:

---

[1]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج04، ص 618.

[2]. بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، ج03، ص 432.

[3]. سورة مريم الآية 04.

[4]. ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375م، ج01، ص84.

أ.استعارة تصريحيّة: ذكر فيها المشبه به فقط.

ب.استعارة مكنيّة (استعارة بالكناية): ذكر فيها المشبه فقط،

2.استعارة تخييليّة: يكون المستعار له صورة وهميّة.

3.استعارة أصليّة: عدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولاً، وتنقسم إلى:

استعارة أصليّة تصريحيّة مكنيّة: يكون المستعار اسماً جامداً لذات، أو اسماً جامداً لمعنى.

4.استعارة تبعيّة: تتبع استعارة أخرى، ولا تتصوّر الاستعارة فيها إلاّ بواسطة كليّ مستقلّ بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً، ومشبها بها، أو محكوماً عليها، أو بها، وتنقسم إلى:

أ.استعارة تبعيّة تصريحيّة: يكون المستعار فعلاً، أو اسم فعل، أو اسماً سنقاً، أو اسماً مبهماً، أو حرفاً.

ب.استعارة تبعيّة مكنيّة: يكون المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً.

رابعاً: أنواع الاستعارة

1.**الاستعارة المرشّحة:** ذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

2.**الاستعارة المطلقة:** ترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوي بينهما.

3.**الاستعارة المجرّدة:** ذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

خامساً: الغرض منها

إظهار الخفيّ وإيضاح الظّاهر الّذي ليس بجليّ أو بحصول المبالغة أو للمجموع، أو جعل ما ليس بمرئيّ مرئياً لأجل حسن البيان.[1]

[1]. بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، ج03، ص 433.

المطلب الثّاني: توظيف الاستعارة من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

صرّح الشّيخ محمد أطفيّش أنّه قد اجتهد في تخريج الاستعارة من الآية، ثم بعد ذلك توجّه إلى علماء البلاغة مثل (الزمخشري)، (القشيري)، (ابن تيمية)، (شيخ الإسلام)، (الزجاج)، أي أنّه لم يقلّد غيره بل أتى ما تراء له، ووضّح في قوله: (ثم رأيت بعضه لجار الله، والقشيري، وشيخ الإسلام).[1]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2]

﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾: سمى مكراً لنزوله في غفلة، وذلك استعارة تصريحيّة أصليّة تحقيقيّة[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حالة الغضب الّتي تحلّ على الأقوام الكافرة بربّها، فلا يمكن مجرّد التّفكير بالهرب أو الاختفاء، فالله تعالى عالم بما تكنّه الصّدور، كما قال تعالى: ﴿**وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[4]، وعالم بكلّ مكان وزمان، وغضبه قد سيطر على كلّ الجهات الأربع، فلا رحمة تنزل، ولا تخفيف عذاب إلاّ من آمن، ورحمه ربّه تعالى بكرمه وعطفه ولطفه، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾[6]

﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا**﴾: على وعيد فرعون، فلا نفتتن به عن الإيمان فهو على ما يظهر مجاز مركب، وهو استعارة تمثيلية، أي: افعل بنا من توسيع الصبر علينا، وتغميدنا به، ومحو الذنوب

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص217.

[2]. سورة الأعراف الآية 99.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 186.

[4]. سورة التغابن الآية 04.

[5]. سورة الدخان الآية 42.

[6]. سورة الأعراف الآية 126.

به ما يكون شبيها بإكثار الماء وإفراغه، على الشيء المتّسخ لإزالة وسخه، ويجوز أن يكون توسيع الصبر مشبها بإفراغ الماء مستعارا له لفظ الإفراغ استعارة أصلية، واشتقا من هذا اللفظ معنى التوسيع، افرغ بمعنى وسع، فافرغ استعارة تصريحية تبعيّة، وصبرا قرينته، ويجوز أن يكون في صبرا استعارة مكنية، شبه بالماء في إزالة المكروه، وافرغ رمز إلى هذا التشبيه، فإن الإفراغ من لوازم الماء[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المؤمنين وهم في وجع وضيق من معاملة فرعون وأتباعه، وما وجدوا سوى الله تعالى المستعان على كلّ شيء في طلب القوة والثّبات والعزيمة حتى يتغلبوا على شره، ومكائده، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[3]

﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾: تشبيه لما يحصل في القلب بما يحصل في اليدّ، ويرى كما يقال، حصل في يدي مكروه إلاّ السّعي والصّرف والدّفع، فتحصل باليد واللسان وغيرهما، نعم قد تستعار لفعل القلب[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكفّار لما رأوا برهان ربّهم قد تجلّى بين أيديهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾[5]، فلم يسعهم إلاّ الرّضوخ والانقياد لله تعالى قلباً وقالباً.

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 205.

[2]. سورة آل عمران الآية 173.

[3]. سورة الأعراف الآية 149.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص267.

[5]. سورة النبأ الآية 40.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾[1]

﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ**﴾: أي سكن باعتذار هارون أو بتوبتهم أو بهما، شبّه سكون الغضب بعد هيجانه بالسّكوت بعد التّكلم، بجامع أنّه كلام بعد وجود وإمساك بعد شروع، فسمى السّكون باسم السّكوت، واشتقّ سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التّبعيّة التّصريحيّة، أو شبّه الغضب بإنسان متكلّم يقول: قل لقومك كذا، وألقي الألواح، وجرّ أخاك إليك برأسه ولحيته، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾[2]، ثم ترك القول، وذلك تشبيه مضمر على طريق الاستعارة المكنيّة والسّكوت رمزاً واستعارة تخييليّة، فعلى الوجه فقد جعل الغضب كالإغراء لموسى والأمر له بإسكان الميم، وعلى الثّاني بقسميه جعل كالمغرى له، والأمر بالمدّ وكسر الميم، ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة والبلاغة، مع أنّ الاستعارة مطلقا مبنيّة على المبالغة بجعل المشبّه من جنس المشبّه به مبالغة وإدعاء، ثم رأيت بعضه لجار الله، والقاشي، وشيخ الإسلام استعار شيء معقول لشيء معقول، لاشتراكهما في وصف، وحكاه بعضهم وتوهم أنه لا استعارة فيه وأنه حقيقة، وليس كذلك بل هو من الاستعارة، فإن الغضب ليس مما يسكت عنه، وإنما يسكت عن الكلام[3]، الجامع بينهما هو زوال الغضب، كما أن السّكوت زوال الكلام[4]، وفيه دليلا على موقع العودة في الغضب إذا تؤمل الحال، ونظر فيما يعود به عبادة العجل من الضرر في الدين، كما أن الساكت يتوقّع كلامه[5]، ألا تحس بالغضب هنا

[1] . سورة الأعراف الآية 154.

[2] . سورة الأعراف الآية 150.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05 ص 217.

[4]. إبراهيم العلويّ، المصدر السابق، ج01، ص 187.

[5]ـ أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تحقيق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصريّة، بيروت، 1419هـ، ج01، ص 272.

وكأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة، ثم سكت وكفّ عن دفع موسى وتحريضه[1]، فهذه الصّورة تعبّر عن هدوء موسى بعد ثورة الغضب، ولكنّ تصوير المعنى بالسّكوت، له مغزاه، وإيحاؤه، فالتّصوير لا ينقل المعنى فحسب، وإنّما يرصد أيضا ما يصاحب الغضب من حركات وأصوات[2]، الغرض منها ذكر العبرة التّاريخية للأمّة الخاتمة في دعاء موسى عليه السّلام من أن عذابه تعالى يصيب به من يشاء، وأن رحمته سبحانه وتعالى وسعت كلّ شيء، وسيكتبها لأهل التّقوى، والزّكاة، وأهل الإيمان بآياته[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[5]

﴿**ينْزِغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ**﴾ ينخسنّك بالوسوسة في قلبك، شبّهها بنخس الدّابة، ففي بنزغ استعارة تبعيّة تصريحيّة، وقلّ ما يستعمل النّزغ إلاّ في فعل الشّيطان، وقال الزّجاج: النّزغ أدنى حركة يكون، ومن الشّيطان أدنى وسوسة، وقيل: النّزغ حركة فيها فساد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "**لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**"[6]، على أنّ النّزغ في يده حقيقة، وبه أشار إلى أخيه بالسّلاح، لكن يحتمل الوسوسة في القلب، وأوقعه على اليدّ لظهور أثرها في البلد[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى إدامة الاستعانة به عزّ وجلّ في كلّ أمورنا صغيرها وكبيرها، والحذر من مكائد الشّيطان المغرية والمحبة لزرع

---

[1]. أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، 2005م، ج01، ص 169.

[2]. أحمد الراغب، المصدر السابق، ج01، ص 128.

[3]. محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط01، 1422هـ - 2002م، ج01، ص 284.

[4]. الأعراف الآية 156.

[5]. سورة الأعراف الآية 200.

[6]. مسلم بن الحجّاج، المصدر السابق، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب النّهي عن الإشارة بالسّلاح إلى مسلم، رقم الحديث2617، ج04، ص2020.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص293

الفتن والعداوة والحسد[1]، كما قال تعالى: ﴿**وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**﴾[2]، فهو يعرف نقاط ضعفنا نحو ميلنا للأمور المحرّمة، وباستطاعته الإقناع والإصرار على العمل بها أمام أنفسنا وأمام الملأ أجمعين، فمن لا يخشى الله تعالى ولا يحذر مراقبته لا يكترث للناس من حوله، وبتالي خلصنا الله تعالى بالتعوذ به من كلّ وسواس خنّاس، كما في قوله تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾[4]

﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾: ﴿**وَتَوَدُّونَ**﴾: تمنون، ﴿**أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ**﴾: صاحبة، ﴿**الشَّوْكَةِ**﴾: الشّدّة والقوّة، وأصلها الحدّة استعارة من واحدة الشّوك ﴿**تَكُونُ لَكُمْ**﴾، والطائفة صاحبة الشّوكة النّفير الّذي استنفرهم أبو سفيان، نادي أبو جهل على الكعبة: يا أهل مكة النّجاء النّجاء على كلّ صعب وذلول، يعني بالنّجاء الإسراع، عيركم وأموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا بعدها أبدا، وجاءوا في كثر وسلاح تام، والطائفة غير صاحبة الشّوكة هي العير، تمنّوها لكثرة الخير فيها، وقلّة رجالها، وهي أربعون رجلا أو ثلاثون كما مرّ، فيهم أبو سفيان، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، ومخرمة بن نوفل[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى وعده الأحقّ في نصر المؤمنين الصّالحين، وكان وعده انتصار المسلمين بقيادة الرّسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر بالاشتراك مع ملائكة مسوّمين، كما في قوله تعالى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ**

[1]. أبو سعيد البيضاوي، المصدر السابق، ج03، ص 47.

[2]. سورة يوسف الآية 100.

[3]. سورة البقرة الآية 268.

[4]. سورة الأنفال الآية 07.

[5]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 324.

مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[1]، وكان النّصر حليفهم في الآخر.

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾**.[2]

﴿**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**﴾: إغشاءهم النّعاس إدخاله عليهم وتغطيتهم به وذلك استعارة، والنّعاس النّوم الخفيف يصيب الإنسان وهو قائم أو ماش[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى حالة السّكون والطّمأنينة الّتي حفّها بالمسلمين والتّخفيف عنهم بإلقاء النّوم عليهم، وهذه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث غشي الجميع النّوم في وقت الخوف، قال علي رضي الله عنه: **"مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ " وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ"**[4]، قال ابن كثير: وكأن كان ذلك للمؤمنين عند شدة البأس، لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله فيغشى جفونهم النّوم ويرتاحوا من التعب، فأنزل عليهم المطر لتطهيرهم وارتوائهم، وأذهب عنهم وسواس الشّيطان وتخويفه، فما أن استقضوا حتّى أصبحوا على عزيمة وقوّة، ثم عادوا بنصر كبير[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**.[7]

---

[1]. سورة آل عمران الآية 125.

[2]. سورة الأنفال الآية 11.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص333.

[4]. أحمد بن حنبل، المصدر السابق، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث 1022، ج02، ص 299.

[5]. محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج01، ص 460.

[6]. سورة التوبة الآية 25.

[7]. سورة الأنفال الآية 30.

﴿**وَيَمْكُرُ اللهُ**﴾: أي يجازيهم على مكرهم، وسمّى الجزاء باسم الذّنب، أو يردّ مكرهم عليهم، أو يعامله معاملة الماكر، وقد قلّد المسلمين في أعينهم حتى اغتروا بقتلهم، فكانت الوقعة عليهم، وذلك في أمر بدر، ولا يوصف الله بالمكر إلا مقابلة مكر، لأنّه يوهم الذّم، وذلك وقوف مع الوارد في صفة الله تعالى، ولزم يرد وصف المكر إلاّ مع ذكر مكر الإنسان، وأجيز وصفه به مطلقا استعارة، كقول علي كرّم الله وجهه: من وسع عليه في الدنيا ولم يعلم أنّه مكر به فهو مخدوع[1]، الغرض منها تذكير الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه النّعمة العظمى التي أنعم بها عليه وهي نجاته من مكر الكافرين وكيدهم له بمكة، ومجازاتهم بعذاب عظيم[2]، كما في قوله تعالى: **﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾**.[3]

في قوله تعالى: **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[4]

﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾: قال ابن إسحاق: الهلاك والحياة استعران للكفر والإيمان، وقول قتادة: إنّ المراد الضّلال والاهتداء وإنّما تعدى الهلاك بعن لأنّه فوات وخروج عن الإيمان بالضّلال، أو بالموت، أو لتضمنه معنى صدور الهلاك عن كذا وتعدّى يحيا بعن لتضمنه معنى صدور الحياة عن بينة[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه عالم بمن هو مؤمن صادق ومن هو كافر منافق كذّاب، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾، فمن شهد غزوة بدر

---

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص360.

[2]. أبو الطيب محمد القِنَّوجي، المصدر السابق، ج05، ص 165.

[3]. سورة الرعد الآية 42.

[4]. سورة الأنفال الآية 42.

[5]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص 383.

وما حصل للمؤمنين الغزاة حتى غشيهم النّعاس وأصبحوا على طمأنينة ونزول مطر يطهّرهم، ومن حدوث معجزة مشاركة الملائكة في النّصر ولم يؤمن بالله الأحد سيموت عن هلاك هو مقدره لنفسه، ومن صدّق وأوثق العزم بأن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيعيش في حياة ملئها النّور والإيمان حتى بعد الممات.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[2]

﴿**وتَذْهبَ رِيحُكُمْ**﴾: الرّيح مستعارة للدّولة أو النّصر، والقّوة استعارة تصريحيّة أصليّة تحقيقيّة، فإنّ الدّولة في تمشّي أمرها ونفاذه كالرّيح هبوبها ونفوذها، فجعلت الدّولة من جنس الريّح على طريق مبالغة العرب، وادّعائها، فأطلق عليها لفظ الرّيح، يقال : هبت ريح فلان، والريح لفلان، إذ دالت له الدولة ونفذ أمره[3]، الغرض منها نهيه تعالى عن كثرة النّزاع والمشاجرة النّاتجة عن الخلاف، فيكون سبباً في ضعفهم وقلّة تركيزهم على المعركة فيعرف العدوّ نقاط ضعفهم ويهزمون، وأوحد علاج للابتعاد عن الخصام النّاتج عن التّوتّر والخوف هو الالتزام بالصّبر والصّلاة[4]، وتذكر الجهاد في سبيل الله تعالى ثم الرّسول صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى دائما مع الصّابرين والثّابتين، كما قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾.[6]

---

[1]. أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي، المصدر السابق، ج 02، ص 322.

[2] . سورة الأنفال الآية 46.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج 05، ص388 .

[4]. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج 10، ص23.

[5]. سورة آل عمران الآية 142.

[6]. سورة إبراهيم الآية 27.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.[1]

﴿**أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**﴾: ﴿**شَفَا**﴾: طرف، ﴿**جُرُفٍ**﴾: ما يجرفه السّيل من الأوديّة، ﴿**هَارٍ**﴾: بنيان متداع وساقط ومنهال[2]، ﴿**فَانْهَارَ**﴾ أي بنائه ﴿**بِهِ**﴾ أو انهار هو بنيانه، أي سقط سقوطاً عظيماً معه، أو سقط حال كونه به أي فيه لضعفه وقلّة تماسكه، ﴿**فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾: من أسّس بنيانه على التّقوى والرّضوان هم المؤمنون، وبنيانه مسجد قباء، وقيل: مسجد المدينة، ومن أسّس بنيانه على شفا جرف هارٍ هم أهل مسجد الضّرار، والمعنى الأصلي صورة أخرى منتزعة من متعدّد كما ترى، وهذا المتعدّد البناء وتأسيسه، والبناء الآخر، وكونه على شفا جرف هار، وشبهّت تلك الصّورة بهذه، وذكر التّقوى والرّضوان تجريد، لأنّه يناسب المشبّه، والانهيّار في نار جهنّم ترشيح، لأنّه يناسب المشبّه به، ووجه الشّبه في الشّق الأوّل مطلق الثّبات والانتفاع، وفي الثّاني مطلق للبطلان، وسرعة الذّهاب والضّر، وجعل الانهيّار في نار جهنّم في مقابلة الرّضوان، لأنّ رضا الله يحفظ عنها، ويوصل إلى الجنّة[3]، واستعارة تصريحيّة تحقيقيّة، والقرينة: وضع شفا الجرف في مقابلة التّقوى، وفيه تشبيه التّقوى بقواعد البناء تشبيهاً مضمراً في النّفس، على سبيل الاستعارة المكنيّة، والقرينة: التأسيس والبنيان[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى عدم استواء من أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان، ومن بني مسجدا ضراراً وكفرا وتفريقا بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من قبل[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ**

---

[1]. سورة التّوبة الآية 109.

[2]. محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية ، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ط04، 1415هـ، ج04، ص 171، ص 172.

[3]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص101.

[4]. محمود بن عبد الرحيم صافي، المصدر السابق، ج11، ص37.

[5]. إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط02، 1420هـ - 1999م، ج04، ص217.

اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، ولأنّ المسجد الأوّل الّذي أسّس على التّقوى هو الأحق للصّلاة فيه، وفيه رجال مؤمنون مطهّرون، هل يستوي البنيان الّذي أسّس على طاعة الله تعالى كالبنيان المؤسّس على معصيته، والله تعالى لا يصلح عمل المفسدين.[2]

في قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**﴾.[3]

﴿**فِيكُمْ إِلًّا**﴾: حلفاً ووجه تسميّة الحلف إلاّ أنّهم إذا تمسحوا بالأيدي عند المخالفة، رفعوا أصواتهم، وشهروا أمرهم، ورفع الصّوت يقال له إلّ وإليل، فقيل لكلّ عهد وميثاق: إلّ وإلاّ فالإل في الآية صحيح اللاّم مضاعف، والإلية بمعنى الحلف معتلة غير مضاعف، وذلك قول قتادة، فقال ابن عباس: إلاّ قرابة وجهه أنّ القرابة مثل ذلك المذكور من رفع الصّوت بالمحالفة في العقد بل أشدّ عقداً، ومثله قول بعضهم: إلاّ رحماً، وذلك كلّه استعارة، وقيل: حقيقة[4]، الغرض منها بيان الله تعالى للمؤمنين أن يحذروا المشركين، فهم إذا تمكنوا من واحد منهم، لا يراعون فيه قرابة ولا عهداً ولا حلفاً ولا جواراً ولا قسماً، ولا لكون الشخص طفلا أو امرأة أو رجل أعزلا أو شيخا كبيرا، فهم منافقين بحق يتظاهرون بالود والمودة ولكن باطنهم حقد وعداوة[5]، كفانا الله تعالى شرهم، كما في قوله تعالى:﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾.[6]

---

[1]. سورة التوبة الآية 107.

[2]. مأمون حموش، المصدر السابق، ج03، ص 553.

[3]. سورة التّوبة الآية 08.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج 05، ص441.

[5]. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج 08، ص 4902.

[6]. سورة آل عمران الآية 118.

في قوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾[1]

﴿**الْحَكِيمِ**﴾: أي ذي الحكمة، نسب إلى الحكمة لاشتماله عليها، فذلك على النّسب، أو شبّه الكتاب بالحكيم النّاطق بحكمته، على طريق الاستعارة المكنيّة، والقرينة إثبات الحكمة، أو أسند الحكمة إليه تجوزاً، كقولك: نهاره حائم، وليله قائم[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى تميّز القرآن الكريم عن غيره من الكلام البشريّ، فهو آيات من الذّكر الحكيم صادرة عن أحكم الحاكمين، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**﴾[3]، فهي لا تدلّ في معانيها إلاّ على الحكمة، والبيان، والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[4]، عكس الكلام البشريّ النّاتج عن بشري ضعيف يخطأ أكثر ممّا يصيب، وأقلّ ما يأتي بكلام ذا ذوق وقيمة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ**﴾[6]

﴿**ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ**﴾: أي امضوا في الأمر الّذي تريدونه من إهلاكي، وأوصلوه إليّ، ويجوز أن يشبّه هلاكه بدين يرونه حقاً عليهم، كما يرى الرّجل قضاء الدّين واجباً عليه، ورمز لذلك بلفظ القضاء، فيكون ذلك من الاستعارة بالكناية[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الأقوام الّتي كانت

---

[1]. سورة يونس الآية 01.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 08، القسم الأول، ص 11.

[3]. سورة آل عمران الآية 58

[4]. سورة آل عمران الآية 138.

[5]. سورة الفرقان الآية 33.

[6]. سورة يونس الآية 71.

[7]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 08، القسم الأول، ص103.

أشدّ كفراً وتكذيباً، وأصعب تصديقاً برسلها عليهم السّلام، حتّى وصل بهم الأمر إلى قتلهم أو نفيهم أو تهجيرهم إلى مكان بعيد، كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾.[1]

﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[2]

﴿**أَيُّكُمْ**﴾: متعلق بخلق، وقيل: بأعلم محذوفاً، أي أعلمكم بذلك: والأول أولى، أي لم يخلقهن عبثا، بل ليفعل بكم فعل من يختبر أحوالكم وقد علمها، ولكن ليقطع معاذركم، وفي الكلام استعارة تمثيليّة تبعيّة، شبّه حال المكلّف الممكن المختار مع تعلّق علم الله تعالى بأفعاله، بحال المختبر ثم استعير لجانب المشبّه ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ**﴾: الخ، موضع (ليعلم أيكم) ... الخ، والقرينة أنّ الله تعالى لا يخفى عنه شيء[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه لا حجّة لمن كفر وأشرك به في حين توجد هذه الدّلالات الكونيّة من خلق السّموات والأرض والبحار والمحيطات والجبال، كما قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾[4]، ورغم ذلك ينكرون يوم البعث والنّشر وينعتونه بالسّحر والكذب.

في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.[5]

---

[1]. سورة أل عمران الآية 184.

[2]. سورة هود الآية 07.

[3]. محمد بن يوسف أَطَّفَيِّشْ، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1483.

[4]. سورة النحل الآية 83.

[5]. سورة هود الآية 44.

﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي**﴾: أي أنشفي، استعار اللف لجذب الطبيعة لمطعوم من الفم والحلق، وهو لفظ البلع لنشف الماء وتفويره فاشتق منه ابلعي بمعنى غوري وانشفي ماءك الظّهر والباطن[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى قدرته وإرادته في تحكيم الأمور واليه يرجع الأمر والتنفيذ.

في قوله تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.[2]

﴿**مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ**﴾: بالتّحتيّة وكسر العين من الارتعاء، يقال: ارتعا يرتعي وهو يفتعل من الرّعي، أي يخصم مراعي دوابنا أو يدخلها، أو يأكل ممّا تنبت الأرض ممّا يؤكل تفكّهاً، والرّتعة الخصب، وذلك استعارة من رتوع البهيمة والسّعة[3]، الغرض منها بيان تفوق المكر والخداع لأخوة يوسف عليه السّلام وقدرتهم على الكذب والإقناع والإصرار على أخذه معهم، ولم يرق لهم قلب في التّخلص منه وإزاحته من طريق حب أبيهم ومعزته، وما أن عزموا حتى تمكّنوا من فعل ذلك، فأصبح أبوهم سيّدنا يعقوب عليه السّلام ضريراً بسببهم، ولم يتسنّى لهم حتى التّراجع وإحضاره من الجبّ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾.[5]

﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾: أي بعد الميثاق الواقع في شأنه وهو الإقرار والقبول اللّذان أوثقوا بهما العهد، والمراد فقائلوا للمذكورين أولا، شبه العهد بالحبل بجامع التوصل بكل إلى المقصود، وبجامع الارتباط، ولم يذكر المشبه به بل، ذكر المشبه فهو استعارة

---

[1]. محمد بن يوسف أَطَّفَيِّشْ، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1520.

[2]. سورة يوسف الآية 12.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج 06، ص149.

[4]. سورة يوسف الآية 84.

[5]. سورة الرعد الآية 25.

مكنية، وينقض رمز وقرينة لأنّه من لوازم الحبل باق على حقيقته تابع للاستعارة، أو استعارة تصريحيّة لما يلائم العهد، وهو يتركه تبعية لاستعارة النقض للترك، والعهد قرينة[1]، الغرض منها بيان الله تعالى القوم الّذين قالوا في قوله تعالى: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾[2]، ثم رجعوا عمّا قالوا ولم يراعوا العهد الّذي كان بينهم وبين ربهم تعالى، ولم يراعوا حدود الله تعالى في الأمر بوصل الأرحام، وأفسدوا في الأرض بزرع الفتن وإزهاق دماء الأبرياء بالظلم والمعاصي[3]، لكن عيشهم في النعم والخيرات لا يمنع عنهم العذاب والطرد من رحمة الله عزّ وجلّ الّتي وسعت كلّ شيء[4]، كما في قوله تعالى: كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾.[6]

﴿**يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾: أي يوم يحضر الحساب ويثبت ويشتّد، قال (الطّيبي) في (شرح الكشّاف): شبّه الحساب في الوقوع والثّبوت بالإنسان إذا كان على أقوى حال وهو القيّام ثم أثبت له مجازا ما يلازم الإنسان في هذه الحالة وهو القيّام ثم شبّه هذا المثبّت لا الحقيقة بما أثبت تحقيقا ثم أطلق المحقّق على ذلك أثبت لا على التّحقيق ثم اشتقّ منه يقوم، ففي استعارة مكنيّة للتّخيليّة مستلزمة التّبعيّة، ومثل ذلك قولهم: قامت الحرب على ساق، وقولهم: ترجلّت الشّمس إذا أشرقت وثبت ضوئها[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ كل الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام لهم

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 368.

[2]. سورة الأعراف الآية 172.

[3]. أبو العباس بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر، د، حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج03، ص 23.

[4]. أبو البركات النسفي، المصدر السابق، ج02، ص153.

[5]. سورة العنكبوت الآية 23.

[6]. سورة ابراهيم الآية 41.

[7]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص449.

هدف ودعوة واحدة وهي توحيد الله تعالى وعبادته وحده سبحانه دون سواه، وكما جرت العادة أنّ كلّ نبيّ أو رسول عليهم السّلام يدعو لأمته بالمغفرة والتّوبة، فلم يرضى لأيّ واحد من المؤمنين أن يقع في الشرك فيصيبه نوع من العذاب والعقاب[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾[2]، فقد دعا سيّدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه بأن يغفر الله تعالى له بسبب موته على الكفر وخوفا على أبيه من العذاب المنتظر يوم يقوم الحساب، ودعا أيضا للمؤمنين بالمغفرة عسى الله تعالى أن يرحم كل أمة وأن يرأف بحالها، وقد جعل الله تعالى للمخطئ فرصة للتّوبة وطلب الرحمة والغفران، وجعل للمضل بعدم استحقاق الهداية، كما في قوله تعالى: ﴿**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[4]

﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾: قيل الصّدع هنا الفرق بين الحقّ والباطل، وذلك أمر بإعلان بعد ما كان يدعو إلى الله تعالى سرّاً سنتين، وقال مجاهد: أجهر بالقرآن في الصّلاة، والأول أعمّ فإن القرآن من جملة ما يؤمر به من الشّرائع، شبّه التّبليغ بكسر الزّجاجة بجامع التأثير أي ابن الأمر إبانة لا تلتئم كما لا يلتئم صدع الزجاجة[5]، استعير الصدع وهو كسر الزجاجة وهو محسوس للتّبليغ وهو معقول والجامع التأثير وهو أبلغ من (بلغ) وإن كان بمعناه لأنّ تأثير الصّدع أبلغ من تأثير التّبليغ فقد لا يؤثر التّبليغ والصّدع يؤثّر جزماً، حقيقته فبلّغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة معترك، لأنّ الصّدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزّجاجة، والتّبليغ قد يصعب حتى لا

---

[1]. محمد أبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج08، ص 4045.

[2]. سورة نوح الآية 28.

[3]. سورة النساء الآية 88.

[4]. سورة الحجر الآية 94.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص51.

يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الّذي يجمعهما الإيصال، إلاّ أنّ الإيصال الّذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ[1]، الغرض منها بيان محبة الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في طمأنت قلبه بتأييده في تيسير دعوة الحق، ونصرته على الأعداء، وحفظه من أذى الكفار والمشركين، وكفاه شر المستهزئين الجاهلين[2]، كما قال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾.[4]

﴿**أَنْ أَنذِرُوا**﴾: أي أعلموا النّاس أو خوّفوهم والخطاب لمن يشاء من عباده وإن مصدريّة والباء مقدّرة قبلها عند من أجاز دخول المصدريّة على الأمر والمصدر والجار بدل من قوله بالرّوح أو لا يقدر الجار فيكون المصدر بدلا من الرّوح وإن قدر منصوبا على نزع الخافض فهو، والخافض المنزوع بدل من قوله بالرّوح أو معسرة فإنّ في الرّوح معنى القول دون حرفه إذا فسّر بالوحي أو القرآن أو نحوهما مما مرّ فإنّ تنزيل الملائكة بالرّوح مطلقا مشعر بالوحي المطلق والوحي كلام وأجيز أن تكون مخفّفة من الثّقيلة فهي أيضا مصدريّة والكلام فيها كالكلام المذكور في المصدريّة الخفيفة وكل من التّفسير والإبدال قربة على أنّ الرّوح ليس على حقيقته وهو الرّوح الجسد فإنّه مستعار للوحي، وما ذكر استعارة أصليّة تحقيقيّة تصريحيّة[5]، الغرض منها بيان الله تعالى أن له القدرة والسلطة في إرسال روحه من وحي الديانات السّماوية عن طريق جبريل عليه السّلام وبإرادته أن يختار من عباده الرسل والأنبياء عليهم السلام المصطافين والمسخرين لمهمة التوحيد والدعوة، على

[1]. علي بن عيسى الرماني، المصدر السابق، ج01، ص87.

[2]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج04، ص 551.

[3]. سورة الروم الآية 47.

[4]. سورة النحل الآية 02.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج 07، ص59.

أن يعلنوا للناس بأن الله تعالى هو واحد لا شريك له، فاتقوه واحذروه وأطيعوه وأطيعوا رسله عليهم السلام[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾.[4]

﴿**فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ**﴾: فالخوف بالسّنين الّتي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إذا قال: "**اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُف**"[5]، حتى أكلوا العظم المحرّق والجيفة والكلب والوبر المعالج بالدّم، يرى أحدهم الجوّ كالدّخان من الجوع، وقالوا إن زال ذلك عنّا آمنا، فزال فلم يؤمنوا وذلك قبل الهجرة وقيل إنّه بعدها، شبّه النّحافة واصفرار اللّون من جوع وخوف باللّباس بجامع الاشتمال فإنّ النّحافة والاصفرار يشتملان على الحسد كاشتمال اللّباس عليه فاستعير لهما لفظ اللّباس استعارة أصليّة تحقيقيّة تصريحيّة وشبه ما يدرك من الألم بالطّعم المرّ بجامع الكراهة، تشبيها غير مصرّح به فيكون لفظ اللّباس استعارة مكنيّة على مذهب السّكاكي فقد اجتمعت المصرّحة والمكنيّة، وأمّا على مذهب السّلف فالمكنيّة هي لفظ المشبّه به غير المذكور، وأمّا على مذهب الخطيب القزويني فالمكنيّة التّشبيه المضمر وإثبات الإذاقة للّباس بطريق النّسبة الإيقاعيّة تخييل فقد اجتمعت المصرّحة والمكنيّة والتّخييليّة، وكلام الكشّاف مشعر بأنّه لفظ اللّباس استعارة تحقيقيّة ويحتمل أن يكون عقليّة، ويحتمل أن يكون حسيّة لأنّه قال شبّه ما غشي الإنسان وألبس به من بعض الحوادث باللّباس لاشتماله على اللاّبس والحادث الّذي غشيّه يحتمل

---

[1]. دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ، ج05، ص 116.

[2]. سورة آل عمران الآية 33.

[3]. سورة طه الآية 14.

[4]. سورة النحل الآية 112.

[5]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الأدب، باب تسمية الوليد، رقم الحديث 6200، ج08، ص44.

أن يريد له الضّرر الحاصل من الجوع، فيكون عقليّة وإنّما يريد به امتناع اللّون ورثاثة الهيئة، قال نظر هنا إلى لفظ المستعار له فعبر بالإذاقة ولو نظر إلى لفظ المستعار لقال فكساهم لباس الجوع والخوف، وذكر القاضي وغيره أنّ الذّوق مستعار لإدراك أثر الضّرر واللّباس للجوع والخوف مشتملين على الإنسان وذكر الإذاقة نظرا للمستعار له[1]، الغرض منها بيان الله تعالى حال الأقوام التي آمنت برسالة رسلهم عليهم السلام، وتنعموا بنعم ربهم تعالى، وبعد ذلك أنكروا التصديق بالرسالة المقدسة، وأنكروا خيرات الله تعال عليهم، فجزاهم الله تعالى مقابل عصيانهم بعذاب الجوع والخوف[2]، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[4]

﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾: أي تذلّل وتواضع لهما حتى لا تمتنع من شيء أراده، شبّه الذّل بالطائر تشبيها غير مذكور وذلك التشبيه استعارة ملكية وأثبت له شيئا من لوازم الطائر عند انحطاطه وانخفاضه وهو الجناح وذلك الإثبات استعارة تخييلية[5]، وذلك أنه لما كان الذل ضربين: ضرب يضع الإنسان، وضرب يرفعه، وقصد في هذا المكان إلى ما يرفعه لا إلى ما يضعه استعار لفظ الجناح فكأنه قيل استعمل الذل الذي يرفعك عند الله تعالى من أجل اكتسابك الرحمة أو من أجل رحمتك لهما[6]، الغرض منها تبيين الله تعالى ارتباط طاعة الله تعالى بطاعة الوالدين ولا

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 189.

[2]. أبو الحسن علي الماوردي، المصدر السابق، ج03، ص218.

[3]. سورة النحل الآية 113.

[4]. سورة الإسراء الآية 23 – 24.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص287.

[6]. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، المصدر السابق، ج08، ص 113.

ينظر إلى كونهما كافرين[1]، ومهما كانت الظروف قاسية والمعاملة من الوالدين تبدوا خانقة إلا أن من الواجب احترامهما وعدم ذلّهما وعدم إهانتهما، وإحاطتهما بنوع من الرحمة والود والعطاء المعنوي والمادي، كما في قوله تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾.[3]

﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾: ذلك التّشبيه استعارة تخيّلية أو الاستعارة المكنيّة، هي لفظ العهد المراد به إنسان مظلوم على طريق العرب في الادعاء المكنى به عن الإنسان المذكور أو الاستعارة المكنيّة هي لفظ الإنسان خلاف في مثله وأثبت للمشبّه وهو العهد ما يلاءم المشبه به وهو الإنسان[4]، الغرض منها بيان الله تعالى الأهمية الكبرى لليتيم وكيفية الحفاظ على ماله وإيجاد الطريقة الصحيحة في تسييره واستثماره إلى حين بلوغ رشده والمحدد بثماني عشرة سنة فله الحق الكامل في التصرف في ماله، لكن تبقى النصيحة والإرشاد من أولويات المعاهد وأن يكون مسئولا في جعل حياة اليتيم ميسرة وسهلة[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**﴾.[6]

---

[1]. نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق، الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1416هـ، ج04، ص341.

[2]. سورة لقمان الآية 14 – 15.

[3]. سورة الإسراء الآية 34.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص301.

[5]. أبو البركات النسفي، المصدر السابق، ج02، ص 256.

[6]. سورة الأنعام الآية 152.

في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[1]

﴿**فَتَسْتَجِيبُونَ**﴾: استعارة تنبيهاً على سرعة ذلك وتيسّره[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه مهما بلغ الإنسان من شدّة الكفر والشّرك، وبلوغه زمن بعيد في عبادة غير الله تعالى من الأوثان والأصنام، إلاّ أنّه يوم ينادي المنادي لا تخلّف ولا رجعة، فقط التّلبيّة والاستجابة السّريعة، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.[3]

قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾[4]

﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾: وهي رؤية البصر، لقوله فتنة للنّاس لأنّ ذلك لو كان في المنام لم يكذّبوه ولم يفتتنوا به أو سميت الرّؤية رؤيا لشبه أمر الغيب بأمر الرّؤيا النّوميّة فاستعير لفظ الرّؤيا، والرّؤية استعارة تصريحيّة أصليّة تحقيقيّة[5]، الغرض منها بيان الله تعالى حال الكفار والمشركين الذين رأوا وعلموا بأمر تلك الرؤية وهي ليلة الإسراء والمعراج ورغم ذلك كذبوا ولم يصدقوا فجعلت فتنة لهم، وجزائهم شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾[6]، وزرع الخوف والرعب في قلوبهم، كما في قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾[7] وكلّ ذلك لا يزيدهم إلاّ طغيانا وتعنتا.[1]

---

[1] . سورة الإسراء الآية 52.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص321.

[3]. سورة المؤمنون الآية 114.

[4] . سورة الإسراء الآية 60.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص332.

[6]. سورة الصافات الآية 64.

[7]. سورة الزمر الآية 16.

في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[2]

﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ**﴾: **وَاسْتَفْزِزْ**: استخف، أن تستفزه إلى المعاصي يقال رجل فزاي خفيف، ﴿**بِصَوْتِكَ**﴾: أي بدعائك بالوسوسة إلى المعصية والفساد، ويجوز أن يكون مجازيا للاستعارة التّمثيليّة بأن شبّه اجتهاده في الإغواء بإغارة مغوار على قوم بفرسانه ومشاته حتى أستأصلهم، وبالوجه الأول قال مجاهد والحسن، وقيل إنّ له فرسانا ومشاة من الجن تمشي في الإضلال كجند السّلطان[3]، الغرض منها بيان قدرة الله تعالى في تمكين الشّيطان من إغراء النّاس بوسوسته، فمن كان مؤمناً خالصاً التوبة يكون الله تعالى وكيله وحسبه في الأمور كلها، فيجنبه الشيطان ومكائده، ومن كفر واتبع الشيطان في الفواحش والمنكرات فمذلك سوى غرور ووعود كاذبة ناتجة عن حسد الشّيطان لبني آدم منذ الخلقة وإلى يومٍ يبعثون[4]، كما قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾[6]

﴿**يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾: يختلط ويضطرب كموج الماء في بعض، يختلط الإنس والجن بعضهم ببعض حيارى، ويأجوج ومأجوج مزدحمين في البلاد، أو يمجون لكثرتهم[7]، وأصل الموج حركة الماء

---

[1]. وهبة الزحيلي، المصدر السابق، ج 15، ص105.

[2]. سورة الإسراء الآية 64.

[3]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 338.

[4]. أبي بكر البقاعي، المصدر السابق، ج11، ص 471.

[5]. سورة الأعراف الآية 20.

[6]. سورة الكهف الآية 99.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص73.

فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة[1]، الغرض منها وصف الله تعالى أهوال القيامة من تجمع المخلوقات إنس وجن ومن مختلف الأقوام جميعهم تحت أشعة الشمس الحارقة ينظرون لليوم الموعود، وما يحل بهم من مصير الجنّة أو النّار[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[4]

[1]ـ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ – 1974م، ج03، ص 150.

[2]. جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط01، ج01، ص 395.

[3]. سورة المعارج الآية 44.

[4]. سورة التحريم الآية 07.

المبحث الرّابع: المجاز

المطلب الأوّل: مفهوم المجاز لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف المجاز لغةً

هو من (جوز) أي: جزت الطّريق، وجاز الموضع جوزاً وجوازاً ومجازاً: سار فيه وسلكه، والتّسامح، والتّخطي، لأن اللّسان ورد معنى العفو والتّسامح عندما أورد المعنى الدّيني للّفظ، كما في قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ**﴾[1]، أي: تجاوز الله عمّا تقدّم[2]، يقال: جاز القول، إذا قبل ونفذ، وكذا يقال: جاز العقد وغيره، إذا نفذ ومضى على الصّحة.[3]

ثانيّاً: تعريف المجاز اصطلاحاً

المجاز هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح به المخاطب، بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[4]، والقرينة هي الصارف عن الحقيقة إلى المجاز، إذ اللفظ لا يدل على المعنى المجازي بنفسه دون قرينة.[1]

---

[1]. سورة المائدة الآية 95.

[2]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج05، ص 329.

[3]- عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط01، 1416هـ – 1996م، ج02، ص 218.

[4]- أبي بكر العلوي، (المعاني – البيان – البديع)، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط03، 1429هـ – 2008م، ص321.

ثالثاً: أقسام المجاز

ينقسم المجاز إلى أربعة أقسام، وهي:

1. **مجاز مفرد مرسل (مجاز لغويّ).**
2. **مجاز مفرد بالاستعارة.**
3. **مجاز مركّب مرسل.**
4. **مجاز مركّب بالاستعارة:** هو أن تشبّه إحدى الصّورتين المنتزعتين من متعدّد بالأخرى، ثم تدعى أنّ الصّورة المشبّهة من جنس الصّورة المشبّه بها، فتطلق على الصّورة المشبّهة اللّفظ الدّال بالمطابقة، وعلى الصّورة المشبّهة بها، ويسمى (**الاستعارة التّمثيليّة**): وهي الكلام المستعمل فيها شبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة، وتشبيه التّمثيل ما وجهه منتزع من متعدد.[2]

رابعاً: أنواع المجاز:

المجاز المفرد المرسل: وله علاقات كثيرة: السّببية، المسبّبيّة، الكليّة، الجزئيّة، اللّازميّة الملزوميّة، الآلية، التقييد، العموم، الخصوص، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، الحاليّة المحليّة، البداية، البدلية، المجاورة، التعلق الاشتقاقي.

المجاز العقلي: وأشهر علاقاته: الإسناد إلى الزمان، الإسناد إلى المكان، الإسناد إلى السبب، الإسناد إلى المصدر، إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل.

---

[1]. عبد الرحمن حَبَنَّكَة، المصدر نفسه، ج02، ص 218.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص100، ص101.

المطلب الثاني: توظيف المجاز من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[1]

﴿**لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾: مجاز مركّب ويسمى استعارة تمثيليّة، شبّه الشّيطان في اجتهاده في الإغواء من أيّ وجه أمكن، بإتيّان العدوّ من الجهات الأربع الّتي يؤتى منها في الغالب، فلم يذكر فوق وتحت لنذور إتيان العدو منهما، ولأن الإتيان من تحت موحش، وعن ابن عباس وقتادة، لم يقل من فوقهم لأن الرّحمة تنزل منه، ولم يجعل الله له سبيلا، إلى أن يحول بينه وبين رحمة الله تعالى وعفوه منه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الشّيطان الرّجيم في شدّة العصيان والتّمرّد وإصراره البغيض في تنكيد حياة البشر، وحسده على نعمة التّفضيل، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾[3]، وتقنيطهم من نزول الرّحمة والمغفرة وهم في المعاصي والمآثم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[4]، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[5]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 17.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 26.

[3]. سورة الإسراء الآية 61.

[4]. سورة الزمر الآية 53.

[5]. سورة التوبة الآية 102.

في قوله تعالى: ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1]

﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**﴾: شبّه حالهم بحال من أنزل أحدا من مكان مرتفع جدا بحبل ضعيف بقدمه أو من أصله، فإذا تدلى واستقبل بذلك الحبل انقع وهلك، وذلك أنّه غرّهما بكلامه وقسمه، فانزلهما من رتبتهما الشّريفة إلى هذه الدّنيا المتبعة الموقعة في المهالك وإلى المعصية، فذلك استعارة تمثيليّة،[2] الغرض منه تبيين الله تعالى المكر الشّيطانيّ اللّعين في محاولته الشّريرة في الإطاحة بسيّدنا آدم عليه السّلام وزوجه حواء والعمل على إخراجهما من الجنّة الفاضلة، وما أن غرّر وغدر حتى تمكن من إخراجهما إلى دنيا المتاع والغرور، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[3]، ولكن تبقى رحمة الله تعالى فوق كل عذاب وحرمان، فقد علّمهما كيف يتعايشان مع كل الظّروف القاسيّة، والأحاسيس المتقلّبة، كما قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[4].

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[5]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 22.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 36.

[3]. سورة الأعراف الآية 24.

[4]. سورة الأعراف الآية 26.

[5]. سورة الأعراف الآية 54.

﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: بمعنى علا شأنه، واستقام ملكه عل سبيل المجاز، أي: استوى ملكه بعد[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى قوّته العظيمة الّتي تتجاوز كلّ تلك المخلوقات العظيمة من خلق السّموات والأرض وخلق الجبال وخلق البحار والمحيطات، وغيرها من المخلوقات الّتي لا تعد ولا تحصى، وأنّ الله تعالى محيط بالعرش الكبير، كما قال تعالى: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[2]، ومحيط بكلّ شيء علماً، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[4]

﴿**أَجِئْتَنَا**﴾: المراد بالمجيء القصد على المجاز لا حقيقة المجيء، يقال جاءهم الرّسول ولو كان فيهم، هذا ما ظهر لي[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم في جدال مستمرّ مع أنبيائهم ورسلهم عليهم السّلام، فلم يرضوا بما جاءهم النّبي عليه السّلام من آيات وبيّنات تدعوهم إلى ترك دين آبائهم المختلق من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾[6]، واشترطوا عليه أن يظهر الكرامات الرّبّانيّة والمعجزات حتّى يستبينوا من صدقه، لكن كلّما نزلت بيّنة إلاّ نكسوا بعدها وصاروا أعداء لا

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص104.

[2]. سورة هود الآية 07.

[3]. سورة الطلاق الآية 12.

[4]. سورة الأعراف الآية 70.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص133.

[6]. سورة آل عمران الآية 184.

يؤتمنون، فجزاهم الله تعالى شرّ الجزاء، كما قال تعالى: ﴿**سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[2]

﴿**قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ**﴾: يحتمل أن يريد بالرّجس العذاب، ووقوعه نزوله، على سبيل المجاز المرسل، ويجوز أن يكون تعلّق الرّجس والغضب بهم مشبّها بوقوع جسم من علوّ، فاستعير للتعلّق لفظ الوقوع، واشتق منه وقع، فالمجاز استعاري[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الأنبياء والرّسل عليهم السّلام من الغضب الشّديد على أقوامهم الجاهلة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي**﴾[4]، فرغم تلك الحجج والبراهين والمعجزات إلاّ أنّهم جادلوا، وعنّدوا، وأصرّوا على عبادة ما عبد آباؤهم، حتى وإن كان الأمر في إهلاكهم ودمارهم بعذاب شديد وعقاب أمرّ.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[5]

﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾: إسناد مجازي، أي: بعد صلاح أهلها بالإيمان والعدل والعبادة، بواسطة الرّسل عليهم السّلام وأتباعهم[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى نهيه عن

[1]. سورة الأنعام الآية 157.

[2]. سورة الأعراف الآية 71.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 133.

[4]. سورة الأعراف الآية 154.

[5]. سورة الأعراف الآية 85.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص172.

الفساد في الأرض بعد إصلاحها في نشر القيّم الإسلاميّة في ربوع الأقطار، وعلى المؤمن أن لا يبخس النّاس أشيائهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[1]، ومن يغش في الكيل والميزان إثم، وربحه نار تأكل أمعائهم.

في قوله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[2]

﴿**سَبِيلَ**﴾: استعارة تمثيليّة، شبّه ركوب الخطأ في الدّيّانة والإعراض عن الصّواب فيها، بالإعراض عن الطّريق المستقيم في المفازة، والأخذ في غيره المهلك على العمد، وأسفه من فعل ذلك، ولا أشدّ استيلاء من الشّيطان عليه منه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار الّذين صدّوا حواسهم عن الانصيّاع والطّوع للآيات الرّبّانيّة فصرفهم الله تعالى عنها، صم بكم وعمي، كما قال تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[4]، لا يعقلون طريق الهدى والرّشد، وينصاعون لطريق الضّلال والجهل تعلّقاً وحبّاً، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[6]

[1]. سورة الشعراء الآية 181.

[2]. سورة الأعراف الآية 146.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 262.

[4]. سورة البقرة الآية 171.

[5]. سورة البقرة الآية 165.

[6]. سورة الأعراف الآية 149.

﴿**وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا**﴾: أي عن الحق باتخاذ العجل، ويجوز أن تكون الرؤية بصرية على سبيل المجاز، بأن شبّه ما عملوه علما واضحا قويا لما يرى بالعين، أو شبّه علمهم القوى حينئذ برؤيتهم بأعينهم[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه مهما اشتدّ الكفر والعناد للّذين كفروا، فسيأتي يوم يعظّون فيه الأنامل ويضربون فيه الرّكاب، كما قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾[2]، فقد اغترّوا بسلطانهم حتى ضلّوا وهلكوا على ما فرّطوا في دين الله تعالى ويا حسرتاه ويا غفلتاه، كما قال تعالى: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾[3]، وأنّه لا بد للإنسان أن يطلب المغفرة من ربّه تعالى على كلّ الذّنوب وذلك قبل فوات الآوان والخسران المحتوم.

في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[4]

﴿**لَيَبْعَثَنَّ**﴾: وقيل أنّه قد ينصّ على أنّ أفعال التّحقيق مثل (علم)، و(عزم)، و(حتم)، و(كتب) على نفسه تجاب كالقسم لأنها في التأكيد مثله، لكن وصف الله بالعزم مجاز عبّر باللازم وهو الإيذان عن الملزوم وهو العزم، ومعنى عزنه قضاه وحتمه[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى التّهديد والتّهويل على أهل القيّامة بأن يعذّب الكفّار سوء العذاب ويرأف بالمؤمنين مغفرة ورحمة.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[6]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج06، القسم الثاني، ص267.

[2]. سورة الفرقان الآية 27.

[3]. سورة الزمر الآية 56.

[4]. سورة الأعراف الآية 167.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص242.

[6]. سورة الأعراف الآية 172.

﴿**قالُوا بَلَى**﴾: أي أنت ربّنا وإلهنا، ﴿**شَهِدْنَا**﴾: إنّك ربّنا وإلهنا، تأكيد لمعنى بلى، فذلك كلّه مجاز مركّب استعارة تمثيليّة، وهي أن تؤخذ أمور متعدّدة من المشبّه، وتجمّع في الخاطر، وكذا من المشّبه به، ويجعل المجموعان متشاركين في مجموع منتزع يشملهما، وذلك في الكلام العربيّ شائع، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1]، فكان أمره قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**﴾[2]، إلى قوله تعالى: ﴿**قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[3]، إذ قلنا إنّه لا قول، في رواية عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ، ثم كلّمهم قبلا[4]، فقال: هذه الآية، ومعناه: اذكر يا محمد ربّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك، وإقرارهم به، الغرض منه إظهار قدرة الله تعالى الخارقة في خلق كلّ شيء من أكبرهم السّموات والأرض والبحار والمحيطات إلى أصغرهم وهي الذّرة، وفي تذكيره تعالى بني آدم أنّهم أخذوا عليه ميثاق وهو أن يؤمنوا بالله تعالى ويؤمنوا بالأنبياء والرّسل عليهم السّلام جميعاً، وأنّهم على عهدهم إلى يوم قيّام السّاعة[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[7]

---

[1]. سورة النّحل الآية 40

[2]. سورة فصلت الآية 11.

[3]. سورة فصلت الآية 11.

[4]. ابن جرير الطبري، المصدر السابق، ج13، ص 222.

[5]. محمد التستري، تفسير التستري، جمعه، أبو بكر محمد البلدي، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1423هـ، ج01، ص68.

[6]. سورة آل عمران الآية 76.

[7]. سورة الأعراف الآية 182.

﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: وأصل الاستدراج الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة، فهو استفعال من الدّرجة، والكلام استعارة تمثيليّة[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكفّار الّذين اغترّوا وظنّوا أنّه لا عقاب لكثرة النّعم وتوسّع الهمم، لكن لله تعالى عاقبهم من حيث لا يشعرون وذلك لاستمرارهم في الكذب[2]، كما قال تعالى: ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[4]

﴿**ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**﴾: ندماً، وتلهفاً، وغماً في الدّنيا، هذا هو المراد والله أعلم، وزعم السّعد أنّ ذلك استعارة تمثيليّة حيث شبّه كون عاقبة إنفاقها حسرة بكون ذاتها حسرة، وأطلق المشبه به على المشبه[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ هؤلاء الكفرة الّذين يحاربون الرّسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وينفقون أموالهم في صناعة الأسلحة والإكثار من المحاربين ليزداد عددهم، إنّما نفقة تلك الأموال لا تعود بالرّبح عليهم وإنّما بالخسران والخذلان، ويعود الانتصار للمسلمين وينالون من مدخّرة المشركين نيلاً، فتكون الغنيمة مكافئة لهم على نصرتهم الرّسول صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[6]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص271.

[2]. عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق، الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1418هـ، ج03، ص 98.

[3]. سورة طارق الآية 14.

[4]. سورة الأنفال الآية 36.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص371.

[6]. سورة الأنفال الآية 69.

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]

﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾: المراد بالهلاك حقيقة الموت، وبالحيات ضدّه، والمعنى ليهلك من شارف الهلاك، فإنّ الإنسان ولو كان عمره طويلاً مشارف للموت، أو ليكون هلاكه هلاكاً عن بيّنة، أو يهلك عن بيّنة من كان في علم الله أنّه يهلك كذلك، وليحيا من شارف الحياة، فإنّ الإنسان في كلّ حال مشارف للحياة الّتي بعد حاله مالم ينقض أجله، أو من حيي بعد الخروج عن أمه، وبعد البلوغ، ولو لم يحضر وقعة بدر، فإنّ وقعته آية واضحة من كفر بها كان مكابراً لعقله، ومغالطاً له، ولا سيما من حضرها، أو لتكون حياته حياة عن بيّنة، أو ليحيا عن بيّنة، من كان في علم الله أنّه يحيا عنها[2]، الغرض منها إظهار الله تعالى أنّ مصير الجنّة والنّار بيد العبد فمن كانت حياته في الدّنيا على حبّ الطّاعات وعمل الصّالحات كانت حياته في الجنّة حياة سعادة ورحمة، ومن كانت حياته في الدّنيا حبّ العصيان والتّمرد عليه والانغماس في المنكرات والمحذورات كانت حياته في النّار حياة شقاء وعذاب.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3]

﴿**وَلَا يُنْفِقُونَهَا**﴾: أي الذّهب والفضّة، وأثنى الضمير وأفرده، على أنّ الاثنين جماعة حقيقة أو مجازاً، ولأنّ كلا من الذّهب والفضّة أعداد، وحمل ودنانير ودراهم، أو نظر إلى أنهما كنوز أو أموال، أو الضّمير للفضّة، واقتصر عليها لأنّها أغلب أموال النّاس، ولدلالة حكمها على أنّ

[1]. سورة الأنفال الآية 42.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 383.

[3]. سورة التّوبة الآية 34.

الذّهب أولى بهذا الحكم، أو يقدر ولا ينفقونها والذّهب[1]، الغرض منه بين الله تعالى حكم من يكنز الذّهب والفضّة ويدّخرها فلا يخرج منها زكاتها ولا صداقتها ولا ينفقهما على الفقراء والمساكين، ومن يفعل ذلك يبشّر بالعذاب في أنّ البشارة تدّل دائماً على الخير، كما في قوله تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾[2]، إلاّ أنّ استعمالها للشرّ يكون للاستدراج، والسّخرية، والاستهزاء من الخونة والمنافقين، كما في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.[3]

﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4]

﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾: سموه باسم آلة السّمع مبالغة في سماعه لكل ما يقال له، كأنّه بجملته أذن، كما تقول: فلان أنف إذا كبرت أنفه، وفلان عين إذا كبرت عينه، أو اشتد نظرها أو كثر، وقد سموا الجاسوس عينا، وذلك مجاز مرسل من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهذا أولى من تقدير مضاف، أي ذو أذن، أي ذو أذن سامعة لما يقال له، فيكون مجازاً بالحذف ذا مرسلاً[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى الأخلاق العظيمة الّتي امتاز بها سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الرّد على الأذى المعنوي من سبّ وشتم والأذى الماديّ في محاولة قتله وردعه، مع تبيين الحال الّتي آل إليها كفّار قريش من حبّ الأذى ونشر سلوك الاحتقار والإذلال، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ**

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص 488.

[2]. سورة التوبة الآية 21.

[3]. سورة آل عمران الآية 26.

[4]. سورة التوبة الآية 61.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج 06، ص37.

الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[1]، وأمّا الرّد على كلّ انفعال دلالة على ضعف الشّخصيّة والانحطاط الفكريّ، والسّكوت عن آذى النّاس رصانة وثبات، ونماء قوّة وذكاء.

في قوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**[2]

﴿**فَأَعْقَبَهُمْ**﴾: أي الله أو البخل، كما قال الحسن وقتادة، والأولى أولى لذكر لفظ الجلالة بالتّصريح، ولمناسبة الهاء في يلقونه، ولأنّ الإسناد إلى الله في ذلك حقيقة[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى شرعيّة التّمسّك بالعهود والمواثيق[4]، وأنّ لا نتراجع عنها مادامت لا تخالف الشّرع ولا تؤدي إلى ارتكاب المعصية، والإنسان المؤمن هو ذلك الّذي يطهّر قلبه من الخديعة والكذب ويعوّد نفسه دائماً على الصّدق والإخلاص مع نفسه ومع غيره مادام في طاعة الله تعالى، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**".[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[6]

---

[1]. سورة الأحزاب الآية57.

[2]. سورة التوبة الآية 77.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص58.

[4]. محمد القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية، المصدر نفسه، ج04، ص 3076.

[5]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، رقم الحديث 6094، ج08، ص 25.

[6]. سورة التوبة الآية 109.

﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**﴾: ذلك عندي استعارة تمثيليّة، فهو مجاز مركّب، وبيان ذلك هنا أنّ قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾:كلام مشتمل على عطف وفضلات، ومعناه الأصلي هو حقيقة صاحب البناء بنحو الحجر والطّين، وحقيقة صاحب البناء بنحوهما في موضع مشرف على الوقوع، واستعمل هذا في معنى يشبه هذا المعنى الأصلي، وهو بناء الدّين على أمر نافع صحيح، وبناءه على أمر ضار باطل، وهذا المعنى صورة منتزعة من متعدّد هو الدّين وتأسيسه على نافع صحيح، والدّين وبناؤه على باطل ظاهر، وعن الحسن: شبه الله أعمال المنافقين بالبناء على الرمل المنهار، لا تثبت عند الله تعالى، وعن قتادة: والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع في النار، وعليه فالتأسيس على شفا جرف هار، والانهيار في نار جهنم حقيقتان[1]، الغرض منه بين الله تعالى كيف لإنسان كافر أسس حياته في الشّرك والنّفاق والتّكبر على الآيات الربانية والأدلة الكونية، والاستهزاء بالرّسل عليهم السّلام أن يسمد أمام عذاب الله تعالى وعقابه، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، كالمؤمن أسس حياته في الطّاعة والإخلاص وتقوى الله عز وجل يخافه ويخشى عذابه، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[4]

﴿**وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**﴾: أي جعل النّهار مبصراً، حال من النّهار بمعنى خلق النّهار، على أنّ الجعل على بابه، لوقوع الإبصار فيه، أو لأنّه سبب للإبصار، أو مبالغة كأنّه في نفسه مبصراً،

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص100، ص101.

[2]. سورة التوبة الآية 110.

[3]. سورة النازعات الآية 26.

[4]. سورة يونس الآية 67.

وإسناد الإبصار إلى النّهار على سبيل المجاز[1] العقلي[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أفضاله على البشريّة في جعل اللّيل سكناً وراحة وجعل النّهار عمل وعبادة وبحث عن الأرزاق، كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾[3]، وذلك يدعوا إلى التّدبّر وشكر الله تعالى على كلّ تسخير وتسهيل، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[5]

﴿**آلْآنَ**﴾: يكون القول مجازاً في دلالة حاله، وتصوير خزيه[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال المخزيّة الّتي وصل إليها فرعون رغم القوّة الّتي كان يستغل بها قومه في تعبيدهم، وتعذيب المؤمنين منهم زوجه الّتي أسلمت وقالت لربها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[7]، ولما وصل به الغرق والهلاك لم يجد سوى الاستسلام لأمر الله تعالى في نجاته، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.[8]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 08، القسم الأول، ص 98.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، تيسير التّفسير ، المصدر السابق، ج 04، ص 126.

[3]. سورة الفرقان الآية 47.

[4]. سورة القصص الآية 73.

[5]. سورة يونس الآية 91.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص124.

[7]. سورة التّحريم الآية 11.

[8]. سورة يونس الآية 90.

في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1]

﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾: وهم أيضا مستقيمون، فأمرهم بالاستقامة أمر بالدّوام عليها، والأمر بالاستقامة في جانبهم أمر بالدّخول فيها على الأصل، فيكون استقم مستعملاً في معناه المجازي وفي معناه الحقيقي، وقد أجاز غير واحد ذلك، وعلى المعنى يعتبر الحال الّذي استقبل بعد نزول الآية في جانب سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنّه حال غير موجودة فلا يلزم من الأمر بالاستقامة فيها تحصيل الحاصل، وكذا في جانبهم إن فرضنا استقامتهم، واعتبرناها حال النّزول، أو يقدر على المنع أمر آخر لكنّه باللام، والمضارع لائق بحالهم، أي: وليستقم من تاب[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ توبة المرء لا تكفي دون الاستقامة ومراقبة النّفس دوماً وأبداً خوفاً من الاعوجاج والانزلاق، فالإنسان مدام محاط بوسوسة الشّيطان ورغبات المجتمع، فلن يسلم من مواكبة ذلك التّطور المعاصر، فعليه دائماً تجديد التّوبة وتصحيح الإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[4]

﴿**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾: إنّ عمله غير صالح فحذف المضاف من أوّل، أو أنّه ذو عمل غير صالح فحذفه من الأخير، فذلك من مجاز الحذف، ووجه الأوّل أن يبنى الكلام من أوّله على ما هو المراد، ووجه الثّاني أنّ التّغيير أليق بالأخير، أو أنّه عامل غير صالح بتنوين عامل ورفعه ورفع غير، كما تقول: فلان عامل فاسد بتنوينهما، فذلك مجاز مرسل لعلاقة التّعلق أو الاشتقاق إذا أطلق المصدر وأراد اسم فاعل، أو أنّه نفسه عامل غير صالح، فيكون مبالغة في فساده، حتّى كأنّه

---

[1]. سورة هود الآية 12.

[2]. محمد بن يوسف أَطَّفَّيِّشْ، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1586.

[3]. سورة النازعات الآية 40.

[4]. سورة هود الآية 46.

نفس العمل الفاسد، كما تقول: إنّ زيداً عملٌ، وإنّه صومٌ إذا كثر عمله وصومه[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه هو العالم بأمر الصّالحين والمفسدين، كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾[2]، وأنّ الله تعالى ليس عنده جاه أو وساطة وعنده الكلّ سواسيّة في الجزاء والعقاب، فسواء كان المرء نبيّ أو بشر عادي يعاقبون ويجازون على حسب عملهم، وأمثلة ذلك كثيرة من القرآن، منها مثل أبونا آدم عليه السّلام وزوجه أخطآ بأكل الشّجرة الملعونة فطردا من الجنّة، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾[3]، وكذلك الأمر مع سيّدنا إبراهيم عليه السّلام حين كفر أبوه فدع له الله تعالى المغفرة، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**﴾[4]، والأمر الحاصل لزوجة النّبيّ صالح وزوجة النّبيّ لوط عليهم السّلام اللّتان خانتاهما فحلّ عليهما العذاب، كما قال تعالى: ﴿**امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[5]، وهذا ما حدث للنّبي نوح عليه السّلام مع ابنه بحيث استعطف الله تعالى بنجاته لكنّه مثله مثل غيره، وهذه هي العدالة الإلهية.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾[6]

﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ**﴾: يسمى المطر أو الماء باسم جهته وهو لفظ السّماء بمعنى سماء الدّنيا، أو باسم محلّه وهو الجوّ الّذي فوقنا فإنّه أيضا سماء، وذلك مجاز مرسل، ويجوز أن يقدر

---

[1]. محمد بن يوسف أَطَفَّيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1522.

[2]. سورة البقرة الآية 220.

[3]. سورة الأعراف الآية 24.

[4]. سورة مريم الآية 44.

[5]. سورة التحريم الآية 10.

[6]. سورة هود الآية 52.

مضاف، أي مطر السّماء أو ماء السّماء فيكون لفظ السّماء مجازاً بالحذف[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى عزيمة الأنبيّاء والمرسلين عليهم السّلام في إرسال الرّسالة الرّبّانيّة بصدق وأمانة دون كلل أو ملل ودون يأس أو تذمّر، وبيان عطفهم الكبير وشفقتهم الّتي بلغت ذروتها في الاستغفار لأقوامهم، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**﴾[2]، ورجاء توبتهم ورجوعهم إلى عبادة الواحد الأحد.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾[3]

﴿**أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ**﴾: أي: أن نعبد المضارعان للحال حقيقة من عبادة الأصنام، ﴿**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾: من التّوحيد والأحكام، على أنّ الشّكّ هو بنفسه شاك على الإسناد المجازي[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم في شكّ وريب ممّا ينزل على أنبيائهم ورسلهم عليهم السّلام وتعلقهم الشّديد بعبادة ما عبد آبائهم وأجدادهم من الأصنام والتّماثيل، فقد كذّبوا بالآيات وأنكروا نزول العذاب عليهم وشاقوا أنبيائهم والمرسلون عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.[5]

[1]. محمد بن يوسف أَطَّفَيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1528.

[2]. سورة هود الآية 03.

[3]. سورة هود الآية 62.

[4]. محمد بن يوسف أَطَّفَيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1538.

[5]. سورة الأنفال الآية 13.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[1]

﴿**رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ**﴾: ذلك أنّ كلا منهنّ راودته عن نّفسه لنفسها كما مرّ، أو لأنّهن أمرنه بطاعة زليخا فيما راودته فيه، فكأنّهن مراودات، أو المراود امرأة العزيز وحدها، وخاطب الكلّ سترا لها، لأنّها فيهنّ، فذلك على الأوّل كليّة حقيقة، وعلى الثّاني كليّة مجازاً، وعلى الثّالثة كلّ وحكم على المجموع، هل وجدتنّ ميلا منه إليكنّ حتّى راودنه[2]، الغرض منه بين الله تعالى المؤامرة التي حكتها السيدة زيخا للنسوة التي تحثنا في عرضها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[3]، ولما مر عليهم سيدنا يوسف عليه السلام قطعن أيديهن من كثرة الذهول والاندهاش من صورته، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[4]، وقد وقعن فما وقعت فيه من مراودة سيدنا يوسف عليه السلام عن نفسه ومحاصرته لإيقاعه في الفاحشة والمنكر، لكن إخلاص سيدنا يوسف عليه السلام لله عز وجل، ونفسه المطمئنة الطّاهرة خلصه الله تعالى من مكرهن، وفتحت له أبواب الفرج، كما في قوله تعالى: ﴿**لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾.[5]

---

[1]. سورة يوسف الآية 51.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص225.

[3]. سورة يوسف الآية 30.

[4]. سورة يوسف الآية 31.

[5]. سورة يوسف الآية 24.

في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾[1]

﴿**أَوْدِيَةٌ**﴾: هو الموضع الّذي يسيل فيه الماء بكثرة، فإسناد السّيلان إليها مجاز عقلي من إسناد الحال إلى المحلّ، فإنّه السّايل الماء لا الأودية، أو استعمل الأودية بمعنى الماء من باب تسمية الحال باسم المحل، فالأودية مجاز لغوى مرسل، أو يقدر مضاف، أي ماء أوديّة، فالأوديّة مجاز بالحذف أو الأصل، فسالت أوديّة ماء، فحذف التّمييز ونكر الأوديّة، لأنّ المطر يأتي على تداول بين الأوديّة، وكذا السّيلان، فإنّ المطر لا يعمّ الأرض ولا يسيل في كلّ واد، بل ينزل في أرض دون أرض، ويسيل في واد دون واد[2]، ﴿**عَلَيْهِ**﴾: الاستعلاء معنوي مجازي لا حسي حقيقة، فإنّ الإيقاد يكون تحت ما أريد أن يذوب لا فوقه، لكن ذلك الإيقاد يؤثّر في ذلك، ويذيبه فذلك تغلّب عليه، فجعل استعلاء، ويجوز أن تكون على للتّعليل[3]، الغرض منه بين الله تعالى قدرته العظيمة في التمييز بين الحق والباطل بإنزال المطر فتفيض الأودية صغيرها وكبيرها لكن لا يبقى الماء وإنما تأخذه الرياح والجريان الحاد للفيض، فيذهب باتجاه البحار واتجاه الأماكن البعيدة، فلا ينتفع به النّاس، وكذلك مما يحمى على النار مثل السّوائل كالذهب والفضة وغيرها مما يصهر على النار، لكن تحترق تلك المعادن في بعد كل عملية تكرار فتصير رثات، وهذه نتائج الباطل فمن اعتاد على الكفر والنفاق تصير أعماله في ميزان الرياح تنثر الفتات هنا وهناك وتنسفها نسفا[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾.[5]

---

[1] . سورة الرعد الآية 17.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص357.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص358.

[4]. جمال الدين القاسمي، المصدر السابق، ج07، ص 275.

[5]. سورة طه الآية 97.

في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾[1]

﴿**فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ**﴾: شديد الهبوب، وهذه من صفات الرّيح لكن أسندت لليوم على طريق المجاز العقلي لأنّها تهبّ فيه، كقولك: نهاره صائم وليله قائم، ويوم باردا أو حارا، وليلة ماطرة أو ساكنة، أي لم يهب فيها ريح، وذلك مبالغة كأن اليوم في نفسه عاصف ريحه، مشبّه أعمالهم المستحسنة كالصّدقة وعقر الإبل للضّيوف، وصلة الرّحم وعتق الرّقاب، وفك الأسير وإغاثة الملهوف وبر الوالدين، ونحو ذلك، برماد أطارته الرّياح الشّديدة في عدم الحصول على شيء من ثوابها، كما لا يقدر على جمع ذلك الرّماد المطار، كما قال تعالى، بيانا لوجه الشّبه، ﴿**لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيءٍ**﴾: في يوم القيامة، أي على ثواب شيء مما كسبوا من الأعمال، أو على شيء من ثواب ما كسبوا ولا يرون لأعمالهم أثر ثواب لهبوطها بالشّرك، لعدم بنائها على أساس التّوحيد والإخلاص ولأنّهم جوّزوا عليها في الدّنيا، وقيل المراد بالأعمال عبادة الأصنام تعبوا أبدانهم في عبادتها أعمارهم راجين نفعها ولم يتحصل منها على شيء نافع بل عادت عليهم وبالاً[2]، الجامع الريح العاصف تطير الرّماد وتفرق أجزاءه، كما أن الكفر يحبط الأعمال[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته العظيمة في بعث الريح المصحوبة بعاصفة قوية لتنسف عمل الكافر الذي كان يعمله في الدنيا ويظنه نافع له من عبادة الأصنام والأوثان، ومن تكذيب الرسل عليهم السّلام والاستهزاء منهم والتكبر على الآيات القرآنية فإلاّ ما يأتي يوم ويحاسبون[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾.[5]

---

[1]. سورة إبراهيم الآية 18.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص414.

[3]. محمود بن عبد الرحيم صافي، المصدر السابق، ج13، ص 174.

[4]. أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج13، ص 141.

[5]. سورة الأنعام الآية 134.

في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾[1]

﴿**لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾: هو دين الله، ولأنّ الإضلال أو الضّلال ليس علّة لجعل الأنداد لكن لما كانت نتيجة جعل الأنداد إضلالاً أو ضلالاً، جعل الإضلال أو الضّلال علّة لجعل الأنداد بإدخال (**اللاّم**) على سبيل المجاز[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من يتّخذ الأصنام للعبادة من دون الله تعالى ويضلل من اتبعه ويتجاهل الطريق المستقيم الّذي يؤدي إلى الهداية والرّشاد، ومن اتّخذ طريق الضلال والجهل فإنّ طريقهم جهنم وساءت مصيراً[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[5]

﴿**أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ**﴾: إسناد الإضلال إليهن من الإسناد إلى التسبب أي لكونهن سببا للإضلال سألت منك العصمة منهن والأنسب بهذا المعنى أن يعود قوله رب إلى أجنبني فيكون قوله إنهن الخ، تعليلا لقوله أجنبني[6]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ سبب الضّلال والشّرك هو عبادة الأصنام ورغم ظهورها من يدي صانعها وخروجها بذلك الشّكل، وأنّ للعبد خيارين إمّا أن يتّبع الصّراط المستقيم صراط الأنبياء والرّسل عليهم السّلام فينعم بخيرات الدّارين، وأمّا إتّباع الهوى في الشّرك والضّلال فيعيش في غمّة وظلمة، وأنّ الله تعالى غفور رحيم على من تاب

---

[1] . سورة إبراهيم الآية 30.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص430.

[3]. أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز، المصدر السابق، ج01، ص 583.

[4]. سورة التحريم الآية 09.

[5] . سورة إبراهيم الآية 36.

[6] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص 438.

واستحق هداية الله تعالى له، كما في قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾.[2]

﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾: قابله ومجيبه يقال سمع الملك كلامي أي اعتد بكلامي وقبله منه قول المصلى سمع الله لمن حمده، وحديث ما أذن الله لشيء أي ما سمع له أي ما قبله واعتد به كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن والدّعاء على عمومه بحيث يقبل، وهو متضمّن لدعاء إبراهيم الّذي دعا به عند فراق هاجر، ولقوله: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[3]، وقيل هذا هو المراد وسميع صفة مبالغة مضافة للمفعول وأشدّ مبالغة من ذلك أن تجعل الإضافة من الإضافة للفاعل على طريق المجاز العقلي بأمر اسند السّمع العظيم للدّعاء بنفسه وجعل الدّعاء نفسه سميعا، كقولك صومه وصيام[4]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ كلّ شيء ممكن عنده تعالى، وهو على كل شيء قدير، وقدرته جعل الكهلة والعجزة أبوين وهما في عزّ الشيخوخة، فلازم من ذلك شكر الله تعالى على نعمة الصّحة، ونعمة الإنجاب، ونعمة الذّرية الصّالحة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾[6]

﴿**يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾: أي يوم يحضر الحساب ويثبت ويشتد، يجوز أن يكون ذلك من الإسناد للسبب فيكون الإسناد مجازاً عقليّاً، والأصل يوم يقوم النّاس لأجل الحساب، ويجوز أن

---

[1]. سورة الزخرف الآية 80.

[2]. سورة إبراهيم الآية 39.

[3]. سورة الصافات الآية 100.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السايق، ج6، ص447.

[5]. سورة سبأ الآية 13.

[6]. سورة إبراهيم الآية 41.

يقدر مضاف فيكون الحساب مجازاً بالحذف، أي: يوم يقوم أهل الحساب للحساب أو إلى الحساب[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى اليوم العظيم وهو يوم قيام الساعة، يوم يحاسب فيه العباد على قدر أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم التي قامت بها حواسهم وجوارحهم، فلن ينفع هناك والد ولا بنين، ولا صاحب ولا قريب، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]

﴿**وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾: من جهة لا يخطر ببالهم أنّه يأتيهم منها بل عدوّها مأمناً وحصناً عن العذاب، والّذي يظهر لي أنّ ذلك مجاز مرّكب تمثيلي لإهلاكهم بالخدع الّتي وضعوها لإهلاك الرّسل والمؤمنين، وقد أمنوا الهلاك من جهتها وأبطلها من أصلها كمن نقض قواعد حصن على قوم بنوه للنّجاة فوقع عليهم فهلكوا ممّا أعدّوه للنّجاة فتشمل الآية إبطال مكر الأمم لرسلهم أو المؤمنين ورجع مكرهم وبالا عليهم كما قيل من حفر بئرا لأخيه أوقعه الله فيها وكما قيل من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار والمشركين وهم في الشّرك والنّفاق منغمسين، يمهلهم الله تعالى بتركهم على تلك الحال لفترة لا يعلمها إلاّ هو فيعتقدون بأن لا عذاب ولا حساب يذكر، يستمرون ويكثرون في عمل المعاصي وينشرون الفساد في كل البلاد، إلى حين يأتيهم العذاب من حيث لا يترقبونه ولا يتنبأونه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾، وكما

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج 06، ص449.

[2] . سورة لقمان الآية 33.

[3] . سورة النّحل الآية 26.

[4] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص85.

حصل للقوم وإهلاكهم بسقوط سقف عليهم فدمرهم تدميراً[1]، كما في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**هَلْ يَسْتَوُونَ**﴾: عبّر بضمير الجماعة عن اثنين وذلك مجاز على الصّحيح وقيل حقيقة أو عبّر به نظراً للمعنى فإنّ المراد جنس العبيد الّذين لا يقدرون على شيء وجنس الأحرار المالكين[4]، الغرض منه بين الله تعالى استحالة استواء الكافر والمؤمن في الجزاء والثواب وإن تساوى في الدنيا بالعطايا والخيرات والمنافع كلّها، ولأن الدّنيا دار فناء فتختفي تلك المعالم كلها، والآخرة دار القرار والاستقرار والخلود، والنار مثوى الكافر والجنة دار المؤمن، كما في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[6]

﴿**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: إسناد الهداية والتّبشير إلى القرآن مجاز، وجهه أنّه السّبب والآلة الّتي يصل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإشارة والدّعوة والتّبشير[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى تعظيم القرآن الكريم بأنّ هو الهدى والنّور الّذي يسري على الكون من توحيد وإخلاص وعبادة

---

[1]. أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المصدر السابق، ج02، ص602.

[2] . سورة الإسراء الآية 16.

[3] . سورة النحل الآية 75.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص139.

[5]. سورة الزمر الآية 29.

[6] . سورة الإسراء الآية 09.

[7]. محمد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1528.

الواحد الأحد، وإظهار الله تعالى ترغيب المؤمنين بحب الجنّة وذلك بالعمل الصّالح الّذي يكون على التّقوى والثّبات على دين الحقّ.

في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾.[1]

﴿**مُبْصِرَةً**﴾: ترى هي بنفسها الأشياء على طريق الإسناد المجازي فإنّ النّهار لا يكون رائيّاً للأشياء ولكن لما كان سبباً للرّؤية وزماناً لها أسند إليها الرّؤية، ويجوز أن يكون مبصرة بمعنى مضيئة، والمراد في ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل النهار مشرقا تظهر فيه الأشياء[2]، الغرض منه بين الله تعالى من آياته العظيمة خلق الأشياء العظام[3]، والتّحكم في سيرها وعواملها وبقدرته تخفيض وتغيير النّور الّذي ينبعث من أكبر الكواكب في المجرّة وهما الشّمس والقمر وجعلهما مناسبين لحياة الأرض، وحتى يعرف متى يحين النّوم ومتى يحين الابتغاء من فضل الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[5]

﴿**ففَسَقُوا فِيْهَا**﴾: قيل المعنى أمرناهم بالفسق كما أنّه إذا قيل أمرته فأكل يفهم أن المراد أمرته بالأكل فأكل، وإذا قيل أمرته فقرأ، يفهم أن المراد أمرته بالقراءة فقرأ، وذلك في الآية على طريق المجاز، فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفسق، وبيان ذلك المجاز أنّه تعالى صبّ عليهم النّعم

[1]. سورة الإسراء الآية 12.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص272.

[3]. عبد الله بن عباس (رضي الله عنهم)، المصدر السابق، ج01، ص 234.

[4]. سورة النبأ الآية 10 – 11.

[5]. سورة الإسراء الآية 16.

صباً ليشكروها ويعملوا فيها الخير فجعلوها ذريعة إلى المعاصي، ولما كان صبّ النّعم سببا لعدم الشّكر وللفسوق أو حاملا على ذلك[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الّذين كفروا وصدّوا مسامعهم عن سماع القرآن الكريم وانحرفوا عن الطريق المستقيم، وانغمسوا في المعاصي والمنكرات وحب الفسق، سيصيبهم غضبه الله تعالى وينالهم عذاب شديد فيهلكون حتى لا تكون لهم باقيّة[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[5]

﴿**وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾: المراد بمن فيهنّ الملائكة والإنس والجنّ ويحتمل أن يراد به من ذكره وغيره تغليبا للعاقل، ويحتمل أن يكون المراد يسبّح له من في السّماوات والأرض، فأسند التّسبيح إلى السّماوات والأرض أيضا أوّلاً للمبالغة لا حقيقة ويدخلن بالحقيقة فيما بعد[6]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ من عظمته تسبيح السّموات السّبع وما في هنّ من الكواكب والنّجوم والرّيّاح والسّحب والأمطار، وتسبّح له الأرض وما فيها من حيوان وأحجار وأشجار وبحار ومحيطات وأنهار وجبال ونبات، وكل ساكن، وكل صم بكم لا يتحرك، فكل هذه المخلوقات تسبح لله تعالى تسبيحها الخاص والّذي يفوق قدرة البشر بأن يعقلوه أو يفهموه[7]، كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ**

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص277.

[2]. عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج01، ص 234.

[3]. سورة طه الآية 81.

[4]. سورة الحاقة الآية 07 . 08.

[5] . سورة الإسراء الآية 44.

[6] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص313.

[7]. محمد القرطبي، تفسير القرطبي، المصدر السابق، ج10، ص 267.

يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]، وأنّ الله تعالى هو الخالق، وهو القادر على كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يشركون، كما في قوله تعالى: **﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**.[2]

في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾**.[3]

﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾: أي لا تراه الأعين لأنّه حجاب غير حسي أو مستور بحجاب آخر، وذلك أن اختيارهم الضّلالة حجاب ساتر لهم عن فهم ما يقرأه عليهم، فهم لا يفهمونه، وهذا الحجاب أحاط به حجاب آخر هو أنهم لا يعلمون أنهم غير فاهمين ولو علموا أن الحق فيما يقرأ وأنهم لم يفهموا لألقوا أفهمهم إليه لعلهم يفهمون، وهنا مجاز في الإسناد حيث أسند للمفعول وهو المحجوب عنه والذي له هو كونه مستورا إلى الفاعل وهو الحجاب[4]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ من يستكن ويتكبّر على الإيمان بالله تعالى وبرسله الكرام عليهم السّلام سيحجب عنهم القرآن الكريم بحجاب، بالإضافة إلى كونه يحجب فهو مستور لا يرى بالعين المجرّدة ولا تراه القلوب[5]، كما في قوله تعالى: **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**.[6]

في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾**[7]

---

[1]. سورة النور الآية 41.

[2]. سورة التغابن الآية 01.

[3]. سورة الإسراء الآية 45.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص315.

[5]. جمال الدين الجوزي، المصدر السابق، ج 03، ص 28.

[6]. سورة الحج الآية 46.

[7]. سورة الإسراء الآية 60.

﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾: أي الملعون آكلوها وهم أصحاب النار فحذف المضاف، ولعن أصحاب النّار في القرآن كثير، وصفت باللّعن لأنها تجاور الملعونين وعلى هذا الوجه فقوله في القرآن تابع الأصل هذا المجاز، لأنّ الوصف باللّعن حقيقة لأصحاب النّار أو وصفت باللّعن لأنّها ذكرت في الآية الأخرى بصفة ذم وشتم وهي أنها في أصل الجحيم وأنها طعام الأثيم[1]، الغرض منه بين الله تعالى مصير المشركين والكفار بأن لهم الجحيم بشجرة أعدّت خصيصاً لهم يأكلون منها وهم يأبهون[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾.[3]

في قوله تعالى:﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾[4]

﴿**اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾: ذلك إخبار استعملوه في إنشاء إنكار عبادة غير الله عز وجل وذمها، وجملة المبتدأ والخبر عندي مجاز مركب في غير التشبيه، وإن أصل هذا الكلام أن يستعمل في مجرد الإخبار باتخاذهم غير الله آلهة[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير هؤلاء الكفرة الّذين شبّهوا آلهتهم الكثيرة الضّعيفة بالإله الواحد الأعظم في التّدبير والتّيسير والتّحكيم، ورغم أنّها ليس لها عليهم سلطان.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا**﴾[6]

﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾: يحتمل استعمال إذ للحال أو للاستقبال مجازاً، والمعنى: وإذا أردتم الدّوام على اعتزالكم لهم، أو إذا أردتم اعتزالهم بأجسادكم كما اعتزلتموهم

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص332.

[2]. جمال الدين الجوزي، المصدر نفسه، ج03، ص 35.

[3]. سورة الصافات الآية 64.

[4]. سورة الكهف الآية 15.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص429.

[6]. سورة الكهف الآية 16.

بقلوبكم وفي أمورهم[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه لا حرج في اعتزال الكفّار والسّكن بعيد عنهم، وفي ذلك أمان من الاختلاط والمعاندة وحتّى لا تتأثّر أصحاب القلوب الضّعيفة بأفكار المشركين وعاداتهم المختلفة، فينجرّون ورائها ناسين دينهم الحنيف وشرائعهم المسلمة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**﴾[3]

﴿**غَدًا**﴾: حقيقته اليوم الّذي بعد يومي متصلاً به، والمراد عندي هنا مطلق المستقبل ولو في يومك أو بعد اليوم الّذي يلي يومك فتكون لفظة غد مجازاً مرسلاً لعلاقة الإطلاق أو التّقيّد أو هما معاً[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ على كلّ مؤمن أن يربط أعماله وأفعاله بالله تعالى بقول إن شاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[5]، فبإرادته وحده عزّ وجلّ تكون المشاريع والمهام أو لا تكون، وبدونها يمكن أن تحدث ولكن غير الّتي أردناها ناقصة، وبقول كلمة إن شاء الله متّصلة دائما بأقوالنا وأفعالنا، يمكن أن لا تحدث وفي ذلك خير لنا، ويمكن أن تحدث وبصورة مبهجة، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾[7]

---

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص 32.

[2]. سورة المائدة الآية 77.

[3]. سورة الكهف الآية 23.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 446.

[5]. سورة الإنسان الآية 30.

[6]. سورة يونس الآية 49.

[7]. سورة الكهف الآية 50.

﴿**وَذُرِّيَّتَهُ**﴾: قيل: أتباعه سماهم ذريّة مجازاً[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار الّذين يتّبعون الشّيطان الرّجيم، فهو عدوّ لبني آدم خالداً إلى يوم الدّين وأتباعه الكثير من شياطين الجنّ وشياطين الإنس، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾[2]، فهم في الظّلم والمكر سواء وفي المصير سواء لعنة وجهنّم خالدين فيها، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾.[3]

في قوله تعالى:﴿**وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾[4]

﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾: في قول الحسن: موبقاً عداوة من وبق إذا هلك، فشبه العداوة بينهم لشدتهم بالهلاك فسماها باسمه، أو سمى السبب وهو العداوة باسم المسبب وهو الهلاك فإن العداوة في الجملة سبب للهلاك، أو سمى الملزوم باسم اللازم أو هو من مجاز الأول[5]، كقوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفار وأتباعه في الشّرك والضّلال وهم في الجحيم يتلامون ويتخاصمون، فكانت العداوة والشّحناء والغيظ غذائهم وشرابهم.

في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾[7]

---

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص 32.

[2]. سورة الأنعام الآية 112.

[3]. سورة الجن الآية 23.

[4]. سورة الكهف الآية 52.

[5]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص01.

[6]. سورة يوسف الآية 36.

[7]. سورة الكهف الآية 77.

﴿**يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ**﴾: أي: يكاد ينقض واستعيرت الإرادة لقرب الانقضاض، وإن ذلك مجاز مرسل بأن استعمل الإرادة بمعنى مشارفة السقوط لأن إرادة الفعل في الجملة تسبب له، وملزوم له والفعل مسبب ولازم وهذا أولى من أن يقال شبه كون الجدار حال الضعف بإرادة الحيوان للسقوط فاستعار لفظ الإرادة لذلك السكون استعارة اصطلاحية مقابلة للمجاز المرسل[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الجدار ومعالم المشارفة على السّقوط والانهيّار[2] وأنّ من الواجب المساعدة وتقديم يد العون في تخليص أهل البيت من الكارثة، ولا بأس في أخذ الأجرة مقابل إصلاح الجدار ما لم تكن مكلّفة على صاحبه.

﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[3]

﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي**﴾: يجوز أن يراد به الماء مجازاً تسميّة للحال باسم المحل، ولأحد المتجاورين باسم الآخر، والمعنى: لو كان ماء البحر مداداً يكتب الخلائق به كلّهم علم الله تعالى لانقضى ملؤه وفرغ، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم الدلائل والبراهين، وقوة المعجزات وأنّ الله تعالى ليس عاجزا ولم يعجز، ولن يعجز في تغيير الكون واستحداث المعجزات، وإيراد المستحيلات واستظهار العجائب والغرائب، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾.[4]

---

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص 32.

[2]. محمد الماتريدي، المصدر السابق، ج07، ص 199.

[3]. سورة الكهف الآية 109.

[4]. سورة النمل الآية 75.

المبحث الخامس: الكناية

المطلب الأول: مفهوم الكناية لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الكناية لغةً

كنه من الكاف والنون والهاء كلمة واحدة تدل على غاية الشيء ونهاية وقته[1]، كنيت الرّجل أكنيه وكنيته أكنيه تكنية[2]، وكنى عن اسم كذا إذا تكلّم بغيره مما يستدل به عليه نحو الجماع والغائط والرّفث ونحوه[3]، كنى الرؤيا هي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور[4]، كنى كنيت عن الأمر إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه ولذلك تسمى الكنية كأنّها تورية عن الاسم.[5]

ثانيّاً: تعريف الكناية اصطلاحاً

الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره[6]، أو هي: كناية عن كلّ شيء قبيح، مثل قوله تعالى: ﴿**كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾[7]: كناية عن قضاء الحاجة.[8]

الكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة، كقولك: (فلان طويل النّجاد)، أي: طويل القامة، و(فلانة نئوم الضّحى)، أي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السّعي بنفسها في

---

[1]. أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، المصدر السابق، ج5، ص139.

[2]. ابن دريد الأزدي، المصدر السابق، ج2، ص985.

[3]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج5، ص411.

[4]. الجوهري، المصدر السابق، ج6، ص2477./ أبو القاسم الزّمخشري، أساس البلاغة، المصدر السابق، ج2، ص149.

[5]. أحمد بن فارس، مجمل اللّغة، المصدر السابق، ج1، ص771.

[6]. محمود السيد شيخون، الأسلوب الكنائي، (نشأته – تطوره – بلاغته)، مكتبة الكليات الأزهرية، ط 01، 1398هـ – 1978م، ص 105.

[7]. سورة المائدة الآية 75.

[8]. مصطفى الجويني، أوساط البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص 189.

إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضّحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش، وكفاية أسبابه، وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات، وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلاّ من تكون لها خدم يناوبون عنها في السّعي لذلك.[1]

ثالثاً: أنواع الكناية

1. كناية عن صفة: وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام، وهي ما كان المكنّى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام[2]، وهي نوعان[3]:

أ. كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، مثل: (فلان عريض القفا) كنّى عن الأبله.

ب. كناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، مثل: (فلان كثير الرّماد) كناية على كثرة المطابخ وكثرة الجود والكرم.

2. كناية عن موصوف: وتعرف بذكر الصّفة مباشرة، أو ملازمة، مثل: (قتلت ملك الوحوش) كناية عن الأسد، وهي ضربان[4]:

أ. ما هي معنى واحد: بأن يتّفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف، مثل قول البحتري يصف (قتلة الذئب) من البحر الطويل:

فَأَتْبَعَتْهَا أُخْرَى فَأَضْلَلَتْ نَصْلَهَا ... بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالحِقْدُ

كنى باللّب، الرعب، الحقد عن القلب، إذ هو محل العقل والخوف والضغينة.

---

[1]. عبد المتعالي الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط 17، 1426هـ – 2005م، ج03، ص 538.

[2]. أحمد مصطفى الهاشمي، المصدر السابق، ج1، ص288.

[3]. حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث، ج01، ص151.

[4]. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر السابق، ج01، ص304.

ب.ما هي مجموع معانٍ: بأن تؤخذ صفة فتضم إلى صفة ثانية، ثم ثالثة، فتكون جملتها مما يختص بالموصوف، فمتى ذكرت توصّل بها إليه مثل: يكنّى عن الإنسان (بحيّ مستوي القامة عريض الأظفار)، ومجموع هذه الأوصاف هو الثّلاثة المختص بالإنسان والكلّ واحد.

3.**كناية عن نسبة**: يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنى عنه نسبةً أسندت إلى مالَه اتصال به، مثل: كما يقولون: المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه، فهم لم يصرّحوا بثبوت المجد والكرم له، بل كنّوا عن ذلك بكونهما بين برديه وبين ثوبيه.[1]

رابعاً: أقسام الكناية

1.**التّعريض**: هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السّياق، نحو قولك للمؤذي: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي[2]، كقول الشّاعر أبو الطّيّب المتنبّي (من البحر الطويل):

إِذاَ الجُودُ لَمْ يَرْزُقْ خَلاَصاً مِنَ الأَذَى ... فَلاَ الحَمْدُ مَكْسُوباً وَلاَ المالُ بَاقِيَا.

والمعنى: في هذا البيت تعريض بذمّ من فارق لأنّه ذكر أنّهم جادوا له جوداً لم يخلص من أذيّة، وإذا كان الجود كذلك، فالجود ما حمد والمال ما بقيّ.[3]

2.**التّلويح**: هو الذي كثرت فيه الوسائط بين اللازم والملزوم، مثل: (أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي) كناية عن بخلهم، فقد انتقل من الإيقاد في الوادي المنخفض، إلى إخفاء النيران، ومن هذا إلى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم إليها.[4]

---

[1] . أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر السابق، ج01، ص304.

[2] . أحمد مصطفى الهاشمي، المصدر السابق، ج1، ص289.

[3] . عز الدين الأزدي المهلَّبيّ، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيب المتنبيّ، تحقيق، د، عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط02، 1424هـ - 2003م، ج02، ص236.

[4] . أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر نفسه، ج01، ص305.

3.**الرّمز**: هو الذي قلّت وسائطه، مع خفاء في اللزوم، مثل غليظ الكبد، كناية عن القسوة، إذ يتوقف ذلك على ما كان يعتقده العرب من أن موضع الإحساس والتأثر هو الكبد، فيلزم منه الرقة واللّين ومن غلظه القسوة.[1]

4.**الإيماء (الإشارة)**: هو الذي قلت وسائطه، مع وضوح الدلالة، مثل: قول البحتري يمدح آل طلحة[2]:

أَوَمَا رَأَيْتَ المِجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ... فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

والمعنى: قد علمت أن المجد أقام بخيام آل طلحة ولم يرحل عنها، فقد أثبت المجد لخيام آل طلحة إذ جعله مقيماً بها، وهو كناية عن إثبات المجد لهم من حيث إنّ المجد صفة لا بد من قيامها بمحل، والخيام لا تصلح محلاً لها، وسميت هذه الكناية إشارة أو إيماء، لأنّ الإشارة في الأصل موضوعة للدلالة على محسوس وهو أمر ظاهر، ومثلها الإيماء.[3]

[1] . أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر السابق، ج01، ص306.

[2] . أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر نفسه، ج01، ص306.

[3] . حامد عوني، المصدر السابق، ج03، ص339.

المطلب الثّاني: توظيف الكناية من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[1]

﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾: كناية عن التّصريح في الجواب، بأن استأنف قصّة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السّلام، وقيل أنّه جواب أحمق[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى عظيم العداوة الّتي يكنّها الشّيطان الرّجيم لبني آدم عليه السّلام فقد حسده على تفضيل الله تعالى إيّاه على سائر المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[3]، وكان أمر الله تعالى أن يجعل للشّيطان الرّجيم وأتباعه لعنة لا تفارقهم إلى يوم الدّين.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[4]

﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾: أقسم بالإغواء لأنّه تكليف، والتّكليف من أحسن أفعال الله تعالى لكونه تعريضاً لسعادة الأبد، فكان جديراً أن يقسم به[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى استحالة التّوبة للشّيطان الرّجيم وعلى العصيان والتّمرد بقع إلى يوم الدين، منكّس لحياة العبد مهاجر للكافر ومتردّد على المؤمن حتّى يحصل على مراد منه في الكفر والشّرك، وما على المرء سوى الحذر والحذر الشّديد من إغواء الشّيطان الرّجيم وهمسه، فمن اتخذنا عدواً لابد من اتخاذه عدواَ، كما قال تعالى:

---

[1]. سورة الأعراف الآية 12.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 20.

[3]. سورة الإسراء الآية 70.

[4]. سورة الأعراف الآية 16.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 24.

﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[1]، ومقابلته بالتّوبة والاستغفار، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾.[3]

﴿**لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى**﴾: إشارة للباس الرّيش، وإشارة للباس التّقوى، الغرض منها تبيين الله تعالى عظيم كرمه على بني آدم بحيث خلقه فقدر له لباسه ورزقه، وأنّ أمر التّقوى عظيم فبوجوده في قلوب المؤمنين يدوم الكرم وتفيض الخيرات.

في قوله تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾: تعريض بأنّ ما أصابهم إنّما هو لعدم إيمانهم، فمن آمن نجا، وهم قليل، ومن لم يؤمن هلك، وهم كثير[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي أصابت الكفار والمشركين من الهلاك والغرق، فما أنّ الذين آمنوا كان مصيرهم النّجاة والأمان، من بحر هائج متقلب الأمواج شديد العواصف والرياح، وذلك تبيان للقدرة الإلهية في إظهار المعجزات من انشقاق البحر إلى هدوئه، كما قال تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.[6]

---

[1]. سورة فاطر الآية 06.

[2]. سورة هود الآية 90.

[3]. سورة الأعراف الآية 26.

[4]. سورة الأعراف الآية 72.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 136.

[6]. سورة هود الآية 44.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾[1]

﴿**لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ**﴾:كناية عن الجماع[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها جماعة من قوم سيّدنا لوط عليه السّلام من الرّذيلة وارتكاب الدّناءة ما عرفت من قبل، فقد وصل بهم الحدّ إلى التّفكير في إتيان ملائكة الرّحمان حين نزلوا ضيوفا على سيّدنا إبراهيم عليه السّلام، ثم نزولاً على سيّدنا لوط عليه السّلام فقد تجرّدوا من العفّة والرّجولة حتّى ضجر منهم النّبي عليه السّلام، ولم يكن يعرف كيف يصنع بالحرج والضّيق من رؤية ذلك وسماعه، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[4]

﴿**رَبُّنَا**﴾: تلويحاً بأنّه المالك لنا المتصرّف فينا بما يشاء من إيمان وكفر وغيرهما[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى مشيئته وإرادته في التّحكم في حال العباد من إيمان أو كفر وفي مصيرهم من جنّة أو نار.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[6]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 81.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 163.

[3]. سورة هود الآية 80.

[4]. سورة الأعراف الآية 89.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص178.

[6]. سورة الأعراف الآية 149.

﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾: ولأصل لما سقط أفواههم في أيديهم، وذلك كناية عن شدّة تحسّرهم، وندمهم، وغمّهم، لأنّ من كان كذلك يوقع فمه على يد بعضها[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكفّار من شدّة التّحسّر والنّدم حين ظهور العذاب ولم يجدوا حيلة سوى طلب النّجدة والرّحمة من ربّهم تعالى، في حين كان الخسران حليفهم والعذاب مصيرهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[3]

﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**﴾: علاها للجماع في الدنّيا، فلما أهبطا وألقيت الشّهوة في القلب، والصّحيح أنّه كان يجامعها أيضا في الجنّة، فهذه كناية لطيفة عن الجماع[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى عدم التّصريح مما يستقبح لفظه وأنّ الله تعالى ينتقي من الكلام فلا يعبّر عن المعاني إلاّ بألفاظ لطيفة وموزونة، كعدم ذكر اسم حرمة الرّجل إلاّ بلفظ (زوجه)، كما قال تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾[5]، أو بلفظ (امرأت)، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ**﴾.[6]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص267.

[2]. سورة النبأ الآية 40.

[3]. سورة الأعراف الآية 189.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص280.

[5]. سورة الأنبياء الآية 90.

[6]. سورة القصص الآية 09.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1]

﴿**جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ**﴾: وهذه الشّركة هي إتباعهما إبليس في قوله: سمياه عبد الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، أو هي إضافته للحارث لا إشراك في العبادة ، وسمى ذلك شركاً بالنّظر إلى اللّغة إذ اتبعناه كما يتبعان أمر الله، وأضافاه للحارث كما تضاف الأشياء لله، وفي ذلك تلويح بعتابهما على ذلك[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى توبيخه لسيّدنا آدم عليه السّلام وحواء من جراء إتّباع غواية الشّيطان الرّجيم، وتحذير العباد أجمعين من اتّخاذه وأولياءه شركاء مع الله تعالى في السّمع والطّاعة.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[3]

﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: إشارة إلى أن يرجو الرّحمة وهي إتّباع الأمر واجتناب النّهي[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ رحمته مرتبطة بالقرآن الكريم وعلى المؤمن أن يراعي شروط سماع تلاوة القرآن الكريم من مذياع مثلاً، أو تلفاز أو شيخ أو غيرها من الوسائل، فلا بد من التأدّب أمام كلام الله تعالى وحسن الاستماع وإلزام الأذن بالإنصات وجلب الفكر للتّدبّر والخشوع، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا**﴾.[5]

في قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾[6]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 190.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص281.

[3]. سورة الأعراف الآية 204.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص297.

[5]. سورة الأحقاف الآية 29.

[6]. سورة الأعراف الآية 206.

﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**﴾: وهم الملائكة، ﴿**لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾: مع شرفهم وبعدهم عن الذّنب، فكيف ليستكبر عنها النّاس مع انغماسهم في الذّنوب، واحتياجهم إلى الجنّة، فالآية تعريض بهم[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الملائكة وهم مع استحقاقهم الجنة ودخولهم فيها إلاّ أنّهم دائموا التّسبيح والتّهليل لله عزّ وجلّ، لكن الإنسان رغم جهله بمصيره ألجنّة أم النّار لا يدرك طريق الصّلاح والفلاح دائم العصيان، مكثر للذّنوب وماكث على النّسيان والغفلة.

في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[2]

﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: في كلّ ما أمركم به، ونهاكم عنه، من أمر الغنيمة وغيره، ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: فإنّ الإيمان يقتضى ذلك، كما تقول: إن كنت جيّدا فافعل كذا تريد الإشارة إلى أنّه غير جيّد إن لم يفعله، أو معنى مؤمنين كاملي الإيمان، إشارة إلى أنّه يكمل باتقاء المعاصي وإصلاح ذات البين، وطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في الأمر والنّهى[3]، الغرض منها بين الله تعالى من كان مؤمناً حقاً فليطع الله تعالى في كلّ أوامره ونواهيه ثم يطع النّبي صلى الله عليه وسلم في احترامه وتقديره وإتباع سنّته الطّاهرة، ثم يصلح بينه وبين ربّه وبينه وبين النّاس ويبتعد عن العداوة والبغضاء، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾.[4]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص300.

[2]. سورة الأنفال الآية 01.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص305.

[4]. سورة النّساء الآية 59.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[1]

﴿ **فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾: فائدته مع أن الإمطار لا يكون إلاّ من السّماء، والإشارة إلى أن الحجارة هي المسوَّمة للعذاب والمعدة في السّماء، أو أرادوا مطلق الحجارة، فقوله: ﴿**مِنَ السَّمَاءِ**﴾ تقوية[2]، الغرض منها بين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفّار حتى دعوْ على أنفسهم بالهلاك بحجارة تتساقط عليهم من السّماء فترجمهم أو بعذاب أليم كإعصار أو أمطار طوفانية، وغيرها من أنواع العذاب الّتي يعاقب بها الله تعالى العصاة والمتكبّرين والمنافقين أعداء الله تعالى وأعداء رسله عليهم السّلام، والأحرى على العبد المؤمن أن يدعي لنفسه ولغيره بالعافية والصّلاح والهداية والمغفرة، ولا يدعي على نفسه وعلى غيره بالهلاك والدّمار والموت، فلا ربما استجاب الله تعالى له فيهلك ويضيع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[4]

﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: بالخصلة الّتي هي صاحبة الصّدور، وهي ما يكون في الصّدور من جراءة وجبن، وصبر وجزع، وكفر وإيمان، وحبّ الله وغير ذلك، فيجازى على ذلك، أو ذات الصّدور نفس الصّدور، أي عليم بالصّدور نفسها، فيكون كناية عن علم ما فيها مما ذكره[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى مصير العبد وأنّه عالم بما تكنّه النّفس من حديث النّفس وغيره

[1] . سورة الأنفال الآية 32.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص364.

[3]. سورة الإسراء الآية 11.

[4] . سورة الأنفال الآية 43.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص384.

ومن وسوسة الشّياطين وكلّ ما يخالج الذّهن من أفكار حسنة وسيّئة، فما كانت حسنة تكتب عند الله حسنة وإذا طبقت على الواقع تتضاعف وما كانت سيّئة لا تكتب عند الله تعالى، وما إن كانت على الواقع تكتب سيّئة واحدة وتبيّن من الآية أنّ الله تعالى غفور رحيم، ويقابله شديد العقاب، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**﴾[2]

﴿**فِي كُلِّ مَرَّةٍ**﴾: في متعلقة بعهدهم، كأنّه قيل: ينقضون العهد الّذي عهدوه في هذه المرة، والّذي عهدوه في تلك المرة، وفي الإبدال تلويح بأنّ رؤساء قريظة شرّ من مهائر قريظة الّتي هي شرّ الدّواب[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم العهود الموثّقة بالله تعالى وأنّ من ينقض العهد الّذي عاهد الله تعالى عليه وتمكّن من نقضه أكثر من مرة لا يمكن الوثوق به، ولا يمكن الاعتماد عليه في الأمور الصّغرى وفي الأمور الكبرى من باب أولى.

في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾[4]

﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**﴾: أي كانت عليكم ضيقة كمن لا يسعه مكانه، وذلك كناية عن شدّة الرّعب[5]، الغرض منها إظهار الله تعالى تحقير هؤلاء الذين غرتهم كثرتهم ويتقنوا الفوز والظفر برقاب العدو والتمكين من أمتعتهم وذخيرتهم، لكن لم تعدهم أنفسهم إلاّ

---

[1]. سورة الأعراف الآية 156.

[2]. سورة الأنفال الآية 56.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص402.

[4]. سورة التوبة الآية 25.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص462.

غروراً فصاروا على ضيق وحسرة، ولا يكون الانتصار للأشخاص فقط وإنّما النّصرة للإسلام وللإله الواحد الأحد، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾[2]

﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ**﴾: كناية عن أنّه فعل ما ينبغي أن لا يفعله، وهو الإذن لهم في القعود، قال الشّيخ هود رحمه الله، وجار الله، والقاضي ما حاصله: إنّ العفو كناية عن أنّه لم يصب في الإذن، وأن العفو إنّما يكون عن ذنب، وهو من روادف ذلك، ولا بأس بذلك، لأنّ المراد أنّ إذنه ولو كان غير ذنب لكنّه كالذّنب في حقه صلى الله عليه وسلم، بل جوّز بعضهم الصّغائر في حقّ الأنبيّاء،[3] الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ لكلّ نبيّ أو رسول عليه السلام جانبين من حياته جانب بشري فله نصيب من الأكل والزّواج وغيره من الأمور الدّنيويّة، وجانب من الوحي الرّبّاني والدّعوة إلى التّوحيد لدين واحد وإله واحد، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾[4]، هذا عتاب من الله تعالى لنبيّه الكريم صلى الله عليه وسلم حين أعرض عن الاستماع للرّجل الفقير الأعمى ولاحق عظماء قريش طمعاً في إسلامهم وبتّالي يسلم بعد إسلامهم قوم كثير.[5]

---

[1]. سورة آل عمران الآية 160.

[2]. سورة التّوبة الآية 43.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص11.

[4]. سورة عبس الآية 08 – 10.

[5]. محمد القرطبي، الهداية إلى بلوغ النّهاية، المصدر السابق، ج12، ص 8049.

في قوله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[1]

﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾: تهديد للسماعين بأنّه يعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها، وفيه تلويح بأنّكم لا تعلمونهم، وقيل الظالمون المشركون[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير المنافقين الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التّخلّف عن الجهاد، وأنّ قبول انضمامهم للقتال بعد نزول الآيات على ظهور نفاقهم لا يزيد الطّين إلاّ بلّا ولا يزيد في العصر إلاّ عصرين.

في قوله تعالى: ﴿**لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[3]

﴿**حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾: ذلك تلويحاً لأنّ تقليبهم الأمور كان سبباً لظهور الأمر ومجيء الحقّ، فهم ساعون في هلاك أنفسهم[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير المنافقين الذين ابتغوا الفتنة ليتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعوا فيها باتصافهم بالنّفاق وأخلّوا بالثقة بين المؤمنين وشتّتوا قوّتهم وعزيمتهم.

في قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[5]

﴿**وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ**﴾: كناية عن تباعدهم عن أعمال الخير كالصّدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى وما أتوه منها لم يكملوه[6]، ولا يبسطون أيديّهم حين البسط، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ**

---

[1]. سورة التوبة الآية 47.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص17.

[3]. سورة التوبة الآية 48.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص18.

[5]. سورة التوبة الآية 67.

[6]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص45.

يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[1]، الغرض منها بيان الله تعالى صفات المنافقين والمنافقات المانعين للخير والمسدين لباب الأخوة الإنسانية وبفعلهم الشّنيع في مخالفة شرع الله تعالى نسوا أمره وغيروا حدوده فالحق بيّن والباطل، في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾**.[2]

في قوله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾**[3]

﴿**وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾**: وهي قولهم: لئن كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم حقّا، ولأنّه كناية عن كونه غير حق، أو شكّ في كونه حقّا وقيل: قالوا ذلك لأنّهم لم يفطنوا بمكان عامر، وذلك أنّه قام بغزوة تبوك شهرين، ينزل عليه القرآن الكريم، ويعيب المنافقين المتخلّفين، وخطب يوما بأنّهم رجس، وقال الجلاس ذلك، وحلف بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر بعد العصر بالله الّذي لا إله إلاّ هو ما قال، وإنّ عامرا كاذب عليّ، وحلف عامر كذلك أنّه قال وما كذبت[4]، فنزلت الآية إلى: ﴿**فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾**، الغرض منها بيان الله تعالى أن الحلف بالله تعالى على الكذب أمر عليه عقاب شديد وأنّ حبل الكذب قصير ومهما طالت مدته فإنّه سيكشف الحقّ من الباطل، وقد اتّضح من الآية الصّادق وهو عامر بن قيس، والكاذب وهو الجُلاَس بن سويد ثم توبته بعد ذلك.[5]

في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[6]

---

[1]. سورة الإسراء الآية 29.

[2]. سورة هود الآية 119.

[3]. سورة التوبة الآية 74.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص53.

[5]. حسين بن محمد البغوي، تفسير البغوي، المصدر السابق، رقم الحديث 1092، ج02، ص 370.

[6]. سورة التوبة الآية 82.

﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**﴾: يجوز أن يكون ذلك كناية في الدّنيا إليهم لما هم عليه من الخطر مع الله تعالى وسوء الحال، بحيث ينبغي أن يقلّ ضحكهم ويكثر بكاؤهم على حدّ قوله صلى الله عليه وسلم لأمّته[1]: "**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً**"[2]، وروى أنّه قال الله سبحانه له حين قال ذلك: "**يَا مُحَمَّدُ لَا تُقَنِّطْ عِبَادِي**"[3]، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن السّرور والغمّ، ويجوز أن يكون ذلك كلّه كناية عن الآخرة[4]، الغرض منها أنّه على كلّ مسلم أن يجاهد نفسه في الدّنيا من أجل كسب أجر الآخرة وأن يكثر من العمل الصّالح الّذي ينجّيه من عذاب النّار، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[6]

﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ**﴾: لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرّة، وتوبة الله تعالى تستعمل بمعنى قبول توبة العبد، لمن تاب، الكناية عن إقبال الله إلى عبده وتعرّضه توبته، وعدم الإعراض عنه، وبمعنى توفيقه إلى التّوبة ونحو ذلك[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى فضله على المؤمنين بعصمة

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص63.

[2]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الإيمان والنّذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث6631، ج08، ص129.

[3]. أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، رقم الحديث 2583، ج03، ص89.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص63.

[5]. سورة العنكبوت الآية 06.

[6]. سورة التوبة الآية 118.

[7]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص116.

قلوبهم من الزّيغ في حال الشّدة والأمر الحاصل للمخلّفين حتى فرج عليهم وتاب عليهم وكانوا مثالاً للصدق، وبتالي وجوب التقوى دائما والصدق في النيات والأقوال والأحوال والأعمال.[1]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[2]

﴿**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: يجوز أن يكون استواؤه على العرش كناية عن أنّه مالك للأشياء متصرف بها بحكمة، فيكون قوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾، بياناً له[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه وحده من يسيّر القضاء في مخلوقاته كلّها ومن بينهم البشر إلاّ أنّه يجعل الملائكة تتولىّ بعض الأمور مثل إنزال الوحي بواسطة جبريل عليه السّلام على الرّسل والأنبيّاء عليهم السّلام، وقبض أرواح الأحياء من الحيوانات والبشر بواسطة عزرائيل عليه السلام، وهنالك من هو مسئول عن الريّاح، وغيرها[4]، وكلّ ذلك بأمره عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿**مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ**﴾[5]، وقد جعل الله تعالى حقّ الشّفاعة للمؤمنين يوم القيّامة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾.[6]

---

[1]. جابر بن أبو بكر الجزائري، المصدر السابق، ج02، ص 435.

[2]. سورة يونس الآية 03.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص14.

[4]. أبو الليث السمرقندي، المصدر السابق، ج02، ص103.

[5]. سورة الحجر الآية 08.

[6]. سورة طه الآية 109.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[1]

﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ**﴾: كالفقر والمرض والموت، ﴿**اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ**﴾: أي: تعجيلا مثل استعجالهم، أي: مناسبا لاستعجالهم بمعنى تعجيلاً آتياً على مقتضى استعجالهم بالخير، ومقتضاه التّعجيل، فكأنّه قيل: تعجيلاً مثل تعجيلهم، وفيه إشارة إلى سرعة إجابته حتّى كان استعجالهم بالخير تعجيل به لهم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى طبيعة الإنسان في حبّه استعجال الخير مهما كان نوعه بالدّعاء والتّضرّع لله تعالى، عكس الشّر فهو أمر مبغض ومكره ومخيف يحبّذ فيه التّأخير إلى أدنى حدّ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا**﴾[3]، لكن الله تعالى خلق في الكون في كلّ نوع زوجين: الحياة والموت، الصّحة والمرض، الأمن والخوف، الغنى والفقر، العلم والجهل، النّور والظّلام، الخير والشّر، السّعادة والشّقاوة، الجنّة والنّار، فلا بد على الإنسان أن يحمد الله تعالى على كلّ حال ويشكره، فدوام الحال من المحال.

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[4]

﴿**لِنَنْظُرَ**﴾: أي نعلم علماً، كما يعاين أحدكم الشّيء ببصره فيعلمه، وذلك إشارة إلى إظهار غاية العدل، إذ كان يعامل العباد معاملة من كان يطلب العلم بما عملوا، مع أنّ علمه أزليّ عام لا يزيد ولا ينقص، وقيل لنبيّن في الوجود[5]، الغرض منها بيّن الله تعالى أنّ قدرة الإنسان على

---

[1]. سورة يونس الآية 11.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 23.

[3]. سورة المعارج الآية 19- 20 - 21.

[4]. سورة يونس الآية 14.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص27.

العلم بالأشياء والتّنبّؤ بها أمر تعجيزي، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[1]، وأنّ وقوع الأمور والأحداث كما ينوي المرء يكون عن مشيئة القدير عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[2]، وأنّ مصير الإنسان مكتوب منذ الأزل أي قبل خلقه من طين وجعله على تلك الخلقة السويّة، كما قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]

﴿**فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾: التّنبئة كناية عن المجازات والدّنيا، وأنال منها الإنسان ما أراد من بغي ولذة هي، كما قال الله سبحانه وتعالى[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى طبيعة البشر المتقلّبة الّتي إذا مسّها الشّرّ جزعت، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ**﴾[6]، فتتضرّع إلى الله تعالى في خشوع لم يظهر مثله طالبة العافيّة والمعافاة وحين حصول ذلك سرعان ما نسيّت أن تشكر ربّها، نكرة للعهود الّتي قطعتها بأن تعود إلى ربّها وتتوب توبة نصوحة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[7]، لكن الأمر لم ينتهي على هذا الشّكل فملائكة الله تعالى تدوّن كل شاردة وواردة

---

[1]. سورة النحل الآية 74.

[2]. سورة الحجرات الآية 18.

[3]. سورة الحديد الآية 22.

[4]. سورة يونس الآية 23.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص45.

[6]. سورة فصلت الآية 49.

[7]. سورة يونس الآية 12.

وأمرهم عند الله تعالى معلوم، ويوم القيامة الطّيور على أشكالها تقع عكس طبيعة البشر المؤمنة فهي تسعى دائما أن تصبر تشكر ربّها في كلتا الحالتين في السّرّاء والضّرّاء عسى الله تعالى أن يبدّل حال أحسن من حال، كما قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.[2]

﴿**وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾: ذلك منابذة وتهديد، وكناية عن بطلان أمرهم وضلالهم، وهلاكهم، على عكس من كان على الإيمان، وذلك ثابت، سواء أمره الله تعالى بالقتال أم لا[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ الكفر والإيمان بيد المرء وأنّه لا يجبر على الدّخول في أيّ دين شرّعه الله تعالى ويكون ذلك بإرادته الحرّة، كما قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[4]، وأنّ كلّ شخص يحاسب حسب عمله فالكافر لا يعطى من حسنات المؤمن وبركاته ومغفرة الله تعالى له ورحمته المحيطة به، والعكس فالمؤمن لا يشرك مع الكافر في العقاب والعذاب وسوء الخاتمة، فلكلّ دين دينه الّذي يتّبعه ومخلّفاته، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾.[5]

---

[1]. سورة البقرة الآية 155.

[2]. سورة يونس الآية 41.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص69.

[4]. سورة البقرة الآية 256.

[5]. سورة الكافرون الآية 04 – 05.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[1]

﴿**وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ**﴾: وجه الدلالة عندي أنّ فيه تعريضاً بأن لا نظلمكم، كما كان يظلم بعضكم بعضا، والله أعلم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه العادل بين مخلوقاته وأنه لا يظلم أحداً، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[3]، فكلّ عمل يناسبه الجزاء فمن عمل صالحاً يجزى بالرحمة والثواب وأضعاف من الحسنات، ومن عمل سيئا فعلى نفسه جزاء سيئة بسيئة وعقاب وعذاب دنيوي وأخروي، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾[4]، والعلاقة المتينة بين الصّالح والفاسد هي التّوبة النّصوحة، والاستغفار، والدوام على طاعته سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾[6]

﴿**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾: من كلام موسى عليه السّلام، أو من كلام الله تعالى، لأنّهم يفضحون ببطلان سحرهم، وظهور أنّه تمويه، وكان سحرهم نوعاً من تخيّل بآلات وأدوية، ولو كانت تلك الآيات سحراً لاضمحلّت، ولكانت غير مبطلة لسحرهم، ولكانت غير مفلح، وهذا

---

[1]. سورة يونس الآية 54.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 82.

[3]. سورة الكهف الآية 49.

[4]. سورة الجاثية الآية 15.

[5]. سورة النساء الآية 110.

[6]. سورة يونس الآية 77.

كناية عن أنّهن غير سحرة، فإنّ من علم أنّ السّاحر لا يفلح لا يسحر[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكفّار في إنكار الحقّ المنزّل على الرّسل والأنبياء عليهم السّلام ورأيتهم له على أنّه سحر، في حين لم يفلحوا السّحرة أمام آية العصا وتحوّلها المفاجئ إلى أفعى حقيقيّة تلدغ كلّ تلك الأفاعي الوهميّة، كما قال تعالى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]

﴿**وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ**﴾: وصفه بالتّوفّي الّذي هو أشدّ شيء على النّفس تهديداً لهم، وزجراً وإيذاناً بأنّه الحقيق أن يخاف ويعرف ويعبد، وفي ذلك تعريض بأنّ الّذين تعبدون من دون الله تعالى لا يقدرون على شيء من ذلك[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه حيّ لا يموت وقادر على الإحياء والإماتة عكس ما يعبدون من أصنام خرساء وبكماء تموت وتبلى، كما قال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**﴾[5]، وهذا الأمر يدعوا إلى إعمال العقل والتّفكير والتّراجع عن عبادة الضّعفاء واللّجوء إلى الله تعالى تمام الرّجوع والإخلاص، كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾.[6]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص107.

[2]. سورة طه الآية 69.

[3]. سورة يونس الآية 104.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص140، ص141.

[5]. سورة الفرقان الآية 58.

[6]. سورة المؤمنون الآية 80.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1]

﴿**وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**﴾: عبّر هنا بالإرادة إشارة إلى أنّ الخير مقصود بالذات، أو أشار بها إلى أنّها مرادة في الأوّل، وأشار بالمسّ فيه إلى أنّه مراد هنا، فذكر في كل ما حذف من الآخر إيجازاً، ففي كلّ منهما إرادة ومسّ، فإنّ الله يمسّ الإنسان بضرّ ثم يصرفه عنه[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ جميع الأمراض والأفضال منه سبحانه وتعالى فيصيب بها من يشاء من عباده، إن كان ابتلاءاً، مثل ما حدث للنّبيّ أيّوب عليه السّلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[3]، أو جزاءاً مثل ما حدث للنّبيّ يونس عليه السّلام حين استيأس من قومه فهجرهم غاضباً منهم على عدم إيمانهم بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[4]، لكن ككلّ نبيّ ورسول عليهم السّلام عُرف كلّ منهم بالإخلاص، والصّلاح، والتّقوى، وأهل التّوبة والمغفرة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾[6]

---

[1]. سورة يونس الآية 107.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص142، ص143.

[3]. سورة المؤمنين الآية 83.

[4]. سورة يونس الآية 99.

[5]. سورة المؤمنين الآية 87.

[6]. سورة هود الآية 20.

﴿**وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾: خبرا أو آيات ينتفعون بها، شبّه إعراضهم عنها مع أنّهم رأوها بعدم إبصارهم لها، أو ذلك كناية عن شدّة بغضهم للنّبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يستطيعوا حمل أنفسهم على السّمع منه، والنّظر إليه[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ أولائك المشركين والكفّار لن يعجزوا الأنبياء والرّسل عليهم السّلام في تبليغ الحق وأنّه لا بد لنور الهداية أن يعمّ ويدمغ الضّلال والباطل، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[2]، وحتّى لو أنّهم يسمعون ويبصرون لكن مثل البهائم لا تعقل شيئاً سوى غريزة تأكل وتنام، كما قال تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[4]

﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا**﴾: إشارة إلى أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم إنّما يكون مَلَكاً لا بشراً مثلنا، أو تعريض بأنّهم أحقّ بالنّبوة منه، لأنّهم ذووا مال ودنيا[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ اختياره للرّسل والأنبياء عليهم السّلام لا من تكون الأفضلية فيه على حسب القوّة، أو الجاه، أو الأموال أو الأولاد، وغيره من النّفوذ الدّنيويّ الزائل، وإنّما من يكون اتقاهم، وأنقاهم، والأجدر بحمل الرّسالة الجليلة، ونشر الوعي واليقظة الرّبّانيّة، كما قال تعالى: ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى**

[1]. محمد بن يوسف أَطَفَّيِّشْ، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1496.

[2]. سورة الصّف الآية 09.

[3]. سورة الفرقان الآية 44.

[4]. سورة هود الآية 27.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1503.

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[1]

في قوله تعالى: **﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[2]

﴿إِنْ أَرَدْتُ﴾: وإنّما قال: إن أردت، ولم يقل: إن نصحت لكم، إشارة إلى أنّه إذا أراد الله إغواء أحد فلا ينفع فيه شيء، حتى إذا أردت نصحه ينبغي أن لا يكون، لأنّها تؤثّر، ولكن الله تعالى أبهم إرادة الإغواء، وإلى أنّ إرادة الله تعالى تغلب إرادة غيره، وخلاف إرادته محال، وإرادة الله تعالى تتعلق بالإغواء كما هنا وبالإرشاد، وإغواءه خذلانه، لا جبره بالخذلان وبدوره يؤدي إلى الهلاك[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ أمره فوق الجميع وأنّ الظّالم لا تنفع النّصيحة معه مادام ضالاً ومشركاً، كما قال تعالى: **﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**.[4]

في قوله تعالى: **﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾**[5]

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى وحضرة وعلم منّا، وذلك كناية عن الحفظ العظيم على طريق التّمثيل، فإنّ مراعاة الشّيء عن الاختلال وحفظه عمن أراده بسوء إمّا يكونان في الجملة بعين الوجه، تعالى الله عن ذلك، ولو كان ذلك ليس على حقيقة جمع العين، وهو مبالغة، ويصحّ

---

[1]. سورة الفتح الآية 26.

[2]. سورة هود الآية 34.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1510.

[4]. سورة المنافقون الآية 06.

[5]. سورة هود الآية 37.

أن يكون المراد بالأعين الملائكة الّذين جعلهم الله رقباء على حفظه، وعلى كلّ حال، فإنّ الله تعالى حفظه عن أن يزيغ في صنعته، وأن يمنعه أحد عنها[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ الإنسان ضعيف وناقص بدون الله تعالى، فهو الّذي يرشده ويوجّهه وخير عالم ومعلّم بحيث ألهمه على مرأى منه في صنع الفلك وبالتّصميم الّذي يجب أن يواكب أمواج البحار وريّاحها، كما قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ**﴾[2]، وأنّ لا محالة من عدم النّجاة، وأمّا البقيّة الّذين سخروا من صنع هذا الشّيء ولم يصدّقوا بأنّه سبب نجاتهم من عرض البحر وهياجه، كما قال تعالى: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾[3]، فهم الظّالمون والغرق مصيرهم.

في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[4]

﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾: يجوز أن لا يكون المراد حقيقة نبع الماء من التّنور، بل المراد الكناية عن شدّة الأمر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**"[5]، وهو لفظ فارسي جاء في القرآن، وقيل: كان قبل ذلك في لسان العرب من لغة العجم، ولا تعرف لمسماة العرب اسما غير ذلك، ولذلك جاء في القرآن، وقيل: ذلك اسمه في كلّ لغة، وقال عليّ بن أبي طالب: فار التّنّور، طلع الفجر، شبّه طلوع نور الصّبح بفوران نار التّنّور، وقال ابن عباس في رواية، وعكرمة، والزّهري: فار التّنّور انبجس الماء على وجه الأرض، وقيل: فار عليه، وقيل: فار

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1513.

[2]. سورة المؤمنون الآية 27.

[3]. سورة هود الآية 38.

[4]. سورة هود الآية 40.

[5]. مسلم بن الحجاج، المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم الحديث، 1775، ج03، ص1398.

على أعلى موضع فيها[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى عظمته في تخويف البشر من ثوران ماء البحر في تضاعف النّسبة وتجاوزه الحد، حتى يغرق من في الأرض ومن عليها، وهذا كان عقاباً للأقوام السّابقة الّتي تمرّدت وأصرّت على الكفر والعصيان، رغم بعث الرّسل والأنبيّاء عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[3]

﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: طريق لا عوج فيه، وهو كناية عن أنّه على الحق والعدل، فالّذي يدعوكم إليه من الدّين حق وعدل، لأنّه منه، وأنّ الله سبحانه عدل فلا يظلمكم، ولو كان قادراً عليكم، وأنتم في قبضته كعبد ذليل، بل يجازي المحسن بالإحسان، والمسيء بإساءته لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم، وهذا أنسب عندي بتوكّله[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى لعباده عن طريق الأنبياء والرّسل عليهم السّلام أنّ ما يدعونهم إليه من عبادة الواحد الأحد، وتجنّب المحرّمات والالتزام بالواجبات هو الحقّ، وأنّ ما يتّبعونه من شرك وكفر في عبادة الأصنام، ونشر الفساد، والقتل، والظّلم هو الباطل، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[5]، وأنّ الله تعالى ليس بظالم عباده، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾.[6]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص 1516.

[2]. سورة الدخان الآية 29.

[3]. سورة هود الآية 56.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1532.

[5]. سورة الحج الآية 62.

[6]. سورة فصلت الآية 42.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**﴾[1]

﴿**وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾: أي: ضاق بهم ذرعه والذرع الذراع، ومخرج الرأس والعنق من القميص، كنى بضيق يده عن عجزه عن دفع قومه والاحتيال فيه، لأن موضع قوة الإنسان في ذراعه حتى توسعوا فيه فقالوا في عدم الطاقة: فلان ضيق الذراع، وفيها فلان رحب الذراع، ولأن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه، فإذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك، فلذا قيل الذرع مصدر مأخوذ من الذراع، أو الذرع من القميص يكون على الصدر، أو قريبا منه، وكنى بضيقه عن ضيق صدره، أو سمى الصدر باسمه[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفّار والمشركين حين نزل عليهم العذاب، فذاقت بهم السّبل والآفاق، فلم يجدوا من ذلك اليوم الضّيق مخرجاً ولا طريقاً، إلاّ التّوبة، والاعتراف بالنّبوّة، والتّيقّن باله الواحد، طريق لم يدركوه ولم يبصروه، كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[4]

﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾: إشارة إلى حق النّفس الإشراك والتّطفيف، وغيرهما، أي: لست أنهاكم عن ذلك لأفعله أنا، وأختص به، فإنّه لا خير فيه لي ولا لكم، وإنّما

---

[1]. سورة هود الآية 77.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1551.

[3]. سورة هود الآية 20.

[4]. سورة هود الآية 88.

أنهاكم نصيحة لكم، وشفقة عليكم، ولو كان صواباً لفعلته ولم أختص به، بل آمركم به لكمال نصحي لكم، وشفقتي عليكم، ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾: إشارة إلى حقّ النّاس، أي: ما أريد إلاّ أن أصلحكم بموعظتي ونصحي مدّة استطاعتي الإصلاح، ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾: ذلك إشارة إلى محض التّوحيد، أي: أراجع في أموري كلّها، لا أعمل بما يخالف، وإن أراد بالإنابة الرّجوع بالبعث، فهو إشارة إلى معرفة المعاد بعد الإشارة إلى أقصى مراتب العلم بالمبدأ وهو التّوحيد[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى مصداقية الرّسل والأنبياء عليهم السّلام في تبليغ الرّسالة وحبّهم ورجائهم الكبير في دخول النّاس أجمعين في طاعة الله تعالى حتى ينالون الجنة، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**﴾[2]، وذلك لا يكون إلاّ بمشيئة الله تعالى، وهم لا يرضون لأيّ بشر بالمعصيّة ويشفقون على كلّ عبد طاغيّة أو مشرك في نزول العذاب عليه أو دخوله نار الجحيم، كما قال تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾[3]، ويفرحون لكلّ عبد آمن ووحّد ربّه تعالى وبتّالي هذا درس على كلّ شخص أن يبتعد عن الأنانيّة وحبّ التّملّك، كما جاء في قول النّبي صلى الله عليه وسلم: "**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**".[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[5]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1562.

[2]. سورة نوح الآية 05 – 06.

[3]. سورة يس الآية 26 – 27.

[4]- محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث13، ج01، ص12.

[5]. سورة هود الآية 90.

﴿**وَدُودٌ**﴾: أي: كثير الحب له، والمراد إكثار اللّطف به، والإحسان له كما يفعل المبالغ في المودّة، وهذا وعد على التّوبة، وكلّ من الصّفتين تفيد مبالغة، كناية عن فعله ما يحبّه به الخلق[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه متّصف بالرّحمة وأنّ مودّته لا تقدر بالسّموات والأرض ورحمته ومودته تشمل الخلق كلّه وتزيد، فمن أرحم وأودّ من الله تعالى في غفر الذّنوب وإصلاح الأحوال وردّ الصّفح الجميل، فما من ذنب وقد يغتفر بالتّوبة فآل فرعون، وعاد، وثمود، لو تابوا ما غرقوا وما هلكوا، رغم تعداد ذنوبهم وطغيان فسادهم، فالتّوبة مفتاح الخطايا والذّنوب، وليس كلّ مصلح مؤكّد من دخول الجنّة، وليس كلّ مفسد مؤكّد من دخول النّار وكلّه بالرّجوع ويقين التوبة، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**﴾[3]

﴿**لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**﴾: أي: إلاّ انتهاء أجل، إشارة إلى أنّه غير مبذول بل اعتنى الله سبحانه وتعالى به[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ وعده بجمع النّاس أحياءاً وأمواتاً وجمع المخلوقات كلّها في يوم معلوم لم يؤخّر، كما قال تعال: ﴿**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[5]، وإنّما معدود وترك علم عدده في علم الله تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾.[6]

---

[1]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1564.

[2]. سورة آل عمران الآية 135.

[3]. سورة هود الآية 104.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1578.

[5]. سورة نوح الآية 04.

[6]. سورة الأنعام الآية 02.

في قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[1]

﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾: الفرائض والنّوافل من الصّلاة والصّدقة، والصّوم والاستغفار، وغير ذلك، يكفّرن ويمحون الصّغائر لمن اجتنب الكبائر، وكنّى به عن الصّغائر، وثبت في الحديث[2] عن أبي هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الصَّلَاةُ إِلَى الصَّلَاةِ كَفَّارَةٌ لَمَّا بَيْنَهُمَا، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ لَمَّا بَيْنَهُمَا، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ**"[3]، "**كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**"[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه مهما أخطأ الإنسان وتمادى في الأخطاء فإنّ الله تعالى جعل للمذنب والمخطأ فرص كثيرة من سن بلوغه حتى مماته، في التّكفير عما بدر منه من تقصير أو تجاهل وغفلة، وذلك بالصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ والصّدقات وفعل الخير والإحسان والكلمة الطّيّبة، تمحى السّيّئات وتجعل مكانها أضعاف الحسنات، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[5]، فما عسى أن تلحق السّيّئة الواحدة بأضعاف الحسنات. الحمد لله هذا من كرم ربّنا، وحبّه وفيضه علينا.

في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[6]

---

[1]. سورة هود الآية 114.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1588.

[3]. أبي أسامة الحارث، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المنتقي، أبو الحسن بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق، د، حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط01، 1413هـ – 1992م، كتاب الإمارة، باب فيمن خرج من الطاعة وقاتل إمامه، رقم الحديث 605، ج02، ص 634.

[4]. أبي طاهر، المخلصات وأجزاء أخرى، الجزء العاشر من المخلصات، رقم الحديث 2447، ج03، ص251.

[5]. سورة هود الآية 114.

[6]. سورة هود الآية 115.

﴿**أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: عن ابن عباس: المحسنون المصلّون، ويجوز أن يكون الأصل لا يضيع أجرك، وعدل منه إلى المحسنين، استدلالاً على أنّ الإحسان موجب للثّواب وإيذاناً بأنّ الصّلاة والصّبر، ونحوهما إحسان، وفيه إشارة إلى أنّهما لا يكونان معتد بهما حتى يكونا بإحسان وهو الإخلاص، وكذا نحوهما من الطّاعات[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه عادل فوق عباده فلا يضيع عنده أجر أو ثواب فكلّ ذي حقّ حقّه وكلّ ذي وقت وقته، فهناك من جعل أجره في الدّنيا وهناك من جعل أجره في الآخرة، وهناك من فاز بالأجرين الدّنيويّ والأخروي، فعسانا أن نكون من هذا الأخير ونربح الجنّتين فقد على المسلم أن يتقي ربّه تعالى في كلّ الأعمال والأفعال والأقوال، كبيرها وصغيرها، وأن يصبر على الصّعاب والعقبات وكلّ ضعف قوّة إلى التّقدّم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾. [2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾[3]

﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾: يجوز عود الإشارة إلى الاختيار الّذي كان عنه الاختلاف، فإنّ الكلام يتضمّنه ويترتّب على اختيارهم الثّواب والعقاب[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى أن مصير الأمم الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿**وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾[5]، منذ الخلقة فكان مع أبناء آدم عليه السّلام حول الزّواج من الأختين ثم جاء الاختلاف العقائدي فهناك من يعبد الله تعالى وحده وهناك من يعبد آلهة عدّة من أصنام وتماثيل، واستمر الاختلاف حتى والنّبيّ عليه السّلام فيهم وتفاقم الوضع بعده حتى صار أصحاب الدّين الواحد شعب متفرّقة الواحد يكفّر الآخر فلم نفرق بين ما عندنا وما

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1589.

[2]. سورة يوسف الآية 90.

[3]. سورة هود الآية 118.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1593.

[5]. سورة البقرة الآية 253.

عندهم فالرّب واحد والدّين واحد والشّرائع واحدة وما يزال الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[2]

﴿**لَمِنَ الغَافِلِينَ**﴾: لم تسمع هذه القصّة أو سائر القصص ولم تخطر بباله، وذلك كناية عن الجاهلين بهنّ، وهنّ أحسن من التّعبير بلفظ الجهل[3]، الغرض منها بين الله تعالى حكمته وعظمته في إخبار قصص الأمم السابقة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين من حاله كونه كان أميّا لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولم يكن له علم بأمور أخبار الماضين وغيرهم شيئا[4] ولم يكن له احتكاك بمن لهم المعرفة، وهذا دليل يرد على المستشرقين الّذين قالوا إنّ القرآن من عند النّبي صلى الله عليه وسلم ومجرد هوس وجنون وسحر رغم توفر كلّ الأدلّة ومن بينها القرآنيّة، كما في قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[6]

﴿**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾: زعمت الفلاسفة المنجّمة أنّ الكواكب والشّمس والقمر لها عقل ونطق وإحساس وحياة، وكذبوا وأراد بسجودهم له حقيقة السّجود، لأنّ تحيّة أهل ذلك الزّمان في

---

[1]. سورة آل عمران الآية 19.

[2]. سورة يوسف الآية 03.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص132.

[4]. محمد محمود الحجازي، المصدر السابق، ج02، ص 152.

[5]. سورة الشورى الآية 03.

[6]. سورة يوسف الآية 04.

اليقظة السّجود، وقيل: أراد تواضعها ودخولها تحت أمره، وعلى كلّ فذلك كناية عن علوّ شأنه[1]، الغرض منها بيّن الله تعالى قدرته في جعل الكواكب في عظمها تسجد للبشر حقيقة وخاصة إذا كان ذلك البشر النّبي سيدنا يوسف عليه السلام ورغم تمثل الشمس والقمر بأبويه الكريمين وبالإحدى عشرة كوكبا إخوته[2]، وكما أمر الملائكة السّجود لأبونا آدم عليه السّلام فسجدوا كلهم وأبى الشّيطان ذلك لحسده وتكبره، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[4]

﴿**عَنْ نَفْسِهِ**﴾: كناية عن غرض الجماع وغيره بموصول ليقرّر بصلته الغرض المسوق له الكلام، وهو نزاهة يوسف، فإنّه إذا كان في بيتها وتمكّن منها ولم يفعل، كان غاية في النّزاهة، ولو قال وراودته امرأة العزيز أو زليخا، أو راعيل لم يفت ذلك إلا بخارج[5]، الغرض منها بين الله تعالى مدى طهارة وإخلاص سيدنا يوسف عليه السلام من كراهته الوقوع في الخطيئة ورغم ذلك هي مصرة ومحفزة على أن يقع في ما يكره ويغضب الله تعالى وجاعل من ذلك أكبر تحدي وأصعب امتحان للنّفس البشريّة، ومع الصبر والتوكل على الله عز وجل فتحت أبواب النجاة والخروج من

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص173.

[2]. محمد الماتريدي، المصدر السابق، ج06، ص 207.

[3]. سورة الإسراء الآية 61.

[4] . سورة يوسف الآية 23.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص175.

ضيق الفتن والفواحش[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[4]

﴿**يَدْعُونَنِي**﴾ والداعية واحدة وهي زليخا لأنهنّ قلن له أطع مولاتك، والأمر بالطّاعة في شيء دعاء إلى الشّيء، وقيل: قال: يدعونني خروجها من التّعريض إلى التّصريح[5]، الغرض منه بيان الله تعالى قدرته على صرف المعاصي وتجنيب العبد المكائد والمصائد خصوصاً إذا كان أهلاً للمغفرة والرّحمة في سؤال ربه أن يبعده عن السوء ويصر على ذلك ولو مقابل حريته بأن يسجن مثلاً، وهذا في غاية النبل والرفعة وهذه خاصية تميز بها الأنبياء الشرفاء الصالحين الطّاهرين عليهم السّلام[6]، كما قال تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.[7]

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾[8]

﴿**وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾: ما يعصر كالعنب، فإنّه يعصر خلاّ وخمرا وغيرهما، والخمر محرّمة في هذه الشّريعة المحمّديّة الشّريفة، وكالزّيتون فإنّه يعصر منه الزّيت، وكالسّمسم فإنّه يعصر منه الدّهن،

---

[1]. عبد الرحمن بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1422هـ، ج03، ص 232.

[2]. سورة الإنسان الآية 24.

[3]. سورة الأحقاف الآية 35.

[4]. سورة يوسف الآية 33.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص196.

[6]. أبو حيان الأندلوسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج06، ص271.

[7]. سورة يوسف الآية 34.

[8]. سورة يوسف الآية 49.

وكقصب السّكر وغير ذلك كالفجل، ومصر بلد يعصر أشياء كثيرة، وحذف المفعول للعموم، أي يعصرون كل ما يصلح للعصر، وذلك كناية عن كثرة الثّمار والخضرة والخصب[1]، الغرض منها بين الله تعالى أن من قدرته وعظمته تغيير الكون من حال إلى حال[2]، فمن حال نزول الغيث وإنبات النبات وكثرة الخيرات من ثمار وخضروات وتنوع العصائر من زيوت ومخللات فيرتاح الناس وتزداد الولادات من إنس وحيوان، ومن حال الحر الشديد وشحّ جميع المزروعات والنباتات، فتجف الوديان والآبار فييئس الناس وتكثر الوفيات من إنس وحيوان، فنسأل الله تعالى الرحمة والغيث النّافع والدّفء النّاعم.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾[3]

﴿**إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾: أي لا يعلم غاية كيدهن إلاّ الله، أو أراد أنّ الله عليم به ولو جهلتموه، وفي ذكر علمه تعالى بكيدهنّ تلويح بعقابهنّ عليه في الآخرة[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظمته في معرفة الأسرار والخبايا والمدسوسات وإحاطة علمه بما علمه وجهله البشر وما خفيّ أعظم.

في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾[5]

﴿**كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾: ومعنى عدم توفيق كيدهم وعدم رشده أنّه لا يجعله متأثّر ناقدا، بل يفضحه ويبطله، أو الأصل لا يهدى الخائنين بكيدهم، فأوقع عدم الهداية على الكيد مبالغة، وفي ذلك كناية عن أنّه لو كان خائنا لم يخلصه الله من تلك الورطة الواقع هو فيها، وعن أنّه أمين ولا

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص223.

[2]. محمد القرطبي، تفسير القرطبي، المصدر السابق، ج09، ص 205.

[3]. سورة يوسف الآية 50.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص224.

[5] . سورة يوسف الآية 52.

بد وتعويض بخيانتها زوجها وبخيانة زوجها ولملك أمانة لله، إذ ساعداها على حبسه بعد الآيات على أن الملك قد سمع بهنّ، ولم تضمن كلامه هذا تنزيه نفسه كما علمت، قال: خروجا عن تزكيّة النّفس والعجب[1]، الغرض منها بين الله تعالى أنه لا يهدي من هو في الضلال ولا يرشد من هو عن الذّكر غافل، ولا ينير طريق من هو مصر على ارتكاب المعاصي وأنّ الهداية أمر عظيم ينالها من يستحقها فبالصبر على المكائد والمحن وتجنب كثرة الفتن وبالثبات على الصلاة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر،كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾[3]

﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ**﴾: من أجر الدّنيا لعظمه ودوامه، وفي ذلك إشارة إلى أنّ ليوسف في الآخرة ما يستحقر دونه ملكه في الدّنيا[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال المؤمن الّذي يعبد ربّه أحسن عبادة مثل النّبي يوسف عليه السّلام تراكمت عليه المعانات المعنوية من حقد إخوته عليه وغلظ ألسنتهم والجسدية من الضّرب ومحاولة القتل وجرّه ورمه من أعلى البئر، ثم جاءت المصائب مرة أخرى غربة عن أهله ووالده وأخوه ثم تلك المؤامرة الخطيئة في شرفه وعفته ثم دخوله السّجن لعشر سنوات، ومن ذا الّذي يصبر على كلّ ذلك إلاّ إنسان مؤمن أحقّ الإيمان فجزاه الله تعالى أجر الدّنيا ملّكه الله تعالى على ملك مصر كلّها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، وتنبيه الله تعالى العبد المؤمن أنّ الأجر لا يقتصر على وجوبه في الدّنيا فقط وإنّما أجر الآخرة أعظم.

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص226.

[2]. سورة البقرة الآية 153.

[3] . سورة يوسف الآية 57.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص238.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[1]

﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ**﴾ : أي ما آمنكم ﴿**عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ**﴾ أي: يوسف ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾: وقد فعلتم فيه ما فعلتم مع قولهم يومئذ: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[2]، كما قلتم اليوم، وذلك كناية عن أنّي لا أرسله معكم إلاّ على خوف عنه، وعدم اطمئنانه، ولم يمنعهم لما رأى في إرساله من المصلحة، مع ما ظهر له من أنّهم قد أنابوا إلى الله عزّ وجلّ فلم يخف عليه كخوفه على يوسف، ثم أنعم لهم بإرساله معهم متوكّلا على الله سبحانه وتعالى[3]، كما قال: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا**﴾، الغرض منها بين الله تعالى أن من يمتاز بالخديعة والمكر وخاصة بين أهله وأقربائه لا يؤتمن به، وتزعزع الثقة مما يؤدي إلى زرع الفتن فتكثر النزاعات والصراعات، ولا بد من التوبة الخالصة من الماكر ويوضع تحت ميزان الاختبار وهناك من يعود إلى فعلها مراراً وتكراراً ولا يعلم نيّته سوى الله تعالى سبحانه علام الغيوب، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"**لَا يُلْدَغُ المؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**"[4]، وهذا سيدنا يعقوب عليه السلام وثق بهم مرة أخرى بوحي من الله عز وجل فغدروا به وتابوا بعد ذلك.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[5]

---

[1] . سورة يوسف الآية 64.

[2] . سورة يوسف الآية 12.

[3] . أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص250.

[4]. عبد العظيم المنذري، مختصر سنن أبي داود، تحقيق، محمد صبحي بن حسن حلاق (أبو مصعب) (خرج أحاديثه وضبط نصه وعلق عليه ورقم كتبه وأحاديثه وقارن أبوابه مع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، ووضع حكم المحدث الألباني على الأحاديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 1431هـ - 2010م، كتاب الأدب، باب الحذر، رقم الحديث 4862، ج03، ص 328.

[5]. سورة يوسف الآية 90.

﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: الرابط العموم، أو أراد بالمحسنين تفسير من يتقي ويصبر مراعاة لمعناه فكان جمعاً، فالرابط إعادة المبتدأ لمعناه الصّبر والتّقيّ أحسن، فهو وضع للظاهر موضع المضمر تلويحاً بأن المحسن من جمع بين التّقوى والصّبر[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم المحسنين الذين جمعوا في دنياهم بين تقوى الله تعالى في طاعته وإخلاص العبادة له دون سواه وتجنب المعاصي والذنوب، وبين التحلي بقيم الصبر على الشدائد والمحن فلا يضيق به الحال من فقر أو مرض أو حرمان أو متسلط أو سبل سهلة مغريّة نحو الحرام وإرضاء غير الله تعالى، ومن عُرِف بهذه الخصال كسب أجر الدّنيا وإن كان غير محسوس في أغلب الأحيان ونال رضا الله تعالى في الآخرة وفاز بالدّرجات العلى من الجنّة.

في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**﴾[2]

﴿**اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: استواءه على العرش بمعنى أنّه مالك قاهر، فذلك كناية عن الملك والقهر، ولو لم يكن ثم عرش، يقول: استوي فلان على السّرير، تريد أنّه دانت له الرّقاب ولو لم يكن له سرير البتّة، وهكذا رويت أنّ الكناية تصحّ إرادة لازم معناها دون معناها، وإرادتهما معا وكأنّه قيل: رفع السّموات والأرض، وكان له الملك عليهن فثم لمجرّد العطف[3]، الغرض منها بين الله تعالى عظمه وعلوه ورفعته على العرش ومنه خلق الكون من العدم وخلقت السموات والأرض ويرفعها بدون عمد رغم اتساعها وثقلها[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ**

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص295.

[2] . سورة الرعد الآية 02.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص323.

[4]. أبو الليث السمرقندي، المصدر السابق، ج02، ص 215.

وَالْأَرْضَ﴾[1] فنعلم بيقين وصدق أن الخالق تعالى عظيم وقادر على كل شيء، كما في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**.[2]

في قوله تعالى: **﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**[3]

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: ذلك كناية عن القوّة والقدرة الشّديدتين[4]، الغرض منها بين الله تعالى أنّه شديد العقاب[5]، وأنّ العذاب الذي أحل بالأقوام الكافرة في الدنيا لا يتساوى مع العذاب المنتظر يوم القيامة جهنم مظلمة ونار حامية، كما قال تعالى: **﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾**.[6]

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[7]

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: تضمّن قوله تعالى: **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**[8]، وقوله تعالى أيضا: **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَق﴾**: التّعريض والتّلويح بشدّة كيد الله في عامر وأربد ونحوهما، وبإجابة دعاء رسول الله صلى الله عليهما وعلى نحوهما، وبأنه على الحق دونه، وبالوعيد على المجادلة في الله، وذلك عام في الكفرة[9]، كذلك داعي الصّنم لا يتصل بالنّجاة من عذاب الدارين بصنمه، وكل من الماء

---

[1]. سورة البقرة الآية 255.

[2]. سورة آل عمران الآية 29.

[3]. سورة الرّعد الآية 13.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص349.

[5]. عبد الله بن عباس رضي الله عنه، المصدر السابق، ج01، ص 206.

[6]. سورة التوبة الآية 81.

[7]. سورة الرّعد الآية 14.

[8]. سورة الرّعد الآية 13.

[9]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص351.

والصنم غير حيوان، فكيف يجب، ويصح أن يكون باسط كفيه إلى الماء الخ بمعنى من أراد أن يغرف الماء للشرب فيبسط كفيه ويدخلهما في الماء، أو صب في كفيه مبسوطتين، فكما أن هذا لا يبقى في كفيّه ما يزيل به العطش من الماء، كذلك طالب الصّنم لا يتصل من طلبه على شيء من دنيا أو أخرى، والوجه الأوّل أولى لتمام التّشبيه فيه، وهو قول مجاهد بخلاف الثّاني، فإنّه قد يبقى شيء من الماء في منحط كفيّه فيشربه، وطلب الصّنم لا يتصل على شيء هذا من طلبه البتّة، هذا ما ظهر لي، وهو صواب إن شاء الله[1]، الغرض منه بيان الله تعالى حال من يعبد الأصنام والأوثان وغيرها مما لا تجيب داعيها بشيء إلاّ كما ينال الظمآن المشرف على ماء ليس معه ما يستقي منه[2]، وما يسألونه من تلك الصّمّاء والبكماء التي لا تدفع عن نفسها لا حرّ شمسٍ ولا بردٍ قارصٍ، فلا يرد بشيء سوى ضلال وظلمات بعضها فوق بعض، كما في قوله تعالى: ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾[4]

﴿**ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ**﴾: بيان منافع ما يقود عليه، وتلويح إلى بيان الموقد عليه من حلي بأنّه ما تتّخذ منه الحليّ والأمتعة، ولم يذكر منفعة الماء لظهورها ولم يلوح إلى معنى الماء لأنّه معلوم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم قدرته وعظمته في نزول المطر فتنبت الأشجار والّتي

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص352.

[2]. أبو زكرياء الفراء، المصدر السابق، ج02، ص 61.

[3]. سورة النور الآية 40.

[4]. سورة الرعد الآية 17.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص358.

تصبح وقوداً للنّار فيصهر منها حلية من ذهب أو فضة أو نحاس ومتاع من أدوات منزلية وزراعية ومدافع.

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[1]

﴿**وَعَلَانِيَةً**﴾: وقيل: المراد بالأوّل النّفل، وبالثّاني الفرض، ويجوز أن يريد بذكر السّر والعلانيّة الكناية عن إكثار الإنفاق[2]، الغرض منها بين الله تعالى وجوب الصّلاة مع الإنفاق وتقديم الصّدقات بإخلاص ونيّة حسنة والإنفاق بالسر أفضل لمستحقيه وسترة لهم ودفع للحرج عنهم والإنفاق في العلن والجهر به حتى يقتدي الناس ويعم الخير لكن مع تجنب الرّياء والمفاخرة[3]، لأن التنافس يكون على الإكثار من الخير لا على التكبر والاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾[5]

﴿**إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ**﴾: جمع خزانة وهو الموضع الّذي تخزن فيه الشّيء للحفظ، وقيل المراد مفاتيح الخزائن، وقال ابن جريج المراد المطر لأنّه سبب الطّعام واللّباس وعلى كل قول فالمراد في الحقيقة الكناية والتّمثيل المقدّرة على إيجاد ما يحتاج إليه الخلق ولتشبيه مقدراته بالأشياء المخزونة الّتي لا يحوج إخراجها إلى كلفة[6]، الغرض منها بين الله تعالى قدرته في خلق الكون وله علم بإسرار خزائنه وبيده تسييره[7]، وتوزيع المهام على الملائكة كملك الرعد وملك تدوين الخير والشر، وملك

---

[1] . سورة الرّعد الآية 22.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص364.

[3]. أبي بكر البقاعي، المصدر السابق، ج01، ص 331.

[4]. سورة البقرة الآية 264.

[5] . سورة الحجر 21.

[6] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص485.

[7]. أبو سعيد البيضاوي، المصدر السابق، ج03، ص 209.

قبض الأرواح وغيرهم، بدون تفريط ولا تقصير، كما في قله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[1]، فالله تعالى جعل لكل فصل بداية ونهاية أظهر منها أسبابها للإنسان لكي يتنبأ بنزول المطر أو بارتفاع درجة الحرارة، وغيرها من التّقلبات الجوية حتى يتسنى على من في الأرض بالتأقلم والتغير حسب الحال، فمثل النّمل حين يأتي الصيف يجمع ما استطاع من الغذاء ليخبئه لأيام الشتاء فينعم بسبات لا جوع فيه ولا عطش.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾.[2]

﴿**إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾: كناية عن دوام العذاب على الظّالمين[3]، الغرض منها بين الله تعالى حال إخراج إبليس حين كفر واستكبر من الملكوت الأعلى وتنزيل منزلته من ملك إلى شيطان رجيم وإخراجه من رحمته وجنته[4]، وكذلك الأقوام الكافرة أخرجها الله تعالى من دائرة رحمته الواسعة لينالهم عذاب شديد مستمر عليهم خالدين فيه حتى إذا طلبوا المغفرة لم تنفعهم شيئاً، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ**﴾[6]

﴿**وَنَبِّئْهُمْ**﴾: التلويح بسلامة الدّنيا وأخرى إن تابوا، والتّبشير بخيرهما ولو فعلوا ما فعلوا إن تابوا، وعدم القنوط كما جرى لإبراهيم، وتنجيهم كآل لوط، وإهلاكهم كقومه وامرأته إن أصروا[7]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم البشرى الّتي نزلت على سيّدنا إبراهيم عليه السّلام من جعله

---

[1]. سورة القمر الآية 49.

[2]. سورة الحجر الآية 35.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص498.

[4]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج 04، ص 534.

[5]. سورة غافر الآية 49.

[6]. سورة الحجر الآية 51.

[7]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص11.

أباً لنبيَّين وهو على الكبر، وتعظيم البشرى الّتي نزلت على سيّدنا لوط عليه السّلام في عذاب قومه ومن تبعهم مثل زوجه.

في قوله تعالى: ﴿**فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾[1]

﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ**﴾: الالتفات النّظر بالعين إلى خلف ويجوز أن يكون المراد به التّخلّف والانصراف أي لا ينصرف أحدكم ولا يتخلّف لغرض فيصيبه ما يصيبهم أو الاهتمام أي لا يهتم أحدكم بالقربة وأهلها وفرغوا قلوبكم منها وقيل الالتفات هنا كناية عن البطء في السّير أي لا يبطئ أحدكم في السّير وأسرعوا[2]، الغرض منها توجيه الله تعالى بأن لا يتراجع أي أحد من إتباع سيّدنا لوط عليه السّلام وأن يسيروا حيث يأمرون وهذا لطفاً ورأفة بقلوب المؤمنين ودهشتهم حين ينظرون للخلف فيروا ما لا يحمد عقباه[3]، من عذاب عظيم يحلّ بقومهم الذين يأتون الرّجال دون النّساء لإسراف منهم وجهل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.[6]

﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ**﴾: أي جانبك وخفضه، كناية عن تليينه والتّواضع والرّفق[7]، الغرض منها بين الله تعالى لنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ولأمّته عامة بأن لا ينظروا إلى خيرات الكفار

---

[1]. سورة الحجر الآية 65.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص23.

[3]. محمد الماتريدي، المصدر السابق، ج06، ص 452.

[4]. سورة الأعراف الآية 84.

[5]. سورة الحجر الآية 74.

[6]. سورة الحجر الآية 88.

[7]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص46.

وكم هي كثيرة ومتنوعة وفي تطور واستمرار بالإضافة إلى منظرهم الجميل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ**﴾[3]، رغم كونهم كفار ومشركين ومنافقين فما أنّ للنّبيّ صلى الله عليه وسلم الفقر والعوز ومنزل من خشب وملابس رثة، وكونه نبيّ يتصوّر أنّه ينعم أكثر من غيره لكن الله تعالى كرّمه وميّزه بحمل القرآن العظيم الّذي يجب تقديسه فتلك الخيرات والنعم تزول ويبقى القرآن الكريم شامخاً خالداً وفي الآخرة نعيم لا ينفذ ولا يزول، وأمّا الكفّار في جهنم يحرقون ولن ينفعهم ما كانوا يتمتعون به ويفخرون.[4]

في قوله تعالى: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾[5]

﴿**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾: مطلقا فضلا عن المستكبرين عن الإيمان ويجوز أن يريد بالمستكبرين المستكبرين عن الإيمان ومن لا يحبه عاقبه فذلك كناية عن العقاب وتحريم الكسر وهو جعل الحق باطلا للتّكبّر أو لغرض واحتقار الخلق ولا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة منه كما ورد في الحديث وعنه صلى الله عليه وسلم "**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي رَأْسِهِ حِكْمَةٌ، بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِنْ تَوَاضَعَ رُفِعَ بِهَا**"، **وَقَالَ: "ارْتَفِعْ رَفَعَكَ اللَّهُ، وَإِنْ رَفَعَ نَفْسَهُ جَبَذَهُ إِلَى الْأَرْضِ"، وَقَالَ: "اخْفِضْ خَفَضَكَ اللَّهُ**"[6]، وليس منه مجرد كون نحو ثوب الإنسان أو نعله حسنا أو جديدا فإن الله تعالى

---

[1]. سورة البقرة الآية 221.

[2]. سورة التوبة الآية 55 . 85.

[3]. سورة المنافقون الآية 04.

[4]. أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المصدر السابق، ج02، ص 588.

[5] . سورة النّحل الآية 23.

[6] . أبو بكر محمد بن المقرئ، معجم ابن المقرئ، تحقيق، أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ – 1998م، باب العين، من اسمه عبد العزيز، رقم الحديث1072، ج1، ص328.

جميل يحب الجمال[1]، الغرض منها بين الله تعالى نهيه عن التكبر والافتخار على النّاس بالأموال والأولاد والثياب والمنازل وجميع الخيرات والنعم كلها، وجاء في وصايا سيدنا لقمان عليه السّلام لولده، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**﴾[3]

﴿**يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ**﴾: المراد أنّه يجزيهم على الطّريقة الّتي ذكرتها لكم لأنّه ولو ذكرنا لنا ما ذكر نفهمه على حقيقته حتى نشاهده في الجنّة، والكلام كناية كقولك مثلك لا يبخل وهكذا في مثل الآية وقد ذكرت في موضع من هذا تفسير أكثر من ذلك، قيل وهذا يدلّ على أنّ قوله للّذين أحسنوا إلى آخره وعد لا حكاية[4]، الغرض منها تأكيد الله تعالى على الالتزام بالتقوى في الثبات على الصلاة وتقديم الصدقات والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف والتوكل على الله تعالى في كل شيء وحده سبحانه على جميع الأحوال، صحة ومرض سعادة وتعاسة شقاء وهناء وهذه صفات المتقي، كما في قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾.[5]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص82.

[2]. سورة لقمان الآية 18 – 19.

[3]. سورة النحل الآية 30 – 31.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص90.

[5]. سورة آل عمران الآية 134.

في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[1]

﴿**طَيِّبِينَ**﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي لأنّ هذا مقابل لقوله ظالمي أنفسهم فكأنّه قيل يموتون وهم مسلمون مجتنبون للكفر مؤدون للفرائض وقيل طيبهم كناية عن ذلك كله وعن اجتناب المكروهات وقيل طيبهم فرحهم وسرورهم واطمئنانهم عند الموت بالبشارة بالجنّة وتسهيل سكرات الموت أو فرحهم بلقاء الله شوقا إليه[2]، الغرض منها بين الله تعالى أن أعظم إثم يرتكبه الإنسان هو الشرك به فمن يموت مشركاً عاصٍ لربّه تعالى يكون خبيث النفس والروح ويبشر بدخول جهنّم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[3]، ومن قابل ربّه بتوحيد وإخلاص كان طيباً النّفس والروح ويبشر بالجنة، كما في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[4].

في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[5]

﴿**أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾: وهو عذاب الاستئصال أو يوم القيّامة ويجوز أن يراد بإتيان الملائكة إتيانهم العذاب الاستئصال وبإتيان أمر ربّك يوم القيّامة وانتظارهم ذلك كناية عن أنّهم مستوجبون لعذاب الاستئصال أو لا محيد عن الموت أو موافاة القيّامة لهم[6]، الغرض منها بين الله تعالى عن شدّة غضبه وقوته في تدمير الكون بأسوأ عذاب تشهده البشرية على كل عاصٍ ومتكبرٍ وكل منافقٍ

[1] . سورة النّحل الآية 32.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص91.

[3]. سورة إبراهيم الآية 26.

[4]. سورة إبراهيم الآية 24.

[5] . سورة النّحل الآية 33.

[6] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص92.

ومشركٍ، كما سبق وأنزل عذاباً شديداً على الأقوام الظالمة وما ينتظرهم من جهنم في يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2]

﴿**فَيَكُونُ**﴾: كناية عن أنّه لا يمتنع عليه ما أراد وعن سرعة وجوده كما يمتثل المأمور المطيع أمرا أمره بسرعة وليس ثم قوله، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قادر بذاته فلا يتوقّف على شيء يوجد منه شيئا ولا على إعانة[3]، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: "**كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا**"[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ في استطاعته حدوث الأشياء في لمح البصر، أو أقل من ذلك بدون انتظار الوقت[5]، فالله تعالى قادر على إنزال المطر والسّماء صافية ونرى تشكّل الغيوم والسّحب وفي مهلة يتغيّر الجوّ كما أراد أن يكون وذلك على سائر المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾[7]

---

[1]. سورة الحجر الآية 50.

[2] . سورة النّحل الآية 40.

[3] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص99.

[4]. البخاري، المصدر السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ سورة البقرة الآية 116، رقم الحديث 4482، ج06، ص19.

[5]. أبي بكر البقاعي، المصدر السابق، ج 11، ص 163.

[6]. سورة البقرة الآية 117.

[7] . سورة النّحل الآية 48.

﴿**يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ**﴾: يجوز أن يكون اليمين والشّمائل كناية عن مطلق الجهات الّتي يمكن تفيء الظّل عنها لا خصوص الجهتين[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه الخالق الأعظم يعبده كلّ مخلوق موجود في السّموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾[2]، ويسجد ويركع له خاضعاً أينما كان شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[3]

﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا**﴾: يحتمل أن يكون قوله مسوداً كناية عن الاغتمام والخجل[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى عظيم الأنثى، فهي الّتي تنجب العظماء، وهي الّتي تربيّ أجيال صاعدة، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾[5]، فالأنثى كرامة، وعفّة وطهارة، كما قال تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[6]، وحتى بدون عادة نكاح الرّجل والمرأة، فوحدها قد تلد الأنبياء عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾.[7]

في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[8]

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص106.

[2] . سورة النور الآية 41.

[3] . سورة النّحل الآية 58.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص117.

[5] . سورة آل عمران الآية 36.

[6] . سورة التحريم الآية 12.

[7] . سورة مريم الآية 20.

[8] . سورة النّحل الآية 65.

﴿**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾: إخراج نباتها وما زرع فيها وموتها، كناية عن يبسها وعدم تولد شيء منها، وإحياءها كناية عن إخراج ما ذكر، وفي ذلك دلالة على أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على إحياء الموتى[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى عظيم الدّلالة في إظهار قدرته على إحياء الموتى كما خلقهم من لاشيء إلى شيء حيّ يرزق، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[2]، تبارك الله أحسن الخالقين الّذي خلق الكون وصوّره أحسن تصوير وأبدع فيه الآيات من طبيعة وإنسان ووحي.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾[3]

﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ**﴾: كالمطر، ﴿**وَالأَرْضِ**﴾: كالنبات والثمار وذلك هو الأصنام لا تقدر أن ترزقهم من السماء ولا من الأرض ﴿**شَيْئاً**﴾: مفعول مطلق بمعنى ملكا أي لا يملك لهم رزقا ملكا ما أو بدل مطابق لرزقا على أن المراد به الرزق وفائدة الإتيان به الإشارة إلى أنّه لا يملك لهم ولو أدنى ما يسمى من الرّزق شيئا، ﴿**وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾: أي لا يقدرون على شيء من إيصال نفع كرزق ودفع ضر ولا يستطيعون الرّزق فكأنّه قيل لا يملكونه ولا يستطيعون أن يملكوه والضّمير عائد إلى ما والمراد الأصنام اعتبر لفظ ما في قوله لا يملك ومعناه في قوله لا يستطيعون فجيء بضمير الجماعة الذكور العقلاء لأنّ الأصنام عندهم كالعقلاء ويحتمل عود الضّمير للمشركين كالّذي في يعبدون أي لا يستطيعون دفع ما أراد الله ولا جلب ما لم يرد الله من رزق أو غيره وهم أحياء عقلاء متصرّفون فكيف تستطيع الأصنام ذلك[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكافر والمشرك الذي يعبد من دون الله تعالى في اتخاذ

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص124.

[2] . سورة يس الآية 78 – 79.

[3] . سورة النّحل الآية 73.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص137.

الأصنام والأوثان وفي عبادة السّماء والأرض والنّجوم والشّمس والرّيّاح والمطر وغيرها، مما خُلق ولا يَخلق يختفي ويظهر يُرزق ولا يَرزق، كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[1]، وكما في قوله تعالى: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[4]

﴿**فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً**﴾: ذكر السّرّ والجهر كناية عن كمال يمكنه من الإنفاق منه، فإن من لا يتمكّن من شيء جهراً يفعله سراً[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى كرمه العظيم الّذي ينفقه على مخلوقاته الحيّة ليلاً نهاراً سراً وجهراً، وكم من قليل النّعم تنزل علينا جهراً وعلناً فنعلمها وكم من كثير النّعم تنزل عليها سراً وخفاءً ولا نعلمها، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[6]، وقيل من كان في نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر، فلا بد من شكر الله تعالى سراً وجهراً ليلاً ونهاراً وفي الصّحوة والغفوة، كما قال تعالى: ﴿**نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**﴾.[7]

---

[1]. سورة النحل الآية 17.

[2]. سورة لقمان الآية 11.

[3]. سورة العنكبوت الآية 17.

[4]. سورة النّحل الآية 75.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص139.

[6]. سورة لقمان الآية 20.

[7]. سورة القمر الآية 35.

في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1]

﴿**لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ**﴾: بشيء حسن من جلب أو نفع، فضلا عن أن يأتى به بلا توجيه، وذلك كناية عن كونه لا يتوجه أصلا إلى ما وجه إليه، فضلا عن أن يأتى بخير لأنّه يفهم ولا يفهم فكيف يفهم التّوجيه حتى يتوجه، وإن فرضنا أنّه توجه وفهم فهو لا يأت بخير، ﴿**وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: يجوز أن يكون الصّراط المستقيم كناية عن أنّه لا يتوجه إلى مطلب إلاّ بلغه بأقرب سعى لاستقامة طريقه إليه، بل هذا أنسب بقوله لا يأتي بخير فيكون قابل تلك الصّفات بالعدل، والكون على صراط مستقيم لأنّهما من أكمل ما يقابلها[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ إتباع الطّريق المستقيم هو الأمر بالمعروف كالعدل بين النّاس والنّهي عن المنكر كالقضاء على الظّلم والفساد، وأنّ الله تعالى هو أعظم وأكبر عادل فلا تشوبه شائبة ولا يعتريه نقصان متّصف بالكمال العدل الحقّ، كما قال تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾.[4]

﴿**ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: يجوز أن يراد بعدم الإذن لهم الإشارة إلى أنّه لا حجة لهم ولا عذر، وقيل لا يؤذن لهم في الرّجوع إلى الدّنيا[5]، الغرض منها بين الله تعالى مصير الكفّار وهو

---

[1] . سورة النّحل الآية 76.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص141.

[3] . سورة الملك الآية 03.

[4] . سورة النّحل الآية 84 ـ 85.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص 151.

دخول جهنّم لا ريب فيه سواء أذن لهم بالكلام، وحتماً لن يقعوا في الكذب والمكر لأنّهم أقرّوا بأنّ حالهم مكشوف ولا تراجع، كما في قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[2]

﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ**﴾: فيها الحثّ على العفو تعريضاً، ﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ**﴾: تصريحاً، فإنّه قيل الصّبر خير فإن كان ولا بد من القصاص فلا تزيدوا على ما فعل بكم[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الحدود التي شرعها الله تعالى في القتال والدّفاع عن النّفس والدّين والّتي تكون بالمثل السّن بالسّن والعين بالعين، وأنّ أمر الصّبر والتّحلي بروح الإخاء أمر لا بد أن يتّصف به كلّ مؤمن.

في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.[4]

﴿**أَسْرَى**﴾: والحكمة في الإسراء به راكبا مع القدرة على طي الأرض له إشارة إلى أن ذلك تأنيس له بالعادة في مقام خرق العادة لأن العادة جرت أن الملك إذا استدعى من يختص به بعث إليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته إليه والحكمة في كون البراق دون البغل وفوق الحمار أبيض ولم يكن على شكل الفرس، الإشارة إلى أنّ الرّكوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف وإظهار المعجزة بوقوع الإسراع الشّديد بدابة لا توصف بذلك في العادة وسمى براقا أخذ من البريق وهو

[1]. سورة التوبة الآية 80.

[2]. سورة النحل الآية 126.

[3]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص207.

[4]. سورة الإسراء الآية 01.

شديد البرق وهو اللّمعان[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى قدرته في إظهار الأمور الخارقة الّتي لا قدرة للبشر فيها ومعجزة خالدة حدثت مرّة ولن يكرّرها الزّمن في ليلة جمعت ليالي وأيام صعد فيها النّبي صلى الله عليه وسلم من البيت الحرام وهو مكّة إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس في ليلة واحدة، عكس الإنسان العادي الّذي يسافر فيستغرق أيّاماً ماشيّاً وشهوراً راكباً[2]، ليكون حلقة وصل بين الدّيانات السّماوية ويجعلها ديناً واحداً مكتملاً يحمل راية الإسلام، وشعاره القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾[4]

﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا**﴾: يجوز أن يكون المراد جميع ذلك بالكناية، أي لا تقل لهما شيئا مما يضرهما ولا تفعل شيئا يضرهما[5]، الغرض منها بين الله تعالى أن طاعته مرتبطة بطاعة الوالدين فهما سبب لإيجاد الأولاد ذكروا وإناثاً سهروا على رعايتهم وتعبوا في تربيتهم وتيسير الطريق لهم، فمهما كان الوالدين فقيرين أو من الأغنياء في صحة أو مرض ذو مركز أو من العامة، يبقى الاحترام والمعاملة الحسنة إلزام وأمر يجب أن لا يستهان به وما علينا سوى مساندتهم معنويّاً ومادّيّاً وأخلاقيّاً في اختيار الكلام اللاّئق حتى في ثورة غضب وأن نسأل المولى عزّ وجلّ أن

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص218.

[2]. منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط01، 1418هـ - 1997م، ج03، ص214.

[3]. سورة البقرة الآية 136.

[4]. سورة الإسراء الآية 23 - 24.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 285.

يرحمهما ويرأف بحالهما ويغفر لهما، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾[2]

﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ**﴾: في قلوبكم من قصد البرّ إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التّوقير أو لعلّ في ذلك تلويحاً إلى التّهديد على إضمار كراهتهما واستثقالهما، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الوالدين عند الله تعالى وطاعتهما من طاعته سبحانه وتعالى وليس لزوم الإحسان واللّطف إلى طرف معيّن كالأمّ مثلاً أو الأب فكلاهما جزء منّا، ومهما اختلفت المعاملة أو السّلوك ومهما اختلفت الدّيانة أو العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾[4]

﴿**لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾: العرش كناية عن الملك، أي: لا تبغوا إلى مالك الملك في إفساد ملكه ومضاهاته في قدرته[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه الإله الواحد المعبود بحقّ، فلا آلهة تشركه في الملك أو تعارضه، كما قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾. [6]

---

[1] . سورة إبراهيم الآية 41.

[2]. سورة الإسراء الآية 25.

[3]. سورة مريم الآية 46.

[4] . سورة الإسراء الآية 28.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص311.

[6] . سورة الأنبياء الآية 22.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾.[1]

﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾: السّؤال في شأنه تعريضاً، أي أنّ صاحب العهد كان مسئولاً، أو آخر أي أنّ العهد كان مسئولاً صاحبه أو وسطاً، أي كان صاحبه مسئولاً، ويجوز أن يكون مسئولاً بمعنى مطلوب من العهد يقال له أوف به، ويقال له لا تنكثه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أمانة اليتيم أمانة عظيمة بحيث له العناية القصوى من رعايته واحتضانه بالكثير من الودّ والحنان وعدم معاملته معاملة قاسيّة واحترامه وحفظ عرضه، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾[3]، والاحتفاظ بماله إلى حين بلوغه الجسمي ثم نبوغه العقلي ونصاحة فكره في حسن التّصرف في أمواله واستثمارها أحسن استثمار، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا**﴾[5]

﴿**تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ**﴾: أي: عن ذي القربى والمسكين وابن السّبيل كناية بإعراضك عنهم عن الردّ لاستحيائك من التّصريح بالرّد إذا لم تجد ما تعطيهم، أو الإعراض في الآية كناية عن عدم الإعطاء[6]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ خير صدقة يقدّمها المرء قد تكون كلمة طيّبة ونصيحة مثمرة وإرشاد موجّه وموفّق بإذن الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا**

---

[1] . سورة الإسراء الآية 34.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص301.

[3]. سورة الضحى الآية 12.

[4]. سورة الأنعام الآية 152.

[5] . سورة الإسراء الآية 42.

[6] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص294.

لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[1]، وأمّا الصّدقة الماليّة فرغم احتياج الحياة لها إلاّ أنّها تنفذ وتزول وأمّا صدقة العلم والمعرفة بالدّين والعمل به أجر وثواب لا ينتهي ولا يزول، كما قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾[3]

﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾: كناية عن أنّهم لا يسمعون أصلاً بأن لا يجمعهم الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال قراءته، وذلك بعد قيّام الحجّة عليهم وسماعهم منه، ومن غيره، أو كناية عن أنّهم ولو سمعوا لكنهم لا يتأثر فيهم السّماع فكأنّهم لم يسمعوا[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الكفّار المصرّة على العصيان والتّمرّد على آيات الله تعالى فهم يسمعون الذّكر ولا ينصتون له أو لا يسمعون أصلاً فتصرف آذانهم عن السّمع، كما قال تعالى: ﴿**فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[6]

﴿**فَتَسْتَجِيبُونَ**﴾: من الدّعاء والاستجابة، كناية عن البعث والانبعاث[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى قدرته على إحياء الأموات وإخراجهم من القبور وحينها يجبون دعوة ربهم تعالى

---

[1] . سورة مريم الآية 43.

[2] . سورة المجادلة الآية 11.

[3] . سورة الإسراء الآية 45 – 46.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص316.

[5] . سورة يونس الآية 32.

[6] . سورة الإسراء الآية 52.

[7] . محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج7 ص321.

حين بعثهم ويحمدوه ويقولون سبحانك وبحمدك[1]، وذلك بعد فوات الآوان فيحسبون أنهم لم يمكثوا إلى عشية وضحاها، كما في قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[3]

﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾: قيل إنّ ذلك تلويح وإشارة إلى تفضيل سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الأنبيّاء عليهم السّلام في توقيرهم واحترامهم وطاعتهم وأنّ من فُضِّل في العطايا الدّنيويّة ليس مشروط أن يُفضّل في العطايا الدّينيّة والأخرويّة، فكلّهم سواء في السّمع والطّاعة والإيمان بهم.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**﴾[5]

﴿**مَسْطُوراً**﴾: يجوز أن يكون سطره في الكتاب كناية عن سبقه في القضاء[6]، قال عبادة بن الصّامت رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟، قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ**"[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه الخالق الأعظم مسطّر للكون قبل البدء ومدوّن للأحداث والمصائر منذ الأزل، كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ**

---

[1]. أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز، المصدر السابق، ج01، ص 637.

[2]. سورة النّازعات الآية 46.

[3]. سورة الإسراء الآية 55.

[4]. ج07، ص324.

[5]. سورة الإسراء الآية 58.

[6]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص327.

[7]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث2155، ج04، ص27.

يَسِيرٌ﴾[1]، فقد خلق الله تعالى كلّ شاردة وواردة وكلّ صغيرة وكبيرة، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[2]، ليجعل الإنسان بعيد عن الضّلال والتّحيّر يعبد الله تعالى بكلّ يقين وتدبّر.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾[3]

﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾: جاحد للنّعم جحوداً عظيماً كثيراً بعدم الشّكر والإنسان الجنس، وفي هذا إيماء لعلّة الإعراض كأنّه قيل أعرضتم لإنسان كفور[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير الإنسان الّذي يتوسّل ويدعوا ربّه تعالى في حالة الضّيق والضرّ ثم يتحوّل في حين شعوره باليسر والقوّة الصّحيّة إلى الكفر والغفلة والنّسيان فلا يتذكّر الوعود ولا يلتزم بالطّاعات بل يتمرّد إلى أسوء حال يملأه الغرور والاغترار.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا**﴾[5]

﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ**﴾: كقارون وقوم لوط، أي: أن يدخلكم الله في جانب البرّ فتكونوا في داخل الأرض، كما يكون الغريق في داخل الماء، فإنّ القادر على إغراقكم في البحر قادر على الخسف بكم تحت التراب، وفي ذكر الجانب تلويح لأنّ في كل جانب سبب هلكة، والجهات كلها سواء عنده، ولكنّه بمنه وكرمه يحفظ الخلائق، وتلويح بسرعته إلى الكفران والإعراض بعد التّنجيّة، فعندما وصلوا جانب البرّ وهو ساحله كفروا وأعرضوا[6]، الغرض منه إظهار

---

[1] . سورة العنكبوت الآية 19.

[2] . سورة يونس الآية 61.

[3]. سورة الإسراء الآية 67.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص341.

[5]. سورة الإسراء الآية 68.

[6]. أحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص342.

الله تعالى تحقير وتهديد المنافقين الّذين آمنوا خوفاً من الغرق في البحر بعد أن أوشكوا على الهلاك لكن نسوا قدرة الله تعالى الّتي كما كانت قادرة على إهلاكهم في البحر فهي أقدر على إهلاكهم في البرّ وذلك بواسطة الأمطار الحجريّة أو الزلازل أو البراكين أو الأمراض أو الحشرات، وغيرها من أنواع العقاب الّذي علمناه والّذي نجهله.

في قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾[1]

﴿**وَأَسْمِعْ**﴾: أي: وأسمع به فحذف لدلالة الأول، والمعنى: عظم بصره وسمعه جداً كما يقال: ما أبصر زيداً وما أسمعه، وذلك تلويح إلى إبصاره الذي هو إدراك الأجسام، وسمعه الّذي هو إدراك الأصوات[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم خالق الكون والعالم بما غاب عنا ولا بد من إمعان البصر في التّدبر في خلق السّموات وما فيها من العظمة الشّاسعة وما تحتويه من غيوم وأمطار ونجوم وكواكب تكاد تسقط علينا لعظمها وثقلها لكن لا تسقط والتدبر في خلق الأرض وما تحتويه من بشر ومخلوقات وما تختزنه في باطنها من مكنوز تكاد تنهار بنا لثقلنا عليها لكن لا تحرك ساكنا، سبحانه وتعالى واجب علينا أن نُسمِع وندرك النّاس ونذكّرهم بأهميّة المشاهد العظمى الّتي نراها بأعيننا لكن لا نعطها بال.

في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[3]

﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾: أغلب عشيرة والمراد من يتبعه وينصره وإلاّ فعشيرتهما واحدة على القول بأنّهما أخوان أبوهما واحد، وأمّا على القول بأنّهما مشتركان فيمكن أن تكون عشيرة أحدهما غير عشيرة الآخر، وقيل: أعزّ أولاداً ذكوراً وعبَّر عنهم بلفظ النّفر تلويحاً بأنّهم

[1]. سورة الكهف الآية 27.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص451.

[3]. سورة الكهف الآية 34.

ينفرون إذا نفر فهم يقوى بهم لا كالبنات[1]، ويدلّ لهذا القول قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**﴾[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير حال من يتّصف بالتّكبّر والتّعالي على الآخر كونه صاحب أكبر مال وأولاد وكثرة في الخيرات وكون الآخر لا يملك من المال والأولاد إلاّ القليل، لكن عسى أن يكون في القليل خير متنوع وبركات كثير.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا**﴾[3]

﴿**زَلَقاً**﴾: ملساء تزلق بها القدم، كناية عن كونها لا يوجد بها ما يعارض رجل المائي من شجر أو نخل أو نبات حتى إنّه لو كان الزّلق فيها حقيقة لم يجد الماشي ما يتشبث به فيمنعه عن الزّلق أو كناية عن كونها سبخة تزلق إذا ابتلت فتأمل[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى وجوب التّحلي بالرّضا والقناعة كنز لا يفنى وأن لا ينظر المرء إلى خيرات أخيه فيحسده ويحقره، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[5]، فالحسد وتمني زوال النعمة من الآخر ودوامها عنده يحرق صاحبه ويدمره، كما يدمر المطر العظيم المزعج فيقلع زرع البساتين والجنان من أشجار وثمار فتصبح الأرض يابسة زلقة لا تستطيع أن تقف عليها

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص482.

[2]. سورة الكهف الآية 39.

[3]. سورة الكهف الآية 39 – 40.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص488.

[5]. سورة يوسف الآية 08.

الأقدام، ومن أرض خصبة إلى أرض عاقر لا ينبت فيها شيء، وهذه هي نتيجة العداوة والفساد[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[3]

﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ**﴾: أي أحيط على ثمرة بالهلاك، أو أحيط بثمره كناية عن هلاك ثمرة، كقولك: أحاط به العدو إذا أردت الإخبار بهلاكه، لأنه إذا أحاط كان غالبا، وإذا كان غالبا كان مهلكا، فإن إحاطة المضرة بالشيء يلزم منها هلاكه في الجملة، فاستعمل بمعنى الإهلاك، والثمر ثمرات النخل والشجر والزرع، أهلكت بإهلاك النخل والشجر والزرع، بإرسال الحسبان من السماء وإغارة الماء، كما أنذره صاحبه بتوقيع ذلك والتخويف به، ﴿**يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا**﴾: يقلّب لتضمّنه معنى النّدم والتّلهّف فكأنّه قيل: أصبح متلهّفاً على ما أنفق من الأموال في شرائها وعمارتها حتّى إنّه يقلّب كفّيه ظهرا لبطن ندما على ما أنفق فيها، ويحتمل أنّه لم يقلب حقيقة ولكنّه ندم وتلهّف فعبّر عن ندمه وتلهّفه بتقليب الكف، كناية عنه لأنّ من بالغ في النّدم والتلهّف يقلّب كفيّه ويعضها في الجملة[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى تحصّر وندم الكافر حين ذهبت جنّة الدّنيا ودمّرت بفعل غضب الله تعالى في إنزال ريح ممطرة فأخفتها من الوجود وكأن لم يكن هناك غرس ولا أشجار إلى حين لم ينفعه رجوعه إلى ربه عز وجل والاعتراف بوجوده سبحانه دون

[1]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج05، ص 159.

[2]. سورة النساء الآية 32.

[3]. سورة الكهف الآية 42.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص489.

سواه[1]، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾.[3]

﴿**لَوْ شِئْتَ لاَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾: أي على إصلاحه أو بنائه وذلك طلب لأخذ الأجرة على طريق التّأدّب يرد الأمر إلى مشيئته وطريق الكناية عن أبي مريد أن تأخذ عليه الأجر إذ لم يقل: خذ عليه أجراً[4]، الغرض منها تنبيه الله تعالى على أهمية العمل لأنّه عبادة[5]، وللأنبياء عليهم السلام دور مهم في التّحفيز على العمل وعدم التكبر على نوعه أو احتقار أجرته، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[6]، ما لم يكن فيه غش أو خداع من إهمال أو تقصير وأن على صاحب العمل أن يجير العامل مهما كانت صفته ويأخذ أجرته قبل أن يجف عرقه وذلك حقّه ومستحقّه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**".[7]

---

[1]. محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج02، ص 179.

[2]. سورة النبأ الآية 40.

[3]. سورة الكهف الآية 77.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزّاد، المصدر السابق، ج8، ص30.

[5]. سراج الدين النعماني، المصدر السابق، ج12، ص 542.

[6]. سورة القصص الآية 26.

[7]. أبو عبد الله بن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج02، ص 817.

الفصل الرابع: توظيف علم المعاني من خلال (هميان الزّاد) – الرّبع الثّاني من القرآن –

المبحث الأوّل: الأسلوب الخبري

المبحث الثّاني: الأسلوب الإنشائي

المبحث الثالث: المسند والمسند إليه معرفة

المبحث الرابع: المسند والمسند إليه نكرة

المبحث الخامس: الحذف والإيصال

المبحث السّادس: الإظهار والإضمار

المبحث السّابع: الاستثناء

تمهيد: مفهوم علم المعاني لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف علم المعاني لغةً

المعنى والتّفسير والتّأويل واحد، عنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام ومعناته ومعنيته: مقصده، والاسم العناء، يقال: عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناة كلامه وفي معني كلامه، ولا تعان أصحابك أي لا تشاجرهم، والعناء: الضر، وعنوان الكتاب: مشتق فيما ذكروا من المعنى، وفيه لغات: عنونت وعنيت وعننت[1]، عناه الأمر يعنيه ويعنوه عناية وعناية وعنيا: أهمّه[2]، هذا بمعنى هذا، وهذا هذا في المعنى واحد، وفي المعنى سواء، وهذا في معنى هذا أي مماثل له ومشابه[3]، و(المعنى) ما يدل عليه اللفظ، والجمع: (معانٍ)، والمعاني ما للإنسان من الصّفات المحمودة، يقال فلان حسن المعاني.[4]

ثانيّاً: تعريف علم المعاني اصطلاحاً

علم المعاني: هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره[5]، ويشمل أحوال الجملة: المسند إليه والمسند، الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، وأحوال عناصر الجملة: الذكر والوصل، التقديم والتأخير، التنكير والتعريف، التقييد والإطلاق، والخروج عن مقتضى الظّاهر: القصر، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب والمساواة، والإظهار والإضمار، وغير ذلك.[6]

---

[1]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج15، ص 106.

[2]. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرّسالة، بإشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط08، 1426هـ - 2005م، ج01، ص 1316.

[3]. أحمد رضا، المصدر السابق، ج4، ص230.

[4]. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمّع اللّغة العربيّة بالقاهرة، دار الدّعوة، ج02، ص 633.

[5]. أبي بكر السّكاكي، المصدر السابق، ج01، ص 161.

[6]. عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط04، 1436هـ – 2015م، ص41/ أيمن أمين عبد الغني، المصدر السابق، ص227.

المبحث الأوّل: الأسلوب الخبريّ

المطلب الأوّل: مفهوم الأسلوب الخبريّ لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الأسلوب الخبريّ لغةً

أ/ تعريف الأسلوب لغةً

الأسلوب هو الوجه والطّريق والمذهب[1]، وكلّ شيء امتدّ على غير امتناع فهو أسلوب[2]، وكأنّه (أفعول) من السّلب لأنّه لا يخلو من المدّ، ومنه شجر سلب: أي طويل، لأنّه إذا أخذ ورقه وسعفه امتد وطال[3]، وأخذ في أساليب من القول أي: أفانين، وإن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً.[4]

ب/ تعريف الخبر لغةً

الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يدل على اللين والرخاوة والغزر، فالأول الخبر: العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرة وخبر، والله تعالى الخبير، أي العالم بكلّ شيء، وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[5]، والأصل الثّاني: الخبراء، وهي الأرض اللينة[6]، وأخبرت بكذا وكذا وأخبرت به فأنا مخبر ومخبر، وتقول العرب: هل من جائبة خبر أي هل من خبر يجوب

---

[1] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج01، ص 473.

[2] . أحمد بن فارس، مجمل اللّغة، المصدر السابق، ج01، ص 470.

[3] . أيوب الحسيني أبو البقاء، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج01، ص 83.

[4] . أبو الحسن العلي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م، ج08، ص 505.

[5]. سورة فاطر الآية 14.

[6]. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج02، ص239.

البلاد فيجيء من مكان بعيد[1]، والخبر بالتّحريك: واحد الأخبار، وأخبرته بكذا وخبرته، بمعنى، والاستخبار: السّؤال عن الخبر.[2]

ثانياً: تعريف الأسلوب اصطلاحاً

هو الطريقة الكلامية الّتي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الّذي انفرد به المتكلّم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنّه الّذي انفرد به المتكلم كذلك[3]، وينقسم الأسلوب إلى أسلوب خبري وأسلوب إنشائي.

ثالثاً: تعريف الأسلوب الخبري كلفظ مركّب

هو ما يصح أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب[4]، احتمل الصّدق والكذب لذاته، قولنا ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصّدق، كأخبار الله وأخبار رسله، والواجبة الكذب كأخبار المتنبّئين في دعوى النّبوة، والبديهيّات المقطوع بصدقها أو كذبها، مثل: الصّدق فضيلة، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود[5]، وأدواته هي (**أَنَّ، كَأَنَّ، أَنْ، إِنَّ، لَكِنَّ، لَامُ الابتداء، الفصل، أَمَّا، إِمَّا، إنّما، قَدْ، السِّينْ، القَسَم، لَنْ، نُونَا التَّوكيد الخفيفة والثّقيلة، الحروف الزّائدة مثل (البَاء، تفعل، استفعل، التكرار)، حروف التّنبيه مثل (أَلَا، وأَمَّا)**[6]، وينقسم الأسلوب الخبري إلى:[7]

---

[1]. ابن دريد الأزدي، المصدر السابق، ج01، ص287.

[2]. أبو نصر إسماعيل الفرابي، المصدر السابق، ج02، ص641.

[3] . محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط03، ج02، ص 303.

[4]. حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 2005م، ص37.

[5]. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المصدر السابق، ج01، ص43.

[6]. أحمد مصطفى الهاشمي، المصدر السابق، ج01، ص58.

[7]. حامد عوني، المصدر السابق، ج02، ص07.

1.نسبة تفهم من الخبر ويدّل عليها الكلام: وتسمى النّسبة الكلاميّة، وهو ما سيأتي في الأغراض الّتي تفهم من السّياق.

2.نسبة تعرف من الخارج والواقع بقطع النّظر عن الخبر: وتسمى النّسبة الخارجيّة، فإن طابقت النّسبة الكلاميّة النّسبة الخارجيّة في الإيجاب أو النّفي إن كان الكلام صدقاً أو كذباً، الصّدق (الإيجاب)، كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[1]، والكذب (النّفي) وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]

رابعاً: أنواع الأسلوب الخبري[4]

1.ابتدائي: هو الخبر الّذي يكون خالٍ من المؤكّدات، لأنّ المخاطب خالِ الذّهن من الحكم الّذي تضمّنه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[5]، وفي قوله تعالى: **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.**[6]

---

1. سورة الرعد الآية 02.
2. سورة التوبة الآية 42.
3. سورة يوسف الآية 14 – 15.
4. مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 1 – البيان والبديع، جامعة المدينة العالمية، ج01، ص92.
5. سورة الأعراف الآية 179.
6. سورة الكهف الآية 49.

2.**طلبي**: هو الخبر الّذي يتردّد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحّته، فيكون بمؤكّد واحد على الأقل، ويشمل الحروف مثل: (إنَّ، اللّام)، وغيرهما، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[2]

3.**إنكاري**: هو الخبر الّذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكّد بمؤكّدين أو أكثر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾.[5]

---

1. سورة إبراهيم الآية 04.
2. سورة الأنفال الآية 55.
3. سورة الأنفال الآية 31.
4. سورة التوبة الآية 36.
5. سورة الأنفال الآية 42.

المطلب الثّاني: توظيف الأسلوب الخبري من خلال (همیان الزاد) – الرّبع الثّاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[1]

﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا**﴾: أي: أنزلنا عليكم ما يكون لباساً بالتّدريج وهو المطر، فجميع ما يلبس منه، أو خلقناكم لباساً، فعبر بالإنزال، لأنّ ما في الأرض مكتوب في السّماء ومفصّل فيه، ومنزّل منه بقدر على أيدي الملائكة بالذّات أو بالمآل، والصّيرورة، ﴿**يُوَارِي سَوْآتِكُمْ**﴾: يستر ما قصد الشّيطان إبداءه، ويغنيكم عن خصف الورق، فإنّ ظهورها أوّل سوء أصاب الإنسان من الشّيطان، ﴿**وَرِيشًا**﴾: لباس زينة مستعار من ريش الطّائر، لأنّه لباسه وزينته، ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾: ولباس التّقوى خير[2]، الغرض منه تذكير الله تعالى بني آدم من تعداد النّعم الّتي لا تحصى فمن إنزال المطر ينبت الشّجر ومن أوراقه يتستّر الإنسان ومن نزول المطر تتغذى الطّيور والأغنام، وغيرهم فيصنع الإنسان ملابس من الرّيش والصّوف.

في قوله تعالى: ﴿**فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: أي الفريق الذين حقّ عليهم الضّلالة في اتخاذهم الشياطين يتولونهم بالطاعة فيما أمروهم به وسوسة أو تكهناً أو تكلماً من جوف صنم، وغيره من غير الله، وفي الآية دلالة على أنّهم ضلّوا باختيارهم، ﴿**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾: في الآية دلالة على أنّ الكافر المخطئ والكافر المعاند سواء في قطع العذر، وقلنا: إنّه لا عذر لأحد في الشّرك على أي حالة كان، وأنّ المخطئ والمعاند والجاحد مطلقاً سواء، الغرض منه إظهار الله

[1]. سورة الأعراف الآية 26.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص45، ص47.

[3]. سورة الأعراف الآية 30.

تعالى مصير الكفار وأنّ من اتخذ الشياطين سلطانا عليهم في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم ويظنّون أنّهم تحت الطّاعة والإخلاص لله تعالى فذلك حلم قصير المدى فسرعان ما يستيقظون على حقيقة الظّلال والجحيم.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾[1]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**﴾: عن الإيمان بها، ﴿**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ**﴾: أي ليس لهم الفتح العظيم لأبواب الجنة كما هو للمؤمنين، ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾: ولا يدخلون الجنّة حتى يدخل البعير الذّكر في ثقب الإبرة، وليس بداخل أبداً، فكذلك لا يدخلون الجنة أبداً، والعرب إذا أرادت استحالة شيء علقته بالمحال[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى التّهديد والوعيد على الكفار الذين يستكبرون على آيات التّوحيد والإجلال الرّباني وتعجيزهم في عدم نيل الرّحمة فلا ينفعهم كثرة الاستغفار ولن يدخلوا الجنّة.

في قوله تعالى: ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[3]

﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾: أي: وجدنا كذباً، أو كذبنا كذباً، كأنّه قيل: افترينا الآن على الله كذبا، ﴿**إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ**﴾: في المستقبل، والمراد افترينا على الله كذباً الآن إن هممنا بالعود فيها، ﴿**بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا**﴾: والمراد بالتنجية منها عدم الإيقاع فيها مطلقا، سواء من أول الأمر وهو حال شعيب، أو بعد الوقوع وهو حال المؤمنين به، ﴿**وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ**

---

1. سورة الأعراف الآية 40.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص74، ص75.

3. سورة الأعراف الآية 89.

فِيهَا﴾: أي ما يصح لنا، ﴿**أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾**: حجيّة ما مر، ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾**: عودنا فيها، فإن الإيمان والكفر كليهما بمشيئة الله عند أهل الحق، ودليل قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، ﴿**رَبُّنَا﴾**: وذلك يكون بإخبار الله له أن لا يرتد أحد ممن آمن به، وأنه لم يسبق في علمي أن يرتد أحد منهم[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حالة من التضرع واليقين التي اعترت نفوس المؤمنين فقد اخلصوا لله تعالى بعد أن أنجاهم وما كان لهم سوى الدعاء والمناجاة في زرع الخير بين أقوامهم بدل الفتن.

في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[2]

﴿**يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾**: يتشاءموا بهم ويقولوا: هذه إصابتنا بشؤمهم، ﴿**أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾**: أي سبب خيرهم وشرهم، وهو أعمالهم، ﴿**عِنْدَ اللَّهِ﴾**: مكتوب عنده وهو أعمالهم، فإن كانت خيرا فهي سبب خيرهم، وإن كانت شراً فهي سبب شرهم وشؤمهم وهو الواقع، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**: أنّ الكلّ من الخير والشر من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾**[3]، وقيل: ويجوز أن يكون الضمير في طائرهم لجميع الناس، فيجئ تخصيص الأكثر على ظاهره، الغرض منه إظهار الله تعالى التهديد والوعيد على الكفار الذين ايئسوا الرّسل عليهم السلام وعرقلوا دعوة التوحيد بمحاولاتهم الشنيعة في شدة إساءتهم وغلظ ألفاظهم لكن ليعلموا أنّ الله تعالى هو المتحكّم في إنزال الخير والشّرّ فالخير من محاسن الأعمال وألطفها، والشّرّ من منعكس المفاسد وأخشنها.

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص177، ص178.

2. سورة الأعراف الآية 131.

3. سورة النساء الآية 78.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1]

﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾: والأصل ولما سقط أفواههم في أيديهم، ﴿**وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا**﴾: علموا أنّهم قد ضلّوا عن الحق باتخاذ العجل، ﴿**قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا**﴾: المراد مطلق الرّحمة عن النّار وغفران الذّنب، ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾: بما فعلنا واعتقدنا[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال من الخوف والطمع الّتي تملّكت نفوس المشركين حين رأوا الحقيقة بأم أعينهم فالإنسان بطبعه ضعيف ومهما استقوى وتعالى ليس في استطاعته أن يردع أو يردّ القوّة الإلهيّة المهلِكة ودوام الكفر والشّرك محال فكلّ إنسان يتوب ويرجع إلى ربّه تعالى تحت وقع الحقيقة الحاسمة مثل نزول العذاب أو سقوط الجدار وغيره، كما في قوله تعالى: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]، والخاتمة بالموت المقدّر على كلّ نفس.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[4]

﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ**﴾: أي الوعد استجابة أيّ ممدكم، ﴿**إِلَّا بُشْرَى**﴾: بشارة لكم بالنّصر، ﴿**وَلِتَطْمَئِنَّ**﴾: أي: وفعل ذلك لتطمئنّ، أو بمحذوف معطوف على بشرى، أي وثابتاً لتطمئنّ عند مجيز الإخبار بالتّعليل، ﴿**قُلُوبُكُمْ**﴾: فيزول ما فيها من الخوف لقلّتكم إذا رأيتموهم وسمعتم أصواتهم فيكم، ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾: وأمّا الإمداد وكثرة العدد ونحوهما فوسائط لا

---

[1]. سورة الأعراف الآية 149.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص267، ص268.

[3]. سورة النحل الآية 26.

[4]. سورة الأنفال الآية 10.

ناصرة، ولا يتأسوا بفقدها، أو وما النّصر بهذه الوسائط إلاّ من عند الله فلا تتّقوا إلاّ بالله، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**﴾: غالب قاهر، ﴿**حَكِيمٌ**﴾: في ما يفعل، ينصر من اقتضت الحكمة نصره، إخبار الله تعالى ببشارة النّصر فتطمئّن قلوبهم، ويزول ما فيها من الخوف لقلّتكم إذا رأيتموهم وسمعتم أصواتهم فيكم، وكانوا يقولون: اثبتوا فإنّ عدوّكم قليل، وإنّ الله معكم، ولم ينزلوا ليقاتلوا إلاّ وملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدّنيا، وقد حمل جبريل مدائن قوم لوط بريشة واحدة، وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة فيما قيل[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى الفرح في نفوس المؤمنين وطمأنة قلوبهم بالانتصار والفوز على الكفّار وذلك من لطف الله تعالى بهم وحكمته.

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾[2]

﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾: أوحى الله تعالى إلى الملائكة بإلقاء الخوف في قلوب الكفّار[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى وعيده وغضبه في نشر الخوف والرّعب في قلوب الكفّار فتشتّتوا وانهزموا أمام المؤمنين الّذين ألقى الله تعالى في قلوبهم الثّبات والطّمأنينة فقاتَلوا بكلّ قوّة وعزيمة وانتصروا.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4]

﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**﴾: لم تقتلوهم بقوّتكم ولكنّ الله قتلهم بنصركم وإلقاء الرّعب في قلوبهم، ولإمداد بالملائكة، أو أنّكم ولو ضربتموهم لستم بمزهقي أرواحهم، ولكن لله زمانها، وعن مجاهد: لما فرغوا من القتال، وانصرفوا جعلوا يقولون: قتلت كذا وكذا، وقتلت فلانا،

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص332.

2. سورة الأنفال الآية 12.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص335، ص336.

4. سورة الأنفال الآية 17.

وأسرت كذا، وفعلت وفعلت، فنزلت الآية[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى القدرة والعظمة في التحكم في مخلوقاته فكل الأفعال الّتي يقوم بها الإنسان وغيرها منسوبة إلى الله تعالى وليعلموا أنّه ليس للعبد حقّ التّصرف في الأعمال والأفعال والأقوال والأماكن والأزمنة وغيرها من الأمور وكلّ ذلك بمشيئته سبحانه عزّ وجلّ.

في قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.[2]

﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾: ذلك أسلوب تهكّم بالكفّار، لأنّ الفتح جاءهم لكن عليهم لا لهم[3]، وذلك أنّهم حين أرادوا أن ينفروا تعلّقوا بأستار الكعبة وسألوا ربّهم النّصر[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى عدله مع كفّار قريش فخيّرهم إمّا بالدّخول في راية الإسلام، وإمّا بإنهاء العداوة، وإن أصرّوا على القتال فالمؤمنون لهم بالمرصاد ولا تغرّهم كثرتهم، وأنّ الله تعالى مع نصرة الحقّ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾.[6]

﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**﴾: الدّواب: كلّ ما يدب على الأرض، أو البهائم كما هو العرف العام ولو عند العرب، ﴿**عِنْدَ اللَّهِ**﴾: الصّمّ عن الحق لا يسمعونه سماع قبول وانتفاع فكأنهم لا يسمعون

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05 ص342.

2. سورة الأنفال الآية 19.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص345.

4. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، المصدر السابق، ج09، ص 553.

5. سورة آل عمران الآية 126 – 127.

6. سورة الأنفال الآية 22.

أصلا، والبكم عن النّطق به كأنهم لا يتكلمون أصلا ولا يميزون بين الحق وبين الباطل، مع أن فيهم آلة التمييز، لكن لم يعملوا بها، فهم شرّ من الدّواب، كالكلب والخنزير، والفأر، وغيرها والبقر، لتركهم العلم بما به فضلّوا عنها[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى منزلة الكفار التي تتساوى مع البهائم وبل أشد منها، فهم بعقولهم لكن لا يتدبّرون في الآيات ولا يعقلون العواقب الوخيمة للشّرك والعصيان ويجهلون ما يخبؤه المصير من جهنّم لا ترضى إلاّ بالمزيد.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[2]

﴿**قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا**﴾: من عندنا أو مما نجده مكتوباً، وذلك كذب على كلّ حال ليست فصاحة القرآن، وما يتضمّنه في قوّتهم وملكتهم، ولا في ما يجدونه مكتوباً، وإلاّ فما منعهم من أن يشاءوا القول فيقولوا، وقد حدّهم وفرّعهم بالعجز، في غاية من العناد والمكابرة، وحبّ الغلبة، ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾: ما سطّره الأوّلون من الأخبار والقَصَص[3]، الغرض منه إظهار الله حال الكفّار حين تواجهوا مع القرآن الكريم فاعترتهم السّخرية والاستهزاء من سماع الآيات معتقدين أنهم قادرين على الإتيان بمثلها أو أحسن منها، لكن رغم محاولاتهم المحرّفة عجزوا عن ذلك.

في قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[4]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص349.

[2]. سورة الأنفال الآية 31.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص363.

[4]. سورة الأنفال الآية 52.

﴿**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾: في أخذه الكفّار وعقابه شديد عليهم فلا أحد يقوى عليه ولا على رفعه[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى الرهبة والغضب الشديد الذي حل على الكفار وأنّ كلّ قوم يعذّبون بقدر ذنوبهم وأنّ مهما اتّسم عبادهم بالقوّة والبطش والقتل فليعلموا أنّ الله تعالى قويّ شديد العقاب.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**﴾[2]

﴿**إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**﴾: لا تظنّ يا محمد أنّ الكفّار الّذين نجو يوم بدر، وقيل: يوم بدر وغيره بأنّهم لا يُدرَكون[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحذير هؤلاء الكفار الذين نجوا من غزوة بدر وأنّ هيهات هيهات أن يدوم الشّرك والضّلال أو أنّ الله تعالى قد يعجزه أمر المشركين فإنّهم لا محالة هالكين.

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4]

﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾: من المواريث وغيرها، كالحكمة في تعليقها أوّلاً بالهجرة والمؤاخاة وثانيًا بالقرابة[5]، الغرض منه تنبيه وتوجيه الله تعالى المؤمنين الّذين قدم دخولهم في الإسلام بأن يتناسبوا مع المؤمنين الجدد وأن يتراحموا ويتواصلوا وأن الله تعالى عليم بكلّ الأحكام والمتغيرات والمستجدّات.

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص398.
2. سورة الأنفال الآية 59.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص405.
4. سورة الأنفال الآية 75.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص428.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[1]

﴿**فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾: جزم من الله تعالى بان ينجيهم من العذاب، وهذا قطع لأطماع المشركين في الانتفاع بأعمالهم، ومنع للمؤمنين أن يتكلّموا على أعمالهم، وعن الاغترار بالله، وقيل: فيه ترجيح للخشية على الرّجاء[2]، الغرض منه تنبيه الله تعالى المسلم في احترام بيوت الله تعالى والمحافظة على حرمة المساجد بأن لا يطأ عتبتها إلاّ وهو مؤمن بالله تعالى وباليوم الآخر يقيم للصّلاة ويؤت للزّكاة وسائر الفرائض الأخرى ومن صانها فقد اهتدى.

في قوله تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[3]

﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ**﴾: يبشّرهم الله تعالى برضاً عظيم عنهم[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى الفرح والتّبشير للمؤمنين بنيل رضا الله تعالى والإذن لهم بدخول الجنّات يتمتّعون بالنّعيم إلى الأبد وأنّ الله تعالى عنده من الأجر ما يفوق ذلك.

في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[5]

﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾: أي: انتبهوا أيّها النّاس، وحقّقوا أنّهم وقعوا وقوعاً متمكّنا في الفتنة الكاملة بتخلّفهم، وظهور إنفاقهم، وفساد ما بينكم وبينهم، وفي ذلك إخبار عن المتخلّفين

---

1. سورة التوبة الآية 18.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 452.

3. سورة التوبة الآية 21 – 22.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص458.

5. سورة التوبة الآية 49.

بلا عذر جميعاً، الغرض منه إظهار الله تعالى حال المتخلّفين عن القتال بعذر الوقوع في أشر من ذلك وهو الفتنة لكن بكذبهم المختلق وعذرهم المزعوم افتضحوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث أذن للبعض منهم بوحي من الله تعالى ففتنوا بالنّفاق والتّفريق بين المسلمين وقطع لحبل الثقة المتينة.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾[1]

﴿**وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾: أي: منكم في الإسلام لكفر قلوبهم، ولكنّهم يخافون على دمائهم وأموالهم وأولاده، فأظهروا الإسلام تقية[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى قسم المنافقين بالله تعالى بأنّهم من المؤمنين كونهم أظهروا إسلامهم وذلك خشية على ما يحبون من أموال وأولاد وتجارة وغيرها من الأمور الدّنيويّة.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾[3]

﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾: لو حصل رضاهم بما أعطوا من الصّدقة أو الغنيمة، وإعطاء الله تقديره وتيسيره، وخلقه إعطاء الرسول وإعطاء الرسول مناولته، وقيل: المراد ما أعطاهم رسول الله، ﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ**﴾: كفانا بما أعطانا وإن قلّ، ﴿**سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ**﴾: من غنيمة أو صدقة يتفضل بها علينا وما نحتاج إليه وأكثر، ﴿**إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾: في أن يوسع علينا[4]، الغرض منه تنبيه الله تعالى المؤمنين بأنّ ما قسم عليهم النّبي صلى الله عليه وسلم

---

1. سورة التوبة الآية 56.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص26.

3. سورة التوبة الآية 59.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص30.

من الغنيمة كان بأمر من الله تعالى والأصل في الرّضا ولو بالقليل المبارك، فالقناعة كنز لا يفنى، ولو أنّهم دعوا الله تعالى ورغبوا إليه لزادهم من فضله وذلك إن استحقّوه.

في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

﴿**أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾: أي: سيثيبهم في الدّنيا بالغلبة الكاملة والنّصر، وفي الآخرة بالجنة، قال جار الله: السّين مفيدة ووجود الرّحمة لا محالة، فهي تؤكّد الوعد، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾: غير مغلوب عمّا أراد من ثواب وعقاب وغيرهم، وواضعاً كلا موضعه[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى إخباره بتفريح المؤمنين الصّالحين وتبشيرهم بنزول الرّحمة في الدّنيا والآخرة ودخول الجنات.

في قوله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[3]

﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ**﴾: وهي قولهم: لئن كان ما يقول محمد حقّاً[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى قسم المنافقين الذين يحلفون بالله تعالى على الكفر والخداع وجعلوا بذلك سلاحاً مقنعا للمؤمنين، لأن من يحلف بالله تعالى بلا شك هو صادق، لكن الله تعالى كشف عنهم السّتار وفضح نيّتهم المنافقة وغدرهم بالمؤمنين وبالرّسول صلى الله عليه وسلم وجعل لهم الله تعالى في ذلك خيارين إمّا أن يتوبوا وإن اختاروا الارتداد لهم بذلك عذاب أليم وعقاب وخيم في الدنيا والآخرة.

---

1. سورة التوبة الآية 71.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص49.

3. سورة التوبة الآية 74.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص53.

في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[1]

﴿**أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ**﴾: أي: نفقتهم المدلول عليها بذكر الإنفاق، وأنّ عطف الصّلوات على ما فالأنسب عود الضمير للصلوات، وأزال الغفلة بألا وأكد بها، وبأنّ، ﴿**سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ**﴾: وعد بإحاطة الرّحمة بهم، والسّين لتأكيده، وقرّره بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾: للمؤمنين المنفقين، ﴿**رَحِيمٌ**﴾: بهم إذ وفقهم للطاعة[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى مدح الأعراب الذين يكرّسون حياتهم في عمل الطّاعات والصّدقات والصّلوات فيبشرهم الله تعالى بنزول الرّحمة عليهم ونيل المغفرة والرضا من الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[3]

﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى**﴾: ببناء المسجد على الصّلاة والذكر، والتّوسعة على المصلّين الّذين لا يستطيعون، أو الإرادة الحسنى، وهي إرادة الصّلاة وما ذكر، وروى أنّ الحالف يخرج المذكور، ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾: في حلفهم[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى قسم المنافقين الّذين أشهدوا الله تعالى في كذبهم ونفاقهم باستعطاف واسترحام المؤمنين لهم ولين قلوبهم، لكن إن لم يعلم المؤمنون بنوايا القلوب وما تكنّه الصّدور علمه الله تعالى منذ الأزل ليكون شاهد على كذبهم ونفاقهم سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية.

---

1. سورة التوبة الآية 99.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص80.

3. سورة التوبة الآية 107.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص96.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1]

﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ**﴾: كمستحق الإضلال أو الهداية، وما يجب إلقاؤه وما لا يجب، وما تحرجت به نفوسكم من العمل بالمنسوخ، والعمل بما حرّم العمل به بعد، ﴿**عَلِيمٌ**﴾: بكل شيء لا يخفى عليه شيء، الغرض منه إظهار الله تعالى حكمته وعلمه بكلّ شيء مع تنزيه الله تعالى عن الظّلم أو أن يكون ظالماً، وإظهار بذلك العدالة الإلهيّة الّتي تعاقب العبد الكافر بعد نزول البرهان والحجة عليه في مجيء الرّسل عليهم السّلام منذرين ومبشّرين، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾: أي في مقدار ستّة أيّام من أيّام الدّنيا، لا في السّتة حقيقة، لأنّه لا نهار، ولا ليل، ولا شمس، ولا قمر حينئذ، وقيل: المراد ستة أيام من أيام الآخرة، ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾: أي استولى عليه، بأن أوجده بعد إيجاد السّموات والأرض، ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ**﴾: أي يقدره في الوجود على ما اقتضت حكمته بياناً له وإنفاذه، ﴿**مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾: كيف تشفع الأصنام الّتي هي لا فضيلة فيها من عقل أو عبادة أو غيرها عند من هو الحكيم بالحقيقة، الذي من عظم شأنه خلق السموات والأرض والعرش مع

---

[1]. سورة التوبة الآية 115.

[2]. سورة الإسراء الآية 15.

[3]. سورة يونس الآية 03.

اتساعها، وعدم خروج أمر من الأمور عن تدبيره[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظمته وقوّته في خلق عظم السّموات والأرض وذلك في وقت وجيز ستّة أيّام، في حين العبد الضّعيف لا يستطيع بناء بيت في الظّرف نفسه أو أقلّ منه سبحانه وتعالى له الحمد والشّكر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[3]

﴿**وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**﴾: ما ارتفع من الماء أو شدة حركة الماء واختلاطه من كلّ مكان ممكن مجيء الموج منه، إذ لا يجيئهم الموج من صحراء أو جبل، ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ**﴾: رجّحوا أو أيقنوا الهلاك حتّى لا يبين لهم سبيل إلى الخلاص، ﴿**دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾: أي: الدّعاء بعد أن كانوا قبل ذلك يدعون سواه، أو مذعنين بأنّه لا دين إلاّ دينه، وأنّ عبادة الأوثان باطلة، لأنهم يعلمون أنّه لا ينجيهم من الشّدائد إلاّ الله، أو لتراجع الفطرة التي ولدوا عليها لزوال معارضها بشدة الخوف، وهذه الجملة بدل اشتمال من ظنوا، لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به، ﴿**لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ**﴾: أي هذه الشّدة، أو هذا الرّيح العاصف، ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾: بالتوحيد والعبادة[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى ملكه العظيم الّذي لا يقهر في تجميع القوى المهلكة للإنسان حتى يتيقّن زعم يقين أنّه لا نجوى ولا مناجاة ويأسوا من

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص14، ص15.

2. سورة الحجر الآية 86.

3. سورة يونس الآية 22.

4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص39، ص43.

حالهم فلم يجدوا ملجأً سوى إلى الله تعالى في الدّعاء والتّضرع والوعود بالشّكر حتى نزل الفرج من سمّ الخيّاط، وما شكر إلاّ القليل من القليل الّذين نجوا.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]

﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾: أي على ثمارها المتمكّنون من حصدها، ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾: أي: قضاؤنا بهلاكها، بريح أو ماء أو برد أو جراد، أو غير ذلك، ﴿**كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾: كأن لم تكن آنفاً[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى شدّته العظيمة في التّدمير والإهلاك، فهو الّذي ينزل المطر لارتواء الأرض فينبت الحشيش ومما يزرع البشر إلى أن تزدهر الأرض بالخضرة والنّظارة وينضج المحصول فيذهب النّاس إلى الإنتاج فيجدوه حصيداً، وكأنّ شخصاً مجهولاً حصده في حين غفلتهم ولم يترك سوى البقايا من الحصاد.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾[3]

﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ**﴾: في دينه: ﴿**إِلَّا ظَنًّا**﴾: خيالات وأقيسة فاسدة، ﴿**إِنَّ الظَّنَّ**﴾: كقياس الخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، وغيرها، ﴿**لَا يُغْنِي**﴾: في وصول الديانات، ولو أغناه في طريق الأحكام التي تعبد الناس بظواهرها، ﴿**مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾: الاعتقاد الحق في وصول الدين، وقيل: المراد بالظّنّ هنا ظنّهم أن الأصنام تشفع لهم وبالحق عذاب الله، فكأنّه قيل:

---

1. سورة يونس الآية 24.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص46، ص48.

3. سورة يونس الآية 36.

يوما يتبع أكثرهم في إثبات شفاعة الأصنام إلاّ ظنًّا، وأنّ هذا الظّنّ لا يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾: فيجازيهم عليه[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال ما يتّبع المشركين من عبادة الأصنام معتقدين فيها التّحكّم والمصير رغم كونها صمّاء عمياء خرقاء لا تستجيب ولا تجيب.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]

﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: أي وما كان هذا القرآن مفترى، وقيل: إن صلة التأكيد وافتراء الكذب، وأصله القطع للإصلاح، ﴿**وَلَكِنْ تَصْدِيقَ**﴾: أي أنزلناه مصدّقاً، ﴿**الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾: أي الذي تقدمه من كتب الله كالتوراة والإنجيل وغيرهما، فلا يكون كذبا مع أنه معجز دونها، ﴿**وَتَفْصِيلَ**﴾: أي نفصّل، ﴿**الْكِتَابِ**﴾: أي ما في الكتب من الحلال والحرام، والأحكام والفرائض، ﴿**لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾: أي لا شك فيه، ﴿**مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: أي ولكن أنزل تصديقا الذي بين يديه، وتفصيلا للكتاب من رب العالمين[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى الحقّ واليقين بنزول القرآن الكريم وأنّه حكيم صادق من العليّ القدير.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[4]

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**﴾: ظلماً ما، ﴿**وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: ولما كان ذلك موجباً لعذابهم، ذكر أنّهم استوجبوه بأفعالهم التي أتوها اختبارا منهم، لا بظلم من الله

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص64، ص65.
2. سورة يونس الآية 37.
3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص65، ص66.
4. سورة يونس الآية 44.

تعالى عنه[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عدالته الكونيّة في تقسيم الجزاء والحساب على حسب درجة الخير والشر، وأنّ الله تعالى لا يظلم أحداً سواء كان كافراً أو مسلماً مؤمناً أو مسلماً منافقاً، فكلّ واحد منهم اختار طريقه بنفسه فليتحمّل عواقب نتائجه والله تعالى على ذلك رقيب شهيد.

في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]

﴿**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: فهو القادر على الثواب والعقاب بالعدل، لا يظلم أحد في حقه، ﴿**أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ**﴾: بالثّواب والعقاب، أو الموعود الّذي هو الثواب والعقاب، ﴿**حَقٌّ**﴾: واقع لا خُلْف فيه، ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾: وقيل: الهاء للخلق، فبعضهم آمن وأسلم، وأكثرهم لم يكن كذلك[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى قدراته العظيمة من خلق السموات والأرض وإنزال الحق على أنبيائه ورسله عليهم السّلام، لكن رغم التّسلسل الزّمني لنزول الحقّ فإنّ الكثير من النّاس يجهلونه ولا يقنون بوجوده حتى وإن أينعت عقولهم تأبى قلوبهم كرهاً وعناداً وإتباعاً للباطل.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾: هذا على عمومه، وقيل: أهل مكة، وقيل: قريش، ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ**﴾: هي القرآن، ونكر تعظيماً، والوعظ قول يأمر بمعروف، ويزجر من منكر، ويرفق تارة، ويغلظ أخرى، ويوعد ويعد، وقيل: الوعظ زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: تذكير بخير فيما يرق

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص71.
2. سورة يونس الآية 55.
3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص82.
4. سورة يونس الآية 57.

له القلب، وقيل: الدلالة على ما يدعو إلى الإصلاح بطريق الرغبة والرهبة قبل النطق بالحكمة العلمية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومفاتيحها الفرعية، في المحاسن الزاجرة عن القبائح، وبالحكمة النظرية، وذلك كله صفة القرآن العزيز، ﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: لا من عند محمد أو غيره، ﴿**وَشِفَاءٌ**﴾: إزالة واللام بعد للتقوية، أو دواء واللام على أصلها، ﴿**لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾: من الشّكوك والعقائد الفاسدة، والجهات لا المهلكة، ﴿**وَهُدًى**﴾: إيصال إلى الحق واليقين، وتوفيق إليهما، ﴿**وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: الذين سبقت لهم السّعادة خاصة إذ نجوا به إلى نور الإيمان، درجات الجنان، من ظلمات الضلال ودركات النيران[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظمة القرآن الكريم لما فيه من مواعض وإرشادات دينية ودنيوية، وما فيه من شفاء وعلاج للنفوس المريضة وأمراض السحر والعين وأمراض الأخرى مستعصية على الطّب علاجها، مثل التأخر والتعطيل والعقم، وغيرها من الأنواع غير المحسوسة،كما يشفي القلوب المريضة بالعداوة والحقد والحسد، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2]، ويهدي القلوب الضّالة والكافرة والغافلة عن ربّها تعالى، ويُنزّل السّكينة والهدوء والثّبات على أمر الحقّ.

في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[3]

﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ**﴾: وهم الذين تولوا الله بالطاعة، واشتغلوا بها، والدعاء إليها، وتولاهم الله بالكرامة والهداية، وقيل: من استغرق في الله إذا رأى دلائل قدرة الله، وإذا سمع سمع آيات الله، وإذا نطق نطق بالثّناء على الله سبحانه وتعالى، وإذا تحرك أو اجتهد أو فكر ففيما يقرّبه إلى الله، وقال ابن زيد: أو المتكلمون من صح اعتقاده، وأدى الفرض واجتنب المعصية، ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾: من لحوق مكروه، ﴿**وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾: بفوات مأمول لأنّهم لا يفوتهم، ولا بما فاتهم من الدّنيا، لأنّهم لم يضيعوها، بل اشتروا بها الجنة، ولا بعذاب يلحقهم، إذ لا عذاب عليهم، وذلك في

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص83، ص84.

2. سورة الرعد الآية 28.

3. سورة يونس الآية 62.

الآخرة[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حمده للمؤمنين بأنهم أولياء الله تعالى الصّالحين وتبشيرهم بتبديل الخوف والحزن بإنزال الأمن والفرح والسّرور والرّضا.

في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾[2]

﴿**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ**﴾: ظنّوهم شركاء فعبدوهم، وظنّوها تشفع لهم، استفهام إنكاري وتوبيخي، إنكار لأن تكون آلهة تابعة لغير الله تعالى، إذ هي في نفسها تابعة لله تعالى لا لغيره، موحّدة له، فكيف تدعونها شركاء، فهذا إلزام بعد احتجاج بأنّ له من في السّماوات ومن في الأرض يوحدّوه تعالى[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ من يتّبع دون الله تعالى في الشّرك والكفر به إنّما يتّبعون الظّنون والشّكوك، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾[4]، وأمّا إتّباع الله تعالى دون سواه والإيمان به وبرسله عليهم السّلام هو اليقين، كما قال تعالى: ﴿**وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾[6]

﴿**وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾: أو أمره قضاياه، وقيل: الكلمة الوعد[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى انتصار المؤمنين الّذين يتّبعون الحقّ الّذي جاء به القرآن الكريم وخسارة أولائك المشركين الّذين يتّبعون الباطل فبطل هنالك عملهم.

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص93.
2. سورة يونس الآية 66.
3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 09، القسم الأول، ص 97.
4. سورة يونس الآية 36.
5. سورة المدثر الآية 47.
6. سورة يونس الآية 82.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[2]

﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾: بإرادته وتوفيقه[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى قدرته ومشيئته في إيمان البشر أو كفرهم، وذلك بجعل سبل الاختيار فمن أراد الإيمان اختار طريق التّوحيد والإخلاص ومن أراد الكفر اختار طريق الشّرك والعصيان، وجعل للطّريق الأوّل طهارة ورضا ورحمة ونعيم لا ينفذ، وجعل للطّريق الثّاني رجس ولعنة وعذاب وجحيم لا ينفذ.

في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[4]

﴿**أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ**﴾: عن الحق، أي يحرفونها عنه، أو يطوونها على الكفر والعداوة، ويظهرون خلافهما، أو يثنون صدورهم برءوسهم، أي يطأطئون برءوسهم عليها إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو حضروه لئلا يراهم، ويغطون أيضا وجوههم، ويولّونه ظهورهم، يتواعدون على فعل ذلك، وعن قتادة: يثنون صدورهم لئلا يسمعوا كتاب الله وذكره، ﴿**لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ**﴾: أي يفعلون ذلك ليستخفوا من الله واللام صلة للتأكيد، ﴿**أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾: أي يريدون الاستخفاء حين يجعلونها أغشيّة وأغطيّة، أي يغطون رءوسهم وأبدانهم بها للنوم مثلا، أو ليستتروا عنه أو رءوسهم لئلا يروه أو يسمعوا، ﴿**يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ**﴾: ما يخفونه من كلام في قلوبهم ومن أبدانهم وأشخاصهم، ﴿**وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾: من كلام وبدن وشخص لا يتفاوت الإسرار والإعلان في علمه، ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾: أي بالكلمة صاحبة الصّدور ولم ينطق بها

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 110.

2. سورة يونس الآية 100.

3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص137.

4. سورة هود الآية 05.

اللّسان، وقيل ما يسرون من الكفر والحقد وما يعلنون من الإيمان[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى قدرته العظيمة في معرفة ما يخبئه الإنسان من نوايا حسنة أو سيئة، وأنّه يعلم بما تخبئه الأقدار والأيام من أفراح أو أحزان ومن ذكر أو غفلة، فلابد أن نشكر الله تعالى على رحمته الواسعة بحيث لا يعاقب على المكنونات ولا يفضح المستورات، وذلك يدعوا إلى عدم خشية العباد ولكن إلى خشية ربّ العباد بالإخلاص والاستقامة، كما قال تعالى: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[3]

﴿**لِيَبْلُوَكُمْ**﴾: أي: بأعلم بذلك، أي لم يخلقهن عبثا، بل ليفعل بكم فعل من يختبر أحوالكم، وقد علمها، ﴿**أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾: أطوع لله في الاستدلال بهنّ على وجوده، وكمال قدرته، وشكر لنعمه التّي منهنّ كالماء والنّجوم، والشمس والقمر، والنبات والسكون، ﴿**وَلَئِنْ قُلْتَ**﴾: يا محمد لكفّار قومك، ﴿**إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾: أي ولئن قلت لعلكم، توقعوا بعثكم وظنوه واقعا، ولا تقطعوا بإنكاره، ﴿**مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ**﴾: للعقاب إن أصررتم، وللثواب إن تبتم، ﴿**لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: الأصل ليقولن بضم اللام مع إسقاط الذين كفروا، ووضع الظاهر موضع الضمير ففتحت اللام، أو الخطاب في إنكم لجميع الكفرة من أنكر البعث ومن لم ينكره كأهل الكتاب، أو للناس مطلقا فلا يكون من وضع الظاهر موضع المضمر، بل يكون المعنى: ليقولنّ الذين كفروا بالبعث، أو الكفار المعهودون وهم قومك، ﴿**إِنْ هَذَا**﴾: أي قولك بالبعث، أو البعث أو القرآن

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1481.

2. سورة الأحزاب الآية 37.

3. سورة هود الآية 07.

النّاطق بالبعث، ﴿**إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾: واضح أي كالسحر في الخديعة، أو البطلان[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى قدراته العظيمة في صنع الأشياء العظام الّتي تفوق المجرات والحدود ليذعن وينقاد العبد في التّفكّر والتّدبّر، وإظهار قدرته في بعث الموتى أحياء مرة أخرى فمن آمن وصدّق له الجنة ومن كذّب وتولىّ له النّار.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾[2]

﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: جواب لهم حين سألوه أن يطردهم ليسلموا فلا يستووا معهم، أنفوا أن يكونوا مسلمين، فيضمهم وهؤلاء مجلس واحد، فاشترطوا لإسلامهم، ﴿**إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ**﴾: أي لأنّهم ملاقون ربهم بالبعث فيخاصمونني عنده إن طردتهم، فيعاقبني، أو لأنّهم يلاقونه فيفوزون بقربه، ويجازيهم بالخير، فكيف أطرد من هذه صفته، أو لأنّهم يلاقون ربّهم فيكفيني أمرهم بأن يثيبهم إن كانوا على ما يقولون، ويعاقبهم إن كانوا على غير ذلك، أو لأنّهم يلاقونه فيجازيهم بخير، فينصف لهم ممن ظلمهم أو طردهم، أو لأنّهم معتقدون ملاقاة ربهم، ﴿**وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**﴾: تجهلون ملاقاة الله، أو تجهلون أنّهم ليسوا بأهل أن يطردوا، وأنّهم خير منكم، أو تجهلون حقّهم وأقدارهم فدعوتموهم أراذل، وطلبتم طردهم، أو تسيئون إليهم، يقال: جهل عليه أي جفاه وأساء إليه، أو تجهلون عاقبة أمرهم، أو تجهلون أمر الله وعظمته وأمره ونهيه[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال الرسل والأنبياء عليهم السّلام من الإصرار والاستمرار في دعوة أقوامهم إلى الحق والتّوحيد، وأنّ هدفهم الأسمى هو إرضاء الله تعالى أوّلاً ثم جعل النّاس تحت دين واحد يعبدون إله واحد، وخوفهم ويأسهم الكبير أن لا ينصاع الكثير منهم فيساقون إلى جهنم بإصرارهم على الجهل والظلام.

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1483.

2. سورة هود الآية 29.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1505.

في قوله تعالى: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾[1]

﴿**وَنَادَى**﴾: دعا، ﴿**نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**﴾: وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي، ﴿**وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾: قال القاضي: ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرق ابنه، ﴿**وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾: أعلم وأعد لهم، وهو من الحكومة بين الخصمين، أو أكثر حكمة من ذوى الحكم[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال الأنبيّاء عليهم السّلام وخوفهم على أهلهم وأقوامهم من الشّرك والهلاك، مثل سيّدنا نوح عليه السّلام حين قام بمنجاة ربّه بالتّقرب إليه بالدّعاء في نجاة ابنه من الهلاك والغرق، فقال له الله تعالى: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ**﴾[4]

﴿**كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا**﴾: كأن لم يلبثوا في دارهم وكأن مخففة واسمها ضمير الشّأن، أي كانوا أو ضميرهم أي: كأنّهم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى التّحذير والوعيد على الكفّار والمشركين وأنّ لهم عذاب مثل الأقوام السابقة أو أشدّ منها.

في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾.[6]

---

1. سورة هود الآية 45.

2. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1521.

3. سورة هود الآية 46.

4. سورة هود الآية 68.

5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1542.

6. سورة يوسف الآية 03.

﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾: المعنى أحسن الاقتصاص، لأنّه على أبدع طريق وأعجب أسلوب، ألا ترى أنّ الحديث واحد، ولا يدخل في قلبك إذا سمعته من كتب الأوّلين: أو من غير القرآن مطلقاً دخولاً كدخوله فيه إذا سمعته من القرآن[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه أفضل وأحسن من يَقَصُّ القَصَص، وأنّ أجمل قصّة يسمعها المرء هي قَصَص القرآن الكريم لما فيها من عبر وذكرى للذّاكرين، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾[2]، ومثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾[3]، وعليه لابدّ من تعويد أطفالنا على حبّ القَصَص القرآنيّ وسماعها رويداً رويداً، في أيّ يوم وإن كان متعوّداً فقبل النّوم، وذلك أحسن من سماع قَصَص بشريّة خرافيّة آتيّة من نبع الخيال وذات معنى مجرّد وجامد.

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[4]

﴿**لَيُوسُفُ**﴾: اللام لام الابتداء ومعناها التوكيد، ﴿**وَأَخُوهُ**﴾: بنيامين، ﴿**أَحَبُّ**﴾: أخبر بالمفرد عن اثنين، لأنه اسم تفضيل، لأن المراد الإخبار بأنها أشد محبوبية، ﴿**إِلَى أَبِينَا مِنَّا**﴾: عدى (**بإِلَى**) لأنّه لأب فاعل الحب في المعنى، وذلك أن كان من متعدى بنفسه دال على حب أو بغض يعدى باللام إلى ما هو مفعول في المعنى، وبإلي إلى ما هو فاعل في المعنى، نحو: المؤمن أحب الله من نفسه، أي يحب الله أكثر من حبّ نفسه، أي يحب الله أكثر من حبّ نفسه، والمؤمن أحبّ إلى الله من غيره، ﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾: جماعة يعصب بنا الأمور يستكفى النوائب، ولنقوم بحاجته، ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾: في خطأ ظاهر في أريه إذا اختارهما عنا وهما صغيران، لا منفعة

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص 131.

[2]. سورة هود الآية 114.

[3]. سورة المدثّر الآية 31.

[4]. سورة يوسف الآية 08.

فيهما ولا كفاية، ونحن عشرة رجال أقوياء، نقوم بما يحتاج، أحق بالمحبة منهما[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حسد الإخوة ليوسف عليه السلام في حب أبيهم الزائد له مع تنبيه الله تعالى البشرية في إمكانيّة خروج العدو من أهلهم وليحذروا تصرفاتهم بالصّفح والرّد الجميل، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.[3]

﴿**يَرْتَعْ**﴾: روى عن ابن كثير: نرتع ويلعب بالنون في الأول والياء في الثاني، وكسر العين في الأول، قال أبو علي الفارسي: هذه القراءة أحسن لإسناد النّظر في المال والرّعاء إليهم، واللّعب إلى يوسف عليه السّلام لصباه[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى مشروعيّة اللّعب للأطفال وإن كانوا أنبياء عليهم السّلام وعدم جعلهم ينهكون ويعملون في مشاق الكبار فللطّفل الحقّ في عيش طفولته المزهرة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[6]

﴿**إِنَّ النَّفْسَ**﴾: جنس النّفوس، وهذا استئناف للتعليل أو المجرد بيان أمر النفس، كأنه قيل: هل النّفس أمّارة بالسّوء؟، فقال: ﴿**لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾: بدليل التأكيد، فإن حسن إذا كان

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص144.

[2]. سورة التغابن الآية 14.

[3]. سورة يوسف الآية 12.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص 149.

[5]. سورة الإسراء الآية 31.

[6]. سورة يوسف الآية 53.

المخاطب طالبا متردد جنس السّوء، أكد أمر النفس بالجملة الاسمية وبأن وبلام التأكيد وبصفة المبالغة، وذلك أنّها تميل بالطبع إلى الشهوة وتستغرق فيها، وتستعمل القوى والجوارح فيها ما وجدت، ﴿**إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ**﴾: للذّنوب، ﴿**رَحِيمٌ**﴾: بالعصمة لمن يشاء وبالتّوبة على من استرحمه مما ارتكب[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال الأنبياء عليهم السلام وهم في دوام الطّاعة والإخلاص وتأنيب النّفس وتأديبها.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾[2]

﴿**لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا**﴾: عهدا، ﴿**مِنَ اللَّهِ**﴾: بأن تحلفوا به، أو تشهدوه عليه، ﴿**لَتَأْتُنَّنِي بِهِ**﴾: جواب للقسم، أي: حتى تحلفوا بالله لتأتنّني به وهو من الإتيان بمعنى المجيء والإعطاء، ﴿**إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ**﴾: الإحاطة بشيء غالب لكم كسيل لا يطاق، وعدو لا يطاق، وموتكم جميعا، أي لكن الإحاطة بكم أمر تعذرون فيه[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال من طبع على الكذب والتآليف ليصنع المكائد ويحبك الحيل وأنّه سيبقى في نظر الناس كاذباً ومخادعاً، ومهما أتوا موثق على صدقهم فلن يكون كافياً، لذلك لابد للمرء أن يكون صادقاً مع نفسه ومع غيره حتى يكتب عند الله صادقاً.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[4]

﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ**﴾: اختارك، ﴿**اللَّهُ عَلَيْنَا**﴾: بالعلم والعقل، والصّبر والملك، وحسن الصورة، وكمال السّيرة، والصفح والحلم، أو الحسن وسائر الفضائل الّتي أعطاه الله دونهم، أو بالنّبوة

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص227، ص228.

2. سورة يوسف الآية 66.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص253.

4. سورة يوسف الآية 91.

إمّا على أنّهم غير أنبيّاء وإمّا على المراد النّبوة المقرونة بالرّسالة، وكانوا أنبيّاء غير مرسلين، ﴿**وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾: إن المخفّفة، واللّام الفارقة، وقيل: إن النّافية، واللّام الّتي بمعنى إلاّ، وهكذا في مثله، والمراد الخطأ فيما فعلوا معه، قيل يقال: خطأ إذا تعمّد، وأخطأ إذا لم يتعمّد، ولذلك قيل: لخاطئين إذ تعمّدوا، وليس أنسب برءوس الآي من المخطئين كما قيل: فإنّ بعضاً أنسب بالخاطئين وبعضاً بالمخطئين[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى اعتراف إخوة يوسف عليه السّلام بالخطأ وتوبتهم بعد اليقين والإقرار في ما رأوا من حال أخيهم وهو في عزّ وملك ووقار، والله تعالى نصره على حسدهم وخطئهم وبما أنّه سبب خطئهم كان سبب توبتهم وخلاصهم من العذاب والخسران.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]

﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾: أي: ألم أقل لكم لا تيئسوا من روح الله، أو ألم أقل لكم إنيّ لأجد ريح يوسف[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى وعده الحق في إذهاب الحزن والعمى عن سيدنا يعقوب عليه السلام، وإظهار أنّ الله تعالى يعلم ما يعلم الإنسان ويعلم ما عجز الإنسان عن علمه.

في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[4]

﴿**رَبِّ**﴾ : أي: يا ربّ، ﴿**قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ**﴾: أي: شيئاً من ملك الدّنيا، وإلاّ فملك مصر كان قبل ذلك كلّه بيده، ﴿**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾: الكتب، أو الرّأي،

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص296.

2. سورة يوسف الآية 96.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص301.

4. سورة يوسف الآية 101.

﴿**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: أي: موجدهما وخالقهما، قيل أصل الفطر الشّقّ، فطر ناب البعير شقّ وأظهر، ﴿**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾: أي متولي أمري فيهما، ومعيني وناصري، فأنت تصل إليّ منك الدّنيا بملك الآخرة الدّائم، ﴿**تَوَفَّنِي**﴾: أمتني الآن، فعل دعاء على صورة الأمر مبنى على حذف الألف، ﴿**مُسْلِمًا**﴾: كما أنا ولا تختم على بكفر، ﴿**وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾: من آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أو أراد الصّالحين مطلقاً، ولم يأت عليه أسبوع حتّى توفّاه الله سبحانه وتعالى، أتمّ الأسبوع، الغرض منه إظهار الله تعالى حال الرسل والأنبياء عليهم السلام من الدعاء والتضرع الدائم وشكرهم على كل النّعم التي وهبها الله تعالى لهم وكلّ البركات الّتي تفرّدوا بها على غيرهم، فرغم تبشيرهم بالجنة لا يزالون يحمّدون ويسبّحون ويشكرون، فما بالك بالعبد البشري الّذي يجهل مصيره أهي النار أم الجنة !؟، وهو دائم الغفلة والنّسيان وتفضيل الأعمال الدّنيويّة على الآخروية، كتفضيل التّجارة على صلاة الجمعة، وتفضيل سائر الأعمال على الذّكر والصّلاة، وفي ذلك تنقص البركة ويختفي الرضا.

في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾[1]

﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا**﴾: أي: أيقن الرّسل أنّهم قد كذّبهم قومهم إلى الأبد[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الرّسل والأنبياء عليهم السّلام من اليأس والغضب ونفاذ الصّبر وفي المحاولات الشّديدة بإقناع أقوامهم بأن تؤمن بربّها الواحد الأحد وأن لا تشرك به شيئاً، ومن الرّسل عليهم السّلام من تمالكه الغضب مثل سيّدنا موسى عليه السّلام فكسر الألواح، ومنهم من يأس من قومه فهجرهم مثل سيدنا يونس عليه السلام، ومثل سيدنا نوح عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا**

[1]. سورة يوسف الآية 110.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص322.

كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]، ومثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾**.[2]

في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾**[3]

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ**﴾: أي ما في قوم من العافية والنعمة، ﴿**حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾: أي ما فيهم من الأحوال الجميلة بالمعاصي، وغيرها[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى النصح والإرشاد في تغيير أنفسنا من طغيان الشر والعصيان والكفر والغفلة إلى الذكر والرجوع والهيبة والخشية، فلا يقدم الشخص النصح للآخرين وهو أوْلاَ به، ولا يغير من طباع المرء وينسى نفسه، فالبدء من النفس ثم الآخرين، ومن أراد الله له سوءاَ فلا يمكن رده، ولن تكون الأمور كما نحب ونرضى، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾[6]

---

1. سورة هود الآية 36.
2. سورة هود الآية 12.
3. سورة الرعد الآية 11.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص342.
5. سورة النحل الآية 37.
6. سورة الرعد الآية 36.

﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ**﴾: فيما أنزل إليّ، ﴿**أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ**﴾: أي بأن أعبد الله، ﴿**وَلَا أُشْرِكَ بِهِ**﴾: شيئا، ﴿**إِلَيْهِ أَدْعُو**﴾: لا إلى غيره، ﴿**وَإِلَيْهِ مَآبِ**﴾: مرجعي، أي رجوعي للجزاء، والبعث الجزاء ونحو ذلك[1]، الغرض منه إظهار التوحيد والإخلاص لله تعالى في عبادة الواحد الأحد، إليه ندعوا ونلتجئ ونحتمي ونتوكل.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[2]

﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ**﴾: يا بني إسرائيل ما أنعم به عليكم من الإنجاء وغيره، بالإيمان والعمل الصالح، ﴿**لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾: من النعم الدنيوية أو منها ومن الأخروية، ﴿**وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ**﴾: جحدتم النعمة بالكفر والمعصية وجواب القسم محذوف تقديره لأعذبنكم عذاباً شديداً وكنى عنه بقوله: ﴿**إِنَّ عَذَابِي**﴾: في الآخرة أو في الدارين، ﴿**لَشَدِيدٌ**﴾: للكافر ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد كما قال لأزيدنّكم ويكنى عن الوعيد كما رأيت[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تنبيهه للمؤمنين بدوام شكره حتى تدوم النّعم وتزداد وتنموا، ومن كفر النّعمة فله حرمانها أو نقصانها أو عذاب شديد.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[4]

﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ**﴾: عن شكركم وشكر سائر الخلق وعن كل شيء، ﴿**حَمِيدٌ**﴾: مستحقّ للحمد في ذاته، أو مستوجب للحمد في صنعه جميعاً، لأنه متفضّل عادل كثير النّعم وإن لم يحمده

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص385.

2. سورة إبراهيم الآية 07.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص400.

4. سورة إبراهيم الآية 08.

الحامدون أو محمود عند الملائكة وعند سائر الخلق ممن لم يكفر من عاقل وغيره وحيوان وجماد[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى قوته وكماله بحيث لا ينقص منه شيء بكفران مشرك ولا يزداد فيه شيء بإخلاص مؤمن وأن الله تعالى غنيّ عن العالمين.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2]

﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ**﴾: إبليس خطيباً في أشقياء الإنس والجن، قيل يسمع خطبته كل أحد، ﴿**لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ**﴾: فرغ منه بأن دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة وقد اجتمع بالأشقياء في النار، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ**﴾: وعداً صادقاً حقيقاً بالوفاء وهو الوعد بالبعث والجزاء فيوفى به، ﴿**وَوَعَدْتُكُمْ**﴾: وعداً باطلاً كاذباً وهو أن لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، وإن كان شفعت لكم الأصنام، ﴿**فَأَخْلَفْتُكُمْ**﴾: سمى ظهور خلاف ما وعدهم اختلافاً منه على طريق التّجوّز أو أرهم في هذا الوقت أنه في وقت الوعد فمعتقد للوفاء وقادر عليه لكنه أخلفهم وهذا على طريق الكذب فإنه في وقت الوعد عالم بأنه لا طاقة له بالوفاء، ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ**﴾: قوة قهرتكم بها على الكفر والمعاصي كالعصا والسيف والإحراق والسجن، ﴿**إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ**﴾: أظهر كأنّه قال لكن دعوتكم إلى الكفر والمعاصي، ﴿**فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**﴾: أجبتم دعائي قبل أن تنظروا في دلائل الرسل بلا مهلة، ﴿**فَلَا تَلُومُونِي**﴾: على دعائي إياكم، ﴿**وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾: إذا اتبعتموني تقليداً أو عصيتم ربكم مع دلائله وبراهينه، ﴿**مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ**﴾: مغيثكم من العذاب، ﴿**إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ**﴾: أي كفرت بإشراككم

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص401.

[2]. سورة إبراهيم الآية 22.

إياي بالله في الطاعة من قبل هذا اليوم في الدنيا ومعنى الكفر بإشراكهم التّبرّؤ منه واستنكاره، ﴿**إِنَّ الظَّالِمِينَ**﴾: المشركين والمنافقين، ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾: هذا من كلام الله جل جلاله ويحتمل أن يكون تتمة لكلام اللعين إبليس وإنّما حكى الله سبحانه وتعالى كلامه الذي سيقوله لتقشعر عنه قلوب الناس فيستعدوا لذلك الوقت ويحاسبوا أنفسهم، الغرض منه إظهار الله تعالى رجوع الشّيطان الرّجيم من العصيان إلى التوبة، وما كان موثوقاً بين البشر وبينه في الدّنيا مجرّد دعوة ووسوسة انجرّوا حولها بدون قيود واللّوم كلّه يعود على النّفس الأمّارة بالسّوء وأنّه يوم القيامة لا ينفع منهم أحد سوى عمله، وكفر الشّيطان الرّجيم بسبب مشاركته بني آدم في التّفضيل والمعزّة، ومنه أتى الحسد والّذي كانت منه اللّعنة.

في قوله تعالى: ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[1]

﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ**﴾: أي: كلّ إنسان ولو بلغ ما بلغ في العبادة، ﴿**لَظَلُومٌ**﴾: شديد الظّلم للنّعمة بإغفال شكرها لقوتها وكثرتها، أو شديد الظّلم لنفسه بتعرضه للحرمان، وذلك على عمومه، ﴿**كَفَّارٌ**﴾: شديد الكفران بالنّعمة أي بعيد عن شكرها على التمام، والكفّار الجحود لنعم الله[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى حسنه ونعمه الّتي وسعت الكون خلقت وسخّرت من أجل البشر، لكن الإنسان دائم الغفلة والكفر بالنّعم، لا يقنع ولا يرتاح ظالم لربّه بيقين أو بجهل، ولا بد للعبد المؤمن أن يتدبّر في الكون لإحصاء النّعم وإن لم يستطيع، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]

---

[1]. سورة إبراهيم الآية 34.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص435.

[3]. سورة النحل الآية 18.

في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[1]

﴿**إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾: قابله ومجيبه، يقال سمع الملك كلامي أي اعتد بكلامي وقبله منه قول المصلى سمع الله لمن حمده، وهو متضمّن لدعاء إبراهيم الّذي دعا به عند فراق هاجر[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى امتنان الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام على ربّهم تعالى في حمده وشكره على جزيل النّعم في الدّنيا والآخرة.

في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[4]

﴿**وَلَوْ شَاءَ**﴾: هدايتكم أجمعين هداية إيصال وتوفيق إلى قصد السّبيل، ﴿**لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾: باختياركم فيثيبكم أو بالجبر فيثيبكم ولكن الحكمة تقتضى أن لا يجبر أحداً على إيمان ولا كفر لأن المدح والذم والثواب والعقاب يبطلن في الجبر فهو كالعبث تعالى عنه وأما هداية البيان فقد هدى المكلّفين كلّهم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى غايته العظمى في هداية النّاس أجمعين، لكن لحكمة كان الاختيار بين الإيمان والكفر ومنهما جعلت الجنّة والنّار.

في قوله تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾[6]

---

[1]. سورة إبراهيم الآية 39.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص447.

[3]. سورة آل عمران الآية 38.

[4]. سورة النحل الآية 09.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص69.

[6]. سورة النحل الآية 25.

﴿**أَلَا**﴾: حرف استفتاح وتنبيه وتوكيد لمضمون الجملة، ﴿**سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾: بئس ما يزرون ما يذنبون والمخصوص بالذم محذوف أي ذنوبهم أو بئس ما يحملونه من الأثقال وهو أفعالهم وأقوالهم وذلك وعيد وتهديد[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحذيره على الكفّار الذين أكثروا الفساد وطغوا في البلاد، وأنّ كلّ ما عملوا من سوء سيحملونه فوق ظهورهم ليشعروا بثقلها ووقعها في جهنّم.

في قوله تعالى: ﴿**لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**﴾[2]

﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ**﴾: قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء أو لأنّهم يقولون أنّهم مجبرون، أو أنّ تلك العبادة حسنة وإلاّ لصرفنا الله عنها، وفي قولهم لا بعث، وغير ذلك من الاختلافات الّتي بُعِثت من أجلها الرّسل عليهم السّلام[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى قدرته وعلمه الأزلي بكلّ شيء فهو يعلم صدق عباده من كذبهم، ويعلم ما تلج الصّدور من نيّة الإخلاص أو نيّة النّفاق، أو نيّة الكفر.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[4]

﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ**﴾: إنّما قولنا لشيء إذا أردنا إيجاده، ﴿**أَنْ نَقُولَ لَهُ**﴾: بقولنا، ﴿**كُنْ**﴾: من الكون التّام بمعنى الحدوث والوجود، ﴿**فَيَكُونُ**﴾: كأنه قيل فهو يكون أي يحدث ويتحصّل في الحال بسبب قولنا[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى مشيئته وقدرته في إرادة

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص84.

2. سورة النحل الآية 39.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص98.

4. سورة النحل الآية 40.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص99.

الكون وخلق المستجدات، وأنه ليس بيد الإنسان أن يتدخّل في نوعيّة الخلق أو كيفيته، وأن يغير مصيره أو يعلم به سوى الله تعالى سبحانه.

في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾[1]

﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ**﴾: بمقادير أعماركم وتدبير الخلق وبكل شيء، وقيل عليم بما صنع بأوليائه وأعدائه، ﴿**قَدِيرٌ**﴾: على ما يريد من إماتة الشاب أثناء الهرم وغير ذلك[2]، إظهار الله تعالى أطوار خلق بني آدم ومنهم من يتوفى وهو صغير ومنهم من يرد الى الكبر، والله تعالى هو المتحكم والعالم بالأقدار والأعمار.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾: الإتيان بالقدر الواجب من الطاعات، فإن نقص منه كان النّقص جوراً وهو ضد العدل، والجور الميل عن الحق، ﴿**وَالْإِحْسَانِ**﴾: التأنّق في الواجب والاجتهاد في تصفيته، ﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾: أي إعطاء ذي القربى حقه وما يحتاج إليه، والمراد صلة الرحم القريبة والبعيدة تصلها بمالك، وإن لم يكن فدعاء حسن وتودّد بالقول والإعانة، ﴿**وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ**﴾: بالنّهي عن فعل المعصيّة الّتي هي أكبر كبار الذّنوب كالزّنا وقتل الإنسان المحرّم القتل، وغيرها، ﴿**وَالْمُنْكَرِ**﴾: مالا يعرف في الشريعة ولا في السنة، فالعقول السّليمة يكون عندها غير مألوف وتنفر منه، ﴿**وَالْبَغْيِ**﴾: الاستعلاء على النّاس والتّجبّر عليهم، وهي

---

1. سورة النحل الآية 70.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص133.

3. سورة النحل الآية 90.

الشّيطنة التي هي مقتضى القوة الوهميّة، ﴿**يَعِظُكُمْ**﴾: يأمركم وينهاكم، ويميّز لكم بين الخير والشر، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾: تتّعظون[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عدله في تقسيم الأرزاق والخيرات والنّعم، وأنّ الله تعالى هو المحسن العظيم، أعطى كل ذي حق حقه، وأوصى بإيتاء ذي القربى في توطيد صلة الرّحم، وأن ننهى عن المنكرات ونأمر بالمعروف ما استطعنا إليه سبيلا.

في قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]

﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا**﴾: يتناول الذّكر والأنثى، ﴿**مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾: دفعاً لتخصيص الذكر لأنه المطابق للّفظ ومبالغة في تقرير الوعد وتعميمه، ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾: مخرج للكافر فإنّه لا يثاب على عمله الصّالح في الآخرة بل في الدّنيا فقط، ﴿**فَلَنُحْيِيَنَّهُ**﴾: الفاء رابطة لجواب الشّرط ولنحيينه جواب قسم محذوف والقسم وجوابه جواب الشرط أي: فو الله لنحيينه، ﴿**حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾: في الدّنيا بالقناعة وذهاب ضيق الصّدر وبالرّزق الحلال كثيراً، ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ**﴾: في الآخرة[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى ترغيب المؤمنين في حبّ الآخرة وتشويقهم في نيل الجنّة والرغبة في السّعي بالإيمان والعمل الصالح لأنّ شرط العمل الصّالح الإيمان والإخلاص.

في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[4]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص156، ص158.

[2]. سورة النحل الآية 97.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص166.

[4]. سورة النحل الآية 118 – 119.

﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا**﴾: انتسبوا لليهوديّة أو تسلّموا بها، ﴿**حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ**﴾: في سورة الأنعام إذ قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ**﴾[1]: الآية ومن قبل متعلّق بقصصنا والقبليّة باعتبار النّزول وباعتبار ترتيب السّور على ما قالوا إنّ ترتيبها بالوحي ويجوز تعليق من قيل بحرّمنا: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ**﴾: بتحريم ذلك، ﴿**وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: في تحريم ذلك بفعل ما عوقبوا به عليه وفي الآية فرق بين اليهود وغيرهم في تحريم ذلك عليهم بالعقوبة وإنّ التّحريم قد يكون لذلك وقد يكون مصلحة ودفع مضرة[2]، ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ**﴾:كالافتراء على الله سبحانه والشّرك وسائر المعاصي، ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾: الباء للسّببيّة متعلّقة بعملوا أو للإلصاق، متعلق بمحذوف حال أي متلبسين بجهالة والجهالة الجهل، ﴿**ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾: من الجهالة وعمل السّوء بعد فعله، ﴿**وَأَصْلَحُوا**﴾: عملهم، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾: أي بعد الجهالة التي تابوا منها أو بعد التوبة منها، يثيب على الإنابة[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تبشير المؤمنين المخلصين الّذين يتوبون فور إذنابهم وخطئهم عن جهل منهم، فإنّ الله تعالى عرف اسمه دائماً بالرّحمة والمغفرة.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾[4]

﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾: قيل اتقوا الله بتعظيم أمره من فعل ذلك فإنّ الله معهم بالنّصر والمعونة، ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾: في أعمالهم بأداء الفرض وزيادة بالنّفل والرّغبة فيما ندبوا إليه

1. سورة الأنعام الآية 146.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص196.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص197.

4. سورة النحل الآية 128.

كالعفو وغيره[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تبشير المؤمنين الأتقياء بأن الله تعالى معهم أينما كانوا وارتحلوا، ويجعل لهم نوراً يمشون به.

في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[2]

﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾: نملي ونقرأ عليك بواسطة جبريل خبرهم بالصّدق، ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**﴾: وهو الله جلّ وعلا لا ربٌّ غيره، ﴿**وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾: إيماناً وبصيرة بالتّثبيت والتّوفيق[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تذكير المؤمنين بقَصص القرآن الكريم للاتعاظ والهداية وأخذ العبرة.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[4]

﴿**إِنَّهُمْ**﴾: أي: أصحاب المدينة المشركون، ﴿**إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**﴾: أي: إن يطلعوا عليكم أين أنتم أو يظفروا عليكم، ﴿**يَرْجُمُوكُمْ**﴾: يقتلوكم بالرّمي بالحجارة وكان من عادتهم القفل بها وهو أخبث النقل، وقيل : يعذبوكم، وقيل: يشتموكم بالقول، ﴿**أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ**﴾: أي يتسبّبوا في رجوعكم إلى ملّتهم الّتي كنتم فيها من الشّرك بأن يضيّقوا عليكم حتّى ترتدّوا، أو المعنى: يطلبوكم أن ترجعوا في ملّتهم، وإنّما تكلّفت الوجهين لأنّ العود في الملّة إنّما يكون عن القلب فلا بتصوّر فيه الإعادة بالقهر بل بالأسباب الّتي يذعن إليها للقلب اللّهم إلاّ أن أرادوا الإعادة بحسب الصّرة بأن يمنعوهم عن ذكر الله بألسنتهم ونحو ذكره من العبادة للظّاهرة ويجبروهم على فعل ما لا يجوز لغير المضطر، وقيل: إن أصحاب الكهف لم يشركوا قط، فمعنى إعادتهم في الشّكر تصييرهم إليه

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص209.

2. سورة الكهف الآية 13.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص427.

4. سورة الكهف الآية 20.

واستعمال العد بمعنى الصيرورة كثر في كلامهم، ﴿**وَلَنْ تُفْلِحُوا**﴾: لن تنجوا من عذاب الله ولن تفوزوا بنعيمه الدائم ورضاه، ﴿**إِذًا أَبَدًا**﴾: إن دخلتم في ملتهم واعتقدتموها[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال المشركين المطبّعة على الكفر والتمرّد، وأنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يتّبعون ملّتهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ**﴾[2]، ومن استجاب لهم وانصاع إلى أهوائهم لن يفلح أبداً، وبتّالي الرّضا بالقتال وبدأ الحرب أهون من الخسران الدّنيويّ والأخرويّ.

في قوله تعالى: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾[3]

﴿**فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا**﴾: رأى المشركون والمنافقون النّار فأيقنوا أنّهم مواقعوها فلم يجدوا أن يخرجوا منها لإحاطتها بهم من كلّ جانب بعد وقوعهم فيها، أو لأنّ الملائكة تردّهم إليها إذا أرادوا أن يخرجوا منها[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم شدّته في محاسبة المجرمين الّذين غفلوا عن ذكر الله تعالى وانغمسوا في الشّرك واتخاذ الشّياطين في تدابيرهم وأمورهم الدّينيّة والدّنيويّة، فلا محال أنّ لهم نار الجحيم محيطة بهم من كلّ جانب وكلّ ما فروا منها اقتربوا إليها.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[5]

﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾: أكّد نفي الصّبر بالجملة لا اسمية إنّ، وكون النّفي بلن وينفي الاستطاعة فإنّ نفي الاستطاعة على الشيء أوكد من نفي الشيء في استطاعته يصيره

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص440.
2. سورة الأنفال الآية 50.
3. سورة الكهف الآية 53.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص02.
5. سورة الكهف الآية 67.

متعذراً ومحالاً[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى طبيعة البشر المحبة لاستعجال الأمور، كما قال تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾[2]، فينتابها الفضول في معرفة ما تجهله وعليه لابد للإنسان أن يتريث ويتثبّت بالصبر، فربما فما يستعجل علمه شر ونكد، أو خيبة وخسران، أو سوء ظنّ وجهل، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾.[4]

﴿**فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا**﴾: أبوا أن يقبلوا ضيافتهما أي نزولهما بهم ضيفين يقال: ضاف به أي نزل به ضيفا وأضافه أي قبله فقام به، ولم يرده أو من أضافه كضيفه، بمعنى أنزله وأقام به وأصل تركيب الإسناد والميل والاستناد، والإمالة أضاف ظهره للحائط أسنده إليه وضاف ظهره للحائط أسنده إليه وضاف السّهم عن الرّميّة أي مال[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنه على الضّيف أن يحسن التّصرّف حتى وفي أسوء مقابلة[6]، وبالرغم من صد الضيافة وسوء الاستقبال إلاّ أن أمر المساعدة ضروريّ ولا بد من مقابلة السّيّئة بالحسنة، وهذه هي خصال المسلم المؤمن الصّبور، كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾.[7]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص21.

[2]. سورة الأنبياء الآية 37.

[3]. سورة الكهف الآية 76.

[4]. سورة الكهف الآية 77.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص32.

[6]. أبو البركات النسفي، المصدر السابق، ج02، ص 313.

[7]. سورة القصص الآية 54.

في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[1]

﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾: أي يظنّونه، عملاً يجازون به معجبين به، ومعتقدين أنّهم محقّون[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تنزيل أعمال الكفّار منزلة السّافلين، وأنّ كلّ ما يصنعون ويظنّوه منفعة لهم في الدّنيا فصلاحيته منتهيّة هناك، فيخسرون ولا ينفعهم هنالك في الآخرة.

[1]. سورة الكهف الآية 104.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص77.

المبحث الثّاني: الأسلوب الإنشائي

المطلب الأوّل: مفهوم الأسلوب الإنشائي لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الأسلوب الإنشائي لغةً

نشأ بمعنى بدأ، ومن أسماء الله تعالى المبدئ وهو الّذي أنشأ الأشياء واخترعها، أي: ابتداءها من غير سابق[1]، وأنشأ الله تعالى الخلق فنشئوا وننشئهم النّشأة الأخرى وأنشأ حديثاً وشعراً وعمارةً، نشأت وأنشأت أي نهضت ونشأت السّحابة وأنشأها الله، ورأيت نشأ من السّحاب وهو أول ما يبدو[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ**﴾.[3]

ثانيّاً: تعريف الأسلوب الإنشائي اصطلاحاً

هو ما لا يصحّ أن يقال لقائله ذلك[4]، أو هو إلقاء الكلام الّذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه الكلام الملقى الّذي له الصّفة المتقدّمة[5]، وينقسم بالاعتبار الأوّل إلى:[6]

1.طلبي: يعرف بأنّه ما يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، وهو خمسة أنواع أو ستّة أنواع: الأمر، النّهي، التّمني، الاستفهام، النّداء.

2.غير طلبي: هو ما يستدعي مطلوباً حاصلاً، وأنواعه كثيرة، منها: صيغ المدح والذّم، العقود، القسم، التّعجب، إنشاء التّوجّع أو التّفجّع، ونحوهما.

---

1. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج01، ص46.
2. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، المصدر السابق، ج02، ص268.
3. سورة الرحمن الآية 24.
4. حسين جمعة، المصدر السابق، ص37.
5. أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج01، ص61.
6. عبد الرحمن حسن حبنكة، المصدر السابق، ج01، ص221.

المطلب الثّاني: توظيف الأسلوب الإنشائي من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[1]

﴿**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾: استفهام توبيخي، أي ما منعك أن تسجد وقد أُمِرت حقّاً[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى إظهار العناد والكفر والكبر والافتخار الّذي تميز به إبليس اللّعين، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[3]، وقد طبع منه على الكثير من أتباعه الإنس والجن فكان خير مدرس وكانوا أهلا لتلك الطّباع فتعلّموا وعلّموا من أنواع الشرّ والفساد.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[4]

﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾: استفهام تخييبي وإهلاكي[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الشّيطان الرّجيم من التّجبّر والتّعنّت على حكم الله تعالى في أفضليّة البشر عن سائر المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾[6]، حتّى عن الملائكة وهم في تعبّد وتهلّل مستمر، في حين الإنسان دائم الزّلل والأخطاء، والأمر النّاتج عنهما كون الملائكة معصومين من الوقوع في الإثم، أمّا البشر فهم بين تناقض النّفس والشّيطان الرّجيم، وبين الفطرة السليمة.

---

1. سورة الأعراف الآية 12.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 19، ص20.

3. سورة ص الآية 75.

4. سورة الأعراف الآية 16.

5. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج06، القسم الثاني، ص 24.

6. سورة البقرة الآية 34.

في قوله تعالى: ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1]

﴿**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ**﴾: أي عن أكل ثمرها، استفهام توبيخي، وهذا هو العهد الّذي نسيّه آدم عليه السّلام حين قال له ربّه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أمر الشّيطان الرّجيم لم يسلم منه حتى الأنبياء والرّسل عليهم السلام، بداية من سيّدنا آدم عليه السّلام إلى غاية معظم الأنبياء عليهم السّلام، وأنّ البشر ليسوا معصومين من آذاه،ووسوسته اللّعينة، وأنّه على الإنسان المؤمن أن يحاربه بالصّبر والصّلاة والقيام بالصّدقات وفعل الخيرات والاستعاذة منه متى تذكّر واستذكر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[4]

﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**﴾: لا يضلكم عن طريق الهدى، أي: احذروا أن يتأثر فيكم إغواءه ولا تبتغوه، فالنهى لهم ولو كان بحسب اللفظ للشيطان، ﴿**كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ**﴾: أباكم آدم وأمكم حواء، ﴿**مِنَ الْجَنَّةِ**﴾: أي كما فتنهما بإخراجهما منها، وأنتم أهون في الإضلال منهما عنده وأسهل فاحذروا، ﴿**يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا**﴾: كأنه قيل: أخرجهما نازعا لباسهما، ولا يخفى ما في الآيات من الدلالة على فتن الكشف، وأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى،

---

1. سورة الأعراف الآية 22.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص38، ص39.

3. سورة الأعراف الآية 200.

4. سورة الأعراف الآية 27.

﴿**لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**﴾: الرّؤية بصرية، قال مجاهد: إنّ المراد هنا التّقوى وإنّ السَّوْءة المعاصي، ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾: أي جنوده وهم الجنّ والشّياطين[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى نهيه وزجره في إتباع الشّيطان وأهوائه، وأنّه من اتّبع الشّياطين واتخذهم أوليائه في الفتنة والفساد هم في الخسران سواء، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2]، ومن اتّبع الرّضوان والطّريق المستقيم فالله تعالى حسبه ووليّه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[4]

﴿**أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾: استفهام توبيخي، والمراد منه إنكار أن يكون ما يقولون حقّا، أو إنكار أن يصحّ لهم أن يقولوه، فإنّه لم يأتكم به ملك أو نبيّ من الله تعالى، وكيف وقد أنكرتم النّبوّة، ولا تقدرون على الاستماع من ملكن وكذا آبائكم،[5] الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه الفاضل لا تصدر منه فاحشة وأنّه لا يأمر عباده بالفواحش وإنّما بحب الخير وزرعه في جميع النّفوس، وعلى حبّ الاستقامة والنّزاهة، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾.[6]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص48، ص49.

[2]. سورة المجادلة الآية 19.

[3]. سورة الطلاق الآية 03.

[4]. سورة الأعراف الآية 28.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص54.

[6]. سورة النحل الآية 90.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[1]

﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾: استفهام إنكاري التّوبيخ، أي أنّ صحّة تحريمها غير صحيح ومنكر[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه وحده من يحرّم الأشياء من الطّيبات وغيرها وهو من يحلّلها، وأنّه لا أحد من عباده له الحق فيجترأ فيغير شرع الله تعالى في التّحريم والتّحليل، وأنّ الطّيّبات خصّها للمؤمنين في جنّة الخلد يتنعمون بها ويشتهون من طيب طعمها ومن ريحها الزّكية، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾[4]

﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**﴾: استفهام إنكاري، في تقولهم على الله تعالى ما لم يقله، وتكذيبهم بالقرآن الكريم، ﴿**قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: استفهام توبيخ وتبكيت في أمر دفع العذاب[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ حال الكفّار والمشركين لن يدوم طويلاً مع تكذيب رسلهم عليهم السّلام والمعارضة الشّنيعة للآيات والمعجزات الرّبّانيّة فحتماً سيصيبهم العذا، ولن يكون لهم نصيب من المغفرة والهداية، كما في قوله تعالى:

---

1. سورة الأعراف الآية 32.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص61.

3. سورة الطور الآية 22.

4. سورة الأعراف الآية 37.

5. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص68، ص69.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾: أمر تعجيزي[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى إصرار الكفّار على إنكار النّبوّة وتكذيب الرّسل عليهم السّلام بوضع عراقيل تكون سبباً لإعاقة مسير الدّعوة الإسلاميّة، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[5]

﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: استفهام إنكاري، أي: لم يغني جمعكم شيئا، وكنتم تستكبرون على الحق والخلق[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ مهما كثر عدد الكفّار والمتكبّرين على الآيات ومهما بلغت قوّتهم أقطار المعمورة إلاّ أنهم صغار ضعاف أمام القوّة الإلهية، بحيث تكون صدورهم منكشفة على وجوههم، لا منفعة من جمعهم الكبير ولا من تحالفهم

[1]. سورة الزمر الآية 58.

[2]. سورة الأعراف الآية 38.

[3]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الأول، ص66.

[4]. سورة يونس الآية 39.

[5]. سورة الأعراف الآية 48.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 88.

الأعظم، كما قال تعالى: ﴿**مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾[2]

﴿**أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ**﴾: استفهام تقريري، أي هؤلاء الّذين حلفتم لا يدخلون الجنة[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى وعده الأحق على المؤمنين بأنّ لهم رحمة في جنّة الخلد، وأنّ لهم فيها سكن، وراحة، وطمأنينة، لا يعتريهم خوف ولا حزن، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾[4]، على عكس المشركين بأنّ لهم اللّعنة في دخول جهنّم، عذاب وآلام شديدة، مستمرة لا راحة لهم منها، كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[6]

﴿**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ**﴾: استفهام، كأنه قيل: وهل نرد إلى الدّنيا فنعمل غير الّذي كنّا نعمل فنبدّل الكفر والمعصيّة بالإيمان والطّاعة،

---

1. سورة الجاثية الآية 10.

2. سورة الأعراف الآية 49.

3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص89.

4. سورة الزخرف الآية 68.

5. سورة غافر الآية 52.

6. سورة الأعراف الآية 53.

ولو رُدّوا لعادوا إلى ما كانوا عليه سابق في علم الله[1] الغرض منه تبيين الله تعالى الحال التي وصل إليها الكفّار والمشركين من خيبة الأمل واليأس المهلك، حين رؤية المصير المخيف والمؤلم من رؤيتهم لجهنم، والعذاب الذي يغيّم على كل مكان، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[3]

﴿**أَجِئْتَنَا**﴾: استفهام توبيخ وتهكم، يحتمل أنه كان يعبد الله تعالى في موضع معتزلا عنهم، ولما أوحي إليه جاءهم ليبلغ، فاستبعدوا أن يعبدوا الله وحده ويتركوا ما ألفوه من عبادة الأصنام، ووجدوا عليه الآباء[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم في استهزاء دائم على الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام، وردّت فعلهم الشّنيعة والمحقّرة لأمر الوحي والرّسالة، كما قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**﴾[5]، فلم تنفع معهم رؤية البيان والمعجزات، كما قال تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[7]

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص94.
2. سورة العنكبوت الآية 54.
3. سورة الأعراف الآية 70.
4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 133.
5. سورة الأنبياء الآية 67.
6. سورة آل عمران الآية 138.
7. سورة الأعراف الآية 71.

﴿**أَتُجَادِلُونَنِي**﴾: استفهام توبيخي وإنكاري[1]، الغرض منه تبيين الله الحال الّتي وصل إليها الكفّار حتّى جادلوا أنبياءهم عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[2]، على الأصنام والتّماثيل الّتي ليس لها حسّ الجدال والخصام كلّه، فما عسى أن تحمي نفسها وأن ترد على الكلام كلّه فكيف لها أن تدافع عن أتباعها وأن ترفع الباطل عنهم، وأن تنزع عنهم الغشاوة والجهل والظّلال.

في قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[3]

﴿**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ**﴾: استفهام توبيخ وتقريع وإنكار، أي: الفاحشة ما عظم قبحه، وإنكار لجوازها[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال كفّار قوم سيّدنا لوط عليه السّلام وما وصلوا إليه من ارتكاب الفواحش وفعل المنكرات ما سبقهم إليها أحد من العالمين، وفي هذا تحذير وتنبيه لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم بأن تعيد نفس الفعل وتكرره، كما قال النّبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ**".[5]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾[6]

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 134.

[2]. سورة النجم الآية 23.

[3]. سورة الأعراف الآية 81.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 162.

[5]. أحمد بن حنبل، المصدر السابق، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم الحديث1509، ج23، ص317.

[6]. سورة الأعراف الآية 88.

﴿**قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾: استفهام إنكار وتعجب وتقرير، أي: أنعود فيها ولو كنّا غير كارهين، لأنّ أمر الدّيانة يكون برضا من القلب لا بالإكراه[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظمته وحكمته على العباد، وجعل لهم سبل الاختيار فلا إكراه في الدين، كما قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[2]، فمن شاء أراد الإيمان ومن شاء أراد الكفر، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[3]، وكلٌّ عَلِم بالجزاء والمصير إمّا مصيره الجنّة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ**﴾[4]، وإمّا مصيره النّار، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾[6]

﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى**﴾: استفهام إنكاري والمراد إنكار استقامة الأمن، والتّوبيخ على ما مر[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى المصير المحتوم على القرى الظّالمة بأنّ لهم عذاب لا مفرّ منه، وأنّه آتٍ لا محالة، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾.[8]

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 177.
2. سورة البقرة الآية 256.
3. سورة الكهف الآية 29.
4. سورة البروج الآية 11.
5. سورة البقرة الآية 126.
6. سورة الأعراف الآية 97.
7. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج06، القسم الثاني، ص 185.
8. سورة الشعراء الآية 101 – 102.

في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾[1]

﴿**أَوَلَمْ**﴾: استفهام للإنكار أو التقرير[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه لا شكّ في وجود العذاب ولا شكّ في معاقبة المشركين والمتكبّرين على الآيات الدينية والبراهين الكونية، وأنّ العقاب يمكن أن يسبق أوانه فيصيبهم من تحتهم وهم لا يشعرون، كما في قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[4]

﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ**﴾: استفهام توبيخي وتهديدي إنكاري، إنكار أن يكون إيمانهم جائزا مسرعاً[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى الجبروت الفرعوني الذي كان مسلّطا على شعبه بحيث سلب لهم حرّيتهم في المعتقد والدّين، فقد مرّر على المؤمنين التّابعين لسيدنا موسى عليه السّلام أن يعلنوا دينهم الجديد وهو التّوحيد وترك الآلهة والتّماثيل، لكن الله تعالى بقوّته وعظمته دمّر ذلك الجبروت والطّغيان ونصر رسوله موسى عليه السّلام ومن اتّبعه من المؤمنين الصّالحين، كما في قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.[6]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 100.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثاني، ص 187.

[3]. سورة الزمر الآية 25.

[4]. سورة الأعراف الآية 123.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج06، القسم الثاني، ص 204.

[6]. سورة آل عمران الآية 11.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1]

﴿**أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا**﴾: استفهام إنكار عليهم أو توبيخ أو تعجب[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى الصّعاب الّتي مرّ بها الأنبيّاء والرّسّل عليهم السّلام في إقناع شعبهم بالتّوحيد وأنّ هناك إله واحد لا شريك له فكل قوم تمسكوا شديد التمسك بدين آبائهم وأجدادهم في عبادة الأوثان والأصنام، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾[3]، وقد حاربوا من يدمّرها لكن اختيار الله تعالى لتلك الأنبيّاء والرّسّل عليهم السّلام لم يكن عبثا فقد كانوا قدر المسؤولية نشروا الدّين الإسلامي بشتى طرقه التوراتية والإنجيلية والزبورية وغيرها، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ**﴾[4]، وتوحيد العالم بأسره على دين واحد يدعوا إلى ربّ واحد خالق لهذا الكون العظيم سبحانه وتعالى.

في قوله تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾[5]

﴿**وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾: استفهام استعطاف، أي: إيّاي وهؤلاء السّبعين؟، وهم من طلب الرؤية من السبعين إن طلبها بعض دون بعض، أو هم السبعون على أنهم طلبوها كلهم أو طلبها بعض ورضي بعض، وإنّما خاف الهلاك على غير السفهاء زيادة في الخضوع، أو لأن عذاب الدنيا قد يعم، أو لأنه طلب الرؤية زجرا لهم من غير أن يؤذن له في

---

1. سورة الأعراف الآية 140.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 231.

3. سورة لقمان الآية 21.

4. سورة التوبة الآية 111.

5. سورة الأعراف الآية 155.

ذلك[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى استعطاف سيّدنا موسى عليه السلام حاله وحال القوم الذين معه راجياً الله تعالى خوفا من الهلاك ونزول العذاب وذلك بسبب اختيار الرؤية بدون وحي من الله تعالى، وحينها قال له الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[3]

﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾: سؤال توبيخ وتقريع وإقرار، لا سؤال استخبار، اسأل بني إسرائيل الذين في زمانك يا محمد، لأنّه صلى الله عليه وسلم عالم بما يسألهم عنه من قديم كفرهم وعنادهم ومجاوزتهم حدود الله، وإذا أعلمهم بما لا يعلم إلاّ بوحي، أو تعليم أو قراءة من كتاب، وليس بمتعلم من أحد ولا بقارئ كتابة، كان ذلك معجزة تدلّ على أنّه رسول من الله، إذ ما يسألهم عنه وهو الاعتداء كان من أسلافهم، وعن بعض العلماء: أنّ اليهود قالوا للنّبي محمد صلى الله عليه وسلم: إنّ بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما أمروا به، فنزلت الآية موبّخة لهم ومقرّرة[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في توبيخ كفار قريش الذين نكروا عصيانهم المتجدد مع كل وحي جديد لكن القرآن الكريم قد شمل جميع المكائد والمؤامرات التي حدثت في الأزمنة الماضية ولم يكن عليه التغاضي أو التّجاهل أو التّخفي، كما له القدرة على التّنبّؤ بما يحصل في الحاضر أو المستقبل.

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص218.
2. سورة الأعراف الآية 143.
3. سورة الأعراف الآية 163.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص235.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[1]

﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا**﴾: استفهام حقيقيّ أو تعجّبيّ، وقالوا ذلك على غلبة الظّن، وما عهد من فعل الله تعالى في تلك الأزمان بالأمم العاصيّة[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال المعهودة للأمم الّتي عرفت الهلاك والعذاب عن غيرها من الأمم الّتي أخّر عذابها إلى يوم القيّامة، ولم يرى أهلها حاجة في وعضهم وتقديرهم، بما أنّهم قوم مهلكون أو معذّبون، لكن معذرة لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، كما قال تعالى: ﴿**لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[4]

﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**﴾: قلنا لهم خذوا التوراة بقوة الجد والعزم على تحمل المشاقة، ﴿**وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ**﴾: من الأمر والنّهي والقدرة، وغير ذلك ولا تنسوه واعملوا به، أو اذكروه بالعمل ولا تتركوه، أو اذكروا ما فيه من الثّواب العظيم فترقّبوا[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في التّشديد على أخذ الآيات بقوّة، ودوام الذّكر والتّدبر.

في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾[6]

﴿**فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾: استفهام إنكاري وتوبيخي وتعجّبيّ، أي: لا حديث ينفعهم الإيمان به بعده، فإنّهم بعده يؤمنون بجميع الآيات، ولا ينفعهم ذلك[1]، الغرض منه تبيين الله

---

1. سورة الأعراف الآية 164.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص238.

3. سورة الطّلاق الآية 01.

4. سورة الأعراف الآية 171.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص248.

6. سورة الأعراف الآية 185.

تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفّار في شدّة الإنكار والتّكذيب، وأنّه كيف لكلّ هذه البراهين والأدلّة في خلق عظم السّموات والأرض وتسخير كلّ تلك النّعم المرئيّة والخفيّة مصرّين على الكفر، وبعد كلّ ما شاهدوا لم يبقى لهم سوى انتظار أجلهم، كما قال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُون**﴾[2]، ورؤيتهم للقيّامة والعذاب المنتظر وما عساهم سوى التحسرّ، كما قال تعالى: ﴿**أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ**﴾[4]

﴿**أَلَهُمْ**﴾: استفهام إنكاري وتوبيخي[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار المظلّلة وهم يعبدون أصنام جامدة لا تنطق ولا تتحرك باعتبارها إله يدبّر هذا الكون وكيف لصنم صغير ضعيف أن يخلق عظم السّموات والأرض والبحار والمحيطات والجبال والصّخور، وهو إذا عمّ ماء البحر أو المطر على قرية كان أوّل من يغرق ويضمحلّ، في حين يكون خالقها أعظم منها فالكون كلّه في قبضة يده سبحانه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾[6]، وهذا الوضع يوضّح أن من يلتجأ إلى تلك الأصنام لا عقل له يفكّر ويدبّر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾.[7]

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص274.

2. سورة الأعراف الآية 34.

3. سورة الزمر الآية 55 – 56.

4. سورة الأعراف الآية 195.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص288.

6. سورة ق الآية 38.

7. سورة البقرة الآية 171.

في قولـه تعـالى: ﴿**وَالَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـنْ دُونِـهِ لَا يَسْـتَطِيعُونَ نَصْـرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَـهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾[1]

﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ**﴾: نهي تقريع وتوبيخ، وهذا فرق بين من يجوز أن يعبد ومن لا يجوز[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال الأصنام الّتي لا تغني عابدها في شيء ولا تلبي أبسط حاجاته.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[3]

﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ**﴾: شرع في قراءته في صلاة، أو غيرها حين نزوله أو بعد ذلك، وفي أي موضع، ﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾: ألقوا أسماعكم إعظاماً له وتفهماً وتدبرّاً، ﴿**وَأَنْصِتُوا**﴾: اسكتوا عن كلام الدّنيا حين تسمعونه، لعلّ الله يحدث مع ذلك رحمة[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في التّنبيه والإرشاد ومراعاة لحرمة القرآن الكريم في القراءة والسّماع، كأن يقرأ القرآن في طريق عام يكثر فيه اللّغو والحركة أو في السّفر بصوت عالٍ، لأنّ على السّامع أن ينصت ويصغي جيّداً وليس بالإكراه والإحراج، ومن اتبع التعليمات الربانية لعل الله يحدث مع ذلك راحة وطمأنينة وشفاء وسعادة روحيّة.

في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[5]

﴿**وَاذْكُـرْ رَبَّـكَ**﴾: سراً بأن تحرّك لسانك، وتسمع أذنك، أو يكون بدون أن تسمع، خضوعاً ورجاءاً، ﴿**وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾: عمّا يقرب إلى الله من الذّكر وغيره، بل قارب حالك

---

1. سورة الأعراف الآية 197.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص290.

3. سورة الأعراف الآية 204.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص297.

5. سورة الأعراف الآية 205.

بحال الملائكة فلا يغفلون عن الذّكر وغيره من العبادات[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في دوام الذّكر الحكيم بين التّوسط لا سراً ولا جهراً، ولا نكون من الغافلين عن ذكر الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾[2]

﴿**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: بإلقاء الخير في قلوبهم إلهاماً كما يلقى الشّيطان فيها لشر وسوسة، وبحضور القتال وبالقتال على القول به، وبالتّبشير بالظّفر، ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**﴾: الضرب في أعالي الأعناق وهي مواضع الذبح، وهي مفاصل، فيكون الضرب فيها تطييراً للرأس، قال ابن الأنباري: كانت الملائكة لا تعرف كيف تقتل الآدمي، فعلمهم الله كيف يفعلون بقوله: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾: أصابع اليدين والرجلين، فمن ضُرب في العنق مات ومن في الأصابع لم يتمكن من قبض السلاح، والقتال به، ولم يقو على سرعة الانتقال، لأن أصابع الرجلين تقوى على المشي[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في إكرام المؤمنين بملائكة شداد تشارك معهم في القتال قلباً وقالباً بإدخال السكينة في قلوب المؤمنين، وإدخال الرّعب والخوف في قلوب المشركين وقتلهم أشر قتل ما له مثيل.

في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: بترك المحرمات والنزاع في الغنائم، ﴿**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾: المعنى أصلحوا الحال التّي بينكم بالمساواة والمساعدة في أمر الغنائم والتّسليم لأمر الله ورسوله فيه،

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص299.

2. سورة الأنفال الآية 12.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص335، ص336.

4. سورة الأنفال الآية 01.

﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾: في كلّ ما أمركم به ونهاكم عنه من أمر الغنيمة وغيره[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحذيره للمؤمنين في اختبار إخلاصهم بحسن الطّاعة والتّذكير بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دائماً دون غفلة وذلك إن كانوا مؤمنين حقًّا.

في قوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا**﴾[2]

﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾: قيل الخطاب لكل من يصلح له، أي لا تجعل مع الله إلهاً آخر أيها المكلّف أو أيها الإنسان، فتصير مذموماً خذولاً من الله، ومفهومه أنّ من وحّد الله يكون ممدوحاً منصوراً[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى نهيه بإرشاد العبد فإنّ من يتّخذ آلهة متعدّدة يعود في آخر المطاف يلوم نفسه ويتحسّر على إتباع الغلط والباطل.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾[4]

﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: في أمر الجهاد وغيره، والخطاب للمؤمنين عند الجمهور، وقيل: للمنافقين، ﴿**وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾: والمعنى: أطيعوا رسول الله ولا تولوا عنه، وإنما ذكر طاعة الله توطئة لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنبيها على أن طاعته في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره بالدّوام على طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والإخلاص في الدّين وحسن إتباعه وتدبره، ونهيه بتهديد من يتولى ويتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾.

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص304، ص305.
2. سورة الأنفال الآية 16.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص284.
4. سورة الأنفال الآية 20.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص390.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]

﴿**فَاثْبُتُوا**﴾: لقتالهم، ولا تحدثوا أنفسكم بالفرار، ومن الثبوت التحريف للقتال، والتحيز إلى فئة فيه، فليس هذا نسخا للتحرف وللتحيز، بل تقرير لهما، لأنّ بهما التّمكن من القتال، ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**﴾: في لقاء عدوكم بقلوبكم وألسنتكم، مثل أن يقول: لا إله إلا الله، أو سبحان الله، أو يقرءوا القرآن[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أمره في نصح المؤمنين وإرشادهم على الثبات والصبر والتمسك بالدين، والتحلي دائما بالقيم الإسلامية والحرص دائما على عدم التغير في الجوهر والمنظر، وعدم الاندفاع وراء انجرافات هاوية، والسعي دائما أن يكونوا قدوة عن أنفسهم ثم إلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[4]

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ**﴾: أمر الله تعالى نبيّه الكريم في المبالغة على حثّ المؤمنين على القتال، بذكر الثّواب والوعد بالنّصر[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى إذنه بالتّحريض على القتال واستحباب إليهم الجهاد في سبيل الله تعالى بالتّبشير بالرّضا والفوز بالجنّات.

في قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[1]

---

[1] . سورة الأنفال الآية 45.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص387.

[3]. سورة الرعد الآية 11.

[4]. سورة الأنفال الآية 65.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص413.

﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾: استفهام إنكاري[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ معاهدة المشركين باطلة بشرط الاستقامة وعدم الإخلال بالعهد والميثاق، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[3]، وأنّ من استقاموا ولم يُعرفوا بالغدر والخيانة هم المتّقين حقّاً، ولهم مكانة عظيمة عند الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[4]

﴿**لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾: تختاروهم على أمر الله، والخطاب لمن آمن، والآية ناهيّة عن اتخاذ الكفار أولياء على الإطلاق، وحكمها باق إلى يوم القيامة، ولو كانوا آباء أو إخوانا أو أبناء أو نحوهم من الأقارب، وإنّما لم يذكر الأبناء لأنهم غالبا تابعون للآباء لا بالعكس[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى نهيه بتهديد المؤمنين في التجائهم إلى آبائهم أو إخوانهم وهم على حال الكفر والشّرك، ولا بد من عدم اخلاط العبادات أو التّداخل في ما بينها فلكلّ دين دينه، وعدم طاعة الآباء أو الأبناء أو الإخوان، وغيرهم في العصيان والتّمرد فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تعالى، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَنْ يَبْغُضَ فِي اللَّهِ، وَأَنْ تُوقَدَ نَارٌ عَظِيمَةٌ فَيَقَعَ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا**".[6]

---

1. سورة التّوبة الآية 07.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص440.

3. سورة التوبة الآية 04.

4. سورة التوبة الآية 23.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص459.

6. أحمد النسائي، المجتبي من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط02، 1406هـ – 1986م، كتاب الإيمان وشرائعه، طعم الإيمان، رقم الحديث4987، ج08، ص94.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]

﴿**وَمَا لَهُمْ**﴾: استفهام إنكاري[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير الكفرة الّذين يصدّون الرّسول صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام، وأنّهم ليسوا أولياءه وإنّما أولياؤه الأتقيّاء المؤمنين، وأنّ لهم عذاب عظيم جزاء الصّدّ والقطع، كما في قول تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**[4]

﴿**قَاتِلُوهُمْ**﴾: هذا أمر بقتالهم مقرون بالوعد بالظفر، والمراد بالعذاب استئصالهم بنحو: صيحة أو خسف أو حجارة[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره بدوام القتال والاستمرار في الردع والمواجهة.

في قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[6]

﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ**﴾: استفهام إنكار وتوبيخ، أي: ظننتم أيّها المؤمنون – وكان بعضهم قد كره القتال – أن تُتركوا غير ممتحنين بالقتال[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أمر الإيمان بالله تعالى

---

1. سورة الأنفال الآية 34.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص366.

3. سورة البقرة الآية 114.

4. سورة التوبة الآية 14.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص448.

6. سورة التّوبة الآية 16.

7. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص450.

وبرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مربوط بماهية الكفاح والمحاربة، كما قال تعالى: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1]، من أجل نشر الإسلام والقضاء على المغالطة والمنافقة وتنحيّة كلّ كافر أو مشرك.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[2]

﴿**أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾: استفهام توبيخي، أي: أرضيتم بالحياة الّتي هي قرينة الزّوال أو دنيّة خسيسة، وهو خارج عن التّفضيل وهذا دليل على أنّ تثاقلهم كان بسبب حبّ الحياة ونعيمها، والمال، والأهل، والولد، والزّهد عن نعيم الآخرة[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حثّه المتواصل للمؤمنين على الجهاد في سبيل الله تعالى ومحاربة المشركين، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾[4]، وأنّ التّعلق بالأولاد والأموال وغيرها من الأمور الدّنيويّة لا ينتج عنه سوى التّثاقل والانحباس والانشغال، كما قال تعالى: ﴿**لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[5]، في حين أنّ الدّنيا لا ترقى إلى درجة الآخرة فمتاع الأولى زائل، وأمّا متاع الثّانيّة فهو خالد إلى الأبد، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾[7]

---

[1]. سورة الصف الآية 11.

[2]. سورة التّوبة الآية 38.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص499.

[4]. سورة الفرقان الآية 52.

[5]. سورة الممتحنة الآية 03.

[6]. سورة النساء الآية 77.

[7]. سورة التّوبة الآية 43.

﴿**لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ**﴾: استفهام إنكاري، وهذا عتاب وزجر عن المعاودة بعد العفو، وذلك عتاب على ترك الأولى لا ذنب، وذلك من اللّطف والإكرام بمكان، بدأ بالعفو قبل ذكر ما عنه العفو، وقال عمرو بن ميمون ألأودي: صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه في قضيتين دون أن يؤمر فيهما بشيء، وأمر أساري بدر في الفداء، فعاتبه الله تعالى فيهما، وليس العتاب بعد حصول العفو مستحيلا، بل مستعمل كثير، وفائدته تأكيد الزجر والتوقيف على عين لا عن العفو، كما يعاتب السّعيد يوم القيامة، وقد بشّر في قبره أو عند موته بالجنّة[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه عالم بما تخفي الصّدور من كذب أو صدق، وقد وضّح للنّبي صلى الله عليه وسلم أنّ المؤمنين الصّادقين لا يتحجّجون بخلق الأعذار من أجل التّخلّف والتّثاقل عن الغزوات، وعدم الجهاد في سبيل الله تعالى، وأنّه ليس له أن يُستأذَن لذلك، فالجهاد واجب على كلّ مؤمن، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾[3]

﴿**أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾: استفهام توبيخي، استهزائهم بمن لا يصحّ الاستهزاء به، وإلزام الحجّة عليهم أنّه لا يعبأ باعتذارهم لأنّه كذب[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحدود الّتي لا يجب على العباد تخطّيها وهي الاستهزاء والسّخريّة من الله تعالى ومن كتبه ومن رسله عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾[5]، فكلّ تجاوز يمكن أن

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج 06، ص 11.

2. سورة التوبة الآية 44.

3. سورة التوبة الآية 65.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص43.

5. سورة نوح الآية 13.

يُغتفر ويُبدّل، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[1]، إلاّ هذا الأمر الشّنيع، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[3]

﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ**﴾: كقريظة والنضير، وخيبر وفدك، ثم بعدهم روم الشّام، ثم العراق، وهذا الأقرب فالأقرب، وذلك أمر من الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته، وقاتل قومه، ومن بالحجاز والشام، وفتحته الصحابة بعده، ثم فتحوا العراق...الخ[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في الإذن بقتل الكفّار ودوام الثّبات على العزيمة والقوّة والغلظة وعدم التّراخي والضّعف.

في قوله تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[5]

﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ**﴾: استفهام إنكاري وتوبيخي، ذلك أنّ عرب قريش كانوا أعظم جهلا، وإذ كونه بشرا أليق من كونه ملكا، وكونه لا مال له ولا جاه هو أعون شيء في أداء الرّسالة، بحيث لا يشغله مال عن أدائها، ولا يمنعه تعلق جاء به، ولا عجب في ذلك، وإنّما العجب في تعطيل العقاب والثواب[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته العظيمة في

---

1. سورة الفرقان الآية 70.

2. سورة النساء الآية 48.

3. سورة التوبة الآية 123.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص123.

5. سورة يونس الآية 02.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 11، ص 12.

اختيار الرّسل والأنبياء عليهم السّلام من البشر فهم أقرب إلى فهم جنسهم، وأقنع في توجيههم إلى التّبشير بيوم مشرق، والتّنذير بيوم موعود، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[2]

﴿**ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ**﴾: استفهام استهزاء وسخرية، أرادوا كلام غير هذا، بحيث لا يكون فيه ما نستبعده كالبعث، أو نكرهه كذم آلهتنا، والنّهي عن عادتنا، والوعيد على الشّرك، أو بدله كله، أو ما نكره، أو نستبعد منه، وآية عذاب أو تحريم بعكسها من تلقاء نفسك، أو ائت بقرآن من تلقاء نفسك أو بدل بعضه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفار والمشركين حتى تجرأوا وأمروا النّبي صلى الله عليه وسلم باستبدال القرآن الكريم، أو تحريف بعضه أو كله، وهذا ما فعلوه حقًّا بعد وفاة أنبيائهم ورسلهم عليهم السّلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]، لكن هذا لم يمس القرآن الكريم لأنّه حفظ في الصّدور جيل بعد جيل إلى أن دوّن في الصّفائح ثم المصاحف، كما في قوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾.[5]

---

1. سورة التوبة الآية 128.
2. سورة يونس الآية 15.
3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص 28.
4. سورة الحج الآية 72.
5. سورة البروج الآية 21 – 22.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾[1]

﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ**﴾: استفهام تقريري، والمعنى قل من بلغ من لطفه وسعة رحمته، أن أفاض عليكم الرّزق من السّماء ومن الأرض، كلتيهما لا من إحداهما فقط[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته الكبيرة في توزيع الرزق على مخلوقاته كلها بقدر معلوم ومتوازن بحيث يكفي الكون كله، وبيده الإنقاص منه أو تخفيضه، أو الزيادة في كل النّعم والخيرات، وهذا ما ليس للبشر قدرة على إنزال المطر، أو إخراج النبات، أو إحياء تلك النّعم اليابسة والسّابتة، كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾[5]

﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾: يبعثه بعد ذهابه، استفهام إنكار وتقرير، أي اقروا بما عندهم في ذلك من ثبوت من يفعل ذلك من شركائكم أو عدمه، وقد تبين يقينا أنّ شركائهم لا تفعل ذلك فانتفت الإلوهية والرّبوبية عنها، وثبتنا لمن يفعل ذلك وهو الله سبحانه وتعالى[6]، الغرض منه تبيين قدرة الله تعالى العظيمة في خلق الكون وما فيه من مخلوقات

---

1. سورة يونس الآية 31.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 59.

3. سورة الواقعة الآية 68 – 69.

4. سورة الواقعة الآية 63 – 64.

5. سورة يونس الآية 34.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 61.

كالإنسان والشجر، وأنّه كيف لمخلوق أن يخلق ذلك من العدم وأنّه أمر لا تتصوّره العقول، كما في قوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2]

﴿**فَمَا لَكُمْ**﴾: استفهام توبيخي[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى نوعيّة العقول الإنسانية الكافرة بربّها، وكيف أنّها تستبدل الخالق الأحق بالعبودية بعبادة الأصنام والأشخاص التي لا حول ولا قوة لها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ**﴾[5]

﴿**مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ**﴾: استفهام تعجبّ وإنكار، أي: والأصل ماذا تستعجلون من العذاب، وذكرهم لفظ المجرمين ليدلّ على أنّ إجرامهم يقتضي ألاّ يستعجلوا العذاب، وأن يحبّوا تأخيره، فإنّ العذاب كلّه مكروه مر المذاق موجب للنفار، فليس منه شيء يصحّ استعجاله[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى العذاب الأكبر الّذي سيصيب به الكفّار والمشركين،

---

1. سورة النمل الآية 64.

2. سورة يونس الآية 35.

3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص 64.

4. سورة الأنعام الآية 22.

5. سورة يونس الآية 50.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 08، القسم الأول، ص 77.

فقد يأتي بياتاً ونهاراً، فيخفي كلّ من على الأرض وما فيها، كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾[2]

﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ**﴾: استفهام إنكاري واستهزاءي، والمعنى: يكلفونك بسورة من يسأل ليتعلم أحق هو، تقويّة بجد أم باطل تهزل به[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المشكّكين في مصداقيّة الوحي، وإحباط محاولتهم البائسة في تقليد كلام الله تعالى، وما عساهم إلاّ أنهم وقفوا عاجزين أمام المعجزة القرآنية الّتي كشفت عن أحوال الأمم السّابقة، وتنبّأت بمصير الحاضر والمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[5]

﴿**مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ**﴾: استفهام تحقيقي، أي: أيّ شيء أتيتم جئتم به[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ السّحر حقيقة موجود لكنّه ليس قويّاً كفاية حتّى يتغلّب على المعجزة الإلهيّة، كما يوجّه رسالة للمؤمن بأنّ منزلة السّاحر أسفل السّافلين، وأنّه لا يفلح بسحره ولا يضرّ منه أحد إلاّ بإذن الله تعالى، وأنّ من أراد إتباع طريق السّحر فهو كافر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ**

---

1. سورة الأعراف الآية 97.

2. سورة يونس الآية 53.

3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص 79.

4. سورة الأنعام الآية 134.

5. سورة يونس الآية 81.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص108، ص109.

فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1]، ومن اتّبع السّحر لغرض الفساد والتّفرقة بين النّاس وتعطيل أمورهم، إنّه لأمر مخزي وذنبه أعظم، وأنّ من أصيب بسحر فذلك مقدّر من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.[2]

في قول تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾[3]

﴿**قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ**﴾: استفهام إنكاري، وتوبيخي، وتقريري، في التّحليل والتّحريم على الأسلوب الحقيقي[4]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ أمر التّعدي على حدود الله تعالى في التّحريم والتّحليل أمر إثمه عظيم، كما قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[5]، وأنّ تسيير الدّنيا من أنعام، وخيرات، وأفضال، كلّه بيد الله تعالى، وأنّ الله تعالى لم يحرّم ويحلّل عبثا، كما قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾[6]، وإنّما لكلٍّ حكمة، ومصلحة، ورحمة.

في قوله تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[7]

﴿**وَمَا**﴾: استفهام إنكاريّ، فالمعنى: وما تغني الآيات والإنذارات، أو الرّسل عليهم السّلام شيئا، عن قوم سبق في علم الله تعالى أنّهم لا يؤمنون، وهم الّذين لا يعقلون، ولا يتدبّرون[1]، الغرض

---

1. سورة البقرة الآية 102.
2. سورة التوبة الآية 51.
3. سورة يونس الآية 59.
4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر فسه، ج08، القسم الأول، ص87.
5. سورة الطلاق الآية 01.
6. سورة المؤمنون الآية 115.
7. سورة يونس الآية 101.

منه تبيين الله تعالى أنّ هناك أقوام مهما عظمت الآيات الصّامتة من خلق السّموات بدون أعمدة، وما تحمله من ثقل النّجوم والمجرّات والكواكب، وخلق الأرض وما تحتويه من عظم الجبال والبحار، وما ينتج عن تلاحم السّماء والأرض في تعاقب اللّيل والنّهار، ومن شروق، ومن رياح، وغيوم ورعود وبرق ومطر وثلوج، كما قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[2]، وبالإضافة إلى الآيات النّاطقة كنزول الوحي، ومعجزات الأنبياء والرّسل عليهم السّلام، والعذاب الّذي حلّ بالأقوام الظّالمة على مري البصر، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾[3]، ورغم ذلك تعمى الأبصار وتصمّ الأذن فهم لا يؤمنون.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[4]

﴿**مَا يَحْبِسُهُ**﴾: استفهام استهزاءي وإنكاري لموعد العذاب[5]، الغرض منه بين الله تعالى للكافرين والمكذبين بوجود العذاب، وأنّ لهم موعد لن يسعهم الفرار منه، كما قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا**﴾[6]، وسينالون ما يستحقون جراء الاستهزاء، ولاّ مبالاة، وأنّ الله تعالى سبق وأن عذّب

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص137، ص138.

[2]. سورة النحل الآية 12.

[3]. سورة الأعراف الآية 94.

[4]. سورة هود الآية 08.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1484.

[6]. سورة الكهف الآية 58.

أقواماً أشرّ عذاب فنسفهم الله تعالى مثل الجبال نسفاً، كما قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[2]

﴿**أَفَمَنْ**﴾: استفهام إنكاري، أي: أفمن كان على بيّنة من ربّه تعالى ببيان القرآن الكريم، بواسطة جبريل عليه السّلام، وشاهد بصحّة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، كمن كان على ضلال وكفر[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحجج والبراهين على النّاس جميعاً دون استثناء، وأنّ من يكفر بها ليس له حجّة يوم القيّامة، فالنّار موعده في الآخرة، وقد حجزه لنفسه مسبقاً في الدّنيا، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[5]

﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾: استفهام إنكاري، أي لا أظلم منه، مثل نسبة الولد، وإثبات الشّريك، وإثبات ما لم ينزّل، ونفي ما أنزل[6]، الغرض منه بيّن الله تعالى صفة الكاذبين، وأنّهم هم الّذين يفترون على الله عزّ وجلّ، ولا يصدّقون بالآيات والرّسل عليهم السّلام،

---

1. سورة طه الآية 105.

2. سورة هود الآية 17.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1493.

4. سورة الحج الآية 10.

5. سورة هود الآية 18.

6. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1493.

وجزاؤهم اللّعنة وعذاب أليم، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾[2]

﴿**أَنُلْزِمُكُمُوهَا**﴾: استفهام إنكاري، أي: أنكرهكم على الاهتداء بها بالخبر، إذ لا إكراه في الدّين، كما قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[3]، ولأنّه مبني على الاختيار ليثاب ويعاقب عليه[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الإنسان ليس مجبراً على أن يلزم على عقيدة الإسلام أو يبقى على شركه، وإنّما له الاختيار عن قناعة ويقين، ولكن لا يمنع نزول البيان من الآيات والمعجزات فيعمل عقله وتفكيره، فيختار إمّا الهداية وإمّا الضّلال، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[6]

﴿**وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي**﴾: استفهام إنكاري، أي: لا ناصر لي من العذاب الآتي على طردهم، فإن طاردهم ظالم ينتقم منه، لأنّهم بتلك الصّفة، فتعرفوا على الحقّ والصّواب دونكم، وإنّ

---

1. سورة غافر الآية 52.
2. سورة هود الآية 28.
3. سورة البقرة الآية 256.
4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1540.
5. سورة النّمل الآية 92.
6. سورة هود الآية 30.

اشتراطكم طردهم في إيمانكم خطأ، وإنّهم أهل للإدناء لا للإقصاء[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الأنبياء والرّسل عليهم السّلام لا يمكنهم أن ينتصروا ويصبروا دون أنصارهم من المؤمنين الصّالحين والمخلصين، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[2]، فيبايعونهم على الاتحاد، والمشاركة في الغزوات، والمساندة في المعارضة والطرد، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.[4]

﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي**﴾: أي أنشفي، ﴿**وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي**﴾: أمسكي عن الإمطار، ومعنى أمرها بالإمساك بعد انقطاع نزول مائها، أمرها بالكف عن المعاودة، أو المراد أنّه قيل لها حين كان الماء ينزل منها في أواخر نزوله: أقلعي، وقيل للأرض: ابلعي بعد ذلك، فكانت تبلع شيئا فشيئاً[5]، الغرض منها إظهار الله تعالى ندائه الأرض والسماء واتحادهما في إغراق القوم الظّالمين ونجاة المؤمنين الصّالحين، وأنّ أمره لا يستهان به ولا يقهر.

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾[6]

---

[1]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1506.

[2]. سورة آل عمران الآية 52.

[3]. سورة الفتح الآية 18.

[4]. سورة هود الآية 44.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص 1520.

[6]. سورة هود الآية 78.

﴿**يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾: نداء استغاثة، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾: أمر تأديب، ﴿**وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾: نهي تهديد، ﴿**أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾: استفهام توبيخ، أي: أليس فيكم ولو واحد مؤمن، أو صالح، أو ذو مروءة يأمر بالحق، وينهى عن القبيح، أو يهتدي إلى الحق ويكف عن القبيح[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحكمة البالغة الّتي امتاز بها الأنبيّاء المرسلون عليهم السّلام في مواجهة الكفّار والمشركين، وممّا يصنعون من الرّذائل والفواحش، ويتجرّدون من الحياء في إخراج ما كان خفيًّا من القذارة والخبث إلى العلن، ووقاحتهم في محاولتهم الاعتداء على حرمة الضّيوف، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ**﴾[2]، إلاّ أنّ الضّيوف كانوا ملائكة كرام بررة.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾.[3]

﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ**﴾: استفهام توبيخ والإنكار، غرضه التّهكّم والسّخريّة من كثرة صلاته، كأنّهم قالوا: أصلاتك الّتي تداوم عليها ليلاً ونهاراً، وكثرة الدّعاء، تأمرنا بترك عبادة الأصنام، وترك التّصرف في أموالنا بما نشاء، وخالفت دين قومك، وشققت عصاهم، ويحتمل أن يريدوا بها التهكم به، ووصفه بضدها، فالمراد السفيه الغاوي، الذي يقال للجبان، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفار من معارضة أنبيائهم عليهم السّلام، وهم لم يتخيلوا أنّه يأتي يوم ويتخلّون عن عبادة آلهتهم من الأصنام، وغيرها، والّتي عكفوا يتضرّعون لها سنين وأعوام ليل نهار، ويستبدلونها بإله واحد، ومعبود

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1552.

2. سورة الحجر الآية 68 – 69.

3. سورة هود الآية 87.

4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1561.

واحد، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1]، يلتجأ إليه العبيد والملوك، السّيّدات والآمات، الفقراء والأغنيّاء، الأصحّاء والأمراض، الأحياء والأموات.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[2]

﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ**﴾: استفهام إنكار وتوبيخ، أو ردّ وتكذيب لأمرهم، حيث قابلوا الحجج بالسّب والتّهديد، كما هو عادة السّفيه المغلوب بالحجّة، وحيث أبقوا عليه لرهطه، ولم يبقوا عليه لله، مع أنّه العزيز دون الرّهط، وإنّما لم يقل أعز عليكم مني، إشارة إلى أنّ تهاونهم به تهاون بالله، وأن الله المنتصر له إذ هو رسوله قائل عنه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم في جدال مستمر مع أنبيّائهم عليهم السّلام، قوم أشد من قوم، وقد عظّموا الأمور الدّنيويّة والمكانة الاجتماعيّة على اتخاذ الله الواحد الأحد، وجعله وراء ظهورهم غير مبالين، كما قال تعالى: ﴿**وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾[4]، فجعلهم الله تعالى هم المنسي المنتسى، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ**﴾[6]

---

1. سورة إبراهيم الآية 52.
2. سورة هود الآية 92.
3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1566.
4. سورة الأنعام الآية 94.
5. سورة طه الآية 126.
6. سورة هود الآية 93.

﴿**سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ**﴾: استفهام المجازاة والتّوبيخ، أي: ستعلمون من هو معذّب مخزي وكاذب أنا وأنتم، أو الأصل ومن هو صادق ليعلق العذاب المخزي بهم، والصّدق به، لكن لما ادعوا كذبه عبر بما ادعوا فكأنّه قال: ومن هو كاذب في زعمكم[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى الصّدق المعروف لدى الأنبياء والرّسل عليهم السّلام مع أقواهم، وأنهم مهما كُذّبوا من طرف كفارهم، إلاّ أنّه يبين في الأخير من هو الصادق في نزول العذاب وهبوب الصّواعق، ومن هو كاذب في تقبل الهزيمة وتجرع الهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**﴾: أي: أحسني إليه في المطعم والمشرب والملبس وما يحتاج إليه، وتفقدي أحواله لتطيب نفسه ويحبّنا، ﴿**عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا**﴾: في ضياعنا وأموالنا غداً بلغ وقوى، ونستعين به على مصالحنا أو نبيعه بربح، ﴿**أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾: كان عقيماً لا يولد له فأراد تبنى يوسف[4]، أمر أفاد التّمنّي والرّجاء، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير سيدنا يوسف عليه السلام حين اشتراه صاحب مصر وتمنيه الخير والصّلاح والنّفع فيه، وما ينتظره من مكائد وفضائل، وإظهار الله تعالى مشيئته الغالبة على أمور البشر واتخاذ من قَصَّة يوسف عليه السّلام العبر والأحكام والنّصائح، كما

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1567.

2. سورة الزمر الآية 03.

3. سورة يوسف الآية 21.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص168.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾.[2]

﴿**أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾: استفهام تقريري أو إنكاري، أي: أن تكون الأرباب خيراً، وذلك جلبٌ لهم إلى التّوحيد بألطف وجه، إذا حاجهما بدرجة يسيرة متى سلمتاها لزمت عنها درجة فوقها حتى يتوصّل بهما إلى الحقّ، ولو حاجهما بما هو الحاصل دفعة لزاد نفوراً[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ عبادة أرباب متفرّقة وآلهة متعدّدة يؤدّي إلى التّشتّت والضّياع، فتارة يعبدون الشّمس، وتارة القمر، وتارة البقر، وتارة الأصنام المشكّلة من الخشب، أو الصّخر، أو الطّين، والمصنوعة من التّمر، والكثير من التّهيؤات والتخيلات، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾[4]، لكن المؤمن الأحقّ هو من يستيقن أنّ كلّ تلك المعبودات مجرّد مخلوقات خلقها الواحد الصّمد، كما قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ**

---

[1]. سورة يوسف الآية 111.

[2]. سورة يوسف الآية 39.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص206.

[4]. سورة الفرقان الآية 03.

[5]. سورة الرعد الآية 16.

وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا**﴾: استفهام توبيخي، عبّر عن الأوثان بما يعبّر به عن العقلاء، لوصفهم لها بوصف العقلاء وهو النّصر، فضلا عن أن ينفعوا غيرهم أو يضروه، وهذا دليل ثانٍ على فساد رأيهم، وعلى ضلالهم إذا استنصروا من لا ينصر نفسه، ولا نفعها ولا يدفع عنها ضرّاً، ولا يرى ولا يسمع ولا يعلم، ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي**﴾: استفهام توبيخي إنكاري، فالمشرك الجاهل بحقيقة العبادة وبمن يستحقّها، بم تستحق، والمؤحّد العالم بذلك كلّه[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار وهم يضلّون ليل نهار يعبدون الأصنام، كما قال تعالى: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾[3]، لا يكلّون ولا يملّون، والصّنم بدون حَراك لا صوت ولا إشارات، فمن تبعهم أعمى ضرير لا يميّز شيئاً، يعيش في ظلمات ما بعدها ظلمات، كما قال تعالى: ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ**﴾[4]، ومن يتّبع الله تعالى يكون بصيراً يدبّر ما في الكون من آيات ومعجزات، ويكون له نور يمشي به، ويذهب عنه عتمة الجهل والضّلال، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[6]

---

[1]. سورة الرعد الآية 16.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص355.

[3]. سورة الشعراء الآية 71.

[4]. سورة النور الآية 40.

[5]. سورة الحديد الآية 28.

[6]. سورة الرّعد الآية 19.

﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ**﴾: استفهام إنكاري، إنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من الماء، كأنّه قيل: أيشكّ أحد بعد ذلك أنّ البصير بانحصار الحقّ فيما أنزل إليك[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكافر الّذي تعمى بصيرته عن رؤية الحقّ من نزول آيات الوحي الرّبانيّ على لسان أصدق الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام، فالأعمى ليس الّذي تفقد عينه النّظر، وإنّما من يفقد حدقة التّعقّل والتّبصّر، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[3]

﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: استفهام إنكاري، أي: أفي أمر الله تعالى الّذي أرسلنا به، أو في وحدانيّته بالإلوهيّة أو في وجود الله تعالى إن أنكروا وجوده، والظّاهر أنّهم لم ينكروه جميعاً، مع ظهور الأدلّة الّتي منها خلق السّموات والأرض[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ لا شكّ في أنّه هو الخالق والمدبّر والمسخّر، وما من إله غيره، ولو كان من آلهة عديدة لا اختلفوا، وتنازعوا في كلّ ذلك، كما قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾[6]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص361.

[2]. سورة القصص الآية 72.

[3]. سورة إبراهيم الآية 10.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص405.

[5]. سورة الأنبياء الآية 21.

[6]. سورة إبراهيم الآية 12.

﴿**وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ**﴾: استفهام إنكاري، أي لا عذر لنا في ألا نتوكّل[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من توكّل على الله تعالى في كلّ أمره يسره وعسره، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ وَعَلَـى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّـلِ الْمُؤْمِنُـونَ**﴾[2]، وأنّ الصّبر هو خير عزم يقوم به المؤمن في التّعامل مع المشركين والأعداء، كما قال تعالى: ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾[4]

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾: استفهام تقريري، أي: لا باطلاً ولا عبثاً بل بالحكمة[5]، كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه خالق السّموات والأرض حقّاً دون سواه، ولم يخلق تلك المخلوقات كلّها عبثاً، أو لعباً ومزحةً، كما قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾[7]، وإنّما يدعوا المخلوقات العاقلة كالجنّ والإنس للتّعبّد والتّدبر، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[8]، وشكره الدّائم على كلّ ذلك.

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص408.
2. سورة التّغابن الآية 13.
3. سورة ص الآية 17.
4. سورة إبراهيم الآية 19 – 20.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج 06، ص 415.
6. سورة آل عمران الآية 191.
7. سورة المؤمنون الآية 115.
8. سورة الذاريات الآية 56.

في قوله تعالى: ﴿**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾[1]

﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾: استفهام توبيخي، عتابيّ، بكائيّ، لأنّهم علِموا أنّهم لا يغني عنهم شيئا[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال الّتي وصل إليها الكفّار والمشركين حتى استنجدوا الأقويّاء منهم وحمّلوهم سبب المعصية، وهم في المصير سواء حسرة، وعذاب شديد، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[4]

﴿**لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾: النّعم بتوحيدك وطاعتك وتعظيمك وإنّما النعم مخلوقة لذلك[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في الإكرام بالنّعم والزّيادة في الخيرات من الثّمار وأنواع المأكولات، وغيرها، وذلك ليتّعظ المشرك ويزداد المؤمن إيماناً وشكراَ.

في قوله تعالى: ﴿**وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ**﴾[6]

﴿**كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ**﴾: استفهام تحقيقي، أي: نبيّن لكم كيف فعلنا بهم في الإهلاك والانتقام[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير الظّالمين الّذين سكنوا في مساكن أقوامٍ ظالمين مثلهم

---

1. سورة إبراهيم الآية 21.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص416.

3. سورة غافر الآية 47.

4. سورة إبراهيم الآية 37.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص440.

6. سورة إبراهيم الآية 45.

7. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص453.

عُذّبوا وهم نائمون أو قائلون، كما قال تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾[2]

﴿**يَا إِبْلِيسُ**﴾: المعنى ما غرضك في عدم السّجود، أو يجوز أن يكون المعنى ما منعك أن تسجد[3]، أو ما خطبك وما قصتك، والغرض منه إظهار الله تعالى افتخار الشّيطان الرّجيم حين أُمِر بالسّجود لآدم، فأبى وتكبّر كونه خلق من نار وآدم عليه السّلام خلق من طين.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾[4]

﴿**قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي**﴾: الاستفهام للتّعجّب من أن يلد مثله في الكبر، وأنّه قد دعا الله تعالى سابقاً أن يهب له من الصّالحين غلام، كما قال تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[5]، ﴿**فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾: وهذا أيضاً استفهام تعجّب، كيف يحصل له الولد على الكبر أو للمبالغة في التّعجب حتى كأنّه إنكار للصّحة وليس إنكار، أي هذا الّذي بشّرتموني به لفرط غرابته كالّذي لا يتصوّر فكأنّكم بشّرتموني بما لا يتحصّل، أو هذا كالّذي لا يتصّور فبأيّ شيء متصوّر تبشّرون[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه قادر على كلّ ما عجّزت عنه البشريّة، وقد تتوقّف عنه العلوم الطّبيّة المتطوّرة، فرغم الكبر والعجز اللّذان وصلا إليهما سيّدنا إبراهيم عليه السّلام وزوجته، والأمر المستعصي مع العقم، إلاّ أنّ الله تعالى تحدّى تلك العادة المتعارف عليها البشر منذ قرون مضت، بأن تبشّره الملائكة بأمر معجزة نتيجة الدّعاء

---

[1]. سورة الأعراف الآية 04.

[2]. سورة الحجر الآية 32.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص496.

[4]. سورة الحجر الآية 54.

[5]. سورة آل عمران الآية 40.

[6]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص14.

المستمر، والتّضرّع لله تعالى وحده دون سواه، كما قال تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[1]، وهذا الأمر العظيم يدعوا الإنسان المؤمن إلى كثرة الدّعاء وإخلاص النّيّة فيه، فإنّ بعد العسر يسران، كما قال تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾[3]

﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾: استفهام إنكاري، والضّالون هم المخطئون والكافرون لطريق المعرفة، فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[4]، وفي الآية دليل على أنّ القنوط من رحمة الدّنيا كبيرة، كما أنّ القنوط برحمة الآخرة كبير، إذ رتّب الضّلال على القنوط في جواب العام القنوط من الولد[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الإنسان الّذي إذا مسّه الخير فإنّه فرح فخور، وإذا مسّه الشّر فإنّه قنوط كفور، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾[6]، ومن ذلك يجب على كلّ مؤمن أن لا يقنط من رحمة الله تعالى، فعسى في كلّ تأخير خير وزرق طيّب وكريم، وربّما في كلّ تعجيل شرّ وشقاء.

---

[1]. سورة الصافات الآية 100.

[2]. سورة الشرح الآية 05 – 06.

[3]. سورة الحجر الآية 55 – 56.

[4]. سورة يوسف الآية 87.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص15.

[6]. سورة الروم الآية 36.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1]

﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ**﴾: استفهام تعجّبيّ وإنكاري، والمراد بمكرهم السّيّئات كلّ ماكر برسول من الرّسل عليهم السّلام، أو بمؤمن من المؤمنين[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أمره بعقاب المشركين والكفرة أمر محتوم ولن يفر منه مجرم أو منافق، وأنّ مكوث أعداء الله تعالى وأعداء الرّسل والأنبياء عليهم السّلام على حالهم مدّة طويلة في الشّرك وعبادة غير الله تعالى، وفي اللّهو وعبادة الأموال والأولاد وغير ذلك من الأمور الدّنيويّة، بدون حدوث أمر يعكّر صفوة فرط سعادتهم فليس ذلك بالأمر الخالد، كما قال تعالى: ﴿**أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ**﴾: مثل قارون، ﴿**أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾: بالعذاب وقد أُهلكوا ببدر ولم يخطر ببالهم حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم سيقتلون في حربه صلى الله عليه وسلم، أو يأتيهم فجأة من جانب السّماء كقوم صالح أُهلكوا بصيحة من السّماء، كما قال تعالى: ﴿**وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[3]، وقوم لوط رفعوا إلى السّماء ثم قلبوا ورجموا[4]، كما قال تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾[6]

---

1. سورة النحل الآية 45 – 46 – 47.
2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص 104.
3. سورة هود الآية 67.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص104.
5. سورة الحجر الآية 59.
6. سورة النحل الآية 55.

﴿**فَتَمَتَّعُوا**﴾: الأمر فيه أمر خطاب، أي: تمتعوا بالكفر والشرك، فستعلمون عاقبتهما[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في التّهديد والوعيد على الكفّار الّذين اختاروا الكفر على الإيمان وأحبّوا الخوض واللّعب على العمل والطاعة.

في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾[2]

﴿**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**﴾: استفهام إنكاري أو توبيخي، والباطل ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، يؤمنون: يصدّقون، أي: فيصدقون بما هو وهم باطل متخيل غير ثابت وهو منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها أو الباطل نفس الأصنام أو الشيطان يصدقونه في إثبات الشركة، والصاحبة، والولد، تعالى الله، أو ما يوسوس لهم به من تحريم الحلال كالبحيرة والسّائبة، أو كلّ ما اعتقدوه من كلّ أمر باطل[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار الّذين يُصدّقون بالباطل وهي عبادة الأصنام في كونها من تمنّ عليهم بالخيرات والبركات، وليس لله تعالى دخل في ذلك فيزدادوا تضرّعاً وإذلالاً لها دون جدوى، ويكفرون بحقيقة الله تعالى وتسخير لهم تلك النّعم، ومع ذلك لم يحرمها منهم، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[5]

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص114.

2. سورة النّحل الآية 72.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص136.

4. سورة محمد الآية 03.

5. سورة النّحل الآية 75.

﴿**هَلْ يَسْتَوُونَ**﴾: استفهام توبيخي وإنكاري، أي: لا يستوي الحرّ والعبد، أو المؤمن والكافر، أو أبو جهل وأبو بكر[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من يعبد الأصنام ويسوي بينها وبين الخالق العليم، وأنّه من المحال أن يستوي صنم لا يقدر على شيء بالله تعالى الّذي يملك الوجود كلّه، وهو على كل شيء قدير[2]، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[4]

﴿**هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾: استفهام إنكاري وتوبيخي[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من يسوّي بين الله القادر وبين الحجر الّذي لا يضرّ ولا ينفع، كمن يسوّي بين رجل أبكم وهو كَلٌّ، وبين رجل ينطق بالحكم ويقيم العدل، فشتّان بين عبادة الأوثان وبين عبادة الله تعالى[6]، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[7]، فالله تعالى عالم بالمظلوم وظالمه، وبين عدالة الإنسان الصّمّاء والعمياء

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص139.

2. محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى، المصدر السابق، ج01، ص 188.

3. سورة الطّلاق الآية 12.

4. سورة النحل الآية 76.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص141.

6. محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى، المصدر السابق، ج01، ص 188.

7. سورة القصص الآية 48.

الّتي تنصف الظّالم وتقهر المظلوم، فالحمد لله على وجود خالق قويّ عادل فوق عباده لا تأخذه سنة ولا نوم، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]

﴿**اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾: طريقته في العقائد من توحيد الله عز وجل والإيمان بكتبه ورسله وأنبيائه ويوم القيامة والجنة والنار والملائكة ونحو ذلك، وقيل طريقته في التوحيد والدعاء إليه بالرفق وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى، والمجادلة مع كلّ أحد بحسب فهمه، وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بشريعة إبراهيم عليه السّلام كلّها من فعل واعتقاد إلاّ ما نسخ منها[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمره في إتباع شريعة واحدة وهذا أمر يبين أنّ كلّ تلك الشّرائع المختلفة تصبّ في معنى واحد وهو توحيد الله تعالى وتسري على مدار واحد وهو الإسلام.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾[4]

﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**﴾: النّهي عن القرب من فعل الشّيء أبلغ من النّهى عن فعله، ولذلك لم يقل لا تزنوا بل قال لا تقربوه ليشتمل القرب إليه بتمنيه والرّضا به والعزم عليه، واستحضاره بالكلام والنّظر بشهوة، ونحو ذلك من مقدمات الزّنا، فإذا كان النّهي عن مقدماته كان النّهى عنه بالأولى، فهو قبح وساء سبيل الزنا[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى نهيه بالزّجر عن مقاربة الزّنا ولو بشكل من الأشكال، فان طريقها يضيع على مرتكبيها حياته الدنيوية في التنعم بالراحة والأمن والطمأنينة، وتضيع عنه دينه الّذي هو عصمته فيقع في ما يبغض الله ويحفر لنفسه حفرة من حفر جهنم، نسأل الله تعالى العافية والحفظ والسلامة.

---

[1]. سورة غافر الآية 16.

[2]. سورة النحل الآية 123.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص200.

[4]. سورة الإسراء الآية 32.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص298.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾[1]

﴿**أَإِذَا**﴾: استفهام إنكاري، منكرين البعث أي: أإذا كنّا مجردة عن الجلود واللّحوم والعصب وغير ذلك، وغباراً بأجزائه المفتّتة، نُردّ خلقاً آخر جديد طريٌّ، ورطبٌ، وحيٌّ[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى دعوة العبد المؤمن إلى الإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[3]، والّذين ينكرون بوجود حياة أخرى بعد الموت، وأنّه ليس هناك بعث ولا نشور، ولا صراط ولا حساب، ولا جنّة ولا نار، وأنّ لهم الويل على ما صنعوا، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**﴾[5]

﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ**﴾: أمر تعجيزي، عبّر لهم بما هو لفظ تخوفّ تهديداً لهم، وتوعداً، أو هي لعدم الجزم في اعتبار المخلوق على أن القرب ما نعده قرباً في عرفنا، لا ما يعده الله قريباً[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى إهانة حال من كفر واستنكر بعدم وجود اليوم الآخر واستحالة رجوع الموتى وأنّه ليس هناك حساب ولا عقاب، فقد أعدّ الله

---

1. سورة الإسراء الآية 49.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص319.

3. سورة آل عمران الآية 113 – 114.

4. سورة النساء الآية 136.

5. سورة الإسراء الآية 50 – 51.

6. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص320.

تعالى لهم موعداً لن يخلفوه أبداً، كما قال تعالى: ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾،[1] وهذا توجيه للإنسان المسلم بأن يؤمن باليوم الآخر وأن يعدّ له العدّة الآزمة بطلب التّوبة والمغفرة والرّحمة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾[3]

﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾: استفهام إنكاري، أي: أنكر أن يستحقّ آدم السّجود منه مع أنّه إنّما خلق من الطّين، قيل خلق من عذب الأرض وحلها، فمن خلق من العذب فهو سعيد، ومن خلق من الملح فهو شقي[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى معصيّة الشّيطان إبليس اللّعين في معارضة أمر الله تعالى في السّجود لسيّدنا آدم عليه السّلام كونه خلق من طين وهو خلق من نار السّموم تكبّراً واستعلاءً وسخريّةً، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا**﴾[6]

﴿**أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا**﴾: استفهام إنكاري، منكرين أن يرسل الإله بشراً، فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم متضمّنة بيّنة، ولم يبق لهم إلاّ شبهة تتلجلج في صدورهم هي كون الرّسول

---

1. سورة القمر الآية 46.
2. سورة المائدة الآية 69.
3. سورة الإسراء الآية 61.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص334.
5. سورة الأعراف الآية 12.
6. سورة الإسراء الآية 93 – 94.

صلى الله عليه وسلم لا يصحّ بشراً[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المشركين حين تعجّبوا من أمر البشر أن يكون منهم رسول، فعارضوا أمر الله تعالى والدّعوة المحمدية، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[2]، واستغرابهم كيف لنبيّ يأتيهم بشيء جديد يدعوهم إلى دين جديد وهو فقير، يأكل ويشرب مثلهم، ويتاجر معهم، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾[3]، فأدّى بهم إلى السّخريّة والاستهزاء، وعرقلة مسير الرّسالة الرّبّانيّة المقدّسة، كما قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾[4]، لكن ليس كما يشاءون وإنّما كما يشاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾[6]

﴿**لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ**﴾: تمنّي توبيخي تعجيزي، أي: على جواز عبادتهم بحجّة أو برهان ظاهر لا خفاء به[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار والمشركين الّذين ظلموا أنفسهم

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص390.
2. سورة إبراهيم الآية 10.
3. سورة الفرقان الآية 07 – 08.
4. سورة المؤمنون الآية 34.
5. سورة الفرقان الآية 23.
6. سورة الكهف الآية 15.
7. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص429.

باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى يعبدونها ويتضرّعون لها في حين ما لها من أساس، كما قال تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾.[2]

﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ**﴾: نداء ندبة، والويل: الهلكة كأنّهم نادوا هلكتهم الّتي هلكوها من بين الهلكات[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى يقين الكفّار بأنّ الكتاب الّذي جاء به رسلهم عليهم السّلام ليس كسائر الكتب الّتي يعرفونها، فهو يدوّن كلّ شاردة وواردة عن الأقوام الماضية الّتي لم يبقى لها باقية، كما قال تعالى: ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾[4]، ويبيّن نوع العذاب الّذي أصاب الأقوام الّتي ظلمت نفسها بعد قرون من الزّمن، كما قال تعالى: ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾[5]، ويتنبّأ بمصير المستقبل، كنتيجة الغزوات، ومصير بعض كفار قريش، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[6]، وتبشير بعض الصّحابة بالجنة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[7]، لكن رغم ما تقره عقولهم بأنّ هذا الكتاب ليس مجرّد كلام، أو قصص، أو روايات،

---

1. سورة الأنعام الآية 19.

2. سورة الكهف الآية 49.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص497.

4. سورة الحاقة الآية 08.

5. سورة الذاريات الآية 41.

6. سورة آل عمران الآية 123.

7. سورة فصلت الآية 30.

وإنّما وحي من الخالق عزّ وجلّ ليبيّن أنّه الواحد الأحد المعبود في هذا الكون وذلك كان العقاب عليهم أشدّ وأمرّ، كما قال تعالى: ﴿**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[2]

﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ**﴾: استفهام إنكاري، أي: لا أظلم لنفسه[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال من شهد عظم الآيات لكنّه أعرض عنها، فحُجّر عقله عن التّفكّر والتّدبّر، وصُمّت آذانه عن الإصغاء وعمت بصيرته، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾[4]، وإن هيّأ له من نعيم الدّنيا ويسّر له سبل التّوبة، لم يكن أهلها.

في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[5]

﴿**أَخَرَقْتَهَا**﴾: استفهام إنكار وتوبيخ[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى كيف حاول سيدنا موسى عليه السّلام معرفة ما يجري حوله من خوارق بدت له أمور سيئة وعدوانية، وكيف حاول العبد الصّالح وهو الخضر الّذي – أتاه الله تعالى علماً وحكمةً – أن يهدّئه ويدعوه إلى التريّث والصّبر، لكن هذه هي حال الطّبيعة البشريّة في استعجال كلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**﴾.[7]

---

1. سورة طه الآية 127.
2. سورة الكهف الآية 57.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص06.
4. سورة الأعراف الآية 198.
5. سورة الكهف الآية 71.
6. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص24.
7. سورة الأنبياء الآية 37.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**﴾[1]

﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: استفهام إنكاري وتوبيخي، أو تعجبيّ، والمعنى ظاهر كأنّه قيل: أفحسب اتخاذهم الشّياطين أولياءهم، وعبادتهم إيّاهم نافعة لهم، أو مزيحاً عنهم العذاب كلا هم في الجحيم سواء[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه لا قدرة للشّياطين وأوليائهم في تغيير مصيرهم من جهنّم أعدّت لهم نزلاً وسيئت مقاماً في إغواء العباد وتضليلهم، كما في قوله تعالى: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾.[3]

---

[1]. سورة الكهف الآية 102.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص76.

[3]. سورة ص الآية 85.

المبحث الثالث: المسند إليه والمسند معرفة

المطلب الأوّل: مفهوم المسند إليه والمسند لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: مفهوم المسند إليه والمسند لغةً

الإسناد من السّند وهو ما ارتفع من الأرض في قبل جبل أو واد[1]، وقد سند إلى الشيء يسند سنودا واستند وتساند وأسند وأسند غيره[2]، والإسناد في قولهم: أسندت هذا الحديث إلى فلان أسنده إسناداً، إذا رفعته إليه، وباب من النحو يسمى المسند والمسند إليه.[3]

ثانيّاً: تعريف المسند إليه والمسند معرفة اصطلاحاً

المسند إليه: هو المحكوم عليه، فاعلًا كان، أو نائب فاعل، أو مبتدأ أصلًا أو حالًا، وأحواله هي ما يعرض له من ذكر، وحذف، وتعريف، وتنكير، وتقديم، وتأخير، وغير ذلك.[4]

المسند: هو الخبر، والفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النّواسخ، والمصدر النّائب عن الفعل وأحواله: هي: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتقديم والتأخير، وغيرها.

ثالثا: المسند إليه والمسند المعرّفين

[1] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج03، ص220.

[2]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج07، ص229.

[3]. ابن دريد الأزدي، المصدر السابق، ج02، ص649.

[4] . حامد عوني، المصدر السابق، ج02، ص18، ص53.

حقيقة المعرفة بأمر لفظي لأمرين، أمّا أولاً فلأنّ المقصود بيان الماهية، وهذا لا يحصل إلاّ بالأمور المعنويّة دون اللّفظية، وأمّا ثانيّاً فلأنّ بعض المعارف يكون في معنى النّكرة كقولنا: ضاربك، وأرسلها العراك.[1]

المسند إليه: يكون معرفة لأنّه المحكوم عليه الّذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً، وهو على أقسام: بالإضمار، بالعلميّة، بالإشارة، بالموصوليّة، بأل، بالإضافة، بالنّداء.[2]

المسند: يعرّف المسند لإفادة السامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر، أو لإفادة قصره على المسند إليه حقيقة ادعاءً مبالغة لكمال معناه في المسند إليه.

[1]. إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ج02، ص08.

[2]. أحمد مصطفى الهاشمي، المصدر السابق، ج01، ص108.

المطلب الثّاني: توظيف المسند إليه والمسند معرفة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾.[1]

﴿**ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾: إشارة إلى اللّباس، والتّقوى: البعد في الموضعين للتّعظيم، وذلك دليل على رحمة الله تعالى وفضله على عباده، وقدرته، ووجوده، ووحدانيّته[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى أعظم ما يكنز الإنسان المؤمن ويدّخر من الأعمال العمل الصّالح وتقوى القلوب، عكس الفاجر مظهر لعورة الشّرك والنّفاق وإن كان يلبس أعذب الكلام وأجمل الأعمال، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[4]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 26.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 47، ص48.

[3]. سورة البقرة الآية 204.

[4]. سورة الأعراف الآية 37.

﴿**كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى**﴾: إشارة لإخراج الثّمار، أو لإحياء البلد المفهوم من الكلام[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى عظمته وقدرته في إحياء الموتى، وهو أمر لم تشهده أمّة محمد صلى الله عليه وسلم بعد كما أظهر لنا هبوب الرّياح فجأة فتثير السّحاب وتركنه ثم ينزل عبره مطر عذب وطهور، كما قال تعالى: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، فكما تزهر الأرض بالزّهور والثّمار، تزهر الدّنيا بالحياة والبهجة.

في قوله تعالى: ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[3]

﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾: إشارة إلى تعذيب كلّ ظالم بالنّار[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى تحقير حال كلّ ظالم ومشرك بدخول النّار ويأتيهم العذاب من تحتهم ومن فوقهم، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[5]، وعلى وجوهم، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾[6]، وعلى ظهورهم، كما قال تعالى: ﴿**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[7]، وعلى بطونهم، كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ**

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 120.
2. سورة الروم الآية 50.
3. سورة الأعراف الآية 41.
4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 78.
5. سورة العنكبوت الآية 53.
6. سورة القمر الآية 48.
7. سورة الأنبياء الآية 39.

فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾[1]، وكلّ جزء من جسمهم يغصّ في النّار لتأكله، يموت ثم يحي وتأكله النّار، هذا على مرّ الخلود، كما قال تعالى: ﴿**لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3]

﴿**أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**﴾: أشير إليها بإشارة البعيد، وهم فيها حاضرة لعلو شأنها، أو قيل إشارة إلى الجنة التي وعدوا بها في الدنيا، وآل في الجنة للحضور، أي الجنة الموعود لكم بها في هذه الجنة[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى تعظيم الجنّة وأنّه الحقّ لا يخلف عهداً ولا ميعاداً وأنّه سيورث الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات والمحافظون على الصّلوات جنّة الفردوس، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[6]

﴿**فَاصْبِرُوا**﴾: تربّصوا يا أيّها الكفرة وانتظروا حتى يقضي ويفصل الله بين من آمن ومن كفر، ينصر الله من آمن ويهلك من كفر، ويميز المحق من المبطل، وهذا وعيد عظيم للكفرة، يتضمن وعداً للمؤمنين وتسلية لهم عمّا يصيبهم من الكفرة هذا هو الأظهر والأكثر، الغرض منه إظهار الله تعالى مقام الصّبر وعظيم التحلي بالثّبات، فبالصبر يكون النّصر والفوز بإذن الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾[1]

---

1. سورة البقرة الآية 174.

2. سورة طه الآية 74.

3. سورة الأعراف الآية 43.

4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 81.

5. سورة المؤمنون الآية 09 – 10 - 11.

6. سورة الأعراف الآية 87.

﴿**مُوسَى وَهَارُونَ**﴾: حين رأوا سحرة فرعون برهان الله تعالى وانهزامهم أمام عصى موسى عليه السّلام بادروا بالسجود فوراً تعظيما لله سبحانه[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى أسماء الأنبيّاء عليهم السّلام تعظيماً لهم وتشريفاً لرسالتهم الّتي تدعوا إلى التّوحيد والتّعظيم.

في قوله تعالى: ﴿**وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾[3]

﴿**وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ**﴾: (ما كان) اسمها ضمير الشّأن، وفي (يصنع) ضمير فرعون لأنّه في نية التّقديم، أي خرّبنا ما صنعوا من قصور وعمارات وبناء، وما يرفعون من الأعناب والأشجار، أو من الأبنية كمساكن فرعون والصّرح الّذي يناله هامان وغيرهما ممّا بالغوا في رفعه، أو ما كانوا يجعلونه عرشاً أي سقفاً، وعرش البيت سقفه[4]، الغرض منها إظهار الله تعالى الإهانة الّتي حلّت على فرعون وقومه من الكفّار الّذين دمّرهم الغرق فأتى على كلّ ما صنعوا واعترشوا.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5]

﴿**وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾: أشار إليهم بإشارة البعد لبعدهم عن مقام الخير والمجلس المعتبر[6]، الغرض منها تبيين الله تعالى تحقير حال الكفّار وأعمالهم الباطلة الّتي لا توصل إلى الجنّة ولا تخرجهم من نار الجحيم، كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.[7]

---

1. سورة الأعراف الآية 122.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص203.

3. سورة الأعراف الآية 137.

4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص227، ص228.

5. سورة الأعراف الآية 139.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 231.

7. سورة هود الآية 16.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾[1]

﴿**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: إشارة إلى سوء العذاب، إذ جعلنا الإشارة إلى الانجاء فالبلاء معنى النّعمة[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى تعظيم البلاء الّذي أصاب قوم فرعون من التّعذيب، والتّقتيل، والاعتداء على العرض والمحارم، وكيف أنّ الله تعالى أنجا من يستحق النّجوى، من جماعة مسلمة ركبت السّفينة مع سيّدنا موسى عليه السّلام فأخذها الموج إلى برّ السّلام والأمان، وأغرق فرعون وأتباعه، كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[4]

﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾: فهو المدبّر والمالك، وهو الّذي أمرني أن أخبركم برسالتي إليكم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى مقام التّكلم حين أمر نبيّه عليه السّلام بأن يوضّح لهم أنّه رسول جميع قومه جاء برسالة التوحيد من مالك السّموات والأرض المحي والمميت، وإليه الأمر والطّاعة.

---

1. سورة الأعراف الآية 141.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 233.

3. سورة البقرة الآية 50.

4. سورة الأعراف الآية 158.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص228.

في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[1]

﴿**الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا**﴾: فيه إشارة إلى منافقي أهل الكتاب الّذين يعرفون النّبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم وأنكروه، وبه قال ابن كيسان والحسن، فالمراد بالّذي الجنس أو الفريق، وصواب هذا أن يقول إلى كفّار أهل الكتاب، لأنّه لم يكن منهم منافق، إنّما كانوا مجاهرين اللّهم إلاّ إن سمّاهم منافقين بالنّسبة إلى دينهم حيث آمنوا به، واقترفوا الكبيرة هي إنكار النّبي صلى الله عليه وسلم بألسنتهم[2]، الغرض منها تنبيه الله تعالى على خطأ غير المخاطب وهم القوم الّذين أتاهم الله تعالى من الآيات الدّالة على وحدانيّته تعالى وأيقنوا بمعرفتها وأقرّوا مصداقيّة الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام في إتيانهم المعجزة ونزول الوحي، لكن غرّهم الشّيطان وأعمى بصيرتهم فأنكروا ما رأوه من معجزات خالدة وكذّبوا ما سمعوه من تلاوة قرآنيّة عطرة من كلام العليّ القدير ومن أحاديث طاهرة تنبع من نفس طاهرة[3]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[5]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ**﴾: تعبدون أو تطلبون، ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾: من الأصنام، ﴿**عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾: مخلوقة لله، مملوكة له مسخّرة، كما أنّكم مخلوقون مملوكون مسخّرون، فكيف تدعون مثلكم، ويحتمل أن يكون هذا تهكّماً بهم، أي هب أنّ الّذين تدعون أحياء عقلاء فما هم إلاّ

[1]. سورة الأعراف الآية 175.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص259.

[3]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج05، ص259.

[4]. سورة الأعراف الآية 36.

[5]. سورة الأعراف الآية 194.

أمثالكم في الحياة والعقل، فكيف وهم لا حياة ولا عقل[1]، الغرض منه تنبيه الله تعالى خطأ المشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء لا ينتبهون لهم، بل هم في حالهم العابد أقوى من المعبود، والمعبود دائماً في حاجة العابد فهو ناقص بدونه وضعيف، كمثل الصّنم يحتاج دائماً إلى من يعدله ومن يحركه ومن يجهزه، خلاف من يعبد الله تعالى فالله تعالى قويّ سواء آمنوا به كلّهم أو كفروا به كلّهم، فالله تعالى غنيّ عن العالمين.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾[2]

﴿**الَّذِي**﴾: تعليل مستأنف راجع إلى ما يدلّ عليه الكلام السّابق من عدم مبالاته بهم، وعدم وصولهم إليه[3]، الغرض منه توضيح الله تعالى أنّ سبب التّمسك بالله تعالى والتّوكل عليه، هو الثبات على خشية الله تعالى والخوف من عقابه، فمن يتولّى أمر الدّنيا والعباد هو الله تعالى دون سواه سبحانه وتعالى عمّا يشركون، وإليه يرجع الحكم والتّوكّل في جميع الأمور خيرها وشرّها، وأنّ الله تعالى هو من بيده الفصل بين المشرك والمخلص وبين المفسد والمصلح، كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾[5]

﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**﴾: علامتين دالّتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا وحكمتنا تدلان بسبب تعاقبهما لأنّهما يتعاقبان على نسق واحد، ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾: إضافة

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص287.

2. سورة الأعراف الآية 196.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص289.

4. سورة النجم الآية 32.

5. سورة الأنفال الآية 12.

للبيان أي: آية هي الليل، ومحوها إنّما هو إدخال النّهار عليه فيكون الإشراق بالشّمس فتزول الظّلمة، ﴿**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾: إضافة أيضاً للبيان أي: جعلنا بنفسها آية هي النّهار[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى حقيقة الآيتين الكونيّتين وهما الشّمس والقمر وما يتعاقب عن حقيقتهما من ليل ونهار.

في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾[2]

﴿**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ**﴾: والمراد بالذّوق ملابسة ذلك، أو الإشارة إلى أنّه يسير بالنّسبة إلى ما أعدّ لهم في الآخرة[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى تحقير مصير الكفّار الّذين عصوا الله تعالى وضايقوا رسوله صلى الله عليه وسلم، بأنّ لهم العذاب الأليم الّذي سيتجرّعونه شراباً وطعاماً[4]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾[5]، وكما في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾[7]

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا**﴾: النّاس، ﴿**عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾: أي: إنّ الّذين كفروا يريدون إنفاق أموالهم لذلك، ﴿**فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**﴾: أريد بذكر الإنفاق

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص272.

2. سورة الأنفال الآية 14.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص338.

4. مصطفى أبو السعود، المصدر السابق، ج04، ص11.

5. سورة يونس الآية 04.

6. سورة الصافات الآية 62.

7. سورة الأنفال الآية 36.

أوّلاً لبيان علّة الإنفاق، ويذكره ثانيّاً لبيان أنّه سيقع ويرتّب على وقوعه الحسرة والغلبة[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى سبب إنفاق الكفّار أموالهم وهو الصّدود عن ذكر الله تعالى وعرقلة الدّعوى المحمّديّة وسينفقونها في الخسران والدمار والهلاك.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[2]

﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى**﴾: يا محمد أو كلّ من يصلح للرّؤية، ولو ترى الّذين كفروا، أو حال الّذين كفروا يتوفّاهم الملائكة، فملائكة التّوفي تضرب الوجوه والأدبار عند التّوفي، وملائكة الزّبانيّة تقول: ذوقوا عذاب الحريق، وقيل: الأصل وحالهم يوم القيامة أن يقال لهم ذوقوا، والتّعبير بالذّوق بشارة على جهة التّهكم، فإنّ الذوق في الأكل والشرب والحريق الحرق، الغرض منه إظهار الله تعالى الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم، تنبيها إلى حالهم مع الضرب على الوجوه والأدبار، وفي ذلك تبيين لأهوال يوم القيامة في بلوغ الغاية في الظّهور، بحيث لا تخفى على أحد.[3]

في قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾[4]

﴿**آلِ فِرْعَوْنَ**﴾: بيان ما أخذ به آل فرعون من الكفر والهلاك[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى الإهانة التي آل إليها آل فرعون وإتباعه من الكفار في الهلاك والغرق.

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص370.
2. سورة الأنفال الآية 50.
3. أحمد مصطفى المراغي، ج01، ص113، ص114.
4. سورة الأنفال الآية 54.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص400.

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**﴾[1]

﴿**ذَلِكَ الْخِزْيُ العَظِيمُ**﴾: إشارة للخلود في النّار[2]، الغرض منها تبين الله تعالى تحقير مصير الكفّار الّذين يخالفون أوامر الله تعالى ويتعدّون على حدوده،[3] ويسخرون من النّبي صلى الله عليه وسلم ويستهزئون من دعوته ونشر رسالته النّبيلة، فلهم عذاب لا مثيل له في نار جهنم وللأبد لا هم أحياء ولا أموات يذقون الويل ويشربون الحميم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾[4]، وكما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[6]

﴿**أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾: أي بطلت ولم يكن لها ثواب، والإشارة إلى الماضين الموصوفين بالشّدّة، فأنتم كذلك تحبط أعمالكم، أو إليهم وإلى المنافقين والمشركين المعاصرين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: الخطاب في استمتعتم وخضتم لمشركي قريش دون المنافقين، والإشارة لكل مشرك ومنافق، ومعنى حبطت أعمالهم أن أعمالهم باطلة ليست مما يعتدّ به، ويثاب عليه، لأنّها معاص، أو إنّ ما عملوه من أعمال حسنة لا تنفعهم في الدّنيا بأن لا

---

[1] . سورة التّوبة الآية 63.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص40.

[3]. أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي، المصدر السابق، ج08، ص 378.

[4]. سورة طه الآية 74.

[5]. سورة الأعلى الآية 12 – 13.

[6] . سورة التوبة الآية 69.

تقيهم من قتل وسب، ولا في الآخرة، وهذا الوجه الثاني، على أن الإشارة للمشركين[1]، الغرض منها إظهار الله تعالى تحقير أعمال الكفّار، وتحذير الله تعالى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم بأن لا تتبع الأقوام السابقة التي كانت أشد قوة في الأموال والأولاد ونسيت ذكر الله تعالى وتوحيده، وانشغلت بمغريات الدّنيا في ارتكاب المعاصي ونشر الفساد[2]، واغترت بتلك القوة اعتقادا منها أنها خالدة ولا تزول وأنّه ليس هناك قوة فوق قوة ما حصلت عليه من نعمة الأموال والأولاد فحبطت أعمالها وصارت باطلة لا تنفع في إدخالها الجنة وصارت وقودا لجهنم وخسرت أنفسها إلى الأبد، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[4]

﴿**هُوَ**﴾: هذا الضّمير إنّما يفيد التّأكيد من حيث المعنى، تعريف المسند والمسند إليه مفيد للحصر، والمسند إليه هنا معرّف دون المسند، ومعنى قول جار الله: إن هو للتّخصيص، أنه تخصيص لله في الذكر بعد ذكره أيضا كما قالوا في الحمد لله: إنّ اللاّم للتّخصيص، فمن ادعى ثبوت الحمد لغير الله فليأت ببيان، ولا بيان له[5]، الغرض منه إظهار الله سبحانه وتعالى اختصاصه بالمغفرة وحصول التّوبة دون سواه، وأنّه هو من يأخذ الصّدقات ويميز صدقها من ريّائها وخلوها من المنّ أو الأذى.

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص47.

[2]. جابر بن أبو بكر الجزائري، المصدر السابق، ج02، ص 393.

[3]. سورة المنافقون الآية 09.

[4]. سورة التوبة الآية 104.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص91.

في قوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾[1]

﴿**تِلْكَ**﴾: إشارة إلى آيات السّورة قبل نزولها، كأنّها حاضرة مشاهدة، ولذلك إشارة بإشارة البعيد، وقيل: هو بمعنى هذه، وقيل: إشارة إلى آيات القرآن، وقيل: إلى ما نزل منه قبل ذلك، وعد الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينزّل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، ولا تغيره الدّهور، فذكر الله تعالى أنّه هو هذا ما بين ما نزل وما ينزل، أو هذه منه، وقيل: إشارة إلى آيات الكتب المتقدّمة، كالتّوراة والإنجيل، ويضعفه أنّه لم يتقدّم لها ذكر[2]، الغرض منها بيّن الله تعالى عظيم ما نزل من السّموات إلى الأرض وحي مقدس من توراة، وإنجيل، وزبور، وخاصة القرآن الكريم الّذي جمع كلّ هذه الدّيّانات ليتمّم ما بقي ويثبت ما حرف، كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[4]

﴿**عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾[5]، في الآية إشارة إلى أنّهم أوجبوا لأنفسهم العذاب، لأنّ طلب المعصيّة معصية، وقيل: ذلك منسوخ[6]، بقوله تعالى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[7]، الغرض منها بيّن

---

1. سورة يونس الآية 01.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 11.

3. سورة المائدة الآية 03.

4. سورة يونس الآية 15.

5. سورة الحج الآية 02.

6. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص30.

7. سورة الفتح الآية 02.

الله تعالى الحال الّتي أل إليها الكفّار حتّى أرادوا أن يسمعوا غير هذا الوحي وأن يوقعوا النّبي صلى الله عليه وسلم في الضّيق والحرج، كما قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[1]، وأحبّوا له المعصيّة والهلاك لكن الخوف الشّديد والطّاعة المتينة حالت دون ذلك، فمن تجرّأ على الله تعالى وعلى نبّه صلى الله عليه وسلم جلب لنفسه ويلاً عظيماً وعذاباً أليماً، كما قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[3]

﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ**﴾: إشارة إلى العقلاء وهم الملائكة، وغير العقلاء وهو الأوثان، وأصله للعقلاء، ولكن ذلك تغليب، وقيل: المراد بما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان، ولفظ هؤلاء قد يشار به إلى غير العقلاء، ولا سيما إذا نزل منزلة العقلاء كما هنا، قيل: كان أهل الطائف يعبدون اللاّت، وحجابها بنو مغيث، وأهل مكة العزى، وحجابها بنو شيبة، ومناة وهبل، وأسافاً، ونائلة[4]، الغرض منها بيّن الله تعالى إصرار الكفّار والمشركين على عبادة الأوثان وممّا تصنع أيديهم رغم كون الصّنم جماد لا يتحرّك ولا حول ولا قوّة له على حماية نفسه من قسوة الشّتاء وحرّ الصّيف فكيف له أن يسيّر الكون على كبره وعظمه، كما قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[5]، ونشير هنا أنّ تلك الأصنام الّتي صنعت من الطّين

---

1. سورة النحل الآية 127.

2. سورة الجاثية الآية 07 – 08.

3. سورة يونس الآية 18.

4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص33.

5. سورة الأنبياء الآية 22.

هي في نفسها تسبّح لخالقها الواحد الأحد، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[2]

﴿**مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ**﴾: تعريف المسند والمسند إليه للحصر، أي: ليس للحصر ما جئتم به إلاّ سحر، وأل للحقيقة، أي: السّحر متحقّق فيما جئتم به صادق عليه، لا فيما جئت به، وسماه فرعون وقومه سحراً، وقال الفراء وابن عطية: أل للعهد، لأنّه قد ذكر منكراً، ويرده اختلاف مدلول سحرين، فإن المعرف سحرهم، والمنكر ما أتى به موسى، إلاّ إن أراد بالهدية ما أشعر به لفظة سحر، فإن مدلولها حقيقة السّحر، ولو كانوا كاذبين[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى حقيقة السّحر الذي جاء به السّحرة وأنّ ما سموه سحراً هو الحقّ الواضح واليقين.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[4]

﴿**رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**﴾: اعتصم بك من أن أسالك ما ليس لي بجواره وصحته، وإلاّ تغفر لي هذا السّؤال وغيره مما فرط مني بالتوبة والتفضل عليّ أكن من الخاسرين، وهو في ذلك لم يتعمّد العصيان به معصية، صوناً لمرتبة النّبوّة الّتي يستعظم فيها أدنى ما يكرهه، وتعظيما لله[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى دعاء سيّدنا نوح عليه السّلام حين تقرّب إلى ربّه مستحضراً في ذلك مشاهدة الله تعالى في خوف ورجاء، وطلبه للعفو والمغفرة.

---

1. سورة الإسراء الآية 44.

2. سورة يونس الآية 81.

3. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص108، ص109.

4. سورة هود الآية 47.

5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1523.

في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1]

﴿**مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا**﴾: أي هذا الزمان، أو هذا القرآن، فإن كانوا علموها فما علموها بتفصيلها الّذي في الآية، وفي ذكر القوم إشارة إلى أنّه إذا لم يعلموها، مع كثرتهم، وكثرة سفرهم، التقائهم بأهل الكتاب والعجم، فكيف يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم؟، فما عَلِمَها إلاّ بوحي من الله تعالى[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى مصداقيّة القرآن الكريم بأنّه وحي يوحى ولم يكن في علم أي نبّي أو بشريّ من قبل، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[3]، ولا ليس مجرد شعر أو سحر وغيرها من الأسماء المبتكرة.

في قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[4]

﴿**وَتِلْكَ**﴾: إشارة إلى قبيلة عاد، كأنها حاضرة مرئية هذا ما يظهر به، وأفسر به الآية، أو أشار إليهم بواسطة ظهور قبورهم وآثارهم للعرب في الأسفار، فإن حضورهم بالقبر والأثر كحضورهم بالجسم، أو أشار إلى القبور والآثار نفسها[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الأقوام الّتي كفرت ونشرت في الأرض الطّغيان والفساد واتبعت الجبابرة والطّغاة والفسّاد فقوبلت بالزّوال والفناء، كما قال تعالى: ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾[6]، ولم يبقى منهم سوى البيوت الّتي بنيّت من

---

[1]. سورة هود الآية 49.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1525.

[3]. سورة العنكبوت الآية 48.

[4]. سورة هود الآية 59.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1535.

[6]. سورة الحاقة الآية 08.

الجبال والصّخور أو تلك القبور العظيمة الفرعونيّة وغيرها، أو تلك الآثار المرسومة على التّماثيل والأحجار، أو المخطوطة في أعمق الكهوف والجبال.

في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ**﴾[1]

﴿**وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾: لكم حال من آية، ولو كان لفظ آية نكرة لتقدّمه، وآية حال من ناقة، وصحّ ذلك نظر إلى معنى أشير، حتّى قالوا: إنّ العامل فيه معنى الإشارة، والآية المعجزة[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال الأنبياء والرّسل عليهم السّلام وهم في عزم وثبات في توجيه أقوامهم إلى طريق البرّ والأمان وصبرهم الدّءوب على مكائدهم وحيّلهم ونقضهم للعهود، فلم يسلم أحد منهم من أذيّتهم ولا من بطرشهم، حتّى الحيوان النّاقة لم تسلم هي الأخرى من العقر والذّبح، كما قال تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾[3]، على الرّغم من ضخامتها وغرابة هيئتها الّتي لم يعتادوها وكونها خلقت معجزة وآية دالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

في قوله تعالى: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[4]

﴿**ذَلِكَ**﴾: خطاب لكبيرهم، وخطاب كبير القوم خطاب لهم، أو لكل من يصلح منهم للخطاب على سبيل البدلية، والإشارة إلى الوعد، أو إلى التمتع ثلاثة أيام فقط[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه لا يخلف المعاد فإذا توعّد بنزول العقاب فلا تكذيب ولا تشكيك، فهم خالفوا

---

1. سورة هود الآية 64.

2. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1539.

3. سورة الشمس الآية 13.

4. سورة هود الآية 65.

5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1540.

أمر نبيهم عليه السّلام في عدم إلحاق النّاقة بسوء، فعقروها فور الغفلة فانتقم الله تعالى منهم أشرّ انتقام بعذاب لم يشهدوه من قبل، كما قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾[2]

﴿**هَؤُلَاءِ بَنَاتِي**﴾: إشارة إلى الإناث، ودعا أضيافه ببناته كرماً وحفظاً لهم، وقد طلبوه من قبل ذلك أن يزوجهم بهن، فامتنع لكفرهم وفسقهم، وعدم كونهم أكفّاء لهنَّ، ولما تعرضوا لأضيافه سمح بهن سترا لهم، وكان حلا في شرعه تزويج المؤمنة بالكافر، والمؤمن بالكافرة ولو صنمية، كما زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته من عتبة بن أبي لهب، وأبي العاص بن وائل في أوّل الإسلام، ثم نزل تحريم ذلك[3]، في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى الخصال الّتي يمتاز بها كلّ نبيّ أو رسول عليهم السّلام في معاملة قومهم فهم لا يفرّقون بين أتباعهم وبين أعدائهم، فللأتباع حسن الدعوة والاستقامة والموعظة الحسنة وعدم الاغترار، ومع الأعداء الصّبر على مكائدهم ودوام المحاولة والإقناع دون ملل أو كلل، فنيّتهم ورسالتهم الوصول إلى المطلوب وهو توحيد البشرية أجمع على دين واحد، كما قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾.[5]

---

1. سورة الشعراء الآية 157.

2. سورة هود الآية 78.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1552.

4. سورة البقرة الآية 221.

5. سورة الأحقاف الآية 35.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾[1]

﴿**وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا**﴾: فيه معنى الإشارة، ومعناه: أشير إلى بعلي شيخاً، وهذا بعلي أشير إليه شيخاً، عمرها تسع وتسعون سنة، وعمره مائة وعشرون سنة[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى قدرته العجيبة في إدخال السّرور على القانط واليائس وتغيير حاله الكئيبة إلى حال الابتهاج والسّعادة، كما قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾[3]، فقد عجّز الله تعالى عقول القوم وحيّرهم في إنجاب عجوز هلكها السّن، وشيخ كبير وجعه العكّاز في استحسان حالهم ومظهرهم وجعلهم في حلّة جديدة لاستقبال المولود النّبي إسحاق عليه السلام، ومن بعده تربية الحفيد النّبي يعقوب عليه السّلام.

في قوله تعالى: ﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**﴾[4]

﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً**﴾: إشارة في حال إتباعهم لعنة في الدّنيا، ولعنة في الأخرى من الله تعالى، وغيره، فالأصل ويوم القيامة لعنة، فحذفت لدلالة الأولى، أو المراد بالأولى ما يشملهما معاً[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ عقابه ليس محصوراً على الآخرة بدخول النّار وإنّما ينزل عذابه أيضا في الدّنيا على أقوام أشرّ المخلوقات أذاً ونفاقاً وظلماً استهزؤوا من غضب الله ولعنته، فلم ينتظر عقابهم حتى اليوم الموعود وإنّما أنزل عليهم الرّياح والصّواعق والطّوفان، وغيره من الهلاك، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**

---

1. سورة هود الآية 72.

2. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1546.

3. سورة هود الآية 71.

4. سورة هود الآية 99.

5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1573.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1]، ولم ينتهي عذابهم بل وساء ما ينتظرهم في الآخرة.

في قوله تعالى: **﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾**[2]

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: يجوز أن تكون هذه إشارة إلى أنّه لا مسند لهم في عبادة الأصنام إلاّ تقليد الآباء[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ إتّباع النّاس في كلّ الأمور دون التّحقق من مصداقيتها وسند مشروعيّتها تقليد كاذب لا يوصل بصاحبه إلى عبادة الله تعالى أصحّ عبادة، **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[4]، وبالتّالي لا يمكن للمؤمن الصّالح أن توجّهه الرّياح متى شاءت، وعليه أن يغربل كلّ شيء ليأخذ منه الفاضل ويترك الرّاذل يتمسّك بالحقّ ويركن الباطل، كما في قوله تعالى: **﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾**.[5]

في قوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾**[6]

---

1. سورة المائدة الآية 60.
2. سورة هود الآية 109.
3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1583.
4. سورة المائدة الآية 77.
5. سورة الأنعام الآية 153.
6. سورة هود الآية 114.

﴿**ذَلِكَ**﴾: إشارة إلى قول الطّبري: ما ذكر في السّورة من الأوامر والنّواهي والقصص، وقيل: القرآن، وقيل: الصّلوات المشار إليها بالحسنات، فإنّ الصّلاة ناهيّة عن الفحشاء والمنكر، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى الإخبار بالحسنات يذهبن السّيّئات[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ نزول الآيات وهبوط المعجزات ما هو إلاّ ذكرى لتعتبر أولي العقول النّيّرة، كما قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2]، وتتّعظ القلوب اللّينة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[3]، وتصغا لها أذن صاغيّة، كما قال تعالى: ﴿**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[4]، وتنظر إليها أعين بآصرة، كما قال تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[5]، لإرادة الحق والفوز بالدّرجات العلى من جنّة الخلد تجري من تحتها السّيول والأنهار.

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[6]

﴿**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾: إشارة إلى الاختلاف كما قال الحسن وعطاء، أو إليه وإلى الرحمة، والهاء للناس، ويجوز أن تكون الهاء لمن، فالإشارة إلى المذكور من الرحمة، كما قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ مصير اختلاف الأمم وارد، فهناك من يسلم من الاختلاف ويبقى على دين التّوحيد وعلى سنّة النّبيّ المصطفى صلى الله عليه وسلم

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1588.
2. سورة المائدة الآية 100.
3. سورة ق الآية 37.
4. سورة الحاقة الآية 12.
5. سورة الحشر الآية 02.
6. سورة هود الآية 119.
7. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1593.

فيرحمه الله تعالى ويدخله الجنّة بسلام، كما قال تعالى: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**﴾[1]، وهناك من يختلف عن دينه ويدخل في أديان شتى أو يشترك في ملل وفرق عدّة، كما قال تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[2]، ويدخله الله تعالى جهنّم فلا يسمع له حنين ولا همسا، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾. [3]

في قوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ**﴾: إشارة إلى الدّنيا حاضرة مجازة، وإن لم تذكر، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الأنباء، أو إلى كلّ لوقوعه جمل أنباء، ﴿**الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾: إشارة إلى الفؤاد الزائدة على التّثبيت، وخصّ المؤمنين لأنّهم المنتفعون[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ ذكر القصص في القرآن عن الأقوام السّابقة وأحوالهم، وأشكالهم، ومصيرهم، ونهايتهم، لم يكن مجرّد رواية أو حكاية هدفها اللّهو وتسلية القارئ أو السّامع، وإنّما عبرة، ودرس، وعلم يقتدى به، وذكرى لمن أراد الاتعاظ والهداية، وامتحان للصّبر والثّبات على الدّين، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى**﴾[6]

---

1. سورة ق الآية 34.

2. سورة الروم الآية 32.

3. سورة المؤمنون الآية 76.

4. سورة هود الآية 120.

5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1594.

6. سورة يوسف الآية 111.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[1]

﴿**الذِّئْبُ**﴾: قيل في الذّئب للحقيقة، وإنّما تخوف سيدنا يعقوب عليه السّلام أكل الذّئب لسيّدنا يوسف عليه السّلام لكثرة الذّئاب بأرضهم، الغرض منه إظهار الله تعالى فطنة سيّدنا يعقوب عليه السّلام من أولاده البكر وحسدهم العظيم على أخيهم يوسف عليه السّلام، وذلك ما جعله يخاف ويرتعب من أفعالهم حين همّوا بالذّهاب به معهم إلى المرعى فتنبّأ سيّدنا يعقوب عليه السّلام من الخديعة المتنمّرة في هيئة الذّئب حقيقة والّذي جاءوا به على دمٍ كذب.

في قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[2]

﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي**﴾: هي زليخا، قيل: عبّر به تقريراً للمراودة، لما فيه من فرط الاختلاط والألفة، وقيل: تقرير المسند إليه لإمكان وقوع الإبهام في امرأة العزيز، أو زليخا، أو راعيل، واشتهر أن ذلك زيادة تقرير، واختير أن ذلك لزيادة تقرير واستقباح التّصريح بالاسم[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنّة الرّيبة، وهذا التّعبير أوضح في الدّلالة على هذا الغرض مما لو قيل امرأة العزيز أو زليخا أو نحو ذلك لأنّه إذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلامها وفي بيتها مع كمال قدرتها عليه كان ذلك غاية النّزاهة ونهاية العفّة والطّهارة.[4]

---

1. سورة يوسف الآية 13.

2. سورة يوسف الآية 23.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص175.

4. أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج01، ص117.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[1]

﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾: فإنّ حاله غير معهودة للبشر، إذ جمع الجمال والكمال اللّذين لا يوجدان في مثله، والعصمة البالغة مع ذلك ادعى للجمال ولكمال الداعيين إلى عدمها أسباب عدمها، كخضع النّساء لهما، ودعائهن لحاجتهن، ولأنّ جماله فوق جمال البشر، وإنّما يفوقه فيه الملك، والمشهور المتبادر المدلول عليه بالسّباق واللّحاق أنّ ذلك وصف من حديث العشق والميل للجماع، نعم يصح أن يردن ذلك كلّه، وأنّه كالملك في عدم الباعث للشّهوة، وإنّما عددن اسم الإشارة ومقتضى الظّاهر أن يقلن إن هو إلا ملك كريم تلذذ بالإشارة إليه[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى تيقّن النّسوة من أن ما يرغبنه عن نفسه ليس بشراً وإنّما يصل إلى درجة الملاك في الطّهارة والتّجرّد من أفكار الخبث واستحالة ارتكابه للمعاصي، فتبين بدل النّظر إليه بعيون شهوانيّة محرجة يستحين ويغضضن البصر احتراماً له ولكرامته عليه السّلام، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[4]

﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ**﴾: الإشارة إلى يوسف، وأشارت إليه بإشارة البعيد لأنّها قالت بعد ذهابه عنهن وغيبته، أو قالت ذلك وهو حاضر تنزيلا لعلو شأنه ولحسن المنزلة بعد المسافة الحسيّة، أو

[1] . سورة يوسف الآية 31.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص193.

[3]. سورة يوسف الآية 51.

[4] . سورة يوسف الآية 32.

أشارت إليه باعتباره في قولهن : ﴿**تُرَاوِدُ فَتَاهَا**﴾[1]، ﴿**الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ**﴾: إشارة ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه حين لم تشاهدنه[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى إصرار السّيدة زليخة على ارتكاب الفاحشة حتى أنها أعلنتها أمام النّسوة، ومتجرّئة على تلطيخ كرامة ومكانة النّبوة العظيمة، منجرفة في طريق الشّيطان وإغوائه حتى ولو كان ثمن ذلك الإطاحة بأنوثتها وبقيمتها ومكانتها المرموقة وبسجنها سيّدنا يوسف عليه السّلام وسلبه حرّيته وإمرار حياته وإذلاله أمام أهله وقومه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[4]

﴿**ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا**﴾: أي تعظيماً لتلك المنزلة، لا تعظيماً لنفسه بالذّات، أو الإشارة إلى التّوحيد، فيكون ضمير علينا ليوسف وآبائه ﴿**وَعَلَى النَّاسِ**﴾ إذ نصيب لهم الأدلة بواسطتنا معشر الرّسل، وبيّن لهم طريق الهداية بنا[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى القدر العظيم للأنبياء عليهم السلام بحيث يشكرون الله تعالى على تفضيلهم وتخصيصهم لرسالة التّوحيد، وتبيين من ذلك الواجب على البشريّة جمعاء أن تشكر ربّها وتوحّده، وليس لهم حجّة أن يقولوا لم يكن لنا بشير أو نذير فقد أتتهم رسل ربّنا عليهم السّلام وقلّة منهم من يشكر الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[6]، وأكثرهم غافلون نسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.[7]

---

[1] . سورة يوسف الآية 30.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص195.

[3]. سورة يوسف الآية 32.

[4] . سورة يوسف الآية 38.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص205.

[6]. سورة سبأ الآية 13.

[7]. سورة الحشر الآية 19.

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.[1]

﴿ذَلِكَ﴾: المذكور من أمري لك أيها السّاقي بالرّجوع إلى الملك وبسؤالك إياه، ما بال النّسوة، أو ذلك التثبيت لأن الأمر بذلك تثبيت، وإنما أشار بصيغة البعد لعلو شأن التّثبيت، فكأنّه بعد مسافة، ولأنّ الكلام إذا انقضى فقد غاب وليس بشيء حاضر في الحسن ، ولو بقى الذهن، وقيل: هذا كلام يوسف حين رجع إليه السّاقي ليخبره بما قالت أسنّة، إذ جمعهنّ الملك، وبه قال أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن جريج، والبعد واضح على هذا، وقال عطاء عن ابن عباس: إنّه قال ذلك بحضرة الملك، وعلى هذا فإن كانت الإشارة لأمره السّاقي بما ذكر أو للتّثبيت المأمور به، فالبعد ظاهر، وإن كانت للتّثبيت الحاصل من الملك بحضرة يوسف والنّسوة، فالبعد لانقضاء الكلام، وعلو شأن التّثبيت، وإن قال يوسف ذلك بحضرة الملك ولم يحضر للتّثبيت، فإن أخبرته فأشار إليه، فالبعد لذلك أيضا ولبعد إتمام التّثبيت عن كلامه، وإلاّ فأشار إلى أمره السّاقي أو للتثبيت المأموريّة، فالبعد لهذه الأوجه، ﴿لِيَعْلَمَ﴾: وضمير يعلم لله، والهاء بعد على هذا لله، أي لم أخن الله، أي لم أعصه في زوجة العزيز، وقيل: الإشارة إلى الامتناع من مطلوبتها[2]، الغرض منها بين الله تعالى مدى أهمية الكرامة والمكانة الزّوجيّة والأمر الشّنيع الّذي أقدمت عليه زليخا من خيانة زوجها وتملّكها فتاها الّذي كانت مربّيته منذ الصّغر مخلّفة أثر عظيم في نفسيّة زوجها ومزعزعة للثّقة حتى وبعد رؤية الأدلّة، لكن سيّدنا يوسف لم يعطي الأهميّة لتبرئة نفسه وإنما راح يريح بال مربيه ويذهب عنه الخجل والذل مؤكداً له أنه لم يخنه في الغيب رغم الفرصة المحاكة والمغلقة، لأنه يصعب تصديق استحالة أنّه لم يحدث شيء بينهما وخاصة كونه زوج، ومدام أنّه خرج من السّجن وهو بريء وأصبح سيّداً وملكاً يثبت صحة كلامه، والله تعالى لا ينير طريق

[1] . سورة يوسف الآية 52.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص226.

الظالمين ولا يخرجهم من فعل المكيدة وهم مصرين بدون عقاب، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾[2]

﴿**رِيحَ يُوسُفَ**﴾: وحدة من ثمانين فرسخاً، وقيل بينه وبين القميص مائة وأربعين فرسخا، وقال الحسن: بينهما ثلاثون فرسخا، وقال ابن عباس: ثمانية أيام، وقال مجاهد: ثلاثة أيام، وجد ريح الجنة، فعلم أنّه من ريح قميص يوسف، الغرض منه إظهار الله تعالى كيف استلذّ سيدنا يعقوب عليه السلام باسم ابنه المحبوب يوسف عليه السّلام ورقّ له قلبه، ومن رحمة الله تعالى عليه استنشق ريح قميصه الطّيّبة على بعد أيام وأميال.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[3]

﴿**قُلْ**﴾: يا محمد ﴿**هَذِهِ**﴾: أي هذه السّبيل الّتي هي ملّة الإسلام، أو هذه الشّريعة ﴿**سَبِيلِي**﴾ والسّبيل يؤنّث كما هنا إذا جعلنا الإشارة إليه بذكر الإسلام، ﴿**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**﴾: كل أحد، أي إلى دين الله تعالى، فمن هلك فإنّما التّفريط من قبله، إذ لم يجبني، والجملة مستأنفة لا تفسير لما قبله كما قيل: لأنّ السّبيل المشار إليه جميع ملّة الإسلام لا الدّعاء إليها فقط، نعم يجوز أن يكون تفسيراً من حيث إنّ الدّعاء إليها مستلزم لوجودها، وإلاّ لم يتصوّر الدّعاء إليها في الجملة، لأنّ الإنسان إنّما يدعو إلى ما يرتضيه في الجملة، أو من حيث تحميل الإشارة، والسّبيل بمعنى الدّعاء إلى الدّين، ولا حال من الياء إلاّ على القول الفارسي من جواز مجيء الحال من المضاف إليه مطلقا، وقد يقال إنّ هنا مسوغاً هو أنّ المضاف مثل جزاء المضاف إليه، ويجوز كون الجملة حالاً من سبيلي، أو من هذه والرّبط ظاهر محذوف قائم مقام الضّمير، أي إلى دين الله

---

[1]. سورة يوسف الآية 53.

[2]. سورة يوسف الآية 94.

[3]. سورة يوسف الآية 108.

تعالى، ودينه هو السّبيل المذكورة[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى الطّريق المستقيم وهو إتباع دين الأنبياء والرّسل عليهم السّلام في توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشّرك والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والسّير في عمل الصّالحات، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[2]، والصّبر على الشّدائد والمحن وشكر الله تعالى على كلّ حال، كما في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[4]

﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**﴾: القرآن، أي آيات بعض القرآن، أو الإشارة إلى آيات القرآن كلّها، ما نزل وما سينزل، فليست الإضافة بمعنى التّبعيضيّة، كما أنّها ليست كذلك إذا جعلنا الإشارة لآيات السّورة، والكتاب بمعنى السّورة، ﴿**وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ**﴾: تعريف المسند إليه والمسند للحصر وهو إضافي، أي: هو الحق لا ما يخالفه مما يقوله قومك[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الكتاب وهو الوحي الّذي نزل بالحقّ واليقين ليبيّن للنّاس ما أشكل عليهم وما اختلفوا فيه، لكن الكثير من النّاس لا يزالون مختلفين ولا يدركون ما الحقّ وما يستحق من العبادة والإخلاص والتّوحيد.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[6]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص319.

[2]. سورة الأحقاف الآية 30.

[3]. سورة الأحقاف الآية 35.

[4]. سورة الرّعد الآية 01.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص325.

[6]. سورة الرعد الآية 19.

﴿**الْحَقُّ**﴾: مفيد الحصر تعريف المسند إليه والمسند، أو ما كافة والحقّ نائب الفاعل فمفيد الحصر أنّما، ودخلت الهمزة على الفاء لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من الماء، كأنه قيل: أيشك أحد بعد ذلك أن البصير بانحصار الحق فيما أنزل إليك[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير الكافر الذي عميت بصيرته عن رؤية النّور وصُمَّت أذانه عن سماع الحقّ، وبيانه تعظيم المؤمن، فشتان بينه وبين من أيقنت بصيرته نور الآيات والتّوحيد وتمعّنت مسامعه ألطف الألفاظ وأعذب المعاني.

في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾[2]

﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**﴾: أي صفتها العجيبة البالغة مبلغاً يضرب بها المثل في الغرابة الّتي وعدها المتّقون، ﴿**وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾: دائمة الجوع والايجاع بالحرارة والزّمهرير، وتعريف الطّرفين في الجملتين مفيد للقصر، قصر موصوف على صفة في الأولى، وقصر صفة على موصوف في الثّانية، كأنّه قيل: تكون الجنّة عاقبة للمتّقين لا غير عاقبة، وأمّا الكافرون فلا عقبى لهم إلا النّار، كقولك: السّمن واللّحم غداؤك، وجزاء زيد الضّرب والسّجن، ولا يخفى ما في ذلك من التّرغيب للمتّقين وإقناط الكافرين[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الجنّة وترغيب المؤمنين على حبّ التّقوى لنيل أعلى الدّرجات، وتبيين عظيم دار الجحيم وترهيب المؤمنين من تجنّبها واجتنابها وإقناط للكافر بجحيم وعذاب منتظر.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[4]

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص361.

2. سورة الرعد الآية 35.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص384.

4. سورة الرعد الآية 42.

﴿**عُقْبَى الدَّارِ**﴾: التّعريف في عقبى الدّار بإضافة عقبى إلى المعرّف بأل التّعريف عهد، فالمراد الجنّة[1]، كما هي المراد في قوله تعالى: ﴿**فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾[2]، الغرض منه تبيين الله عظيم الوعيد الّذي ينتظر الكفّار من ملجأ كلّه جحيم.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾[3]

﴿**وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾: يجوز أن تكون الإشارة إلى المذكور من سوء العذاب والتّذبيح واستحياء النّساء، وعليه فوجه كون استحياؤهن بلاء لهن يبقين كالإماء تحت أيديهم، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء، وعليه فالبلاء إمّا النّعمة، وعليه الشّيخ هود رحمه الله، وإمّا الابتلاء هل يشكرون وهو أنسب[4]، بقوله تعالى: ﴿**اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾، الغرض منها تبيين الله تعالى وجوب تعظيمه وشكره، فبالشكر والحمد على النّعم في السّراء والضّراء يرفع الله تعالى عنّا البلاء ومساوئ القدر وينجّنا من العذاب، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**﴾[5]، وكما في قوله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾[7]

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص392.
2. سورة الرعد الآية 24.
3. سورة إبراهيم الآية 06.
4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص399.
5. سورة القمر الآية 34 – 35.
6. سورة الإسراء الآية 03.
7. سورة الحجر الآية 06.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِي**﴾:أي: ألقى إليه القرآن، أي: في زعمه لأنّهم غير مقرين بأنّ القرآن نزل عليه من الله أو نادوه بذلك تهكماً، كقول فرعون في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾[1]، ويدل لذلك قولهم: ﴿**إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾: نسبوه للجنون لأنّه كان يعتريه شبه الغشاوة عند نزول الوحي عليه من ربّ العالمين، وقيل على العادة في نسبة الأشياء الغريبة إلى الجنّ وكان القرآن والوحي مستغربين عندهم، أو لأنّهما عندهم غير صحيحين من الله، كما أنّ كلام المجنون غير معتبر[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تهكّم وسخريّة المشركين المستمرة بالأنبياء والرّسل عليهم السّلام والإطاحة بالآيات الرّبّانيّة الشّاهدة على وحدانيّة الله تعالى.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ**﴾.[3]

﴿**هَـذَا**﴾: الإشارة إلى ما تضمّنه الاستثناء وهو نجاة المخلصين من إغوائه أو إلى الإخلاص، ﴿**عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ**﴾: معنى كون النّجاة أو الإخلاص صراطاً على الله أنّه حقّ يراعيه أو حقّ مسهله لمن يشاء، كقوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾[5]، ويجوز أن تكون الإشارة إلى المذكور من الإغواء والنّجاة منه أي لا يجرى واحد منهما بغير إرادتي وأمري وعلمي ويجوز أن تكون الإشارة للإغواء بمعنى أن إغواءك عبادي طريقه علي أي أنا له بمرصاد أجازيك عليه بدون اعوجاج بالجزاء[6]، الغرض منها بين الله تعالى وعده لإبليس لعنة الله عليه أنّه ليس له القدرة على التّحكم في بني آدم وأنّه لن يسيطر على المخلصين منهم في إتباعهم الصّراط المستقيم صراط التّوحيد والعبادة، كما في قوله تعال: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ**

---

1. سورة الشعراء الآية 27.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص470.

3. سورة الحجر الآية 41.

4. سورة الليل الآية 12.

5. سورة النحل الآية 09.

6. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص02.

أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، ومن اتّبعه من الكفّار والمشركين والمنافقين لطبعهم المعتاد على ذلك بإضافة إلى تزيين الشّيطان لهم، وإلى يوم القيّامة النّصرة والفوز لأصحاب القلوب المؤمنة المخلصة والنّقيّة وإلى جنّة الخلد، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾**[2]، ومن اتبع الشّيطان يسوقهم إلى جهنّم خالدين فيها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**.[3]

في قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾**[4]

﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي﴾**: أَعلِمْ، أو أخبر عبادي بأنّي غفور رحيم لمن تاب منهم، ﴿**وَأَنَّ عَذَابِي﴾**: لمن لم يتب هو العذاب الموجع[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى مقام التّكلم حين أوحى لنبيّه عليه السّلام بأن يخبرنا بأنّ الله تعالى متّصف بالرّحمة كما هو متّصف بالعقاب.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾**[6]

﴿**قَالَ﴾**: لوط ﴿**هَؤُلَاءِ﴾**: النّساء وهنّ نساء القوم ﴿**بَنَاتِي﴾**: فإنّ نبيّ الأمّة بمنزلة أبيهم أو الإشارة إلى بناته أن يتزوّجوهن إن أسلموا، وتقديم الكلام في ذلك في سورة هود وسكن الياء غير نافع ﴿**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾**: للجماع أو لما أمر به فيتزوجوهن أو جامعوا نساءكم وخلوا ضيفي[7]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ من واجب الأنبياء والرّسل عليهم السّلام الحفاظ على الأمّة والدّفاع عنها بشتّى الطّرق كدفاع سيّدنا لوط عليه السّلام في صيّانة حرمة النّساء وكرامتهن فكرامتهن من كرامة الرّجال، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ**

---

1. سورة ص الآية 82 – 83.

2. سورة الصافات الآية 40 – 41.

3. سورة سبأ الآية 19.

4. سورة الحجر الآية 49 – 50.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص09.

6. سورة الحجر الآية 71.

7. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص29.

عَظِيمٌ﴾[1]، والّذين يجرئون على حرمة الأنبياء لهم الخزي والعذاب الأليم في الدّنيا والآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[4]

﴿**وَهَذَا**﴾: أي هذا اللّسان أي اللّغة وهي لغة القرآن نفعنا الله به، أو هذا اللّسان الّذي هو لسان فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الرّجل على حذف مضاف، أي: ولسان محمد الّذي في فمه أو لغة محمد، وقيل الإشارة إلى القرآن[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[6]، الغرض منها تبيين الله تعالى أمر تكذيب كفّار قريش النّبي صلى الله عليه وسلم والوحي الّذي نزل عليه وفي كونه لم يعرف الكتابة ولا القراءة، وقولهم أنّ القرآن الكريم من عنده وهذا غاية في الجهل والظّلم، وإنّما هو وحي يوحى، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[7]، وكما في قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.[8]

---

1. سورة الأعراف الآية 141.
2. سورة الحجر الآية 73 – 74.
3. سورة الزمر الآية 26.
4. سورة النّحل الآية 103.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص177.
6. سورة النحل الآية 103.
7. سورة النجم الآية 03 – 04.
8. سورة الشورى الآية 03.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[1]

﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾: أي: جماعة عظيمة من النّاس لاستكماله خصائل من العبادة ومكارم الأخلاق لا توجد في فرد واحد بل توجد متفرّقة في أشخاص كثيرة، ﴿**قَانِتًا لِلَّهِ**﴾: مطيعاً لله قائماً بأوامره منتهياً عن مناهيه دائماً على العبادة، ﴿**حَنِيفًا**﴾: أي مائلاً لله، أي: إلى دينه عن سائر الأديان، ﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾: بل من الموحّدين المخلصين في صغره وكبره[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الأنبياء عليهم السّلام الرفيعة في التقوى وشدة الخشية لله تعالى وإكثارهم من ذكر الله تعالى والإخلاص له في توجيه الرّسالة الرّبّانيّة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله تعالى وحده دون سواه وتنبيه الله تعالى رسله وأنبيائه عليهم السلام في توخي الحيطة في الدعوة باللين، والصفح والعفو، والاستغفار والحِلم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[4]

﴿**إِنَّهُ**﴾: أي نوحاً، ﴿**كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾: ذكر هذه الجملة للحثّ عليه وللإيماء بأن أنجاه ومن معه ببركة شكره[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الأنبيّاء عليهم السّلام وبيان حالهم الدّائم في الشّكر والتّعبّد.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[6]

---

[1]. سورة النحل الآية 120.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج08، ص197.

[3]. سورة هود الآية 75

[4]. سورة الإسراء الآية 03.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص249.

[6]. سورة الإسراء الآية 09.

﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾: مؤول بالمقروء، ومعتبر فيه هذا التأويل ليكون اسم جنس، فيصيح كونه تابعا مقرونا بال لاسم الإشارة على طريق قولك هذا الرّجل وهذا المكرم، فإنّ هذه الطّريق يشترط فيها اسم الجنس فلو قيل هذا الحارث مرادا بالحارث علم الرجل لم يصح، فهكذا ليس القرآن هنا علماً[1]، الغرض منها بيّن الله تعالى عظمة كتابه المقدّس وهو كلامه الّذي نزل بشيراً ونذيراً على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبيّن بأنّه يهدي لأقوم الطّرق وأوضح السّبل[2]، وبشّر المؤمنين الّذين اتّبعوا هذا الطّريق وانتهجوا هذا السّبيل بأنّ لهم أجر غير ممنون يوم القيامة بنزول الرّحمة، والمغفرة ودخول الجنّة الّتي تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، كما في قوله تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[4]

﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾: إشارة إلى آدم عليه السّلام، والمعنى أخبرني عن هذا الّذي كرّمته عليّ بأن أمرتني بالسّجود له مع أنّه من طين وأنا من نار، لم كرمته عليّ وذلك أنّ العلم بالشّيء سبب للإخبار عنه ملزوم له، فصح التعبير بما وضع للعلم وهو الرؤية عن الإخبار وقيل المعنى أتأملت وهو خطاء من إبليس لأنّ الله جل جلاله لا يتأمل فإن التأمل صفة الجاهل العاجز، وهو الإنسان، وغيره من المخلوقات العاقلة[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى جرأة ووقاحة إبليس اللّعين على محاجة الله تعالى والتّدخل في أموره العظيمة وكيف لله تعالى وهو خالق كلّ شيء

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص269.

[2]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج05، ص 48.

[3]. سورة التوبة الآية 21 – 22.

[4] . سورة الإسراء الآية 62.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص335.

أن لا يعلم الصّواب من الخطأ وهو أدرى من أعظم شيء إلى أدناه، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[2]

﴿**هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾: أي: عاقبة لأوليائه وقيّد الإشارة بـ (**هُنَالِكَ**) إلى يوم القيامة أي لا يتولىّ أحد أمر أحد يومئذ، ولا ملك لأحد يومئذ[3]، الغرض منها إظهار الله تعالى عظيم قدرته في رجوع كلّ الأمور إليه فهو الّذي يتولّى حسنها بالمجازاة ويتولّى قبحها بالعقاب وهو الّذي يفصل بين النّاس، وهو العالم بمن له الرحمة ودخول الجنة ومن عليه العذاب ودخول النار، سبحانه وتعالى عالم بكلّ شيء.

المبحث الرابع: المسند والمسند إليه نكرة

المطلب الأوّل: مفهوم المسند والمسند إليه نكرة لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف التنكير لغةً

النكرة نقيض المعرفة، وأنكرته إنكارا، ونكرته لغة، والاستنكار: استفهامك أمرا تنكره، واللازم من فعل النكر المنكر: نكر نكارة، ورجل نكر، ورجل منكر: داه ورجال منكرون، ويجمع بالمناكير أيضاً[4]، قال اللّيث: ولا يستعمل نكر في غابر ولا أمر ولا نهي[5]، النّكراء: الدّهاء والفطنة، ومنكر من قوم مناكير: داه فطن.[6]

ثانيّاً: تعريف المسند والمسند إليه نكرة اصطلاحاً

---

1. سورة الإسراء الآية 63.
2. سورة الكهف الآية 44.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص492.
4. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج05، ص355.
5. محمد أبو منصور، المصدر السابق، ج10، ص109.
6. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج05، 232.

النّكرة أعمّ من غيرها فهي أبهم، وجملتها شيء، ثم جسم، ثم حيوان، ثم إنسان، ثم رجل، فكلّ واحدة من هذه النكرات هي أدخل في الإبهام.[1]

تنكير المسند إليه: لعدم علم المتكلّم بجهة من جهات التّعريف حقيقةً أو ادعاءً، وقد يكون لأغراض أخرى، مثل: التّعظيم، التّحقير، التّقليل، التّكثير.

تنكير المسند: لعدم الموجب لتعريفه وذلك لأغراض منها: قصد إرادة العهد أو الحصر، مثل: أنت أميرٌ وهو وزير، إتباع المسند إليه في التّنكير، مثل: تلميذ واقف بالباب، إفادة التّفخيم مثل قوله تعالى: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2]، قصد التّحقير مثل: ما خالد رجلاً يُذكر.[3]

المطلب الثّاني: توظيف المسند إليه والمسند نكرة من خلال (هميان الزاد) – الرّبع الثّاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4]

﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾: التّنكير في هلك وحيّ للتّعظيم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الهلاك المعدّ للكافر في الدّنيا والآخرة، وعظيم نعمة الحياة المعدّة للمؤمن وحتّى بعد موته.

---

1. إبراهيم العلوي، المصدر السابق، ج08، ص02.

2. سورة البقرة الآية 02.

3. أحمد مصطفى الهاشمي، المصدر السابق، ج01، ص108.

4. سورة الأنفال الآية 42.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص383.

في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ**﴾: من الأنبياء ونبيّنا صلى الله عليه وسلم داخل في هذا العموم، وقيل: ما كان لنبيّ قبلك فما يكون لك، وهذا لمعونة المقام، وإلاّ فكم من أمر لم يكن للأنبيّاء قبله وكان له، ويجوز أن يكون التّنكير للتّعظيم لا للعموم والمراد النّبي صلى الله عليه وسلم، والأصل ما كان لك فوضع الظّاهر موضع المضمر، وما تقدم أولى[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الآخرة وأنّ الدّنيا وما يبدوا فيها عظيماً مآله إلى الزّوال والفناء، أمّا الآخرة فأجرها خالد على مرّ الدّوام سواء كانت الجنّة أم النّار وما تقدّم أولى.

في قوله تعالى: ﴿**يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾[3]

﴿**وَجَنَّاتٍ**﴾: تنكير الثّلاثة للتّعظيم بحيث لا يقدر مخلوق على تعريف ذلك وتعيينه[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الجنّات الّتي تنتظر المؤمن المخلص الصّبور والثّابت على دين ربّه تعالى في كلّ حال وارتحال.

في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[5]

---

1. سورة الأنفال الآية 67.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص415.

3. سورة التوبة الآية 21.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص458.

5. سورة التوبة الآية 72.

﴿وَرِضْوَانٌ﴾: كلّ سعادة وكرامة ونعم، وتنكير الرّضوان للتّعظيم أو الواحدة، أي رضوة واحدة من جنس رضاه أكبر من ذلك كلّه[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم ما يستحقه المؤمن والمؤمنة من جنّات معروشات ومفروشات، ورضاً من الله هو الأفضل والأكبر.

في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾[2]

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: تنكير الطّائفة للتّحقير، إنّما وقعت العبارة بالاسم الظّاهر ليفيد التّحقير بتنكيره، وإلاّ فالموضع موضع إظهار، وكأنّه قال: فإن رجعك الله إلى ناس خبثاء السّريرة، وهم هؤلاء المتخلّفون الفرحون بالقعود، ولا يفرح به إلاّ المنافق، فالهاء لهؤلاء المتخلّفين المنافقين الفرحين[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير المنافقين الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الخروج للقتال وبأعذار مختلقة والمؤمن الأحقّ هو الّذي يستحي من النّبي صلى الله عليه وسلم في الاستئذان حتّى ولو بعذر جدير، ومن عظمة الله تعالى افتضاحهم أمام رسول الله عليه وسلم وأمام النّاس جميعاً حتى وأنّهم أرادوا الاستئذان مرة أخرى للخروج للقتال، والمؤمن الحقيقي لا يستأذن بل يندفع وفقط، ولأن في استئذان القتال والجهاد تردّد وضعف وخيبة وهلكة.

في قوله تعالى: ﴿**مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾[4]

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾: خبر لمحذوف، وتنكيره للتّحقير، أي: ذلك المذكور من افترائهم تمتّع قليل منتقص حقير في الدّنيا، يقيمون به رياستهم بالكفر، ومعاداتهم رسول الله صلى الله عليه

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص51.

2. سورة التّوبة الآية 83.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 66.

4. سورة يونس الآية 70.

وسلم أو حياتهم متاع، أو تقلبهم متاع، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي لهم متاع في الدّنيا يليه الشّقاء المؤبّد[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير الكفّار الّذين طبع حالهم على الكفر والتّمرّد والطّغيان، وجعلت الدّنيا ملاذهم عيش زهيد ومتعة وبذخ، وإلى آخرة ملئها العذاب والجحيم.

في قوله تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾[2]

﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ**﴾: أطبقوا على قتله، ﴿**أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**﴾: ظرف مكان مُبْهَم، وهو ما ليس لا حد يحصره، ولا أقطار تحويه، لأنّ المراد قطعة مجهولة بعيدة من العمران، وذلك وجه التّنكير وعدم وصف[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى إشكال أمر سيّدنا يوسف عليه السّلام على إخوته وعدم معرفتهم ما يصنعون به أيقتلونه أم يتركونه في مكان مهجور ويذهبوا.

في قوله تعالى: ﴿**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**﴾[4]

﴿**وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**﴾: التّنكير للتّعظيم كأنّه قيل الكتاب الكامل في جمع الحجج وما يحتاج إليه، وبيان الرّشد من الغيّ أو الكامل في الجمع والوضوح، وقيل المراد بالكتاب والقرآن المبين السّورة[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم ما نزل على الأنبيّاء والرّسل عليهم السّلام من آيات الذّكر الحكيم تبيّن الشّرائع للنّاس والأحكام الّتي يأمرون بها أو ينهون عنا.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[6]

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول،ص100.
2. سورة يوسف الآية 09.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 145.
4. سورة الحجر الآية 01.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ، ص464.
6. سورة الحجر الآية 42.

﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾: قوة تجبرهم بها على الغواية، والتّنكير لتعظيم المخلصين وإقناط للشّيطان منهم[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم شأن العباد المخلصين مع تحذير الشّيطان الرّجيم المتسلّط على بني آدم فيعكر صفو سمائهم وينكد عليهم خرير مائهم، ومن التجأ إلى الله تعالى في الاعتصام فلا سلطان له عليهم إلاّ من اتبع الهوى الشّيطانيّ فتلك استجابته.

في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]

﴿**شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾: تنكير شفاء للتّعظيم كأنّه قيل شفاء عظيم، وقيل إنّ المراد في الآية إلى أنّ العسل شفاء لبعض الأمراض وبعض النّاس دون بعض، وتنكير الشّفاء للتّبعيض، وإطلاق النّاس باعتبار أنّه نافع بالجملة[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم النّحلة وهي مخلوقة صغيرة تحت الظّفر تصنع عسلاً عظيماً يخرج منه ذوق وشراب وشفاء قد جمع بين طعام ودواء.

في قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[4]

﴿**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**﴾: بيان لتفضيله بأن أوتي داود كتاباً عظيماً تضمّن أنّه آخر الأنبيّاء وخيرهم وأمّته خير الأمم، وأنّهم عباد صالحون يرثون الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[5]، وخصّ داود بالذّكر لأنّه أعطي

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص03.

2. سورة النحل الآية 69.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص131.

4. سورة الإسراء الآية 55.

5. سورة الأنبياء الآية 105.

الملك مع النّبوة والزّبور ليذكّره بالكتاب تنبيهاً على أنّ التّفضيل بالدّين لا بالدّنيا ولأنّه ذكر في الزبور أن محمداً خاتم النبيين وغير ذلك مما مر، وتنكير زبور للتّعظيم بناء على أن آل في الزّبور للتّعريف[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم ما فضلت به الخلائق عامة وما فضل به الأنبياء والرسل عليهم السّلام خاصة، وفي تفضيل الأنبياء بعضهم عن بعض باختلاف المعجزات والبركات والخيرات فبعض الأنبياء جعلوا أغنياء وملوكاً عظام مثل سيدنا داوود وسليمان عليهم السلام، وسيدنا يوسف عليه السّلام في أخر معاناته، والبعض منهم جعلوا فقراء مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا التفضيل الدّنيويّ لا يبيح التّفريق بينهم فكلّهم أنبيّاء الله تعالى والأمر بالطّاعة والإيمان بهم جميعاً عليهم السّلام.

في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[2]

﴿**بِالْغَدَاةِ**﴾: أي: في الصّبح، وقيل: غدوة في الأكثر علَم فتكون أل فيه على تأويل التّنكير[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الأوقات الّتي يكثر فيها ذكر الله تعالى من الاستغفار والتّسبيح والتّهليل، وذلك في الصّلوات الخمس المفروضة من الفجر إلى العشاء وكلّ ما يتعلّق بها من نوافل وسنن.

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص324.

2. سورة الكهف الآية 28.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص473.

المبحث الخامس: الحذف والإيصال

المطلب الأوّل: مفهوم الحذف والإيصال لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الحذف والإيصال لغةً

الحذف: هو قطف الشّيء من الطّرف كما يحذف طرف ذنب الشّاة[1]، ومن المجاز: حذفه بجائزة: وصله بها، وما في رحله حذافة أي شيء يسير من طعام وغيره.[2]

الإيصال: من وصل، ووصلت الشّيء وصلا وصلة، ووصل إليه وصولا، أي بلغ، وأوصله غيره، وبينهما وصلة، أي اتصال وذريعة، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة، والجمع وصل.[3]

ثانيّاً: تعريف الحذف والإيصال اصطلاحاً

هو نوع من أسلوب الإيجاز ينهجه بلغاء العرب.[4]

---

[1]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج03، ص201.

[2]. أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، المصدر السابق، ج01، ص177.

[3]. أبو نصر إسماعيل الفرابي، المصدر السابق، ج05، ص1842.

[4]. عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، المصدر السابق، ج02، ص50.

المطلب الثّاني: توظيف الحذف والإيصال من خلال (هميان الزاد) – الرّبع الثّاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[1]

﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾: ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة لأجلهما، ويجوز أن يكون اللاّم بمعنى إلى، أي: ألقاها إليهما فهما موسوس إليهما بفتح الواوات، ولا يقال موسوسان، كما يقال: زيد موسوس إليه، أو موسوس له، ولا يقال موسوس اللّهم إلاّ على سبيل الحذف والإيصال[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه مهما تيقّن الإنسان من إخلاصه وتوبته لله تعالى فلن يتخلّص من مكائد الشّيطان الرّجيم وحيله التي تنطوي مباشرة على بني آدم، فهو يعرف تمام اليقين أن الإنسان خلق ضعيفاً، ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾[3]، ينجرف وراء شهواته ورغباته وبخاصة المتعلّقة بالأكل والشّرب، كمثل سيدنا آدم رغم وجود الكثير من الثّمار والفواكه المتنوعة في الجنة والّتي لا تنتهي على مرأى العين، إلاّ أنّه طمعا في أكل ثمار شجرة واحدة وهي محرّمة، والّتي في نظرهم تعني الخلود بلا موت.

في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ يُرْضُوهُ**﴾: الهاء عائدة إلى الله أو رسوله، وإفراد الضّمير لأنّ إرضاء أحدهما إرضاء للآخر أو لرسوله، أو أحق خبر لله، ورسوله مبتدأ محذوف الخبر، أي ورسوله كذلك، أو ورسوله أحق أن يرضوه، أو أحق خبر رسوله، وخبر الله محذوف، ونسب هذا لسيبويه، ورجّح بالقرب وعدم القصد بين المبتدأ والخبر، وأخذ بعض من الآية أن يكرهوا جمع الرّسول مع الله

---

1. سورة الأعراف الآية 20.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثّاني، ص 33.

3. سورة النساء الآية 28.

4. سورة التوبة الآية 62.

في ضمير، ويردّه حديث: **"مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى"**[1]، وأن يرضوه على تقدير الباء، أي بأن يرضوه لا فاعل لاسم التّفضيل، لأنّه في اللغة الفصحى لا يرفع ظاهراً أو ضميراً بارزاً في غير مسألة[2]، إظهار الله تعالى أمر الطّاعة المتعلّقة بالله تعالى وبرسله عليهم السّلام وأنّ من عصى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله تعالى، ولأنّ الرّسل عليهم السّلام هم الصّلة الّتي تربط بين العباد وبين الله تعالى في أمر توحيده وتعظيمه وإجلاله.

في قوله تعالى: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[3]

﴿**ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾: هو عندي من باب الحذف والإيصال، والأصل مكذوب فيه، ففيه نائب الفاعل، حذفت في فانتصب محل مجرورها، فكان أحق بالنيابة، فجيء بضمير مستتر مرفوع عوضا عنه كقولك: عبد مشترك بفتح الراء[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أن أمر الأنبيّاء عليهم السّلام والوحي الّذي نزل عليهم ليس مجرّد كذبة أو بدعة، وقولهم في شأن العذاب ووقت مجيئه أمر لا بد من حدوثه وتحديدهم وقته وأيامه لا يزيد عن ذلك ولا ينقص، جزاءاً بما كذّبوا واستهزئوا بالآيات والمعجزات فكانوا كلّما نزل عليهم عذاب استصغروا، وحين يرفعه الله تعالى عليهم عادوا وتعسفوا وذلك كلّ مرة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾[5]، لكن لم يسلموا كلّ مرة فحتماً نزول العذاب موعود لذلك لكلّ امرئ لا بدّ أن يصلح نفسه ولا يعود للاثم كلّ مرة، فسيأتي يوم لن يسلم من الجرّة.

---

1. مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث870، ج02، ص594.
2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص39.
3. سورة هود الآية 65.
4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1540.
5. سورة الأعراف الآية 133.

في قوله تعالى: ﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾[1]

﴿**وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾: يجوز أن يكون الورد جمع وارد كالوفد جمع وافد، والمورود نعت على لفظه بطريق الحذف والإيصال، والمخصوص محذوف، أي: بئس القوم الواردون والمورود بهم هم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفّار الذين يردون مورد جهنم العميق بالعذاب والآلام.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾[3]

﴿**وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾: يشهده أهل السموات والأرض، والأصل مشهود فيه، أي يشهد فيه الخلائق الموقف، لا يغيب عنه أحد، ثم كان الحذف والإيصال، وذلك لأن المراد وصف ذلك اليوم بالهول وتمييزه من بين الأيام، كما يقال: شهد زيد العيد، وشهد يوم الجمعة إذا حضر محل الاجتماع فهما، وحضور الزينة، ولو لم يقدر ذلك كان المعنى مجرداً بوصف اليوم، لأنّه مشهود، وكلّ يوم كذلك فلا يفيد تعظيم اليوم[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم الهول الّذي يصيب الكفّار والمشركين في يوم القيّامة يوم ليس كالأيام المعهودة لا يغيب عنه أحد ولا ينقص منه أحد كلّ المخلوقات تنكشف أمام ربّها المطيعة المسبّحة والكافرة الغافلة.

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[5]

---

[1]. سورة هود الآية 98.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1572.

[3]. سورة هود الآية 103.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص 1577.

[5]. سورة يوسف الآية 18.

﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾: قال ابن هشام: إذا دار العمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرا، قال الواسطي: الأولى كون المحذوف المبتدأ لأنّ الخبر محط الفائدة: وقال العبدي: الأولى حذف الخبر لأنّ التّجوز أضرّ لجملة أسهل، نقل القولين ابن إبان، ومثال المسألة هذا جميل، أي شأني صبر جميل، أو صبر جميل، وبعض: فأمري صبري جميل وفصبر جميل أجمل، وبعض: فشأني صبر جميل، والصادق واحد[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم ما يتمسك به المؤمن الصادق وهو الصبر الجميل البعيد عن التّذمر والشكوى للنّاس، فمن يكون كثير الشكوى للناس لا يسمى صابراً ويزداد همّه ويأسه، ومن يجعل الله تعالى وحده في الشّدائد حلّت عقده وقرب فرجه.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[2]

﴿**لَهُنَّ مُتَّكَأً**﴾: اسم مفعول على الحذف والإيصال، أي متكأ عليه، أي ما يتكئ عليه من الوسائد، وما يستند عليه ليتكئن أو يستندن، نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال: "**لَا آكُلُ مُتَّكِئًا**"[3]، فسمى باسم ما يجاوره، حتّى أنّهم يقولون: اتكأنا عند فلان، أي طعمنا عنده[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم سيدنا يوسف عليه السلام وهو يدخل على النّسوة كمن في قوله تعالى: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾[5]، فبهتت اللّواتي لم يرينه حين رأينه وقطعن أيديهنّ، وتيقنوا نعيم يقين أنه لا يأتي بتلك الصّورة إلاّ وهو ملك أو شبه ملك بمعنى بشر رسول.

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص159.

[2]. سورة يوسف الآية 31.

[3]- أبو داود سليمان، مسند أبي داود، تحقيق، د، محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط01، 1419هـ – 1999م، أحاديث أبي جحيفة واسمه وهب السّوائي عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث1143، ج02، ص376.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص189.

[5]. سورة البقرة الآية 258.

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1]

﴿يَعْصِرُونَ﴾: وقيل: معنى يعصرون: يلحون الضروع، ويجوز أن يكون بمعنى ينجى بعضهم بعضا من الجوع لكثرة الطعام الّذي يتناولونه، أو ينجى بعضهم بعضا بالإعطاء والتصرف لإغاثة الله إياهم، أو المعنى يعصر عليهم، أي: يمطر عليهم، فحذف الجار ونائب المجرور على طريق الحذف والإيصال، يقال: أعصرت السّحابة عليهم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم الرؤية التي رآها صاحب مصر وتبيين عظيم سيدنا يوسف عليه السلام في التّعبير والتأويل عن مستجدات الحلم أو الرؤية، وما هي المستلزمات للوقاية من أثر شرّها أو مصائبها.

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[3]

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: سبيل الله، لأنّ السّبيل يؤنّث ويذكّر، أي يبغون لها فحذف الجار وأوصل المجرور بالفعل، فذلك من باب الحذف والإيصال[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الكفار من التحقير وهم ينجرّون وراء حب الدّنيا ونسيان الآخرة، فيتعلقون بالأموال والأولاد والتّجارة، وغيرها من الأمور الدّنيويّة ناسين في ذلك ما يتوجب من التّوحيد والذّكر والصّلاة والزّكاة، وغيرها من الأمور الّتي تغذّي الرّوح وتقوّي التّقوى والإخلاص.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾[5]

---

[1]. سورة يوسف الآية 49.

[2]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص223.

[3]. سورة إبراهيم الآية 03.

[4]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص396.

[5]. سورة الإسراء الآية 27.

﴿**فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا**﴾: ملیناً مجعولاً فيه سهولة فهو اسم مفعول من يسر بالتّخفيف على أنّه يستعمل متعدياً كما يستعمل لازماً أو الأصل ميسوراً فيه، أو به على الحذف والإيصال على أنّه من يسر المخفّف اللاّزم[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى النّصح والإرشاد في التّعامل مع الكفّار وأن نغضّ الطّرف عنهم وأن لا نواجه المسيء بالمثل فالكلمة الطّيبة والقول السّديد قد يغير من سلوكه الشّرس ومن طباعه الحادة.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾[2]

﴿**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾: حذفت عن وانتصب محل الهاء فكان عوضها ضمير مستتر نائب الفاعل فذلك من باب الحذف والإيصال، يسأل النّاكث للعهد يوم القيّامة لم ينكثه ويعاتب[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى الأهمية العظيمة لليتيم وأنّ ماله في رقبة المكَلَّف وعليه أن يصونه ويحفظه حين بلوغ رشده ونماء عقله.

في قوله تعالى: ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا**﴾[4]

﴿**وَكِيلًا**﴾: معنى موكولاً إليك أمرهم تقهرهم على الإيمان، فكان الحذف والإيصال[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظيم أمره في المشيئة والإرادة وأنّه هو وحده من بيده العفو والرّحمة ومن بيده العذاب والعقاب، ولم يعطي لأي إنسان مهما كان ملك أو رسول حق التّدخل بمصير العباد سبحانه وتعالى جل علاه.

---

[1] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج07، 294.

[2]. سورة الإسراء الآية 34.

[3] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج07، ص301.

[4]. سورة الإسراء الآية 54.

[5] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج07، ص323.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا**﴾[1]

﴿**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ**﴾: أنتم فاعل لفعل محذوف تقديره قل لو تملكون بتأكيد الجملة الأولى وانفصل الفاعل لما حذف فعله وفسره فعل الثانية وبقي أنتم بصيغة المبتدأ وليس بمبتدأ ولاسيما أن فعله حذف وجوباً لنيابة الثاني عند فأفاد الكلام بظاهر الاختصاص كما يفيده قولك أنت تقوم إذا قلته في مقام إرادة الحصر ففي الكلام مع إيجازه تأكيد واختصاص وهكذا إذا أدخلت أداة الشّرط على الاسم المرفوع وقيّد الاسم المرفوع مبتدأ[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير العبد الّذي يخشى الفقر ولا تقدم الصّدقات فلو ملّكوه الدّنيا وكنوزها لم يتوقّف بطبعه في حبّ الجشع وإيراد المزيد.

[1]. سورة الإسراء الآية 100.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص395.

المبحث السادس: الإظهار والإضمار

المطلب الأوّل: مفهوم الإظهار والإضمار لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الإظهار والإضمار لغةً

أ/ تعريف الإظهار لغةً

يقال: ظهر الرّجل على العدوّ، إذا غلب عليهم وظفر بهم، وأظهر الرّجل الشّيء: إذا أبداه، فاعلم ذلك، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿**مِرَاءً ظَاهِرًا**﴾.[3]

ب/ تعريف الإضمار لغةً

أضمره فضمر، وخيل مضمرة، وأضمرته الأرض: أي غيبته، وأضمره في نفسه: أي أسره، ومنه المضمر من الأسماء، وهو نقيض المظهر.[4]

ثانيا تعريف الإظهار الإضمار اصطلاحاً

أ/ الإظهار في مقام الإضمار

قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داع بلاغي يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير.[5]

ب/ الإضمار في مقام الإظهار

---

1. سورة التوبة الآية 48.

2. سورة الحديد الآية 03.

3. سورة الكهف الآية 22.

4. نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، د، حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1420هـ – 1999م، ج06، ص4000.

5. عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، المصدر السابق، ج01، ص503.

ويكون بضمير الشأن أو القصة، وهو ضمير الغائب الذي يقع قبل الجملة، ويسمى ضمير الشأن إذا كان مذكرا، وضمير القصة إذا كان مؤنثا، ويعود كل منهما إلى ما في الذهن من شأن أو قصة، وذلك هو مضمون الجملة التي بعده، وضمير الشأن أو القصة لا يحتاج إلى ظاهر يعود عليه، ولا يفسر إلا بجملة، ويستعمل ضمير الشأن أو القصة في مقام الاسم الظاهر في الأمر الذي يراد فيه التعظيم والتفخيم، أو التهويل، أو الاستهجان، أو نحو ذلك.[1]

[1]. عبد الرحمن حبنكة، المصدر السابق، ج01، ص507.

المطلب الثّاني: توظيف الإظهار والإضمار من خلال (هميان الزاد) – الرّبع الثّاني من القرآن

في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾[1]

﴿**يَوْمَ**﴾: هو يوم القيامة، ﴿**يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ**﴾: أي الكتاب، ﴿**مِن قَبْلُ**﴾: الأصل يقولون فوضع الظّاهر تشنيعاً عليهم بنسيان مالا يحسن نسيانه والنقلة عنه، ونسيانه ترك الإيمان به أو العمل به، وهذا يحسن كون النسيان المتقدم بمعنى الترك فيما قيل[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم القرآن الكريم بحيث يأتي شفيعاً يوم القيامة على من صدّقه وآمن به، فيجد المؤمنين من يشفع لهم من قرآن مبارك وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أمّا المشركين فلا شفيع لهم سوى الشّيطان الرّجيم فيجرّهم بشفاعته إلى الجحيم.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[3]

﴿**وَتَصُدُّونَ**﴾: تمنعون، ﴿**عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ**﴾: بالله أو بسبيل الله، فإن أريد قبله، والسّلب أو قطع الطّريق فلا تنازع، ولا وضع ظاهر موضع المضمر، وإن أريد المنع عن الإيمان فسبيل الله ظاهر وضع موضع الضّمير، أي لا تقعدوا بكلّ طريق من طرق الدّين، موعدين وصادين عنها من آمن به، وفي مرجع الضّمير وفائدة وضع الظّاهر موضع المضمر هنا بيان المراد بكلّ صراط، وزيّادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه، وذلك لإضافة السبيل إلى

---

[1]. سورة الأعراف الآية 53.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثّاني، ص94.

[3]. سورة الأعراف الآية 86.

الله، ومن تنازع فيه توعدون وتصدون[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تقبيح المسلمين الّذين يعرقلون إسلام الآخرين فيمنعونهم بعدم استحقاقهم لذلك أو بصدّهم كونهم ليسوا أهلاً للإسلام، فالله تعالى قد منّ على المؤمنين من ضعفٍ في فردٍ إلى قوّة في جماعة.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2]

﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ**﴾: في الكلام التّعبير بالظاهر وهو رسول مكان المضمر، إذ الأصل على الوجه الأول فآمنوا بالله وبه، وعلى الثّاني فآمنوا بالله وبي[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم في التقدير والاحترام ولزوم الطاعة في إتباع أوامره من أمر وزجر ونهي وتوعية وإرشاد، وطاعته مقرونة بطاعة الله تعالى، ولأنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم هو الصّورة الحقيقيّة المنعكسة عن الخالق تعالى في توحيده وتعظيمه وشكره.

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾[4]

﴿**إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾: وضع الظّاهر موضع الضّمير، أي إنّا لا نضيع أجرهم، ونكتة وضعه موضع الضّمير أنّ الإصلاح كالمانع من التّضييع[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم المصلحين الّذين يجمعون بين التّمسّك بكتاب الله تعالى في إتّباع أوامره وتجنّب نواهيه وبين المحافظة

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج06، القسم الثّاني، ص174.
2. سورة الأعراف الآية 158.
3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص228.
4. سورة الأعراف الآية 170.
5. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص247.

على الصّلاة فيداوم عليها ويتقيّد بوقتها الموقوت، فإنّ له أجر كبير من نيل رضا الله تعالى والفوز بالجنّة والله تعالى أمين لا يغيب عنه حقّ أحد.

في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾[1]

﴿**وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾: إن أريد بالكافرين على القراءتين مطلق الكفّار على العموم فعلى ظاهره، وإن أريد المخاطبون بالذّوق ففيه وضع الظّاهر موضع المضمر[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى حال من التّهويل والتّحذير الّتي شملت الكفّار في كفرهم وطغيانهم وفسادهم الّذي عمّ الأرض وأنّ له مصير مشئوم يحوم بالعذاب ونار جهنّم ليس لها من رحيم.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾[3]

﴿**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**﴾: الأصل فقاتلوهم، فوضع الظاهر موضع المضمر، للدلالة على أنهم صاروا بالنكث والطعن رؤساء في الكفر وبالغوا فيه، فهم أحقاء بالقتل، والضّمائر للمشركين الّذين عاهدوا[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير أئمة الكفر والفساد الذين طغوا في البلاد، ولما كان للخير والدعوة أئمة تدعوا وترشد أتباعها إلى النّور والسّلام، كان للطّغيان والشّر أئمة تدعوا وترشد أتباعها إلى القتل والتّشتيت والضّياع.

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[5]

---

1. سورة الأنفال الآية 14.

2. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج05، ص338.

3. سورة التوبة الآية 12.

4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج05، ص445.

5. سورة التوبة الآية 90.

﴿**وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾: أي: لم يأتوها بصدق ما في ألسنتهم من أنّهم غير مشركين، أو من أنهم آمنوا أو أخلصوا، وليسوا بمخلصين إذ قعدوا بلا عذر ولا استئذان جرأة على الله ورسوله، وعن أبي عمرو بن العلاء: أنهم هم المعذرون، وعليه فقعدوهم بعد اعتذار، ويكون الذين حينئذ موضوعا موضع الضمير يشفع عليهم بما تضمنته الصلة من الكذب في الاعتذار[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير هؤلاء المتخلّفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الجهاد واستئذانهم بعذر كاذب وقاحة منهم وجرأة، فلم يستحوا من الرّسول صلى الله عليه وسلم حتى أذن لهم في نيّة صدقهم، ولم يستحوا من الله تعالى العين الّتي لا تنام ولا تغفل، تراقب ما في صدورهم قبل ألسنتهم.

في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2]

﴿**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ**﴾: النّاصحين المعذورين، وأقام الظّاهر مقام المضمر ليصفهم بالإحسان فلا يبقى للعتاب لهم وجه[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى عطفه وكرمه في إعفاء الضّعفاء والمرضى وشديد الفقر بأن عجزوا عن الجهاد فما بيدهم حيلة في تغيير حالهم والله تعالى أدرى بحالهم غفور رحيم بأحوالهم.

في قوله تعالى: ﴿**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص72.

2. سورة التوبة الآية 91.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص74.

4. سورة التوبة الآية 94.

﴿**ثُمَّ تُرَدُّونَ**﴾: بالبعث، ﴿**إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ**﴾: كلّ ما غاب عن الخلق، ﴿**وَالشَّهَادَةِ**﴾: كلّ ما شاهده الخلق، والأصل ثمّ تردّون إليه فوضع الظّاهر موضع الضّمير ليدلّ على علمه بما أخفوا وما أظهروا[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير المنافقين الذين تجرّئوا مرّة أخرى ليعتذروا عن ذنب أوقح منه الاعتذار، وتبيين الله تعالى أنّ معرفته بالكون استغرقت كلّ شيء وأنّ إرادته أحاطت بكلّ شيء علماً.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2]

﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي**﴾: إلى ما فيه النّجاة، ﴿**الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾: أي سبقت شقاوته ممن ظلمه نفاق أو شرك، أو أراد هؤلاء فوضع الظّاهر موضع المضمر، ليذكر أنّهم ظلموا أنفسهم بما استوجبوا به ذلك[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم البنيان المؤسّس على التّقوى في الإخلاص والصّدق مع الله تعالى فهو دائم الثّبات والتّراص، راجيّاً الرّضا والخير والرّحمة والجنّة، وبيان تحقير البنيان المؤسّس على الفجور في النّفاق والخداع مع الله تعالى ومآله الانهيّار والسّقوط في جهنّم خالداً فيها.

في قوله تعالى: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]

﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾: الموصوفين بتلك الفضائل والأصل وبشّرهم، ووضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على أن الداعي إليها إيمانهم، وأن كامل الإيمان مع جمعها، وقيل: المراد مطلق

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص75.

2. سورة التوبة الآية 109.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص101.

4. سورة التوبة الآية 112.

المؤمنين ممن إذا ما وجب عليه من ذلك ولو لم يجمع ذلك، فيكون ترغيباً بالتسهيل، وحذف المبشر به تعظيماً عن أن يحيط الذّكر به[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم العباد التائبون عن ذنوبهم، والعابدون لله تعالى وحده دون غيره، والحامدون في السّراء والضّراء وفي مطلق الأحوال، والسّائحون دائموا الصيّام أجراً لله تعالى، والراكعون الساجدون لقيام الصلوات المفروضة والنوافل، الآمرون بالخير والإحسان، الناهون عن الشر والفساد، الحافظون لما شرعه الله تعالى من حلال وحرام وما بينهما، ومن التزم كانت له البشرى بالجنة والتّرغيب في سعيها.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[2]

﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾: أمر به تنبيهاً عليه وإغراء به، وقد قيل: هم الثّلاثة، أي كونوا معهم في الصّدق والثّبات، فوضع الظّاهر موضع الضّمير مدحاً لهم بالصّدق[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم من اتّصف بالصّدق قولاً وفعلاً وعملاً مخلصاً لله تعالى في السّرّ والجهر وفي الظّاهر والباطن.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾[4]

﴿**نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ**﴾: أي قوم كانوا فاحذروا يا أهل مكّة أن تكونوا منهم، أو نجزيّكم يا أهل مكّة لتكذيبكم كمن قبلكم، فوضع الظّاهر موضع المضمر إعلاماً بكمال جرمهم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحذير المؤمنين أن يكونوا مثل الأقوام الّتي ظلمت رسلها عليهم السّلام

---

1. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج06، ص105.

2. سورة التوبة الآية 119.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر نفسه، ج06، ص117.

4. سورة يونس الآية 13.

5. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص26، ص27.

وأجرموا في حقّ الآيات والبيّنات، فيكون لهم المصير نفسه بالهلاك والاختفاء من على وجه الأرض كأنّهم لم يلبثوا يوما.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[1]

﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾: أي على المشركين، أو على النّاس مطلقاً، ﴿**آيَاتُنَا**﴾: القرآن، ﴿**بَيِّنَاتٍ**﴾: حال، ﴿**قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**﴾: قالوا أي المشركون، فوضع الظّاهر موضع الضّمير على الوجه الأول، أو قال مشركو النّاس على الوجه الثّاني، وكان هذا القول متكرراً منهم حقيقة أو قالوه مرّة، وكانوا بعدم توبتهم وبإصرارهم على ما يتضمّن ذلك القول كمكرره[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير حال المشركين وهم على حالهم المعهودة ضلال وشرك دائم ورغم ما نزل من الآيات البيّنات والّتي جاءت على معهود البشر وكاشفة للإسرار والمعجزات ظلوا في العمى والضلال ولو نزل غير القرآن لم يتغيروا ولم يتأثّروا دائمين على طبعه المعتاد.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**﴾: ظلماً ما، ﴿**وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾: أعاد الظّاهر تأكيداً، أي: باكتسابهم اختياراً ما يوجب عذابهم، وذلك أيضاً وعيد، ويجوز أن يكون المعنى: إنّ الله تعالى لا ينقصهم شيئاً مما يتوصّلون به إلى مصالحهم من عقول، وحواس، وبعث رسل، وإنزال كتب، ولكنّهم ظلموا أنفسهم بإفساد عقولهم وحواسهم واستعمالها فيما يضرّ،

---

1. سورة يونس الآية 15.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص27، ص28.

3. سورة يونس الآية 44.

وبتكذيب الرّسل والكتب[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير حال النّاس الّتي تظلم نفسها بالعصيان وإكثار الذّنوب والخطايا، فيصيبها الضّيق والحرج لترجع اللّوم على ربّها تعالى في عدم العدل أو الإنصاف مثلا: لماذا فعل الله بي ذلك، ولماذا ابتلاني بذلك، ولماذا لم يتغير شيء في حياتي، والكثير من الأسباب ناسين أنّ الله تعالى يحاسب ويجازي كلّ حسب عمله وفعله وقوله، وأنّ الله تعالى ليس بظلّام للعبيد، وهو القوّة العادلة على وجه السّموات والأرض.

في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾[2]

﴿**وَلَئِن قُلْتَ**﴾: يا محمد لكفّار قومك، ﴿**إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ**﴾: توقعوا بعثكم وظنّوه واقعاً، ولا تقطعوا بإنكاره، ﴿**مِن بَعْدِ الْمَوْتِ**﴾: للعقاب إن أصررتم وللثّواب إن تبتم، ﴿**لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾: الأصل ليقولنّ بضمّ اللّام مع إسقاط الّذين كفروا، ووضع الظّاهر موضع الضّمير ففتحت اللّام، أو الخطاب في إنّكم لجميع الكفرة من أنكر البعث ومن لم ينكره كأهل الكتاب، أو للنّاس مطلقاً فلا يكون من وضع الظّاهر موضع المضمر، بل يكون المعنى: ليقولنّ الّذين كفروا بالبعث، أو الكفار المعهودون وهم قومك[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير حال الكفرة المصرّين على الكفر والمصمّمين على العصيان وتيئيس الرّسل عليهم السّلام، غير أنّ الله تعالى قويّ فوق العباد نصير لرسله عليهم السّلام ومن اتبعهم من المؤمنين المصدّقين بيوم المعاد.

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص71.

2. سورة هود الآية 07.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1483.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[1]

﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾: على العموم، أو أراد عليهم فوضع الظّاهر موضع الضّمير، وذلك من جملة مقول الأشهاد إغراقاً في الخزي والفضيحة[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير العباد الّذين ظلموا ربّهم تعالى في تكذيب الله الواحد، وجعل أمور ابتدعوها ونسبها إلى الله تعالى افتراءاً عليه فلهم اللّعنة إلى يوم الدّين.

في قوله تعالى: ﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾[3]

﴿**أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾: معنى الدّعاء عليهم بالبعد، وهو الهلاك على هذا وقد هلكوا قبل هذا، الدّلالة على أنّه أهل للهلاك، وكذا يقال إذا جعلنا اللّعنة في الآخرة والبعد بمعنى واحد، وأعاد ذكرهم بالاسم الظّاهر تهويلاً لأمرهم وتفظيعاً له وتحذير منه، وحثاً على الاعتبار بحالهم[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير وتفضيع حال قوم عاد الّذين كفروا بربّهم تعالى أشدّ الكفر بإتيّان الفاحشة، وتهديدهم بالهلاك والضّياع، وتحذير الأمة المحمّديّة بأن لا تخطوا خط عاد قوم هود عليه السّلام، ولا تخطوا خط الأقوام الّتي دُمّرت وأُهلكت فيصيبها ما أصابهم من أمر أشنع وأفضح.

---

1. سورة هود الآية 18.

2. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1494.

3. سورة هود الآية 60.

4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1536.

في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1]

﴿**وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ**﴾: الأصل وعلى آلي، ووضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الإيضاح، ويجوز أن يريد بآل يعقوب نسله الوالد ووالد الولد، وهكذا إلاّ خصوص إخوة يوسف، لكن قيل لم يترك يوسف ولد لدعوة أبيه بذلك، وقيل: ترك اثني عشر[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الجزاء الذي يستحقه الأنبياء عليهم السلام بعد نهاية أيام وشهور وأعوام حافلة بدعوة التّوحيد ونشر السّلام والوئام بعناء ويأس ومشقّة، وبنيلهم في آخر المطاف الرّاحة والسّعادة الدّنيويّة والأخروية.

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾[3]

﴿**فَهُوَ جَزَاؤُهُ**﴾: مقتضى الظاهر أن يقولوا فهو هو، أي فالساق جزاؤه، فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد[4]، الغرض منه إظهار الله تعالى حكمته في تسويّة الأمور والتّريّث في حلّ العوائق، وأنّ من التبس بجرم مشهود فهو له مهما كان اللّبس إلاّ إن كانت الأدلّة رادعة وناطقة.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[5]

﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ**﴾: ضمير الشّأن الله، بأداء الفرائض وترك المعاصي كالزنا، عوقب عليها بنحو السّجن، ﴿**وَيَصْبِرْ**﴾: على ذلك وعلى البلاء، ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: الجمع بين الصبر والتقوى[6]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الشّأن في الصّبر والثّبات على تقوى الله تعالى وأنّ الله تعالى لا تغيب عنه مثقال ذرّة.

---

1. سورة يوسف الآية 06.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص141.

3. سورة يوسف الآية 75.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص271.

5. سورة يوسف الآية 90.

6. ج محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، 06، ص295.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ**﴾[1]

﴿**هُوَ رَبِّي**﴾: هو ضمير الشّأن، ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾: أي لا أهل للعبادة سواه، ولا شريك له، ﴿**عَلَيْهِ**﴾: لا على غيره، ﴿**تَوَكَّلْتُ**﴾: في نصرتي عليكم وجميع أموري، ﴿**وَإِلَيْهِ**﴾: لا إلى غيره، ﴿**مَتَابِ**﴾: أي مرجعي[2]، الغرض منه إظهار الله تعالى أمر التوحيد والاستقامة وأنّه على كلّ نبيّ أو رسول عليهم السّلام أن يدعوا إلى الرّحمن إله واحد، كما في قوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا**﴾[3]، تتوكّل عليه البشريّة في كلّ أمورها وإليه ترجع أسبابها وأهدافها ومشاريعها.

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[4]

﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾: مقتضى الظّاهر أن يقال: لم يوحّدوه جعلوا له شركاء، ولكن وضع الظّاهر موضع المضمر، لدلالة الظّاهر وهو لفظ الجلالة، على أنّ الله جل جلاله هو المستحق للعبادة مختص بهذا الاسم[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم اسمه وتجليل عبادته وتوحيده، فالله تعالى هو من يقوم بمهام المخلوقات كلّها ولا يعجزه في ذلك عاجز، وأمّا الشّركاء فلا يدركون ما يجري حولهم فكيف لهم إدراك ما بجوارهم.

في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[6]

---

1. سورة الرعد الآية 30.

2. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص374.

3. سورة الإسراء الآية 77.

4. سورة الرعد الآية 33.

5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص380.

6. سورة إبراهيم الآية 15.

﴿**وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾: أي: وخابوا يعني هؤلاء الكفّار المستفتحون، وعبر عنهم بالظّاهر في موضع المضمر تشنيعاً عليهم اسم جبار عنيداً وإيذاناً بأن موجب خيبتهم كونهم جبارين معاندين الخاسرين الهالكين[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير وتعنيف الكفار الذين استفتحوا على الباطل والشرّ والفساد فكان لهم الهلاك والخسران مما يصنعون ويستفتحون.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾[2]

﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ**﴾: المعنى: ولئن صبرتم عن القصاص، والضّمير في قوله ﴿**لَهُوَ**﴾ عائد إلى الصّبر، أي: الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين، والمراد جنس الصبر وجنس الصابرين، ويحتمل أن يراد صبر المخاطبين فوضع الظاهر موضع المضمر، أي: لصبركم خير لكم ثناء عليهم بصبرهم على الشّدائد[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم الصّبر وترغيب الصّابرين أن يتحلّوا بشيّم الحِلم والعفو والصّفح الجميل.

في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾[4]

﴿**إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ**﴾: أي إلى قراءتك، ﴿**وَإِذْ هُمْ نَجْوَى**﴾: أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع وقت استماعهم إليك مضمرين لذلك الغرض ووقت تناجيهم بذلك الغرض، ﴿**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾: بدل من إذ الثّانيّة على وضع الظّالمين موضع الضّمير ليدلّ على أنّ نجواهم بقولهم مسحوراً ظلم وهو بدل بعض لأنّ وقت نجواهم واسع يقولون فيه: إن

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص411.

2. سورة النحل الآية 126.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص207.

4. سورة الإسراء الآية 47.

تتّبعن إلاّ رجلاً مسحوراً، ويقولون غير ذلك[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير الكفّار الّذين يستمعون إلى آيات القرآن الكريم بغرض التّأليف والتّلفيق على ما يناسب قولهم من الحجج والأدلّة على أنّ ذلك الكلام مجرّد سحر وكهنة لأنّه يتنبّأ بأخبار الغابرين منذ آلاف القرون ولم يكن لأحد أن يعلم بمصير تلك الأمم، ويتنبّأ بالمستقبل مثل المعجزات ومعرفة المنافقين من المخلصين وتفسير الأحلام والرؤية، وغيرها من الأمور الّتي لا دخل للإنسان فيها، أو أنّ القرآن مجرّد هلوسة صادرة من شخص مجنون انتابه نوع من الصّرع فبدأ يخلط الحابل مع النّابل لكن رغم ما بدر منهم من قوّة الذّكاء في اختلاق الأمور إلاّ أنّ الآيات كانت أشدّ صدق وذكاء.

في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[2]

﴿**إِلَّا غُرُورًا**﴾: إلّا باطلاً، الجملة معترضة لبيان مواعيده أنها باطلة ويحتمل أن لا تكون معترضة أن يجعل ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر وأن الأصل وما تعدهم إلاّ غروراً[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير الشّيطان الرّجيم وأتباعه في اتخاذهم الباطل وتمسكهم بالجهل والضّلال، وأنّ عملهم غروراً وأكاذيب ليس لها معنى من الصّدق والصّحة.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾[4]

﴿**إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾: يجوز أن يكون الرّابط من يكون من وضع الظّاهر موضع المضمر ويكون من أحسن عملاً والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات شيئاً واحداً، كأنّه

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص317.

2. سورة الإسراء الآية 64.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص338.

4. سورة الكهف الآية 30.

قيل: إنّا لا نضيع أجره[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم الإحسان في الجمع بين الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله عليهم السّلام وكتبه واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشرّه، وبين العمل الصالح بتطبيق ذلك على أرض الواقع المدروس والحقيقة الظّاهرة من الالتزام بالأوامر في إتباع طريق الخير والفضيلة وتجنّب طريق الشّرّ والرّذيلة.

في قوله تعالى: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[2]

﴿**هُوَ**﴾: ضمير الشّأن، ويجوز كون هو ضمير الله سبحانه وتعالى، ويجوز كذلك كون هو ضمير لذات الواجب الوجود الخالق المسوي[3]، الغرض منه إظهار الله تعالى عظيم التّوحيد والإجلال، بأنّ الله هو الواحد الأحد.

في قوله تعالى: ﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾[4]

﴿**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾: لغيرهم عن دين الله والمضلّون هم المشركون أو إبليس وذرّيته على الخلاف في مرجع الهاء المذكور فيكون من وضع الظّاهر موضع المضمر ذمّاً لهم واستبعاداً لأنّ يتخّذهم الله عضد[5]، الغرض منه إظهار الله تعالى تحقير وذمّ المشركين الّذين اتّخذوا الشّياطين ملاذاً لهم وموجهاً لهم في الطّغيان والفساد، فهم المضلين الذين أضلوا أنفسهم عن رؤية الحق فأضلوا أتباعهم عن رؤية نور الحق.

في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾[6]

---

1. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص478.
2. سورة الكهف الآية 38.
3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص486.
4. سورة الكهف الآية 51.
5. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص500.
6. سورة الكهف الآية 77.

﴿**اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا**﴾: طلباً منهم الطّعام ضيّافة، ومقتضى الظّاهر أن يقال: استطعماهم بردّ الضّمير إلى أهل القرية فوضع الظّاهر موضع المضمر[1]، الغرض منه إظهار الله تعالى تعظيم المكانة العلميّة وإبراز الأسلوب المعجز الّذي بادر منه الخضر حين تحاور مع سيّدنا موسى عليه السّلام.

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج08، ص30.

المبحث السابع: الاستثناء

المطلب الأوّل: مفهوم الاستثناء لغة واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف الاستثناء لغة

تثنى وانثنى، وأثناؤه ومثانيه: قواه وطاقاته، واحدها ثني ومثناة ومثناة[1]، والجمع: أثناء وأثانين[2]، ثنى الثوب: طواه، ثنى ركبته كما في قوله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ**﴾[3]: يطوونها على الكفر والعداوة[4]، ويكون عن قاعدة عامة أو حكم عام، مثل: قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ**﴾:[5] لم يقولوا: إن شاء الله.[6]

ثانيا: تعريف الاستثناء اصطلاحاً

هو إخراج الشّيء من الشّيء، لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتّصل حقيقة وحكماً، ويتناول المنفصل حكماً فقط.[7]

الاستثناء استثناءان: لغوي وصناعي، اللّغوي، إخراج القليل من الكثير، والصّناعي هو الّذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائداً، ويعد من محاسن الكلام.[8]

---

[1] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج14، ص115.

[2] . إبراهيم مصطفى، وآخرون، المصدر السابق، ج01، ص1267.

[3] . سورة هود الآية 05.

[4] . أحمد مختار، المصدر السابق، ج01، ص330.

[5] . سورة القلم الآية 17 – 18.

[6] . أحمد مختار، المصدر نفسه، ج01، ص330.

[7] . عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ج01، ص 23.

[8] . عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق، د، حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ج01، ص333.

المطلب الثّاني: توظيف الاستثناء من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾.[1]

﴿**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾: استثناء منقطع، فإنّ إبليس ليس ملك، ولكن قد أمر بالسّجود، وقيل استثناء متّصل، والإلزام أنّه لم يؤمر بالسّجود، وأجيب بأنّه أمر بغير اسجدوا المذكور، ووجه كونه متصلاً أنّه ملك عند هذا البعض، أو أنّه مقدّم الذّكر قبل فالأصل، وإذ قلنا للملائكة وإبليس، أو أنّه كأنّه منهم لكونه معموراً فيهم متعبداً بما تعبّدوا فيه فتشمله الأمر، ولو لم يكن فيهم فإنّه من نار، وهم من نور، وقيل: هو ملك من ملائكة تسمى الجنّ، وقوله تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾، تأكيد لعدم سجوده وزيادة ذم له[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى محبته العظيمة لبني آدم عليه السّلام في إخباره عن حال الشّيطان إبليس حين عصا أمر الله تعالى، وكما أظهر العداوة لله عزّ وجلّ فهو عدوّ للبشريّة من باب أولى، وقد حذّرنا الله تعالى منه ومن أذيّته وإغوائه وشباكه في مواطن عدّة، كما قال تعالى: ﴿**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[3]، ليأخذ الإنسان الاحتياطات اللاّزمة في طلب المغفرة والتّوبة على كلّ زلّة ومع تجديد الإيمان كلّ يوم وكلّ دقيقة.

في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4]

---

1. سورة الأعراف الآية 11.

2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 19.

3. سورة البقرة الآية 208.

4. سورة الأنفال الآية 16.

﴿**إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا**﴾: قيل: متحيّزا ولا وجه لقول بعضهم استثناء المتحرّف والمتحيز من أنواع التّولي، لأنّه لم يقل إلا متحرّفا لقتال أو متحيّزاً، إلاّ إنّ أراد الاستثناء المنقطع، ولأنّه لا يستثنى من الفعل ولو صحّ المعنى بالنّظر إلى معنى مصدره[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى مصير الخونة والمنافقين الّذي يولّون الدّبر في القتال أو ينحازون إلى فئة العدوّ، وأنّه سيحلّ عليهم غضب من الله تعالى وجهنّم تغنيهم، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[3]

﴿**إِلَّا تَفْعَلُوهُ**﴾: فقال: ما هذا الاستثناء؟، أمتصل أم منقطع؟، قال الجماميني: ينبغي أن يجاب بأنّه متصل بالجهل، منقطع عن الفضل، ومن قال الآية في التّناصر دون الميراث ردّ الضّمير إلى ما ذكر من الموالاة وهي التّناصر، وتذكيره بتأويل المذكور والتّناصر، ووجود الفتنة إنّما يكون قريباً مع عدم التّناصر، وأمّا بعدم الإرث فبعيد، ويجوز عود الضّمير على حفظ الميثاق، أو على نصر المستنصرين في الدّين أو على ذلك كلّه[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أمره الّذي يجب أن يطاع في عدم إتّباع الكفّار بعضهم بعضاً في الإرث والنّصرة، وإتباع المؤمنين بعضهم بعضاً في الإرث والنّصرة[5]، وأي انحراف أو ميل كافة إلى أخرى مآله الفساد وداعيٌ إلى الفتنة وأكبر هلاك للأمّة هو زرع الفتن وتفكيك العلاقات الدّاخليّة والخارجيّة، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص340.

[2]. سورة المجادلة الآية 14.

[3] . سورة الأنفال الآية 73.

[4] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج05، ص425.

[5]. ابن جرير الطبري، المصدر السابق، ج14، ص84.

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.[1]

في قوله تعالى: **﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**[2]

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: فيكون الاستثناء منقطعا، والاستقامة البقاء على العهد، والتّعبير بها إشارة إلى أن نقضه قبيح كالعرج في جسم، وكأنه قيل: استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى الأهميّة العظيمة لثبات العهود والإبقاء عليها، وأن العهد الّذي كان بين الكفّار والمسلمين عند المسجد الحرام لن يبطل أو ينسى، وأنّ على المسلمين أن يثبتوا على ذلك الوثاق مدام الكفّار في سكن وأمن قولي وفعلي معهم، والأهم أن لا يبدؤوا في التّراجع ولاستكان من عندهم فذلك كلّه امتحان لتقواهم وصلابة استقامتهم، كما في قوله تعالى: **﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**.[4]

في قوله تعالى: **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[5]

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾: كان الاستثناء المفرغ في الإثبات، لأنّ يأبى في معنى النّفي، أي منع الله تعالى إلاّ إتمام نوره، وكأنّه قيل: لا يريد الله تعالى إلاّ أن يتمّ نوره[1]، في نوره قولان:

---

1. سورة الممتحنة الآية 01.

2. سورة التوبة الآية 07.

3. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص440.

4. سورة التوبة الآية 07.

5. سورة التوبة الآية 32.

يحتمل المراد به وجهين: أحدهما: إظهار دلائله، والثّاني: معونة أنصاره[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه محاط بأمر الإنسان كافره ومؤمنه، فالكافر لن ينقص من وحدانية الله تعالى ولن يعيق مسار الكون، والمؤمن لن يزيد في كمال الله تعالى شيء، وأن الله تعالى غنّي عنهما، كما في قوله تعالى: **﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾**[3]، كما في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**.[4]

في قوله تعالى: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾**[5]

﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: أي فسادا وشراكا إيقاع الجبن، وتهويل الأمر، وأصل الخبال مرض يؤثر في العقل كالجنون، والاستثناء متصل، أي ما زادوكم شيئا إلا الخبال، والخبال من جنس الشيء لا منفصل، لأن الاستثناء المنفصل لا يكون مفرغا كذا حفظنا في كتب النحو وهو الصحيح، ثم رأيت القاضي ذكره أخذا من كلام جار الله، وقال بعض: إنّه منفصل أي ما زادكم خيراً أو قوةً ولا شدّة، لكن خبالاً، وذكر بعضهم أنّ في تلك الغزوة منافقين كثيرين، ولهم خبال، ولو خرج الباقون ازدادوا خبالاً، والاستثناء أيضا متصل، لأنّ الشّيء المقدّر على أنّه لا منافق فيهم في تلك الغزوة كالمقدّر، على أنّ فيهم منافقين عام اللّفظ، وقرأ ابن أبي عبلة ما زادكم بإسقاط الواو وفتح الدّال، أي ما زادكم خروجهم[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى تحذيره من أن نتّخذ المنافقين أولياء وعدم ائتمانهم على الأسرار والخطط الحربيّة، كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا**

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص486.

[2]. أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي، المصدر السابق، ج02، ص 355.

[3]. سورة النّجم الآية 26.

[4]. سورة فاطر الآية 15.

[5] . سورة التوبة الآية 47.

[6] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص16.

عَـوْرَةٌ وَمَـا هِـيَ بِعَـوْرَةٍ إِنْ يُرِيـدُونَ إِلَّا فِـرَارًا﴾[1]، وأنّ تجاهلهم وتركهم دون مراقبة يوقع في الفتنة ومشتّتك للعزيمة ومزعزع للثّقة وموقع للهزيمة، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[3]

﴿**إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾: أن أملكه من دفع ضر، أو جلب نفع، فالاستثناء متصل، أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فهو منقطع[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ من يملك الضّرّ والنّفع للنّاس هو الله تعالى وحده لا شريك له ويوزعه على حسب كلٌّ وعمله، وأنّ الأعمار والآجال بيد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[5]، فكم من سقيم مات وكم من عليل عمّر طويلاً، وأنّ من أصاب امرئ بأذى وبأيّ شكل من الأشكال فلم يوفق لذلك ألاّ بمشيئة القدير عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.[6]

---

1. سورة الأحزاب الآية 13.
2. سورة المنافقون الآية 01.
3. سورة يونس الآية 49.
4. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص75.
5. سورة الأعراف الآية 34.
6. سورة التوبة الآية 51.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[1]

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: في اللّوح المحفوظ، أو في علم الله تعالى، والمبين: الظّاهر أو المظهر لما فيه، والاستثناء منقطع أي: لكن جميع الأشياء في الكتاب المبين[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه مطّلع على كلّ كبيرة وصغيرة، وأنّ حدوث الأحوال والمتغيّرات لا يكون إلاّ بأمره ومشيئته سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: **﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾**[3]، ويقول تعالى أيضا: **﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾**[4]، وأنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافيّة ولا يتهاون ولا ينسى، وأنّه يتعامل مع أمره بجدّيّة تامّة، كما قال تعالى: **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾**.[5]

في قوله تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾**[6]

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، لأنّ التّوبيخ يقتضى عدم الوقوع[7]، والمراد بالنّاس في قوله تعالى: **﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾**: أنّ أهل تلك القرى آمنوا بعد معاينة العذاب ووقوعه عليهم، لأنّ قوم يونس عاينوه، ولم يقع عليهم، لكنّ الظّاهر أنّ العذاب الموجّه إلى

---

1. سورة يونس الآية 61.
2. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص91.
3. سورة النمل الآية 75.
4. سورة غافر الآية 19.
5. سورة الحاقة الآية 18.
6. سورة يونس الآية 98.
7. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص133.

قوم لكفرهم إذ رأوه، ولو لم يقع عليهم في حينهم، كالواقع في أنّه لا يرد، ولا تنفع التّوبة إلاّ قوم يونس، فإنّ لله تعالى الحكم بما شاء، وحكمه كلّه حكمة وعدل[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه وحده من بيّده الحكم على الأقوام الظّالمة بتأخير العقاب، أو تعجيله، كما قال تعالى: ﴿**فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ**﴾[2]، وهذا ما حدث مع قوم يونس عليه السّلام بحيث امتنع عنهم العذاب في الدّنيا وجعل تمتعهم بالرّحمة إلى وقت معلوم، وإنّ أمر إيمان النّاس جميعا ليس بالأمر الصّعب على الله تعالى وأنّ بيده جعلهم جميعا مؤمنين ويدخلون الجنة، ولا ينقص منه شيء، كما قال تعالى: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[3]، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ**﴾[5]

﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ**﴾: أراد الجنس، فالاستثناء بعد ذلك متّصل، ولكن جعله منفصلاً بالنّظر إلى أنّ النّفس ولو نفس المؤمن مطبعة على لإياس والكفر، والفرح والفخر، لكنّه ينزع ويتوب، فكأنّه قيل: لكن الّذين صبروا وعملوا الصّالحات لهم مغفرة، وإن قلنا: الإنسان هنا المشرك والمنافق كان منفصلا[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ رحمته من العافيّة وعذابه من المصائب يصيب بهما من يشاء من عباده سواء أكان مؤمناً أو كافراً، فإن أصيب المؤمن برحمة شكر الله تعالى على دوامها، وإن نزعت منه يعرف يقيناً أنّ ذلك ابتلاء من الله تعالى فيحمده ويصبر، كما

---

1. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 256.
2. سورة إبراهيم الآية 44.
3. سورة المائدة الآية 118.
4. سورة الرعد الآية 31.
5. سورة هود الآية 09.
6. أمحمد بن يوسف أطفيّش، همیان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1485.

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ**﴾[1]، وأمّا الكافر إذا أصيب برحمة اغترّ بنفسه وأن نزعت قنط وكفر، ولم يزده ذلك إلاّ يأساً وإحباطاً، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾[3]

﴿**إِلَّا امْرَأَتَكَ**﴾: استثناء منقطع، أي: لكن امرأته لا تنجوا مع أنها تسرى معك، هذا ما ظهر لي، وقد سرت معه، والتفتت إذ سمعت هذه فقالت: واقوماه، فجاء حجر فقتلها، وقد أمرها لوط وغيرها بعدم الالتفات وعصته فالتفتت، وقيل: المعنى لا يتخلّف عن السرى منكم أحد إلا امرأتك فلا تسرى بها، فيكون الاستثناء متصلا من أحد، كقولك: قوموا ولا يبقى منكم قاعد إلا زيد، وقيل: الاستثناء منقطع بدليل سقوطه في آية الحجر، ولأن المراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته لا أهل بيته، وأن يكونوا مؤمنين[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى غضبه الشّديد الّذي أحلّه على الخبثاء والملاعين، فلم يسلم منه لا امرأة ولا رجل، ولا يراعى فيها الصّلة أو النسب، فامرأة النّبي لوط عليه السّلام أهلكت مع القوم لأنها كانت مثلهم في الخطيئة وتساعدهم في فعل الرّذيلة، كما قال تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[5]، وكون الله تعالى ليس بظلاّم للعبيد وعادل بين خلقه، الكلّ سواسيّة أمام الله تعالى سبحانه جلّ علاه، وهذا

---

1. سورة الأنعام الآية 17.

2. سورة الشّورى الآية 48.

3. سورة هود الآية 81.

4. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1555.

5. سورة النمل الآية 57.

بيان لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم في تجنّب مثل هكذا فعل، وحتى لا يسخط الله تعالى على من فيها وعليها، كما قال تعال: ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[1]، اللّهم نسألك العافيّة والمعافاة في الدّين والدّنيا.

في قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[2]

﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾: المراد الاستثناء من الخلود في خصوص العذاب بالنّار، فيكون المعنى إنّهم خالدون في التّعذيب بحرارة النّار، إلاّ ما شاء الله من تعذيبهم في بعض الأزمنة بالزمهرير، وأنواع أخرى من العذاب، كلدوغ الحيات، والعقارب لهم في موضع لا نار فيه، ويغضب الله عليهم، وخسته لهم وأمانته إياهم، فإنّ ذلك كلّه عذاب أيضاً، ويجوز أن يكون الاستثناء من أصل الحكم وهو الكون في النّار، والمستثنى لبثهم في القبور إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم، إن قلنا: إن مدّة أللّبث في القبور حتى يحشر ليست من ذلك اليوم الأخير[3]، ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾: استثناء لا يفعله الله تعالى، أو استثناء تعليم وتأديب[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أصناف البشر اثنان منه الشّقيّ الّذي يدخله الله تعالى النّار فيشقى فيها ويتعب، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى**﴾[5]، يصيبه عذاب محيط من كلّ جانب، وينتابه ألم وحزن وخوف وحسرة وندم، كما قال تعالى: ﴿**يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾[6]، ومنه السّعيد الّذي يدخله الله

---

1. سورة العنكبوت الآية 35.

2. سورة هود الآية 107 – 108.

3. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1581.

4. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1582.

5. سورة الليل الآية 17.

6. سورة الفرقان الآية 28.

تعالى الجنّة فيسعد فيها ويرتاح، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾[1]، لا سيّئات ولا آلام ولا خوف ولا حزن، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2]، فقط سرور وتناغم، وسلام، كما قال تعالى: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**﴾[3]، وقد وضّح الله تعالى أيضا أنّ دخول الجنّة ودخول النّار لا يكونان إلاّ بمشيئته سبحانه وتعالى جلاّ علاه، كما قال تعالى: ﴿**يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[5]

﴿**إِلَّا قَلِيلًا**﴾: استثناء منقطع، أي: لكن قليل، ويجوز أن يكون الاستثناء متّصلاً باعتبار النّفي اللاّزم من التّحضيض أو التّنديم، فإنّ التّحضيض والتّنديم إنّما يكونان على ما لم يكن، كأنّه قيل: ما كان من القرون أولوا بقيّة إلاّ قليلاً، والقليل هم أتباع الأنبياء في زمانهم بدليل ما بعده[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الكثير من النّاس يدخلون الإسلام، لكن القليل منهم من يؤمن أحق إيمان وإخلاص، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[7]، فمثلاً ركب في سفينة نوح أناس قليلون ونجوا من الغرق، وغرق أكثرهم وهلك، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا**

---

1. سورة طه الآية 123.
2. سورة البقرة الآية 38.
3. سورة الإنسان الآية 13.
4. سورة الإنسان الآية 31.
5. سورة هود الآية 116.
6. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1590.
7. سورة الحجرات الآية 14.

مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1]، ومن تلك البقيّة النّاجيّة تمسّك وثبت القليل منهم بدين التّوحيد والإخلاص لله تعالى دون الإشراك به، أما أكثرهم فإن لم يغرقه الطّوفان فقد أغرقه الظّلم والإجرام والفساد، كما قال تعالى: ﴿**وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3]

﴿**إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾: أي إلاّ وقت رحمة ربيّ، والتّقدير في الآية: إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء في كلّ وقت إلاّ وقت رحمة ربيّ، وقد أجاز بعضهم قيّاس ذلك، وذلك الوقت الّذي لا تأمر فيه بالسّوء، هو وقت غلبة العقل عليها، والوقت الّذي لا تجد فيه سبيلا إلى شرّ، أو ما مصدرية والاستثناء منقطع، أي ما أبرّئ نفسي، لكن رحمة ربيّ تمنع من السّوء، ويجوز أن يكون ما اسما موصولا بمعنى من والاستثناء أيضا منقطع أي إلاّ من رحم ربيّ بالعصمة كما قال ابن عباس، وإنّما قلت: منقطع لأنّ الإنسان مثلا ليس من جنس النّفس، أو ما واقعه على أنواع من يعقل، فالاستثناء أيضا منقطع، ويحتمله كلام ابن عباس، وذلك المرحوم كالملائكة، ويجوز كون ما على أصلها لغير العاقل في اصطلاح لنحو واقعة على النّفس، فيكون الاستثناء متّصلا، أي إلاّ النّفس الّتي رحمها ربيّ بأن عصمهما أصلا عن الأمر بالسّوء، كنفس الملائكة، فإنّ أنفسهم لا تأمرهم بالسّوء[4]، وكذلك الشّيطان لا يوسوس لهم، الغرض منه بيّن الله تعالى من كان أهلا للرّحمة والغفران وجاهد نفسه على الابتعاد عن المعاصي وتجنّب ما يدفع إلى الوقوع في الفواحش والخطيئة، وهيّأ نفسه لتجنّب ذلك كلّه، فمتى حوصر بمثل هذه الأمور الدّنيئة والقذرة ساعده الله تعالى في تخطّيها، ولكن إذا لم يُعوّد الإنسان نفسه على الطّهارة الجسديّة والنّفسيّة والقلبيّة وصاحب الرّفقة

---

1. سورة هود الآية 40.

2. سورة آل عمران الآية 110.

3. سورة يوسف الآية 53.

4. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص227.

الحسنة وناصح وتناصح في الخير ودوام على الصّلاة والذكر، سيقع حتما في أمور مأساويّة ولن يخلّصه الله تعالى إلاّ بالرّجوع إليه سبحانه وطلب المغفرة والتّوبة الخالصة، كما في قوله تعالى: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وأنّ الله تعالى لا يمنح فرصة واحدة فقط لرحمته ومغفرته، وإنّما يمنح فرصاً كثيرة وما على الإنسان سوى استغلالها أحسن استغلال قبل فوات الأوان، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾[4]

﴿**إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ**﴾: فالاستثناء متّصل، أو الاستثناء منقطع، فيكون المعنى لكنّهم كباسط كفّيه إلى الماء[5]، الغرض منه بين الله تعالى حال أعمال الكفّار الباطلة يتوهمون أنها نافعة لهم مثل العطشان يتوهّم بركة زرقاء وحين يقربها فبه وهم وسراب أصاب العقل والبصر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾.[6]

---

[1]. سورة الأعراف الآية 156.

[2]. سورة الزمر الآية 53.

[3]. سورة الحجر الآية 56.

[4]. سورة الرّعد الآية 14.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص351.

[6]. سورة النور الآية 39.

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾[1]

﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾: استثناء منقطع لأنّ إبليس ليس من الملائكة ويجوز أن يكون متصلاً تنزيلاً له منزلة واحد منهم إذ كان فيهم وعابداً بعبادتهم، وزعموا عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّ إبليس من حي من الملائكة يسمون الجان خلقوا من نار السّموم وخلقت الجن من مارج من نار والملائكة من نور وإنّ جماعة من الملائكة أمروا بالسّجود فأبوا فأحرقهم الله بنار ثم قال لجماعة أخرى من الملائكة أحدهم إبليس اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس وهذا كذب، عن ابن عبّاس رضي الله عنه كيف يصف بعض الملائكة بالامتناع من السّجود والله جل جلاله يقول: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾[2]، قال في السّؤال الرّابع والعشرين من التّساؤلات ما معناه أن الجان هو إبليس وهو أبو الجن وأنّه ليس من الملائكة وإنّما استثنى من الملائكة لأنّ الأمر شمله معهم كما أمرنا مع الجنّ وليسوا منّا ولسنا منهم، وإن ذلك رواية أبي صالح عن ابن عباس وإن الشّيخ أبا يحيى إسماعيل بن يحيى قال: انظر إليهم أي إلى المخالفين أو إلى الطّلبة مبتدئين وجدوا في كتاب أنّ الجان أبو الجنّ رجل صالح فأخذوها بل أبوهم إبليس وإن من جعله من الملائكة أشرك، وإذا جعلنا الاستثناء منقطعا كما أنّ قوله تعالى: ﴿**أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾: لآدم متّصلا بقوله إلاّ إبليس كأنّه قيل لكن إبليس أبى، وإذا جعلناه متّصلا كانت الجملة جوابا لسؤال مقدّر كأنّه قيل هلاّ سجد، فقال: أبى استكبارا والمراد بالسّاجدين الملائكة من حيث إنّهم سجدوا[3]، الغرض منه بين الله تعالى كيف رفض إبليس عدوّ الله تعالى السّجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً، وعناداً واستكباراً، وافتخاراً بالباطل[4]، وهذا كلّه من حقده وغيرته الحسودة في كيف لله تعالى وهو من الملائكة نطيعه في كل أمر، أن يفضل أدميّا علينا، ومخلوق من طين، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَنَا**

[1]. سورة الحجر الآية 31.

[2]. سورة الحجر الآية 30.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص495.

[4]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج04، ص 534.

خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1]، وهذا ما حصل لإخوة سيّدنا يوسف عليه السّلام حين حسدوه في حبّ أبيهم الشّديد له وكيف أنّ أباهم لا يحبهم مثل تلك المحبة والمعزة فأرادوا له كيدا، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، لكن في أخر المطاف عادوا إلى رشدهم وسجدوا لسيّدنا يوسف عليه السّلام، لكن الفرق بينهم وبين الشّيطان الرّجيم، أنّهم تابوا بعد ذلك وغفر الله لهم، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[3]، أمّا الشّيطان الرّجيم فأصرّ على وقاحته وعصيانه، وبقي ملعوناً إلى يوم الدّين، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[5]

﴿**إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾: استثناء منقطع لأنه لا قوة له يجبر بها أحدا على الغواية أي لكن من اتبعك من الغاوين فقد تبعك باختياره لوسوستك له فيعذب كما تعذب فهذا تكذيب له فيما أوهمه أن له سلطانا على غير مخلصين ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا على أن يكون معنى السلطان القوة بتأثير الوسوسة فقط فيكون ذلك تصديقا له في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[6]، وأصل هذا الكلام على هذا لا تأثير لإغوائك في عبادي المخلصين وعدل عن هذا إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾: لتعظيم المخلصين وإقناط الشّيطان منهم، ولا دليل في الآية على جواز استثناء الأكثر ولو كان الأكثر الغاوين وهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف، والأقل النّاجون وهم الواحد من كل ألف، لاحتمال كون

---

[1]. سورة ص الآية 76.

[2]. سورة يوسف الآية 08.

[3]. سورة يوسف الآية 91 – 92.

[4]. سورة الحجر الآية 35.

[5]. سورة الحجر الآية 42.

[6]. سورة الحجر الآية 40.

الاستثناء منقطعا على الكيفية المذكورة أولا، أو على كيفية أخرى مثل أن يراد بعبادي العباد المخلصين[1]، الغرض منه بيّن الله تعالى كيفية إلحاح الشّيطان على ربّه بالكفر وإغواء البشر بالمعصيّة وحبّ النّواهي، وإتباع طريق الفساد والخبث، لكن الله تعالى ليس بغافل عمّا يوّسوس الشّيطان وأتباعه فهو مراقب ومميّز الكافر من المؤمن، وللمخلصين عند ربّهم حجاب أمان من الشّيطان وجنوده، فمهما استقوى الشّيطان وطغى فليس له القدرة على إفساد توبة التّائبين وإبطال إخلاص نيّة المؤمنين، والأمر ليس من يفوز في الدّنيا الفانيّة، وإنّما من يفوز في الآخرة، يسرّ بحساب يسير وجنّة نعيم، كما في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[3]

﴿**إِلَّا آلَ لُوطٍ**﴾: استثناء منقطع من حيث أنّ المستثنى منه موصفون بالإجرام وهو الشّرك والكبائر وآل لوط غير موصوفين بذلك وهم أتباعه في الدّين فلا يشملهم لفظ المستثنى منه كما أنّه منقطع في قولك جاء بنو زيد إلاّ بني عمرو، جاء الجازيون إلاّ بني تميم فالمعنى لكن آل لوط لم نرسل إليهم بالإهلاك ويجوز أن يكون الاستثناء متّصلا والمستثنى منه الضّمير المستتر في مجرمين فالمعنى أرسلنا إلى قوم أجرموا كلّهم إلاّ آل لوط فإنّهم غير مجرمين بالإهلاك للمجرمين والتّنجيّة لغير المجرمين وهم آل لوط فالإرسال يعمّ الجميع ولو اختلف بالإهلاك والتّنجية بخلاف ما إذا جعلنا الاستثناء منقطعا فإنّ الإرسال حينئذ مختص بالإهلاك مقيّد به أي أرسلنا بالإهلاك أو هو في نفسه إهلاك كقولك أرسلت إليه حجرا أو سهما قال سيبويه آل فلان القوم الّذين أمرهم إلى فلان وظاهر عبارته هذه من آل يؤول بمعنى رجع وإنّه ليس أصله أهلا ويدلّ على أنّ الإرسال للقوم المجرمين بالإهلاك ولآل لوط بالتّنجية قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ**﴾: أي آل لوط مما يهلك به

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص03.

[2]. سورة النساء الآية 13.

[3] . سورة الحجر الآية 59.

القوم، ﴿**أَجْمَعِينَ**﴾ وهذه الجملة مستأنفة إذ جعلنا الاستثناء متّصلا ومتّصلة بآل لوط جارية مجرى الخبر بعد[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى تأكيد وعده بنجاة سيّدنا لوط عليه السّلام وأتباعه الصّالحين والمخلصين من العذاب المقدّر على قومهم الّذين استحبّوا الفاحشة وأبوا الرّجوع عنها، كسائر الأمم السّابقة الّتي كفرت واتبعت طرق الشّهوات والمحرّمات، كما في قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ**﴾[2]، بمطر دمّر كلّ شيء فلم تبقى لهم باقية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[4]

﴿**إِلَّا امْرَأَتَـهُ**﴾: استثناء من الهاء في منجوهم أي ننجيهم إلاّ امرأته منهم فلا ننجيها واستثناء من آل لوط المستثنون من الإجرام أي إلى قوم أجرموا كلهم إلا آل لوط فإنهم لم يجرموا إلا امرأته من آله فإنها أجرمت أو استثناء من آل لوط مستثنين من القوم أي أرسلنا بالإهلاك إلى قوم مجرمين لكن آل لوط لا نهلكهم بل ننجيهم إلا امرأته من آله فإنها ممن أرسلنا بالإهلاك إليه فلا ننجيها واستثنى المرأة من آل لوط أو من الهاء متصل أن قلنا آله قرابته ومن يحويه بينه ولم يؤمن معه إلاّ هم وإن آمن معه سواهم فقاله إما بمعنى القرابة ومن يحويه بيته أيضا تغليبا فمتصل أو بمعنى مطلق متبعيه في الدين فمنقطع وذكر القاضي أن الاستثناء من الهاء إذا جعلنا الاستثناء الأول متصلا وإنا لمنجوهم أجمعين مستأنف وإنه لا يجوز من آل لوط لاختلاف الحكمين لأن آل لوط متعلق بأرسلنا، أو المجرمين وإلا امرأته متعلق بمنجوهم إلا أن يجعل إنا لمنجوهم أجمعين اعتراضا

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص18.

[2]. سورة ص الآية 12 – 13 – 14.

[3]. سورة الشعراء الآية 173.

[4]. سورة الحجر الآية 60.

بإيضاح[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى العقاب الّذي حلّ على زوجة النّبي عليه السّلام لأنها لم تعمل على صيانته وحرمته، وهذا ما حدث لزوجة نبي نوح، كما في قوله تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾[2]، ولم تكترث لمكانتها النّبويّة الّتي لطّختها بالعار، فعاقبها الله تعالى أشرّ عقاب، كما في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾[4]

﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾: والمراد الاستثناء بهذا المعنى بأي لفظ ولو بغير أو بغير لفظ المشيئة أو بغير لفظ الجلالة من أسماء الله أو بغير إلاّ ونحوها، ﴿**إِذَا نَسِيتَ**﴾: الاستثناء عند الكلام ثم تذكرت أو نبهك أحد، والمعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء حثا في البعوث على الاهتمام بالاستثناء، وقيل: المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء حثا في البعث على الاهتمام بالاستثناء، وقيل: اذكره إذا غضبت فنسيت ذكره ثم تذكرت أو نبّهت قال وهب: ذكر الله جل وعلا في التّوراة والإنجيل: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، وقيل: اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، وقيل: ذكره هو أداء الصلاة المنسية إذا تذكرها كما ورد في الحديث: "من نام عن صلاة أو نسيها ثم ذكرها فذلك وقتها"، وقيل: أذكر ربّك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به يبعثك الذكر على التدارك وهذا لا

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص19.

[2]. سورة التحريم الآية 10.

[3]. سورة هود الآية 81.

[4]. سورة الكهف الآية 24.

يصرف لغيره صلى الله عليه وسلم ولو كان الخطاب له ويجوز أن يكون لمن يمكن منه الترك[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى إلزاميّة التّوكّل عليه سبحانه وتعالى في كلّ شيء، وربط كلّ شاردة وواردة بمشيئة القدير جلا علا، وفي حدوث الأشياء من عدمها، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[2]، وبيّن الله تعالى أن النسيان أمر محتوم على الإنسان، وأنه لا يعاقب على أمر لم يخطط لنسيانه أو عمل عليه، فالنسيان أمر يذهب ويأتي بدون تدخل قدرة الإنسان الضعيفة، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**﴾[3]، والنسيان نعمة ونقمة، نعمة ورحمة على نسيان الأحزان والهموم ومصائب الدنيا، ونقمة وغضب في نسيان الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[4]، ولا بد للإنسان استرجاع وقته مع الله تعالى في الذكر والصلاة والتسبيح والدعاء لقوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾[6]

﴿**إِلَّا سَلَامًا**﴾: استثناء متصل، أي إن كان السّلام من اللّغو فلا يسمعون فيها من اللّغو سواه، أو المعنى أن السّلام فيها لغو، لأنّه الدّعاء بالسّلامة وأهلها سالمون لولا أنّ فائدته الإكرام أو الاستثناء منقطع لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنّقيصة، أو لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم، وتسليم بعضهم على بعض، وقيل: تسليم الله عليهم[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى تنزيه أصحاب الجنّة عن اللّغو وعن الحديث الّذي ليس منه أجر أو حسنة، واتصافهم بالسّلام

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص447، ص 448.

[2]. سورة يس الآية 82.

[3]. سورة الكهف الآية 63.

[4]. سورة الحشر الآية 19.

[5]. سورة البقرة الآية 152.

[6] . سورة الكهف الآية 62.

[7] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد، المصدر السابق، ج08، ص143.

الّذي كان مفتاح التّعارف بين الملائكة والأنبيّاء عليهم السّلام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾[1] وبالسّلام والحبّ والتآلف بين أصحاب الجنّة، فلا يتلازمون ولا يستهزؤون، ولا يحتقرون، قلوبهم صافية، ونفوسهم طاهرة، وألسنهم ذاكرة، وحواسهم خاشعة لربّها راكعة، تتنعّم بما لذّ وطاب.

[1]. سورة هود الآية 69.

الفصل الخامس: توظيف علم البديع في القرآن من خلال (هميان الزّاد) –الرّبع الثّاني من القرآن–

المبحث الأول: المقابلة

المبحث الثّاني: تأكيد المدح بما يشبه الذم

المبحث الثّالث: حسن التّعليل

المبحث الرابع: الالتفات

المبحث الخامس: المشاكلة

تمهيد: مفهوم علم البديع لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف علم البديع لغةً

بدع الباء والدّال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشّيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال، فالأوّل قولهم: أبدعت الشّيء قولا أو فعلا إذا ابتدأته لا عن سابق مثال[1]، بدع الشّيء يبدعه بدعا وابتدعه، أنشأه وبدأه[2]، والله تعالى بديع السّموات والأرض، والبديع: المبتدِع، والبديع: المبتدَع أيضا، والبديع: الرّقّ، وفي قوله تعالى ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[3]، أي ما كنت أوّل من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير، والبدعة: كلّ محدثة[4]، وأبدع الشّاعر جاء بالبديع،[5] وفي أسماء الله تعالى البديع، هو الخالق المخترع لا عن مثال سابق.[6]

ثانيّا: تعريف علم البديع اصطلاحاً

هو العلم الّذي تعرف به المحسّنات الجماليّة المعنويّة واللّفظيّة المنثورة والّتي لم تلحق بعلم المعاني ولا بعلم البيان.[7]

المحسّنات الجماليّة المعنويّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جماليّة معنويّة قد يكون بها أحيانا تحسين وتزيين في اللّفظ أيضا ولكن تبعا لا أصالة، وتنقسم إلى أقسام:[1]

---

[1] . أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، المصدر السابق، ج1، ص209.

[2] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج8، ص06.

[3]. سورة الأحقاف الآية 09.

[4]. محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 2001م، ج2، ص142.

[5]. أبو نصر إسماعيل الفرابي، المصدر السابق، ج3، ص1183.

[6]. ضياء الدين بن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر أحمد الزّاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة، بيروت، 1399هـ - 1979م، ج1، ص106.

[7]. عبد الرحمن حبنكة، المصدر السابق، ج2، ص269.

التّوريّة – الاستخدام – الاستطراد – الافتنان – الطّباق – المقابلة – مراعاة النّظير – الأرصاد – الإدماج – المذهب الكلاميّ – حسن التّعليل – التّجريد – المشاكلة – المزاوجة – الطي والنّشر – الجمع – التّفريق – التّقسيم – الجمع مع التّفريق – الجمع مع التّقسيم – المبالغة – المغايرة – تأكيد المدح بما يشبه الذّم – تأكيد الذّم بما يشبه المدح – التّوجيه – نفي الشّيء بايجابه – القول بالموجب – ائتلاف اللّفظ مع المعنى – التّفريع – الاستتباع – السّلب والإيجاب – الإبداع – الأسلوب الحكيم – تشابه الأطراف – العكس – تجاهل العارف.

المحسّنات الجماليّة اللّفظيّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جماليّة لفظيّة قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى، ولكن تبعاً لا أصالة، وتنقسم إلى أقسام:[2]

الجناس – التّصحيف – الازدواج – السّجع – الموازنة – التّرصيع – التّشريع – لزوم ما لا يلزم – ردّ العجز على الصّدر – ما لا يستحيل بالانعكاس – المواربة – ائتلاف اللّفظ مع اللّفظ – التّسميط، الانسجام أو السّهولة – الاكتفاء – التّطريز.

[1]. عبد الرحمن حبنكة، المصدر السابق، ج2، ص269.

[2]. عبد الرحمن حبنكة، المصدر نفسه، ج2، ص269.

المبحث الأول: المقابلة

المطلب الأول: مفهوم المقابلة لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف المقابلة لغةً

هي المواجهة، قال الكسائي: تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان، إذا كانت مقابلة لما أمامها[1]، وقابل الشّيء بالشّيء مقابلة، وقبالاً: عارضه، ومقابلة الكتاب بالكتاب، وقباله به، معارضته، وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضا، كما قال الله تعالى في وصفه لأهل الجنّة: ﴿**إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾[2]، بمعنى أنّه لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض[3]، المقابلة وقبالة: ما كان مستقبل شيء، وشاة مقابلة: قطعت من أذنها قطعة فتركت معلقة[4]، ويقال لمثل ذلك من الإبل المزنم، قال: ويسمى ذلك المعلق الرعل، والجدعاء: المجدوعة الأذن[5]، المقابلة: النّاقة الّتي تقرض قرضة من مقدّم أذنها مما يلي وجهها[6]، والقابلة: اللّيلة المقبلة.[7]

ثانيّاً: تعريف المقابلة اصطلاحاً

المقابلة: أن يقابل الشّيء بضدّه أو بغيره أو بمثله، في مقابلة الشّيء بضدّه فهو كالسّواد والبياض، وقوله تعالى: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾[8]، وهذا من أحسن

---

[1]. أيمن أمين عبد الغني، المصدر السابق، ص 183.

[2]. سورة الحجر الآية 47.

[3]. أبو الحسن علي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م، ج6، ص429.

[4]. الخليل الفراهيدي، المصدر السابق، ج5، ص167.

[5]. نشوان بن سعيد الحميري، المصدر السابق، ج08، ص5360.

[6]. محمد الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج30، ص219.

[7]. الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص1045.

[8]. سورة الحديد الآية 23.

ما يجيء في هذا الباب، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ**"[1]، وأمّا في مقابلة الشّيء بغيره فهو ضربان: أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقابل، كقول بعضهم يقال له القريظ بن أنيف يفتخر بقومه[2]، (من البحر البسيط)[3]:

يَجْزُونَ مَنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَاناً

قابل الظّلم بالمغفرة، والظّلم ليس ضدّ المغفرة، وإنّما هو ضدّ العدل إلاّ أنّه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة بينها وبين الظّلم، وأمثال هذه كثيرة، ثانيهما: أن يقابل الشّيء بما بينه وبين بعد ولا مناسبة بينهما بحال من الأحوال وذلك مما لا يحسن استعماله في التأليف، فإن ذلك غير مناسب[4]، وأمّا أن يقابل الشّيء بمثله، وهو ضربان: أحدهما التّقابل في اللّفظ والمعنى، والآخر التّقابل في المعنى دون اللّفظ، فالضّرب الأوّل كقوله تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[5]، ومثل قوله تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾،[6] وأمثال هذا كثيرة، والضّرب الثّاني فهو أن تقابل الجملة بمثلها: إن كانت مستقبلة بمستقبلة وأن كانت ماضية قوبلت بماضية، وربما قوبل الماضي بالمستقبل، والمستقبل بالماضي، وذلك إذا كان أحدهما في معنى الآخر: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي**﴾[7]، فإنّ هذا تقابل من جهة المعنى، ولو كان التّقابل من جهة اللّفظ لقال: وإن اهتديت

---

[1]. أبو الحسن علي الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، دار مكتبة الحياة، 1986م، الباب الرابع أدب الدّنيا، فصل في البر، ج1، ص211.

[2]. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ، ج03، ص151.

[3]. أبو محمد بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج01، ص285.

[4]. ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المصدر السابق، ج1، ص212، ص213.

[5]. سورة التّوبة الآية 67.

[6]. سورة النّمل الآية 50.

[7]. سورة سبأ الآية 50.

فإنّما أهتدي لها، وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أنّ النّفس كلّ ما هو عليها فهو بها، أعني أن كلّ ما هو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنّها الأمّارة بالسّوء، وكلّ ما حولها مما ينفيها فبهداية ربّها وتوفيقه إيّاها وهذا حكم عام لكلّ مكلّف، وإنّما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسنده إلى نفسه، لأنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم إذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقه كان غيره أولى به، ومن هذا الضّرب أيضا قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، فإنه لم يراع التّقابل في قوله ﴿**لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**﴾ لأنّ القياس يقتضي أن يكون "والنّهار ليبصروا فيه" وإنّما هو مراعى من جهة المعنى، لا من حيث اللّفظ، وهكذا النّظم المطبوع غير المتكلّف، لأنّ معنى قوله: ﴿**مُبْصِرًا**﴾: ليبصروا فيه طرق التّقلّب في الحاجات.[2]

[1] . سورة النّمل الآية 36.

[2]. ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المصدر السابق، ج1، ص214، ص215.

المطلب الثّاني: توظيف المقابلة من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1]

﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾، ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ**﴾: سمى مكرا لوقوعه في مقابلة ملهو كالمكر، وهو كفرهم بعد الرسالة، وظهور دعوة الله تعالى، فيكون كقوله تعالى: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[2]، إنّا كنّا مستهزئين الله يستهزأ بهم، وإن عقبتهم، وقوله: صلى الله عليه وسلم "**فَوَ اللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**"[3]، وعلى العاقل أن يحاذر مكر الله ويحاذره أكثر مما يخاف، ويحاذر مكر عدو نحيف له ليغتال به وقت غفلة[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى غضبه العظيم الذي لا يستهان به ومهما مكر الكفار واستهانوا بوجود الله تعالى وبوجود عقابه الأشد، فالله تعالى هو خالقهم وخالق مكرهم وبتالي فهو أشد مكراً منهم، فليحذوا مكر الله تعالى حين لا مفر من الأسوأ، كما قال تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[6]

﴿**وَيَمْكُرُونَ**﴾، ﴿**وَيَمْكُرُ اللَّهُ**﴾: أي يجازيهم على مكرهم، وسمى الجزاء باسم الذّنب، أو يرد مكرهم عليهم، أو يعامله معاملة الماكر، وقد قلّد المسلمين في أعينهم حتى اغتروا بقتلهم، فكانت الوقعة عليهم، وذلك في أمر بدر، ولا يوصف الله تعالى بالمكر إلاّ مقابلة مكر، لأنّه يوهم الذّم ،

---

[1]. سورة الأعراف الآية 99.

[2]. سورة الأنفال الآية 30.

[3]. محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الإيمان، الباب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، رقم الحديث17، ج01، ص43.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 186.

[5]. سورة الرعد الآية 42.

[6]. سورة الأنفال الآية 30.

وذلك وقوف مع الوارد في صفة الله تعالى[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى المكر والكراهيّة الّتي وصل إليها الكفّار والمشركين ليمنعوا رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المسلمين من مواصلة الدّعوة ونشر الإسلام في ربوع الأرض، ووصل بهم المكر إلى محاولة قتله وإخراجه عنوة من بيته وأهله، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[2]، ومع كلّ تلك المخطّطات الماكرة والغادرة إلاّ أنّ الله تعالى لم يخيّب نبيّه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وسائر المؤمنين فكان النّصر والفتح حليفهم دائماً، كما قال تعالى: ﴿**فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[3]، فأخفى الإسلام الجهل والشّرك بانتشاره كما تخفي النّار كلّ ما فيها وما عليها بانتشارها على الأخضر واليابس.

في قوله تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[4]

﴿**نَسُوا اللَّهَ**﴾، ﴿**فَنَسِيَهُمْ**﴾: تركوا ذكر الله وطاعته، فتركهم من فضله ورحمته وخذلهم، والنّسيان بمعنى التّرك حقيقة، ويجوز أن يكون المراد تركوا أمره حتّى صاروا بمنزلة من ذهب شيء عن حافظته، فجازاهم بأنّ صيرهم بمنزلة المنسي عن ثوابه وفضله، فتكون في ذلك مبالغة، إذا بلغ وجوه التّرك الوجه الّذي يقترن به لنسيان مزاوجة[5]، ﴿**نَسُوا**﴾، مقابل ﴿**فَنَسِيَهُمْ**﴾، مثل قوله تعالى:

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج05، ص 360.

[2]. سورة الحج الآية 40.

[3]. سورة الروم الآية 47.

[4]. سورة التوبة الآية 67.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج 06، ص 45.

﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾[1]، الغرض منها تبيين الله تعالى أهميّة التّذكير والرّجوع إليه عز وجل بأصدق نيّة وإخلاص العبوديّة له دون سواه، وعدم إشراكه في حبّ الأموال وكثرة الأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾[2]، وعدم نسيان الذكّر والصّلاة وجميع الشّرائع الّتي تجعلنا نعيش في رحمة الله عزّ وجلّ وتجنّيبنا غضبه العظيم الّذي لم تسلم منه البشريّة العظمى، كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[4]

﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ**﴾ ،﴿**أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ**﴾: جعل الانهيار في نار جهنم في مقابلة الرّضوان، لأنّ رضا الله تعالى يحفظ عنها، ويوصل إلى الجنة[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى على من أراد طريق الجنّة فعليه بنيل رضا الله تعالى في الإيمان به وبرسله عليهم السّلام وبكتبه والإخلاص في العبادة دون نفاق أو ارتداد، كما قال تعالى: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[6]، ومن أراد طريق جهنّم فذلك الّذي يشرك ويكذّب بوجود الله الواحد ويستهزئ برسل الله تعالى وأنبيائه عليهم السّلام، كما قال تعالى: ﴿**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾[7]، وبتالي كلّ الأمور واضحة وكلّ امرؤ وما يسعى إليه.

---

[1]. سورة النساء الآية 142.

[2]. سورة الفجر الآية 20.

[3]. سورة المنافقون الآية 09.

[4]. سورة التوبة الآية 109.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص 101.

[6]. سورة الفتح الآية 29.

[7]. سورة المائدة 80.

في قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1]

﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ و﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا**﴾، ﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ و﴿**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، مقابلة بين كل من الآيتين[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى حال المؤمن الذين يحسن فله زيادة وأنّه من أصحاب الجنّة السّاطع نورها خالداً فيها، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3]، عكس الكافر الّذي يكسب سيئة فجزاء سيئة بمثلها وله جهنّم نهارها ظلام ويخلد فيها مهانا، كما قال تعالى: ﴿**يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[5]

﴿**ففَسَقُوا فِيْهَا**﴾: أي خرجوا في القرية عن طاعة الرّسول صلى الله عليه وسلم في أمره لهم بالتّوحيد والشّريعة، فإنّ الفسق النّسوخ عن الطّاعة فدلّ عليها بطريق المقابلة، فإنّ دليل الحذف كما يكون بالموافقة يكون بالمخالفة، أو بضدّه، كقوله جل وعلا: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ**

---

[1]. سورة يونس الآية 26 – 27.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 50.

[3]. سورة البقرة الآية 82.

[4]. سورة الفرقان الآية 69.

[5]. سورة الإسراء الآية 16.

وَالنَّهَارِ﴾[1]: أي وما تحرّك[2]، الغرض منها تبيين الله تعالى مصير الأقوام الّتي خالفت رسلها وأنبياءها عليهم السّلام في الأوامر والنّواهي وفي اتّخاذ الشّرك بالله تعالى دون التّوحيد والإجلال لله تعالى وحده دون سواه، فإنّ لهم جزاء أشدّ وأمرّ تدميرهم وإخفاءهم من الوجود ولن ينفعهم لا قوة ولا نفوذ، كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾.[3]

[1] . سورة الأنعام الآية 13.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص277.

[3] . سورة النّساء الآية 84.

المبحث الثّاني: تأكيد المدح بما يشبه الذّم

المطلب الأوّل: مفهوم تأكيد المدح بما يشبه الذّم لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف تأكيد المدح بما يشبه الذّم لغةً

مدح من المدح وهو حسن الثّناء: نقيض الهجاء، المدح المصدر، والمدحة الاسم، والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح[1] ، ذمّ من الذّم وهو اللّوم في الإساءة: نقيض المدح، ذمّه يذمّه ذماً، والعرب تقول ذمّ يذمّ ذمّاً.[2]

ثانيّاً: تعريف تأكيد المدح بما يشبه الذّم اصطلاحاً

هو تذكّر صفة ذم منفيّة، ويستثنى منها صفة مدح[3]، نحو قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا**﴾[4]، فالتّأكيد فيه من جهة أنّه كدعوى الشّيء ببيّنة، وأنّ الأصل في الاستثناء الاتصال، فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج الشيء ممّا قبلها، والثّاني: أن يثبت لشيء

---

[1]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج02، ص589.

[2]. جمال الدين بن منظور، المصدر نفسه، ج12، ص220.

[3]. أحمد مختار، المصدر السابق، ج1، ص821./ جلال الدّين السّيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المصدر السابق، ج1، ص103./ محمّد صابر الفاروقي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة، د، رفيق العجم، تحقيق، د، علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د، عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د، جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص374./ أحمد نكري، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م، ج1، ص183.

[4]. سورة مريم الآية 62.

صفة مدح ويعقّب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له، كقوله صلى الله عليه وسلم: "**أَنَا أَفْصَحُ العَرَبْ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشْ**"[1]، وأصل الاستثناء في هذا الضّرب أيضاً أن يكون منقطعاً.[2]

المطلب الثّاني: توظيف تأكيد المدح بما يشبه الذّم من خلال (همیان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾[3]

﴿**إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**﴾: إلاّ الإيمان الّذي هو أصل المفاخر، وخير الأعمال، بحيث لا يمكن تركه إلى ما تريد، وذلك من تأكيد المدح بما يشبه الذّم[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى الحال التي كان يعاني منها المؤمنين فور إيمانهم، فقد جعلوا أعداءً وشياطين في نظر الكفّار والمشركين، وما ذنبهم وقد أرادوا الإيمان فوفّقهم الله تعالى إليه وطربت قلوبهم وأينعت عقولهم، وهم لم يؤذوا أو يظلموا في ذلك أحداً، وما عليهم سوى الصّبر والاستعانة بالله تعالى الواحد القهّار، كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[6]

---

[1]- سراج الدّين الشافعي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق، مصطفى أبو الغيط ، وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السّعودية، ط1، 1425هـ - 2004م، ج8، ص281.

[2]. شهاب الدّين التّويري، المصدر السابق، ج7، ص121.

[3]. سورة الأعراف الآية 126.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 204.

[5]. سورة البقرة الآية 250.

[6] . سورة التّوبة الآية 74.

﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: هذا الاستثناء من تأكيد المدح بما يشبه الذّم، أي ما نقموا شيئا إلاّ غناء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إيّاهم[1]، بالغنائم الّتي هي عندهم أحبّ الأشياء لديهم في هذه الحياة، وكانوا كسائر الأنصار فقراء فأغناهم الله تعالى من فضله[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أن فضله ورزقه يهبه لمن يشاء ولا فرق بين كافر ومسلم وبين غني وفقير، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[5]

﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾: من باب تأكيد المدح بما يشبه الذّم، قيل إن الاختلاف هو قول بعض اليهود أن السبت أعظم الأيام حرمة لأنه يلي يوم الفراغ من خلق الأشياء، وقول بعض اليهود إن الأحد أعظم، لأن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق فيه، ورد بأن الأحد إنما اختاره النصارى بعدهم بزمان طويل، وقيل أن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا: يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئا فجعله لنا فجعل عليهم وليس ذلك بأعجب من مخالفتهم لمثل قوله تعالى: ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾[6]، وغير ذلك وهم القائلون سمعنا وعصينا وما تقدم من أن الجمعة عينت لنا لا ينافي ما روى أن الأنصار قالوا: هلم نجعل لنا يوما للعبادة كما جعلت اليهود السّبت والنّصارى الأحد فاجعلوه الجمعة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلىّ

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص54.

[2]. أحمد مصطفى المراغي، المصدر السابق، ج10، ص 166.

[3]. سورة مريم الآية 37.

[44]. سورة آل عمران الآية 26.

[5]. سورة النحل الآية 124.

[6]. سورة البقرة الآية 58.

بهم وذلك قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لأنّه لا مانع من أن يكون صلى الله عليه وسلم بالوحي وهو بمكة ولم يتمكّن من إقامتها ولما قدم المدينة صلاها فتحصل الهداية بالبيان وبالاختيار، وقد نزل قوله تعالى: ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ**﴾[1]، قيل الحكمة في اختيارهم الجمعة خلق آدم عليه السّلام فيها والإنسان إنّما خلق للعبادة فناسب أن يشتغلوا فيه بالعبادة وأن الله جل جلاله أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها فناسب أن يشكر بالعبادة فيه على ذلك وحصول الكمال يوجب الفرح والسّرور، ولأّن آدم وذريته أفضل المخلوقات وقد خلق فيه، ولأنه تاب عليه فيه لأن الله جل جلاله أعطاه لنا فكان ما أعطاه أفضل مما اختاره البشر، وقيل بعث موسى بتعظيم السبت ثم نسخ بالأحد ثم نسخ الأحد بالجمعة، فهي أفضل الأيام كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته أفضل الأنبياء والأمم، والسبت آخر الأسبوع والأربعاء رابعه، وقيل السّبت أوله والأربعاء خامسه، وعليه الأكثر والشّافعية وهو الّذي صح به الخبر فيما قيل[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أن العبادة ليست مخصوصة بأحد الأيام وإنّما سائرها وليس حسب الأسبوع بأداء يوم الجمعة أو السبت أو الأحد، والمهم في ذلك التّعبد والتّقرب لله تعالى بإخلاص وصدق نيّة على مدار الأيام، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.[3]

[1]. سورة الجمعة الآية 09.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص202.

[3]. سورة الذاريات الآية 56.

المبحث الثّالث: حسن التّعليل

المطلب الأوّل: مفهوم حسن التّعليل لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف حسن التّعليل لغةً

من علّ يعلّ ويعل وعلّه يعله ويعلّه علا وعللا وأعلّه[1]، واعتل أي مرض، والعلة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته، كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه عن شغله الأول، وفي حديث عاصم بن ثابت: "مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ"[2] ؟، أي ما عذري في ترك الجهاد ومعي أهبّة القتال، فوضع العلّة موضع العذر.[3]

ثانيّاً: تعريف حسن التّعليل اصطلاحاً

أن يريد المتكلّم ذكر حكم واقع أو متوقّع فيقدّم قبل ذكره علّة وقوعه، لكون رتبة العلّة أن تقدّم على المعلول، كقوله تعالى: ﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[4]: فسبق الكتاب من الله علّة في النّجاة من العذاب، وكقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**﴾[5]: فوجود رهطه علّة في سلامته من قومه، وكقول الرّسول صلى الله عليه وسلم: "**لَوْلاَ**

---

[1] . الفيرز آبادي، المصدر السابق، ج01، ص1035.

[2] . سعيد بن منصور الجرجاني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط01، 1403هـ – 1982م، كتاب الجهاد، باب جامع الشّهادة، رقم الحديث 2837، ج02، ص347.

[3] . جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج11، ص471.

[4] . سورة الأنفال الآية 68.

[5] . سورة هود الآية 91.

أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ"[1]، فخوف المشقّة على الأمّة هو العلّة في التّخفيف عنهم من الأمر بالسّواك عند كلّ صلاة[2]، ورفع عنهم الضّيق والحرج.

المطلب الثّاني: توظيف حسن التّعليل من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[3]

﴿**إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾: جملة إنّك الخ تعليل، أي: لأنّك من الصّاغرين لتكبّرك[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال الشّيطان الرّجيم وإظهار صغره وضعفه لدى البشريّة جمعاء، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾[5]، وأنّ من يفكّر بزرع الفتن ونشر الفساد تفكيره صغيرٌ ومحدودٌ لا ينتج شيئاً سوى إحراق نفسه قبل إحراق غيره بنار العداوة والتّكبّر.

في قوله تعالى: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[6]

﴿**وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾: تعليل أو ترجي بحسب معتقد نوح، وحسب ما يجب عليهم أن يعتقد، وهو أن يرجوا رحمة الله تعالى بعد أن يؤمنوا ويعملوا الصّالحات، فإنّ الإيمان والعمل لا يوجبان الرّحمة، وإنّما فضل من الله تعالى، فليس لأحد أن يعتمد عليهما ويأمن من العذاب[7]،

---

[1] . محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب السّواك يوم الجمعة، رقم الحديث887، ج02، ص04.

[2] . عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني، المصدر السابق، ج01، ص309.

[3] . سورة الأعراف الآية 13.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 23.

[5] . سورة النساء الآية 76.

[6]. سورة الأعراف الآية 63.

[7]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص 127.

الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ كون الأنبيّاء عليهم السّلام من البشر أمر قطعي ولا يمكن لأحد مخالفته، وأنّ أمر الإيمان والعمل الصّالح لا يمنعان من العذاب، وبما أنّ الإنسان غير معصوم فهو واقع في الخطأ حتماً إلاّ إن شاء الله تعالى غفر له وأدخله في رحمه، كما قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[2]

﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: ترجّ بالنّظر إليهم أو تعليل، في الرّجوع عن الباطل من كفر وشرك، وتقليد، وسائر المعاصي[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى عظمته في نشر رحمته الواسعة وحبّه الكبير في جعل البشريّة جمعاء تحت طاعته وظلّه سبحانه عزّ وجلّ ورجوع كلّ كافر أو مخطئ من عادة الشّرك والمعاصي إلى عبادة الواحد الأحد.

في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾[4]

﴿**إِنَّ**﴾: تعليل مستأنف راجع إلى ما يدلّ عليه الكلام السّابق من عدم مبالاته بهم، وعدم وصولهم إليه[5]، الغرض منه توضيح الله تعالى أنّ من يتولّى أمر الدّنيا والعباد هو الله تعالى دون سواه، وإليه يرجع الحكم والتّوكّل في جميع الأمور خيرها وشرّها وأنّ الله تعالى هو من بيده الفصل بين المشرك والمخلص وبين المفسد والمصلح، كما في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾.[6]

---

[1]. سورة الدخان الآية 42.

[2]. سورة الأعراف الآية 174.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص 254.

[4]. سورة الأعراف الآية 196.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص289.

[6]. سورة النجم الآية 32.

في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1]

﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾: تعليل أو ترج، مصروف إلى المخاطبين في شكر النّعم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى فضله في نصرة المستضعفين وحمايتهم من قوى الشّرّ بالإضافة إلى رزقهم نعم كثير طيبة، لكن أساس ذلك كلّه عسى أن يشكروا الله تعالى ويحمدوه فالبخيل من يبخل على ربّه بشكره وحمده على نعمه وفي خلقه البشر في أحسن تقويم، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[3] وإلى الأرزاق التي تنزل من السّماء وتخرج من الأرض بدون تعب أو كد، كما في قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**﴾[4] فعند الله تعالى لا يهان مخلوق ولا يُظلم وكلٌّ ذي رزق رزقه.

في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[5]

﴿**لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: ترجّ مصروف إلى المؤمنين أو تعليل[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى للمؤمنين الثبات والصبر في التمسك بدينهم والتحلي دائما بالقيم الإسلامية والحرص دائما على عدم التغير في الجوهر والمنظر وعدم الانحراف إلى انجرافات هاوية، والسعي دائما أن يكونوا قدوة عن أنفسهم ثم إلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾.[7]

---

[1]. سورة الأنفال الآية 26.

[2]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص356.

[3]. سورة التين الآية 04.

[4]. سورة الواقعة الآية 68 – 69 – 70.

[5]. سورة الأنفال الآية 45.

[6]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص387.

[7]. سورة الرعد الآية 11.

في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾[1]

﴿**إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾: تعليل جملي مستأنف، أو كلام مستأنف في ذمّ ناقض للعهد غير تعليل، كما قال مجاهد[2]، الغرض منه بيّن الله تعالى كرهه للخائنين وأنّه لا يحبّ كلّ من خان واتّصف بالخيانة ولو شبه منها، كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[3]، فالخيانة على أنواع هناك من خائن لنفسه، وهناك لغيره، ودينه، ووطنه، وعلى كلّ الخيانة لا تنقص من الخالق شيئاً، كما قال تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[4]، إلاّ إنّها تصيب صاحبها بالخيبة والخسران في الدّنيا، وتحجز موعدا لصاحبها في جهنّم الآخرة، كما قال تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**﴾[6]

﴿**إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**﴾: تعليل جملي مستأنف، أي: لأنّهم لا يعجزون، والمعنى لا يفوتون الله، أو لا يجعلوه عاجزاً بأن يسبقوه، أو لا يجدونه عاجزاً[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ هؤلاء

[1] . سورة الأنفال الآية 58.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص404.

[3]. سورة آل عمران الآية 53 . 54.

[4]. سورة النمل الآية 50.

[5]. سورة نوح الآية 22.

[6] . سورة الأنفال الآية 59.

[7] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص405.

الكفرة لا يعجزون ربّهم عزّ وجلّ إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّ اللهَ**﴾: تعليل جملي، فإن الله تعالى غفور للتّائب رحيم به، فإنّ التّائب توبة نصوحا من أولياء الله [4]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ قتال الكفّار والمشركين مستمرّ ماداموا متعطشين للحرب ومعلنين المكر والخداع، واستثنى الله تعالى منهم التائب توبة نصوحة لا رجعة فيها ظاهر عليه الصّلاة والزّكاة وغير ذلك من الشّرائع الإسلاميّة فلا قتال ولا جدال وأنّ الله تعالى أرحم بهم وهو مولاهم، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾[6]

﴿**إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾ تعليل جملي، أي: لا أيمان وافيّة لهم[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى حثّه على مقاتلة المنافقين من أئمّة الكفر والشّرك وأنّ دخولهم في الإسلام تيه

---

[1]. ابن جرير الطبري، المصدر السابق، ج14، ص 28.

[2]. سورة النور الآية 57.

[3]. سورة التّوبة الآية 05 . 06.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص438.

[5]. سورة محمد الآية 11.

[6]. سورة التّوبة الآية 12.

[7]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص446.

وضلال[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[3]

﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾، تعليل جملي، والمعنى لأنّ الله معنا بالحفظ[4]، الغرض منه بين الله تعالى أنّ نصرة الرّسول صلى الله عليه وسلم كانت أزليّة وأنّ علو كلمة الكفر وطغيان الظّلم لم يكن إلاّ وهماً جعلوا له حقيقة، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾[5]، وأنّه لا بد للحق أن ينتصر على الباطل ويسود[6]، كما قال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾.[7]

في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[8]

﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾: من ضحكهم وأفعالهم الخبيثة، وهو تعليل ليبكوا إن لم يشترطوا اتحاد فاعلي المعلِّل والمعلَّل، أو لتضمّنه معنى نفعل بهم ما يبكيهم، فهو تعليل لمعنى نفعل، أو يقدر نعذبهم جزاء، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه على الإنسان أن يكون جاداً في حياته يكثر من الأفعال والأعمال النّافعة لدينه ودنياه ويقلّل من الهزل والكلام الفارغ والسّخريّة من الآخرين،

---

[1]. أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز، المصدر السابق، ج01، ص 455.

[2]. سورة غافر الآية 85.

[3]. سورة التّوبة الآية 40.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص04.

[5]. سورة الرّعد الآية 17.

[6]. محمد متولي الشعراوي، المصدر السابق، ج08، ص 5131.

[7]. سورة الإسراء الآية 81.

[8]. سورة التّوبة الآية 82.

فذلك مكر عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ**﴾[1]، ولو علموا ما تحبّئه نار الجحيم من هول وهلع ورعب ما خسروا أنفسهم في اللّغو واللّهو، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[3]

﴿**إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾: تعليل جملي للنّهي عن الصّلاة، والوقوف على القبر، أو تعليل لتأبيد الموت على تعليق أبدا بمات، فدلّ على سوغ أن النّفاق في القرآن قد يقع على من أسر بالشّرك[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ هول الكافر والمشرك عظيم يوم القيامة فلا تجوز الصّلاة على الميت منهم ولا حتى الوقوف على قبره والدعاء له بالرّحمة والمغفرة، فلن يرحمهم الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنّهم عاشوا على الكفر والمعصية وماتوا عليهما، ويجازيهم الله تعالى جهنّم وساءت مصيرا، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[6]

---

[1]. سورة الرعد الآية 42.

[2]. سورة المؤمنون الآية 103 – 104.

[3]. سورة التّوبة الآية 84.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص 66.

[5]. سورة الكهف الآية 106.

[6]. سورة التّوبة الآية 85.

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا**﴾ : تعليل جملي، أسقط في هذا التكرير لفظة لا قبل الأولاد، ولفظة الحياة قبل الدنيا اختصار من حيث إنّه تكرير، وقيل: أسقط هنا لا تنبيها على أنّه سواء الإعجاب بكثرة المال، والإعجاب بكثرة الولد، وأكثرية حبّهم للولد الدال عليها زيادة لا هنالك وما دونها، وأسقط اللاّم تنبيهاً على أنّها هناك بمعنى أنّ الذّكران هنا قبل، وعلى أنّه لا تعليل في حكم الله تعالى، وأسقط الحياة تنبيهاً على أنّها كلّ حياة، حتّى إنّ الأولى الاقتصار على لفظ الدّنيا[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أن تزيين حياة الكفّار من تكثير الأموال والأولاد، إنّما لزيادة بؤسهم وشدّة حيرتهم، فلا يهنى لهم بال ولا تسكن إليهم راحة وطمأنينة، وبتالي فعلى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تعبد الأولاد والأموال وتهجر عبادة الواحد الأحد، وقد جعل الله تعالى فما تنشغل فيه الأمة فتنة وخسارة دنيوية وأخروية، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2]، وعلى المسلم أن يعرف تحديد وقته بين أولاده، وأمواله، وبين العبادات كالصّلاة والصّيام، والتّكثير من الصّدقات، والاندماج في فعل الخيرات، وغيرها من الحسنات، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[4]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج06، ص 68.

[2]. سورة المنافقون الآية 09.

[3]. سورة الأنفال الآية 28.

[4]. سورة التّوبة الآية 120.

﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾: المراد هؤلاء الذين يجاهدون، فوضع الظاهر موضع الضمير مدحا لهم بالإحسان، وتنبيها على أن الجهاد إحسان، لأنه حفظ للإسلام والمسلمين، وحرمهم وأموالهم، وسعى في إصلاح الكافر بغاية ما يمكن، كضرب الدّابة والمجنون حال إضرارهما بإنسان أو دابة زجراً، والآية دليل على أنّ من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً، من قيام، أو قعود، أو مشي، أو كلام بعكس الشّرّ، حتّى إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم لبني عامر إذ قدما بنيّة الحرب وقد انقضت[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ الجهاد في سبيل الله تعالى واجب على كلّ مسلم، وعلى كلّ مؤمن بالله تعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن يستعدّ للحرب بكلّ قوّته وجهده وما يملك، كما قال تعالى: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[2]، فلا يمكنه التّراجع أو التّخلّف، فأمر الغزوات أولى وأصدق، ومن قعد وركن وتكاسل فليس له من الأجر والثّواب وليس له حقّ في الأرباح والغنائم، كما قال تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾[4]

﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ**﴾: تعليل جملي، فإنّه إنّما كان مرجع الجميع، لأنّه المقصود من البدء، وإعادة الجزاء[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه الخالق القادر على كلّ شيء كما بدأ الخلق من

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص119.

[2]. سورة الصف الآية 11.

[3]. سورة محمد الآية 38.

[4]. سورة يونس الآية 05.

العدم يعيدهم تارة إلى الوجود، فيكون حكماً عادلاً بين الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، وبين الّذين كفروا وعملوا السّيئات، فالمؤمن يدخله الجنّة وحسنت مقاماً، كما في قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾[2]، والكافر يدخله النّار وساءت مقاماً، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾[4]

﴿**إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾: تعليل جملي، أي: قدره بهلاكهم على وفق قضائه في الأزل، فلا ينفع دعاؤك وجدالك، مع أن القدر لا يرده الدعاء، وما لم يجب فيه المؤمن فقد عوض له فيه شيء في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما معا قضاء الله أن يصيبه بدعائه، وإذا تبين قضاء الله بوحي مثلا لم يجز الدعاء بما يخالفه، ولم يكن منفعة فيه، وإنما يجوز قبل تبينه، فإن الأمر مبهم، ولذلك أمره بترك الدّعاء والمراجعة في أمر قوم لوط، وعلّلوه بمجيء أمر الله كما مر، فإنّ عذابه لا يردّ، لأنّه قضى به[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه القويّ المتين فإذا جاء أمره من العذاب وغيره، فلا يردّ ولا يمنع ولا يؤخّر ولا يقدّم، كما قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾[6]، ولا ينفع عند رؤية الهلاك كثرة الاستغفار، كما قال تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**﴾[7]، ولا كثرة الرّكوع والسّجود، كما

---

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص 16.

[2]. سورة الفرقان الآية 76.

[3]. سورة الفرقان الآية 66.

[4]. سورة هود الآية 76.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1555.

[6]. سورة الكهف الآية 98.

[7]. سورة التوبة الآية 80.

قال تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ**﴾[1]، ولذلك على كلّ امرئ أن يتدارك أموره وطريقته في الحياة قبل أن يهلك، كما قال تعالى: ﴿**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾.[2]، ولا تنفع شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحقها، كما قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾[4]

﴿**إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ**﴾: تعليل مستأنف جملي، أي: يصيبها ما يصيبهم، وكانت منافقة تظهر الإسلام[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المنافقين الّذين تصنّعوا الإسلام وتنكّروه لكن في باطنهم الكفر والمكر والفسق والخداع، وقد خصّص الله تعالى لهم عذاب لا مثيل له بنزول الكارثة عليهم فور استحيائهم بيت النّبي لوط عليه السّلام، وبوجود الملائكة الأطهار، كما قال تعالى: ﴿**قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾[6]، بأمطار حجريّة ترجم كلّ منافق وظالم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾.[7]

---

[1]. سورة غافر الآية 76.

[2]. سورة الزمر الآية 55.

[3]. سورة الزمر الآية 19.

[4]. سورة هود الآية 81.

[5]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1555.

[6]. سورة هود الآية 79.

[7]. سورة هود الآية 82.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ**﴾[1]

﴿**مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ**﴾: تعليل النّهي، أي: لا تشك في عبادتهم الأصنام أنهم يعذبون عليها، أو تضر ولا تنفع أو في وبال عبادتها، لأنهم ما يعبدون عبادة إلا كعبادة آبائهم من قبل، أو لأنهم ما يعبدون شيئا إلا مثل ما يعبد آباؤهم من قبل، وقد بلغك ما أنزل بآبائهم لتلك العبادة فلا يؤمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بآبائهم، لأنهم قد عبدوا كعبادتهم[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى كيفيّة توارث الكفّار والمشركين عبادة الأصنام وقد جاء كلّ نبيّ عليه السّلام ينهى عن عبادتها واللّجوء إلى الخالق سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾[3]، وذلك على الدّهور دون جدوى الأجداد جاءهم أنبياء عليهم السّلام وهم على نفس الحال، ثم مات الأنبياء عليهم السّلام، جاء الآباء وعادوا إلى ما كانوا عليه ومعهم أنبياء عليهم السّلام، ثم اختفى الأنبياء عليهم السّلام، وجاء الأبناء وعادوا إلى ما كانوا عليه ومعهم أنبياء عليهم السّلام، ثم مات الأنبياء عليهم السّلام، وجاء الأحفاد وعادوا إلى ما كانوا عليه ومعهم أنبياء عليهم السّلام، ثم مات الأنبياء عليهم السّلام، وجاءت الأمّة الأخيرة وعادت إلى ما كانت عليه، ومعها نبيّ أخير عليه السّلام، ومات النّبيّ الخاتم عليه السّلام، وعادوا إلى ما كانوا عليه من شرك، وبدع، وضلال.

في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[4]

﴿**وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾: تعليل النّهي، والمعنى: لا تضربوا لله الأمثال لأنّ الله تعالى يعلم كيف يضرب المثل وأنتم لا تعلمون كيف تضربونها فعلّمهم ضربها[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه

[1]. سورة هود الآية 109.

[2]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر نفسه، م01، ص1583.

[3]. سورة يس الآية 06.

[4]. سورة النّحل الآية 74.

ليس كمثله شيء لا في الخلق ولا في الرّزق، كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]، وأنّ الكفّار يضربون لله تعالى الأمثال وليس لهم علم بها وكيف يقارنون أنفسهم بالله تعالى وهو خالقهم وخالق أمثالهم، كما قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾.[3]

المبحث الرابع: الالتفات

المطلب الأول: مفهوم الالتفات لغةً واصطلاحاً

أوّلا: تعريف الالتفات لغة

لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، في الحديث في صفته، صلى الله عليه وسلم: "**وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا**"[4]، أراد أنّه لا يسارق النّظر، وقيل: أراد لا يلوي عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشّيء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً، وفي الحديث: "**فَكَانَتْ مِنِّي**

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص138.

[2]. سورة الشورى الآية 11.

[3]. سورة الرعد الآية 16.

[4]. أحمد بن حنبل، المصدر السابق، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث685، ج02، ص101.

لفْتَةٌ" هي المرّة الواحدة من الالتفات[1]، واللّفت: اللّي، ولفته يلفته لفتا: لواه على غير جهته، وقيل: اللي هو أن ترمي به إلى جانبك، ولفته عن الشّيء يلفته لفتا: صرفه.[2]

ثانيا: تعريف الالتفات اصطلاحاً

هو الانتقال بالكلام بين المتكلم والمخاطب والغائب، أو بين اثنين منهما، مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[3]، كان المتوقع أن يقال: فصلّ لنا، لكنّه التفت من المتكلم إلى الغائب، وتأتي صور الالتفات في ست (06) صور وهي: الانتقال من التكلم إلى الخطاب – الانتقال من التكلم إلى الغيبة – الانتقال من الخطاب إلى التكلم- الانتقال من الخطاب إلى الغيبة- الانتقال من الغيبة إلى التكلم- الانتقال من الغيبة إلى الخطاب.[4]

المطلب الثّاني: توظيف الالتفات من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[5]

﴿**سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ**﴾: البلد الموضع عامر أو غير عامر، وفي سقنا التفات من طريق الغيبة إلى التّكلّم تأكيداً للمنّ وإظهار له، فإن سوقه لبلد ميت إنعام عظيم[6]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه القادر على اخضرار الأرض بعد جفافها ويبسها، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ**

[1]. ضياء الدين بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المصدر السابق، ج04، ص258.

[2]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج02، ص 84.

[3]. سورة الكوثر الآية 01 – 02.

[4]. أيمن أمين عبد الغني، المصدر السابق، ص 255.

[5]. سورة الأعراف الآية 37.

[6]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص119.

السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1]، فيجعل في الحياة أمل وبهجة تزهر لكلّ من آمن وصدّق وأخلص لله تعالى دون الإشراك به، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾[3]

﴿**أَنْ**﴾: التفات فيما بعد أن، أي: أولم يبين الله لهم[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى حال المؤمنين الّذين اغترّوا بإيمانهم وحسبوا أنّهم لن يحاسبوا إذا اخطئوا وأذنبوا، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[5]، والله تعالى ليس غافلاً عنهم إن يشأ يتركهم في ظنّهم وإن يشأ يعذّبهم بذنوبهم ويضلّ قلوبهم فلا تطع ولا تسمع، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾.[6]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾[7]

---

[1]. سورة الحج الآية 63.

[2]. سورة فصلت الآية 39.

[3]. سورة الأعراف الآية 100.

[4]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج 06، القسم الثاني، ص187.

[5]. سورة لقمان الآية 33.

[6]. سورة الأنفال الآية 21.

[7]. سورة الأعراف الآية 141.

﴿**مِنْ رَبِّكُمْ**﴾: فيه التفات من تكلم لغيبة، أي: واذكروا إذ أنجاكم الله تعالى[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّه القوي المنجيّ من حياة الظّلم والعبيد الّتي كان يعيشها قوم فرعون من تعذيبهم بأبشع العقوبات، وحتى زوجته لم تسلم من شرّه حين علم بإسلامها، كما قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2]، وكانوا أشد الخبثاء في استحياء النّساء، وكانوا أكبر قتلة للنّفس البشريّة، ومجرمين في قتل صبيانهم حتى لا تنافسهم قوة ولا سلطة، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[4]

﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾: قدم الله لأن الإيمان به أوجب وأصل ﴿**النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ**﴾: هذا من كلام الله تعالى، فليس فيه التفات، وإن قيل: إنّه من كلام رسوله المأمور بقوله، ففيه التفات من تكلم لغيبة في الالتفات مزية بلاغة، والأصل فآمنوا بالله وبي، وعلى الوجهين ففي الكلام التعبير بالظاهر وهو رسول مكان المضمر، إذ الأصل على الوجه الأول فآمنوا بالله وبه، وعلى الثاني فآمنوا بالله وبي، ونكتته إجراء الصفات عليه، وتأكيد الرسالة، وإيذان بأن الذي يجب الإيمان به هو رسالته، وهو المعنى بالإيمان به، وبأنّ موجب الإيمان والرّسالة في أي إنسان كانت، وفي ذلك إظهار للإنصاف وتبرؤ من العصبية لنفسه، ونكتته أيضا إجزاء الصّفات الدّاعيّة إلى الإيمان به

[1]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج 06، القسم الثاني، ص 232.

[2]. سورة التحريم الآية 11.

[3]. سورة الأعراف الآية 127.

[4]. سورة الأعراف الآية 158.

والإتّباع له[1]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ أوامر الرّسول صلى الله عليه وسلم يجب أن تطاع ولا يمكن العصيان أو النّكث، لأنّ طاعة الرّسول صلى الله عليه وسلم مقترنة بطاعة الله تعالى دوماً، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[3]

﴿**خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾: المحارم مما يأخذ هؤلاء، وأنّها خير فيتقوا بترك العرض وغيره من المحارم، وهو بالتّاء الفوقيّة على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[4]، الغرض منه تبيين الله تعالى في مواطن عدة من خلال الآيات الكريمة عن إكثاره من أسلوب التّوبيخ والتّأنيب[5]، كما قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[6]، وذلك لما فيه دعوة للفطنة والحذر والابتعاد عن الاغترار بالنّفس مع تذّكر الوعيد، كما قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾.[7]

في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**﴾[8]

﴿**وأنَّ للكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ**﴾: لزم منه الالتفات من الخطاب بالغيبة، لأن الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل وإن لكم عذاب النار، ونكتة ذلك الدّلالة على أن سبب العذاب في الآخرة،

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص228.

[2]. سورة الأنفال الآية 20.

[3]. سورة الأعراف الآية 169.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص246.

[5]. محمد علي الصّابوني، المصدر السابق، ج01، ص 445.

[6]. سورة البقرة الآية 44.

[7]. سورة الحجرات الآية 14.

[8]. سورة الأنفال الآية 14.

أو سبب الجمع بين العذابين هو الكفر[1]، الغرض منه بيّن الله تعالى مصير الكفّار المحتوم ألا وهو العذاب المنتظر على أحرّ من الجمر جهنّم الغسّاق والحميم، كما قال تعالى: ﴿**هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ**﴾[2].

في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ**﴾ إلى ﴿**وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[4] هذا من مقول المشركين على طريق الالتفات في ضمير الغيبة، والتّصرف في الكلام من قوله تعالى: ﴿**وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾[5]، والأصل ما كان الله ليعذبنا وأنت فينا، وما كان الله معذبنا ونحن نستغفر، اعتقدوا أن لا تعذب أمة ونبيها فيها، ولا تعذب وهي تستغفر، أي إن صدقت في ادعائك النبوة، فهذان مانعان من عذابنا، فحكى الله قولهم ذلك تقبيحا عليهم، ورد عليهم بقوله: ﴿**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ**﴾ الخ، أي هم أحقاء بأن يعذّبوا، ولو كنت فيهم وكانوا مستغفرين، لأنهم غير مخلصين في استغفارهم بأن يصيبهم العذاب دونك، ولكن قضينا أن لا نعذبهم[6]، الغرض منه بين الله تعالى مقدار مكانة الأنبياء عليهم السّلام عند الله تعالى ومنزلهم العالية بحث لا يعذب الكفّار وهم فيهم، وبيّن الله تعالى أهمية الاستغفار في رفع الابتلاء وتغيير العذاب إلى رحمة وإن كان ذلك عن ظنّ ونيّة غير مخلصة، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[7]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر تفسه، ج5، ص338.

[2]. سورة ص الآية 57.

[3]. سورة الأنفال الآية 34.

[4]. سورة الأنفال الآية 33.

[5]. سورة الأنفال الآية 33.

[6]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج5، ص366.

[7]. سورة الأنعام الآية 109.

في قوله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾[1]

﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾: من طريق الالتفات من الغيبة إلى التّكلّم، ﴿**بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ**﴾ تكرير للتأكيد، ولما يتعلق به من زيادة كفران النّعم، وجحود الحقّ، فإنّ لفظ الرّب مشعر بالتّربيّة من حال إلى حال، أو بالإنعام فإنّ السّيّد قائم بعبيده، ومن بيان ما أخذ به آل فرعون[2]، الغرض منه بيّن الله تعالى حال المشركين والكفار، ومصيرهم بالهلاك مثل سائر الأمم ومهما تقوّوا بالأموال والأولاد، كآل فرعون وأمثاله من الظّالمين، المتكبرين، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[4]

﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾: الخطاب للمنافقين على طريق الالتفات، أو على تقدير القول، أي قل لهم: أنتم كالذين من قبلكم، وقيل: الخطاب لهم وللمشركين[5]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ مصير المنافقين كمصير المشركين والكفّار لأنّهم تجرّعوا من نفس المنكر والنّكير، وشدّد الله تعالى على العقاب في إحباط الأعمال في الدّنيا وخسران عظيم في الآخرة[6]، كما قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ**

---

[1] . سورة الأنفال الآية 54.

[2] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج5، ص400.

[3]. سورة آل عمران الآية 11.

[4] . سورة التّوبة الآية 69.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص47.

[6]. محمود بن عبد الرحيم الصافي، المصدر السابق، ج10، ص 387.

الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.[1]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[2]

﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ**﴾: أي المخالفون أو المنافقون مطلقا، عن طريق الفوقية على الالتفات، والمعنى أي: ما أسرّوه في أنفسهم من النّفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه، وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، وتسمية الزّكاة جزية، وتدبير منعها، وهذا منه تفسير بالمنافقين مطلقا، ويحتمل أن يكون تفسيرا للمخالفين العهد، فإنّهم لا يخلون أيضا عن طعن وفي ذلك رجوع للغيبة بعد الانصراف عنها على قراءة من قرأ تعلموا بالفوقية خطابا لهم، إلا أن يقال خطاب للمؤمنين، كأنهم تعجبوا من أمر هؤلاء، أو استعظموه، أو ضجروا منهم فخوطبوا بذلك، وعلى هذا فلا التفات، وقد ذكر السر ما هو أنسب بكون العهد بالنيّة[3]، الغرض منه تبيين الله تعالى قدرته العظيمة في سماع أفكار العقل الباطنة وما تكنّه الأنفس وتسرّه القلوب، كما له القدرة أيضا على سماع الكلام المعلن والمجهر به، وأنّ الله تعالى وحده من يعلم الغيوب ويعلم متقلّب الأحوال ومتغيّرها لأنّه خالقها ومسيّرها، كما قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[5]

---

[1]. سورة التوبة الآية 68.

[2]. سورة التّوبة الآية 78.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص59.

[4]. سورة الجنّ الآية 26.

[5]. سورة التوبة الآية 104.

﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا**﴾: وقرء تعلموا بالفوقية، وعلى كل حال فالمراد هؤلاء المعترفون، والتاء على طريق الالتفات، والمعنى ألم يعلموا قبل نزول توبتهم، وقبول صدقهم، وفي ذلك تمكين قبول التّوبة والصّدقة في قلوبهم، وقيل: المراد الذين لم يتوبوا قالوا: هؤلاء كانوا بالأمس معنا، لا يكلّمون ولا يُجالسون فما لهم، فنزلت ترغيبا لهم في التّوبة، وقبول الصّدقة، وعلى هذا فليس في التاء التفات[1]، الغرض منه بيّن الله تعالى تأكيد وعده في قبول التّوبة والمغفرة وأنّ الله تعالى يغفر الذّنوب جميعاً، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2]، ولكن لن تكون مغفرة حتى تكون توبة عن إخلاص ونيّة صادقة، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]

﴿**فَنُنَبِّئُكُمْ**﴾: أي فينبئكم الله تعالى على طريق الالتفات[5]، الغرض منه تبيين الله تعالى كيفية تدوين كلّ حسنة وسيئة ويعرضها إلى يوم القيامة الموعود، حتى إذا نسوا ما فعلوا في الدّنيا يذكّرهم الله تعالى بسجلّ ضخم وعريض يقرؤون على الملء ما علن وما خفيّ أعظم، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾.[6]

---

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص91.

[2]. سورة الزمر الآية 53.

[3]. سورة آل عمران الآية 135.

[4]. سورة يونس الآية 23.

[5]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر السابق، ج08، القسم الأول، ص45.

[6]. سورة المؤمنون الآية 62.

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[1]

﴿**هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾: من مال الدّنيا، أي مما يجمع الكفّار أو النّاس، أو المؤمنون، فإنّه ذاهب، تجمعون: أي فليفرح المؤمنون بذلك، لأنّه خير مما تجمعون أيها المخاطبون، والخطاب للمؤمنين أيضاً على الالتفات[2]، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ خير أمر يفرح به المؤمن هو تفضيل الله تعالى عليه في ملك وحكمة، ومال ونفوذ، وكل ما هو عظيم في الدّنيا، ومن نيل رضا ربّه عز وجل في التّوجيه والموعظة، وشفاء للصدور من مرض القلوب البعيدة عن ربها، وهدايته بتيسير له الطّريق الأصح، ورحمة ترافقه في كلّ المصاعب والمضايق والمتاهات، فما علينا سوى شكر الله تعالى على كلّ نعمة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[3]، ومهما كانت النّعمة تبدو صغيرة فشئنها عند الله عظيم، كما قال تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾[4]، فلا بد من الشّكر والشّكر دون غفلة أو نسيان، كما قال تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾.[6]

﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾: مضارع وفاعل، لا ماض وفاعل، وأصله تتولّوا، حذفت إحدى التّائين بدليل الخطاب قبل وبعد، وإن جعل ماضياً فالغيبة فيه على طريق الالتفات عن الخطاب السّابق[7]،

---

[1]. سورة يونس الآية 58.

[2]. محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، المصدر نفسه، ج08، القسم الأول، ص85، ص86.

[3]. سورة النمل الآية 73.

[4]. سورة النور الآية 15.

[5]. سورة إبراهيم الآية 07.

[6]. سورة هود الآية 57.

[7]. أحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1533.

الغرض منه تبيين الله تعالى أن الهدف من الخلق البشر هو العبادة وعدم الإشراك به بعبادة الأصنام والأوثان وغيرها من أنواع الشّرك، وأنّ الله تعالى لا ينفعه إخلاصهم العبودية ولا يضرّه تكبرهم واستهتارهم، فيمكنه إخفاء قوم كفرة بلمح البصر بإرسال الرّياح، والطّوفان، والأمراض، وغيره من العقاب، كما قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، أو استبدال البشر بالملائكة الأخيار، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**﴾[3]، أو استخلافهم بقوم أحبّ إلى قلوبهم الإخلاص، والصّدق والأمانة، والثّبات، كما قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾[4]، وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾[6]

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**﴾: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد أمّته، أو الخطاب لكلّ من يصلح له من الكفرة على طريق التفات العرب من الغيبة للخطاب[7]، الغرض منه بيّن الله تعالى قدرته العظيمة في خلق الكون من خلق السّموات والأرض،

---

[1]. سورة الأنعام الآية 133.

[2]. سورة التوبة الآية 39.

[3]. سورة الزخرف الآية 60.

[4]. سورة النور الآية 55.

[5]. سورة الأنبياء الآية 105.

[6]. سورة إبراهيم الآية 19 – 20.

[7]. بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص415.

وكيف للخلق لا يعتريه تشويه أو نقص، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾[1]، فلا يبلى ولا يضمحلّ مع مرور الوقت، فالسّماء زرقاء منذ خلقتها صافيّة، والبحر دائم في مكانه بين مدّ وجزر لا يخرج عن مساره، على غرار المباني الّتي تنهار ويذهب رونقها، وتلك السّدود الّتي تتهدّم فتغرق من فيها وعليها، سبحانه تعالى الخالق الكامل.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2]

﴿**فَلَا تَلُومُونِي**﴾: على طريق الالتفات من الخطاب للغيبة[3]، الغرض منه بيّن الله تعالى اعتراف الشّيطان الرّجيم بعظمة الخالق وقدرته وكون الشّيطان كان من بين الملائكة ومحاطاً بالجنة، اعترض على حكم الله تعالى في الأفضليّة، فدخله الحسد ليتحوّل إلى نار ملهبة تبغض البشر، مضحيّاً بمكانته وبنفسه حتى يحصل على القدر الكافي من الأتباع فيتجرّعوا معاً هول جهنم، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾.[4]

في قوله تعالى:﴿**وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾[5]

---

[1]. سورة الملك الآية 03.

[2]. سورة إبراهيم الآية 22.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج6، ص417.

[4]. سورة ق الآية 30.

[5]. سورة إبراهيم الآية 23.

﴿**فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**﴾: لزم من ذلك الالتفات من التّكلم للغيبة لأنّ الظّاهر من قبيل الغيبة[1]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ من اتقى ربّه تعالى وآمن به وبرسله عليهم السّلام وعمل من الصّالحات وعمل على محاسبة نفسه دائماً وتكراراً[2]، أدخله الله تعالى جنّات تجري من بينها أنهار من لبن وعسل مصفاة، وغيرها من النّعم الّتي لا تحصى، كما قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[4]

﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ**﴾: لموضع الوعد للمتبعين لك الغاوين، وقيل الضمير لإبليس والمتبعين له على طريق الالتفات[5]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ جهنّم عملت خصّيصاً لإبليس وأتباعه من شياطين الإنس والجنّ الّذين كفروا وأشركوا بالله تعالى، ولجهنم سبعة أبواب يدخلونها لكثرتهم، كما قال تعالى: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾[6]، ويتوجّه كل صنف على حسب الدّرجة من السّوء والكفر.[7]

في قوله تعالى: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[8]

﴿**فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾: أي لا تطلبوا مجيئه قبل وقته فإنّه لا خير لكم بل فيه عقابكم وإذا جاء فلا مردّ له، فاطمأن النّبي صلى الله عليه وسلم حينئذ والنّاس وقال "**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**"[1]،

---

[1] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج6، ص420.

[2]. شهاب الدّين الألوسي، المصدر السابق، ج07، ص 218.

[3]. سورة محمد الآية 15.

[4]. سورة الحجر الآية 43.

[5] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص04.

[6]. سورة الحجر الآية 44.

[7]. محمد عليّ الصّابوني، المصدر السابق، ج02، ص 101.

[8] . سورة النّحل الآية 01.

وقرن بين السّبابة والوسطى، وقيل الخطاب للكفار، وقوله بعد ذلك يشركون جاء على طريق الالتفات من الخطاب للغيبة، ويصح أن يكون الخطاب للمؤمنين، أو لهم وللكفار معا، كما مرّ أنّهم جميعا رفعوا رءوسهم عند نزول[2] ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**﴾، حتى نزل ﴿**فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾، الغرض منه تبيين الله تعالى أنّ بعض العذاب قد قدم في الدّنيا لأنّهم أرادوه فاستحقوه، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[3]، وتبيين الله تعالى أنّ وقت قدوم السّاعة لا يعلمه سوى هو تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يستعجل به أو يؤخر وكلّ عنده بقدر معلوم، كما قال تعالى: ﴿**لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾.[4]

في قوله تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾[5]

﴿**فَاتَّقُونِ**﴾: خطاب لمن يشاء من عباده أيضاً ويجوز أن يكون من جملة ما به الإنذار على طريق الالتفات والأصل فاتقوه وإنما كان من الالتفات مع تقدم التكلم في قوله ﴿**إِلَهَ إِلَّا**﴾ لأنهم إنما يقولون لا معهم قولوا واعتقدوا أنه لا إله إلا الله، والآية تدل على أن الوحي ينزل بواسطة الملك، وأن حاصل الوحي الأمر بالتّوحيد، وهو منتهى كمال القوّة العلميّة وبه ينتفع بسائر العلم[6]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّه اختار من الملائكة من يحمل الوحي وينزله على أفضل البشر ليكونوا أنبياء ورسلاً عليهم السّلام جديرين بحمل الرّسالة، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ**

---

[1] . محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، كتاب الرِّقَاقِ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**"، رقم الحديث 6504، ج 08، ص 105.

[2] . أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص58.

[3]. سورة النّمل الآية 73.

[4]. سورة الواقعة الآية 50.

[5] . سورة النّحل الآية 02.

[6] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص60.

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1]، وقدوة في التّحمل والصّبر بإقناع النّاس ودعوتهم إلى الدّين التّوحيد، والابتعاد عن الشّرك وعبدت الهوى.

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾**[2]

﴿**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾**: الأصل فإياي اتقوا واعبدوا، جاء على طريق الالتفات من الغيبة إلى التّكلم ونكتته المبالغة في التّرهيب والتّصريح، وبالمقصود كأنّه قيل فأنا ذلك الواحد فلا ترهبوا إلا إيّاي وهو أبلغ من أن يتوافق الكلمات في الغيبة الّتي أعلمتك أنّها مقتضى الظّاهر ومن أن يتوافقا في التكلم بأن يقال مثلا لا تتخذوا معي إلها إنما الإلوهية لي فقط فإياي فارهبون والرّهبة الخوف[3]، الغرض منه بيّن الله تعالى كيفيّة الردّ على الكفّار والمشركين الّذين قالوا إنّ الله اثنان وثلاث، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**[4]، وأنّه ما من إله سواه عزّ وجلّ يجب عليهم رهبته والخشية الشّديد من عقابه، وأن لا يخشوا ممن يدعونهم إلى الشّرك والضّلال، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾**.[5]

في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[6]

﴿**أَلَمْ يَرَوْا﴾**: ضمير الخطاب يفيد الغيبة، وكلّها للمشركين خطابا لهم في تأكيد وعظهم على طريق الالتفات، أو خطابا للنّاس عامّة[7]، الغرض منه بيّن الله تعالى الآيات العظيمة في خلق

---

[1]. سورة الحج الآية 75.

[2]. سورة النّحل الآية51.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، ص110.

[4]. سورة المائدة الآية 73.

[5]. سورة البقرة الآية 150.

[6]. سورة النّحل الآية 79.

[7]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص144.

الطّيور وهي تحلّق في جوّ السّماء بكلّ حرّيّة، وأنّه لا يمكن ليد البشر أن تصل إليهم فتعكّر صفوة سمائهم، ومن هذه الآيات الدّالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى هل من مدكّر؟، وهل من متأمّل؟، وهل من متدبّر؟، وهل من يقظة وصحوة؟، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[1]، وهل من توبة ورجعة إلى الواحد الأحد، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3]

﴿**وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ**﴾: جاء توبيخا للكفار على قولهم وتقريعاً عليهم وتنبيها على فساد قولهم على طريق الالتفات من التّكلم للغيبة، والمعنى وإذا نسخنا آية بآية ونحن أعلم بما ننزل من المصالح من نسخ آية بأخرى وغيره، بحسب الحوادث بالشّيء مصلحة أمس مفسدة اليوم فينسخه اليوم، وربّ شيء مفسدة أمس نهى عنه، مصلحة اليوم أمر به، وقد كان ينسخ الأهون بالأهون، والأشق بالأشق، والأهون بالأشق، والأشق بأهون للمصلحة، ألا يرون الطّبيب الماهر يأمر بدواء في وقت وينهى عنه في وقت، وبالعكس باعتبار أنه مصلحة في وقت ومفسدة في آخر[4]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّه بيده الحكمة في معرفة ما يناسب البشريّة وأنّ الله تعالى هو وحده من يحرّم ويحلّل، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾[5]، فمكان محلّلا في فترة من الزّمن صار حراما والعكس صحيح، ومثلا تحريم الخمر لم يكن جملة واحدة، وإنّما تدرج على

[1]. سورة القمر الآية 15.

[2]. سورة هود الآية 90.

[3]. سورة النّحل الآية 101.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص174.

[5]. سورة البقرة الآية 205.

حسب المدة التي عرفوا فيها الخمر، كما قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا**﴾[1]، وكيف أثّر في أجسامهم وعقولهم، كما قال تعالى أيضا: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[2]، وكذا تحريم الزّواج من زوجات الأب، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾[3]، وتحريم التّبني، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[4]، وفي تحليل الزّواج من زوجات المتبنّي، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[6]

﴿**وَآتَيْنَاهُ**﴾: هذا على طريق الالتفات من الغيبة للتّكلم[7]، الغرض منه تبيين الله تعالى النّعم الكثيرة الّتي أنعمها على سيّدنا إبراهيم عليه السّلام من حياة فاضلة في الدّنيا والآخرة[8]، ومن عطاء ربانيّ لا ينفذ، فرزقه الولد على الكبر وهو النّبيّ إسماعيل عليه السّلام، كما قال تعالى:

---

[1]. سورة البقرة الآية 219.

[2]. سورة المائدة الآية 91.

[3]. سورة النساء الآية 22.

[4]. سورة الأحزاب الآية 04.

[5]. سورة الأحزاب الآية 37.

[6]. سورة النّحل الآية 122.

[7]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص199.

[8]. محمد أبي زهرة، زهرة التفاسير، المصدر السابق، ج 08، ص4298، ص4299.

﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾[1]، وذلك نتيجة لشكره لله تعالى دائما في السّراء والضّراء، وكما ابتلي برؤية في المنام وهي ذبح ولده فتقبّل ورضيّ، كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]، فوهبه الله تعالى نبيّا آخر اسمه إسحاق عليه السّلام، كما قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[3]، وضلّ النّبي عليه السّلام يشكر ربّه ويسبّحه بكرة وأصيلا استجابة لله تعالى وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[4]، ومن توكّل على الله تعالى وحده يكن حسبه ووليّه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[6]

﴿**الَّذِي بَارَكْنَا**﴾: الالتفات من الغيبة إلى التّكلم[7]، الغرض منه بيّن الله تعالى معجزته العظيمة في قدوم النّبي صلى الله عليه وسلم المسجدين الحرام والأقصى وما بينهما في ليلة واحدة، بينما كانت قريش تقضي مدّة الوصول أربعين ليلة كاملة، وحين روى النّبي صلى الله عليه وسلم لقريش الحادثة هناك من كذّبوه، وهناك من صدّقوه، وقد رأى من الآيات في رؤية الملائكة، ورؤية

---

[1]. سورة الصافات الآية 101.

[2]. سورة الصافات الآية 102.

[3]. سورة إبراهيم الآية 39.

[4]. سورة يونس الآية 26.

[5]. سورة الأعراف الآية 176.

[6]. سورة الإسراء الآية 01.

[7]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص216.

الأنبياء من أوّلهم إلى ما قبله عليهم السّلام أجمعين[1]، لكن رغم تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، والتّشهير بدعوته السّاحر، والمجنون، والشّاعر، والكاهن، إلاّ أنّ آية الصّدق يجب أن تعلوا ولا بد للفتح أن يكون حليفهم، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾[2]، وللنّصر أن يكون قريب، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾.[3]

في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[4]

﴿**فِي الْكِتَابِ**﴾: وهو اللّوح المحفوظ، وذلك لا ينافي الخطاب، ويعدّ خلافا لبعضهم الجواز، كتبت عليه أن قم ونحوه مما فيه خطاب وغيبة والجواز كون ذلك التفات إلى الخطاب، فالأصل فيما بعد ذلك هو الغيبة لكن إنّما يتم هذا إذا خرجناه على مذهب السكاكي في الالتفات وعلى أنّ المكتوب في اللّوح المحفوظ ليفسدنّ أو يفسد ونحو ذلك من ألفاظ الغيبة، ويجوز أن يضمن قضينا معنى أوجبنا فعدى ﴿**إِلَى**﴾ فيكون الكتاب التّوراة، أي أثبتنا الموحى في التّوراة وقطعناه فيها[5]، الغرض منه بيّن الله تعالى تأكيد وعده لبني إسرائيل في الكتاب الّذي أنزل إليهم وهو التّوراة بأنّهم يعصون الله تعالى وأنبياءه عليهم السّلام مرّتين، ويتبعهم من ذلك الهلاك مرتين فيقهرون ويدمّرون تدميرا شديدا، وكما عرف عن بني إسرائيل أنّهم أشدّ قوماً كفراً وتكذيباً، كما

[1]ـ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط01، 1423هـ، ج2، ص520.

[2]. سورة الفتح الآية 27.

[3]. سورة البقرة الآية 214.

[4]. سورة الإسراء الآية 04.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص251.

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**﴾[1]، فقد عاشوا حياتهم كلّها في العصيان والكفر بين خوف ورعب، وصراع واضطهاد، ولم يعرفوا الثبات أبدا.

في قوله تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾[2]

﴿**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**﴾: أي ليجعلوها سيّئة بادية عليها آثار الحزن والهم، وذلك فرع إدخال الحزن والغم في قلوبهم، فكأنّه قيل ليغمّوكم ويحزنوكم، والضّمير المستتر عائد إلى الله جل جلاله على أن يقدر الجواب سلّط الله تعالى عليكم أو بعث الله تعالى عليكم، وإمّا على تقدير سلطنا أو بعثنا فعلى طريق الالتفات أو عائد البعث أو الوعد من الله سبحانه وتعالى[3]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ الجزاء يأتي من جنس العمل[4]، وأنّه لا تزر وازرة وزر أخرى، كما قال تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[5]، وبيّن الله تعالى تحقيق وعده بإهلاك كفار بني إسرائيل مرّة ثانيّة، وكان وعده حقّا، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾[6]، وخطفت الألوان وظهر الشّحوب على وجوههم، كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾.[7]

---

[1]. سورة المائدة الآية 70.

[2]. سورة الإسراء الآية 07.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص254.

[4]. إسماعيل بن كثير، المصدر السابق، ج 5، ص 48.

[5]. سورة الإسراء الآية 15.

[6]. سورة إبراهيم الآية 47.

[7]. سورة آل عمران الآية 106.

في قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا**﴾[1]

﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ**﴾: قال صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**"[2]، ﴿**مَا نَشَاءُ**﴾: الضّمير فيه عائد إلى من فيكون التّعجيل مخصوصاً ببعض دون بعض لا عامّاً في كل من يريد العاجلة أو عابد لله سبحانه وتعالى، على طريق الالتفات من التّكلم إلى الغيبة[3]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّه قادر على تقديم وعده بالهلاك والعذاب، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[4]، وأنّه وحده سبحانه وتعالى من بيده تعجيل الأقدار، أو تأخيرها، أو حدوثها في وقتها المعلوم، وأنّ الأمور تحدث وفق كتاب محفوظ منذ الأزل، وأنّ المرء إذا تمنّى شيئا يجب عليه أن يربطه بمشيئة الله تعالى، فإذا أراد الله تعالى للأمر أن يكون فيكون، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾.[5]

في قوله تعالى: ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾[6]

﴿**مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ**﴾: متعلق بنمد، أي: من معطاه في الدّنيا وهو الرّزق يستوفى كلما قضى له، يختلف بهما الحال، فمريد الآخرة يشكر النّعمة ويؤمن فله الكرامة في الآخرة ، ومريد العاجلة

---

[1] . سورة الإسراء الآية 18.

[2] . مسلم بن الحجاج، المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ**"، رقم الحديث 1907، ج 03، ص 1515.

[3] . محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص280.

[4] . سورة يونس الآية 11.

[5] . سورة النّحل الآية 40.

[6] . سورة الإسراء الآية 20.

لا يشكر فله الخزي في الآخرة، هذا قول الحسن وقتادة وذلك على طريق الالتفات من التّكلم للغيبة فإنّ مقتضى الظّاهر من عطائنا[1]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ عطاءه من الأرزاق والنّعم المتنوعة يمدّها جميع النّاس فلا يمنعها عن الكافر دون المؤمن، والمصلح دون المفسد، كما قال تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[2]، فمثلاً نزول المطر ينزل على من في الأرض جميعاً عادلها وظالمها فتكون رحمة الله تعالى قد مسّت جميع من في الأرض.

في قوله تعالى: ﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا**﴾[3]

﴿**فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ**﴾: هذا من تغليب الخطاب على الغيبة وأصل الكلام جزاؤك وجزاؤهم، أي جزاء من اتبعك وسيق الكلام للكل بطريق الخطاب، ويجوز أن يكون الخطاب لمن تبعه فقط عن طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتأكيد الجزاء وزيادة التّهديد بالخطاب، وعلى الوجهين أفرد ضمير من في تبع للفظ وجمع في جزاؤكم لمعنى، ولا يقال أفرده أيضاً فيه على أن الكاف في جزاءكم للاثنين فقط، عدو الله ومن تبعه وأن الأصل ومن تبعكما لأن هذا خلاف الأصل فيحتاج إلى دليل[4]، الغرض منه بيّن الله تعالى أنّ جزاء الشّيطان الرّجيم ومن أُشرِكوا معه في الكفر والطغيان لن يكون دون العذاب المنتظر وهو جهنّم مظلمة حارقة عملت خصيصا لهم، فتلفح وجوههم وظهورهم وكلّ جزء من جسمهم، كما قال تعالى: ﴿**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ**﴾[5]، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ**

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج7، 282.

[2]. سورة الزخرف الآية 32.

[3]. سورة الإسراء الآية 63.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص336.

[5]. سورة المؤمنون الآية 104.

وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1]، ولا يحيون فيها ولا يموتون، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾**.[2]

في قوله تعالى: ﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾**[3]

﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي: ما أشهدتهم خلق السّماوات والأرض، ولا أشهدت بعضهم خلق بعض، فضلا عن أن أتقوّى بهم وأستعين بهم على خلق السماوات والأرض على خلق أنفسهم، فكيف يكونون أهلا للعبادة مع أنّهم ليسوا بخالقين ولا معينين على الخلق، وإنّما يستحقّ العبادة الخالق والإشراك في استحقاق العبادة يستلزم الإشراك في الخلقيّة، وقيل: الهاء في "أشهدتهم"، و"أنفسهم"، عائدة للمشركين فيكون الكلام على طريق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، أي: ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو اتبعهم النّاس كما يُزعَم[4]، الغرض منه بيّن الله تعالى قدرته العظيمة في خلق الكون وأنّه ليس بحاجة إلى الشّياطين وأتباعهم في المساعدة[5]، كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾**[6]، وكيف يكونوا شهوداً على الخلق وليس لهم من سلطان، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾**[7]، وأن تكون من الشّهود فتشكّك في مصداقيّة الله تعالى وأن تعارضه أو أن تتدخل في نوعيّة الخلق ومن

---

[1]. سورة التوبة الآية 35.

[2]. سورة طه الآية 74.

[3]. سورة الكهف الآية 51.

[4]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج7، ص499.

[5]. عبد القادر آل غازي، المصدر السابق، ج 04، ص 187.

[6]. سورة الأحقاف الآية 33.

[7]. سورة الإسراء الآية 65.

يستحق الأفضلية، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[1]، تعالى الله عن ذلك له الملك والفضل والعزّة.

المبحث الخامس: المشاكلة

المطلب الأوّل: مفهوم المشاكلة لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: تعريف المشاكلة لغةً

المشاكلة: هي المشابهة والموافقة، يقال: شاكله أي شابهه[2]، أو هي المماثلة.[3]

ثانيّاً: تعريف المشاكلة اصطلاحاً

هي ذكر المعنى بلفظ غيره، أو بلفظ مضاد للفظ غير، أو مناسب له لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا، فمن ذكر المعنى بلفظ غيره قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾[4]، فالسيئة

[1]. سورة الجمعة الآية 04.

[2]. عبد الفتاح بسيوني، علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية الإحساء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط02، 1418هـ – 1998م، ص190.

[3]. جمال الدين بن منظور، المصدر السابق، ج11، ص610.

[4]. سورة الشورى الآية 40.

الثانية مراد بها المجازاة أو العقاب، وقد ذكر هذا المعنى المجازاة أو العقاب بلفظ السيئة لوقوعه في صحبة السيئة الأولى، وفي هذا الأسلوب ما يدعوا إلى التنفير من السيئات، لأنّ الجزاء عليها سيكون شديدا ورادعا[1]، المشاكلة في قول الشاعر أبو الرقعمق (من البحر الكامل)[2]:

قَالُوا اقْتَرِحْ لَنَا شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ: اطْبَخُوا لِي جَبَّةً وَقَمِيصاً

إنّ الجبّة والقميص لا يُطبَخان، بل يُخاطان ويُنْسَجان، غير ان الشاعر قدر في ذهنه أنهم قالوا: اقترح شيئا نجد لك صنعه، فقال لهم: اطبخوا أي: اصنعوا، وقال "اطبخوا" مشاكلة للفظهم.[3]

المطلب الثّاني: توظيف المشاكلة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –

في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ**﴾[4]

﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾: إحداهما النّصر وتترتّب عليه الغنيمة ونحوها، والأخرى الموت على الشهادة، وتترتب عليها المغفرة والثواب، وفي قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**"[5]، سمى ذلك تربصاً تغليباً لتربّص الحسنى الأخرى وهي الموت، أو المراد بإحداهما خصوص

---

[1]. عبد الفتاح بسيوني، علم البديع، المصدر نفسه، ص190.

[2]. أبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ج02، ص252.

[3]. عبد العزيز بن علي الحربي، البلاغة الميسرة، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط02، 1432هـ – 2011م، ص84.

[4]. سورة التوبة الآية 52.

[5]. مسلم ابن الحجاج، المصدر السابق، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم الحديث 1876، ج03، ص 1495.

الموت، أو مشاكلة[1]، لقوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ**﴾، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ الجهاد في سبيل الله تعالى ومساندة الرّسل عليهم السّلام أمر لا بد منه، فمحاربة أعداء الدّين مكسب وغنيمة سواء انتصروا أو انهزموا والتّخلّف عن القتال يكشف صاحبه أمؤمن هو أم منافق، كما قال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ**﴾[3]

﴿**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾: بإنزال ما يتميّز به المبطل كالإهلاك، والعذاب من الحقّ كالنّجاة، والهاء لكفّار العرب، وقيل: لقوم موسى عليه السّلام، وهو مشكل، لأنّه قد قضى بينهم بإغراق المبطلين، إلاّ إن أراد صاحب هذا القول بالقضاء بينهم القضاء بغير الغرق، كإدخالهم النّار في الدّنيا، وتعذيبهم فيها على حد التّعذيب في الآخرة، بتسليط الزّبانيّة ونحو ذلك[4]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّه كما أخّر على الكفّار والمشركين بالعذاب ودخول النّار يوم القيامة، فإنّه لا يعجزه تقديم العقاب في الدّنيا وتعذيبهم بأشدّ العذاب، ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ**

[1]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج06، ص22.

[2]. سورة التّوبة الآية 101.

[3]. سورة هود الآية 110.

[4]. أمحمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزاد ليوم المعاد، المصدر السابق، م01، ص1584.

أَشَدَّ الْعَذَاب﴾[1]، لكن العدالة الإلهيّة أرادت أن يقضي كلّ بشر له وما عليه يوم الحساب، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾.[2]

في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[3]

﴿**بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**﴾: قيل ذلك ليشاكل قوله تعالى: ﴿**عَاقَبْتُمْ**﴾، ويسمى ذلك مشاكلة، وهي ذكر الشّيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشّيء في صحّته ذلك الغير وقوعا محققا كما في الآية، أو مُقدراً كما مرّ في قوله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ**﴾[4]، والمعنى ﴿**بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ**﴾ أي: إن تبعتم من ظلمكم بالانتصار فاتبعوا بمثل ما فعل بكم ولما كان الصبر أفضل سلاح في العدو وأمتن عدة، وكان صلى الله عليه وسلم أولى الناس بزيادة علمه بالله سبحانه وتعالى ووثوقه به، أمره به تصريحاً، فقال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ**﴾: على ما يؤذيك وعما تحب من الانتقام وغيره[5]، الغرض منها تبيين الله تعالى سنّة القتال وأن يقاتلوا من يبادر أوّلا، وأنّ الاستسلام والتّخلّف والتّراجع ليس من خصال المؤمن، وأن يصبروا على أذى العدوّ فإنّ الصّبر من عزم الأمور وأن لا يخافوا ولا يحزنوا ولا ينتابهم ضيق ولا غيض، كما قال تعالى: ﴿**وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**﴾.[6]

---

[1]. سورة غافر الآية 46.

[2]. سورة يونس الآية 93.

[3]. سورة النحل الآية 126 – 127.

[4]. سورة البقرة الآية 138.

[5]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر السابق، ج07، ص207.

[6]. سورة التّوبة الآية 14 – 15.

في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾.[1]

﴿**مُرْتَفَقًا**﴾: أي موضع ارتفاق أي نزول فكأنّه قيل: ساءت منزلاً، وقيل: المرتفق ما يتكئون عليه أي ساء موضع الاتكاء فيها، وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخدّ، والتّعبير هنا مشاكلة، لقوله تعالى: ﴿**وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[2]، إذا فسرتاهما بالمتّكأ[3]، الغرض منها تبيين الله تعالى أنّ الهداية والكفر من اختيار المرء وإن صار على واحد منها فذلك بمشيئة الله تعالى، ومن اختار الكفر فهو يعلم أنّه مرتبط بنار جهنّم ذلك المكان المخيف والمرعب أعدّ للظالمين والمتكبّرين، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[4]، ومن اختار الإيمان فهو بدوره يعلم أنّه مرتبط بالجنّة، ذلك المكان المشرح والمرغب، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[5]، وبتّالي قد اتّضح أنّ الله تعالى لا يحكم على عباده بالعذاب أو الرّحمة حتى يبعث فيهم رسلاً تبشّرهم بالهداية وتخرجهم من الظّلمات إلى النّور، وتنذرهم من الوقوع في الشّرك ومن عبادة الأصنام وغيرها وعدم إتّباع الشّيطان والهوى، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾.[6]

---

[1]. سورة الكهف الآية 29.

[2]. سورة الكهف الآية 31.

[3]. محمد بن يوسف أطفيّش، هميان الزّاد، المصدر نفسه، ج07، ص478.

[4]. سورة الفرقان الآية 34.

[5]. سورة غافر الآية 40.

[6]. سورة الإسراء الآية 15.

خاتمة

في ختام الأطروحة ما يسعنا إلاّ أن ندرج بعض المفاهيم المستخرجة من فصول التّوظيف البلاغيّ عند الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش، والّتي يمكن بيانها على النّحو التّالي:

تميّز عصر الشّيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش باضطرابات مفاجئة للاستعمار الفرنسي، والّذي حاول بكلّ قوّته العسكريّة من جيش وعتاد أن يغيّر في الحدود الجغرافيّة للجزائر الحبيبة، وتغيير للحياة السيّاسيّة الآمنة، وتغيير للحياة الاجتماعيّة المعتادة، وتغيير للحياة العلميّة الزّاهرة.

رغم قلّة وعي الشّعب الجزائريّ وقلّة علمائه ورغم الجهل الذي كان يبدو مخيّما خلال القرن التاسع عشر ميلادي، فقد تفطّن الجزائريّون لسبب وجود المستعمر وأنّه يخطّط للبقاء والاستيلاء على أرضه والتي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم، وفيها قاموا ببناء حضارتهم لإعلاء راية الإسلام، وسرعان ما كشّر العدو عن أنيابه وبدأ بشنّ سيّاسته القمعيّة والتعذيبيّة والقتل الجماعيّ وبنهب الثّروات والخيرات وانتهاك لحرمات الشّعب الجزائريّ، في حين لم يبق الجزائريّ مكتوف الأيديّ بل حارب هذه القوّة البشريّة والعسكريّة بالنّفس والنّفيس وبكلّ ما أوتي من قوّة ورغم قلّة العتاد وردائة النّوعيّة فقد حارب بالبنادق التقليديّة وغيرها من الوسائل الحربيّة الّتي كانت عنده، وبعد مرور الوقت تطوّر وبدأ في استيراد الأسلحة الفتّاكة وأخذ المساعدات من البلدان المجاورة وخاصة البلدان العربية كالمغرب وليبيا ومصر وغيرها، ولم يعتمد على الاستيراد والمساعدة بل كان ينصب الفخاخ للجنود الفرنسيّين وأخذ أسلحتهم وكلّ ما عندهم حتى الألبسة وخاصّة الأحذيّة الّتي كانت تساعدهم في تجاوز الجبال والغابات وتخطّي الأشواك والأحجار الجارحة ومن قسوة الشّتاء والبرد.

ساهم الكثير من العلماء دون انقطاع ليل نهار في دراسة كتاب الله تعالى من كلّ نواحيه العلميّة وبخاصة تلك البلاغة الحكيمة، وقد ألّفت العديد من كتب التّفسير وعلوم القرآن ووظّفت البلاغة في كلّ من الشّواهد القرآنيّة المناسبة، فراح كلّ مفكر يدرج فكره ورأيه واجتهاده مع اطلاعه الواسع على كتب من سبقوه في التأليف أمثال العالم الشّيخ امحَمّد بن يوسف أطفيش.

عـاش الشيخ أمحمـد بـن يوسـف أطفيّش بـين حيـاة الجـدّ وعلـم وذلـك منـذ نعومـة أظـافره لتتكوّن عنـده معرفـة أفـادت الفـرد والمجتمـع بجمـع مـادة علميـة فكريـة متنوعـة عربيـة إسـلامية محظة جعلته يكسب العقول المفكرة والقلوب النيرة وذلك في مجالات منها: أدبيّة في النّحو والصّرف والبلاغة والعروض والرسم العثماني، ومعرفة علمية في الفلك والحساب، ومعرفة أحوال الماضين في دراسة التّاريخ والمخطوطات، ومعرفة دينيّة في مدارسة القرآن الكريم واستخراج علومه في التفسير، والحـديث، والفقـه وأصـوله، والتّوحيـد والعقيـدة، والقـراءات القرآنيّـة، والتّجويـد، وغيرهـا، مـن التّوجّهات العلميّة المفيدة للدّين والدّنيا.

اهتم الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيّش بالتّوظيف البلاغي القرآني في كتب خاصّة مثل (بيان البيان)، و(ربيع البديع)، وغيرها، وعامّة مثل تفسير (هميان الزّاد إلى دار المعاد)، وتفسير (تيسير التّفسير)، وغيرها.

لقد برز التّوظيف البلاغي القرآني وضوحاً جليّاً في العديد من الشّواهد القرآنيّة في تفسير (هميان الزّاد)، فقد أفرغ كلّ ما في جعبته ليسقط على كلّ سورة وآية العلوم التي تحتويها ويستنبط منها لبها وجوهرها المكنون في بلاغة سحرية تكاد تختلف عن من سبقوه في الفهم والاستنباط، وهذا ليس بالأمر الهيّن لا بالمستحيل، وهنا نرجع القول أن الشّيخ امحَمّد أطفيّش ليس مقلّداً وإنّما مجدّداً محبّ للبحث والاجتهاد وإعمال العقل وتنويره، مولع بالعلم والمعرفة.

استلهم عند الشيخ أمحَمد بن يوسف أطفيش عقلاً بلاغياً استطاع به أن يقوم بتوظيف علم البيان في شتى فنونه من فنّ التّشبيه والتّمثيل، وفنّ الاستعارة والمجاز، وفنّ الكناية، ووظّف أيضاً علم المعاني وكان القسط الأكبر فاقتصر فيه على الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، والإظهار والإضمار، والاستثناء، والتعريف والتنكير، الحذف والإيصال، ووظف أيضا علم البديع فكان هو الآخر يستوفي القدر الكبير من فنونه البديعية، لكن رغم احتواء الرّبع الثّاني من القرآن على الكثير منها إلاّ أنّ الشّيخ أمحمد أطفيّش لم يشر إليها مثل الطّباق، والسّجع، والجناس، ولعلّه

سبق ذكرها في الرّبع الأوّل من القرآن الكريم، وقد اقتصر فيه على ذكر المقابلة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وحسن التعليل، الالتفات، والمشاكلة.

تبين من خلال استقرائنا لتفسير (همیان الزّاد) الصّورة الحقيقيّة لمؤلّفه وما تمتاز به قريحته من علم فذّ زاخر، وما اخصّت به سليقته من عراقة العربيّة والتّجذّر في أصولها، والمحافظة على منبعها وأصلها في التّمسك والثّبات على الدّين الإسلامي والصّبر على الإيمان بالعقيدة الإسلاميّة والقيّم الأخلاقيّة وما يُحاط بها من انحرافات وانجرافات هاويّة.

نستنتج من خلال النتائج أنّ البلاغة القرآنيّة فنّ زاخر ومتنوّع قد شمل ما للبلاغة أن تكون، فقد وظّفت العديد من الشّواهد البيانيّة اللّطيفة قرّبت للسّامع والقارئ المعنى المطلوب، وحفّزت همم العلماء، والمفكرين، والباحثين بأن يتعلّموا فنّ الكلام وحسن المعاني، ويفهموا الغرض البياني من الآيات والسّور القرآنية ذات العبر، والفوائد، والعظات المرشدات.

الحمد لله على تمام الأطروحة، إن قصّرنا وأخطئنا فمن أنفسنا والشّيطان الرّجيم، وإن وفّقنا فما التّقدير إلاّ بالله تعالى لا شريك له، ثم على من كان له سند من قريب أو بعيد. والصّلاة والسّلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكرا جزيلاً.

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ سورة البقرة الآية – 286 –

قائمة المصادر

والمراجع

أوّلاً: المصادر

- القرآن الكريم
- السّنّة النّبويّة

ثانيّاً: المراجع

أ/ الكتب

1) إبراهيم العلوي، الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصريّة، بيروت، ط01، 1423هـ.

2) أحمد البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، 2005م.

3) أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط01، 1422هـ - 2001م.

4) أحمد الطهطاوي، عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1425هـ - 2004م.

5) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف، د، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط01، 1421هـ - 2001م.

6) أحمد بن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.

7) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

8) أحمد رضا، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، عام النشر، 1377 – 1380هـ.

9) أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلاميّ في الجزائر، دار الكتاب الحديث، 1433هـ - 2012م.

10) أحمد مختار، معجم اللّغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.

11) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان – المعاني - البديع).

12) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط01، 1365هـ - 1946م.

13) أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق، د، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

14) أحمد نكري، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

15) أبي أسامة الحارث، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المنتقي، أبو الحسن بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق، د، حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط01، 1413هـ – 1992م.

16) أبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق، الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق، أ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1422هـ - 2002م.

17) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط01، 1408هـ - 1988م.

18) إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.

19) إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط02، 1420هـ - 1999م.

20) أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، تقديم رشرى طعيمة، فهمي حجازي، ياسر برهامي، دار التوقيفية للتراث، درب الأتراك خلف الجامع الأزهر، القاهرة، 2011م.

21) أيوب الحسيني أبو البقاء، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

22) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط01، 1376هـ - 1957م.

23) أبو البركات النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تحقيق وتخريج الأحاديث، يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط01، 1419هـ - 1998م.

24) برهان الدين الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي.

25) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق، السّيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط05، 1997م.

26) أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

27) أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النّموذجية، بيروت، صيدا، ط05، 1420هـ - 1999م.

28) أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وكتابة الهوامش والتعليق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 02، 1407هـ - 1987م.

29) أبي بكر العلوي، البلاغة (المعاني – البيان – البديع)، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، ط03، 1429هـ – 2008م.

30) أبي بكر بن عبيد (أبي الدنيا)، مكارم الأخلاق، مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

31) أبو بكر محمد بن المقرئ، معجم ابن المقرئ، تحقيق، أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ - 1998م.

32) بكير بن سعيد أغوشتْ، دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، ط3، 1408هـ – 1988م.

33) بكير بن سعيد أغوشت، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيّش (1236 – 1332هـ / 1820 – 1914م)، حياته - أثاره الفكرية - جهاده، مكتبة الضامري، للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، مطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، 1989م.

34) بكير بن سعيد أغوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا – تاريخيا – اجتماعيا، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، 1991م.

35) جابر بن أبو بكر الجزائري، أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط05، 1424هـ - 2003م.

36) جابر بن الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، للجلسات العائلية والدروس التعليمية، دراسة شاملة شيّقة مركّزة بالصّور، ط01، 1437هـ – 2016م.

37) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط01، 1420هـ - 2000م.

38) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.

39) جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرّسوم، تحقيق، أ، د، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ - 2004م.

40) جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط01.

41) جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1422هـ.

42) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ.

43) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

44) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتّراث.

45) أبو الحجاج مجاهد، تفسير مجاهد، تحقيق، د، محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط01، 1410هـ - 1989م.

46) أبو الحسن علي الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، دار مكتبة الحياة، 1986م.

47) أبو الحسن علي الماوردي، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

48) أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط01، 1415هـ.

49) أبو الحسن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د، أحمد محمد صيرة، د، أحمد عبد الغني الجمل، د، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه، أ، د، عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 01، 1415هـ – 1994م.

50) أبو الحسن علي بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

51) حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 2005م.

52) حسين الملطيّ العسقلاني، وآخرون، التّنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

53) حسين بن محمد البغوي، تفسير البغوي (معالم التّنزيل في تفسير القرآن)، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1420هـ.

54) حسين بن محمد البغوي، شرح السّنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط02، 1403هـ - 1983م.

55) حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، وزارة الثقافة بدار الكتاب، 2009م.

56) حمّو محمد عيسى النّوري، دور الميزابيّين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا.

57) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

58) الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق، د مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال.

59) عز الدين الأزدي المهلبيّ، المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطّيب المتنبيّ، تحقيق، د، عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط02، 1424هـ - 2003م.

60) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

61) دروزة محمد عزت، التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.

62) ابن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

63) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق، الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1418هـ.

64) عبد الرحمن بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1422هـ.

65) عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّامية، بيروت، ط01، 1416هـ – 1996م.

66) رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

67) أبو زكرياء الفراء، معاني القرآن، تحقيق، أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط01.

68) أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، المعروف (بتاريخ أبي زكرياء)، تحقيق، إسماعيل العربي، درا الغرب الإسلامي، ط2.

69) سراج الدين الشافعي، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق، مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السّعودية، ط1، 1425هـ – 2004م.

70) سراج الدين النعماني، اللّباب في علوم الكتاب، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1419هـ - 1998م.

71) سعيد بن منصور الجرجاني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السّلفية، الهند، ط01، 1403هـ - 1982م، كتاب الجهاد، باب جامع الشهادة، رقم الحديث 2837، ج02، ص347.

72) سعيد البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 1418هـ.

73) سليمان الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، طرابلس.

74) سليمان بشنون، الجذور الشّعبية في الحركة الإصلاحيّة، دار هومه، الجزائر، 2012م.

75) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1415هـ.

76) شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ط1، 1423هـ.

77) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.

78) ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.

79) ضياء الدين بن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، طاهر أحمد الزّاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلميّة، بيروت، 1399هـ- 1979م.

80) أبو الطيب محمد القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدّم له وراجعه، خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا، بيروت، 1412هـ - 1992م.

81) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، (1400هـ - 1980م).

82) أبو العباس بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر، د، حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ، ج03، ص23.

83) عدون بن الناصر جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيّش 1236- 1332هـ/ 1818- 1914م، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، حوالي 1410هـ - 1990م.

84) عبد العزيز الثميني (ضياء الدين)، كتاب النيل والشفاء العليل، شرحه، محمد بن يوسف أطفيّش، مكتبة الإرشاد، المملكة العربية السعودية، جدة، ط02، 1392هـ – 1972م، ط03، 1405هـ – 1985م، ج01.

85) عبد العزيز بن علي الحربي، البلاغة الميسّرة، دار ابن حزم، ط02، 1432هـ – 2011م، بيروت، لبنان.

86) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم البيان)، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ – 1985م.

87) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة (علم المعاني)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط01، 1430هـ – 2009م.

88) عبد العظيم بن أبي الأصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق، د حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

89) علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق، محمد خلف الله، د، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط03، 1976م.

90) عماد علي عبد السميع، التّيسير في أصول واتّجاهات التّفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، 2006م.

91) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1995م.

92) عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1423هـ.

93) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرق الإباضية، تنسيق وتعليق، إبراهيم بن يوسف بازين، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط04، 1437هـ- 2010م.

94) عبد الفتاح بسيوني، علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية الأحساء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط02، 1418هـ – 1998م.

95) عبد الفتاح بسيوني، علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان) مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية، الأحساء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط02، 1418هـ – 1998م.

96) عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط04، 1436هـ – 2015م.

97) أبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

98) فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ - 1986م.

99) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرّسالة، بإشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط08، 1426هـ - 2005م.

100) عبد القادر آل غازي، بيان المعاني (مرتب حسب ترتيب النزول)، مطبعة الترقي، دمشق، ط01، 1382هـ - 1965م.

101) عبد القادر عزام عوادي، هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة (1881 – 1956)، دار نزهة الألباب، ساحة العقيد لطفي، ولاية غرداية، مارس 2018م.

102) أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1419هـ - 1998م.

103) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط03، 1407هـ.

104) أبو القاسم الشيخ بالحاج، جهود الشيخ أمحمد أطفيّش في النّهضة والإصلاح، العالميّة للطّباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة، تيبازة، 1439هـ - 2018م.

105) أبـو القاسـم الشـيخ بالحـاج، مـوجز تاريـخ وادي ميـزاب أثنـاء الحكـم العثمـاني والاستعمار الفرنسي، العالمية للطباعة والخدمات، طريق البليدة، قليعة، تيبازة، 2017م.

106) أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق، طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

107) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

108) عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

109) عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، جمعه، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

110) أبو عبد الله بن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

111) أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم.ابو الليث

112) مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، المدقق اللغوي، أحمد راتب حموش، ط01، 1428هـ - 2007م.

113) مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

114) عبد المتعالي الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 1426هـ – 2005م.

115) محمد أبو الأرقم، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط01، 1426هـ.

116) أبو محمد بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

117) محمد أبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي.

118) محمد أبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

119) محمد التستري، تفسير التستري، جمعه، أبو بكر محمد البلدي، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1423هـ.

120) محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية

121) محمد القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية (في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه)، تحقيق، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ، د، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط01، 1429هـ - 2008م.

122) محمد القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط02، 1384هـ - 1964م.

123) محمد الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق، د، مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1426هـ - 2005م.

124) محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 2001م.

125) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق، محمد زهير بن ناصر

الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط01، 1422هـ.

126) محمد بن سعيد الهاشمي، العلاقات الثقافيّة العمانيّة الجزائريّة في العصر الحديث من خلال فكر الشّيخ قطب الأئمة بن أطفيّش (1236هـ – 1820م/ 1332هـ – 1914م)، منشورات مخبر البحث التّاريخي "مصادر وتراجم" كليّة العلوم الإنسانيّة والحضارة الإسلاميّة جامعة وهران1، الجزائر، ط1، 1434هـ/ 2013م.

127) محمد بن قتيبة، المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م.أبو

128) محمد بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

129) محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط01، 1420هـ – 1999م، ط02، 1421هـ - 2000م، دار الغرب الإسلامي.

130) محمد بن يوسف أطفيش (1236هـ - 1332م)، الكافي في التّصريف، تحقيق ودراسة عائشة يطّو، مطبعة عُمان، ط1، 1433هـ - 2012م.

131) محمد بن يوسف أطفيّش (1332هـ – 1914م)، تيسير التّفسير، تحقيق وإخراج، الشّيخ إبراهيم بن محمد طلاي، بمساعدة لجنة من الأساتذة، ط01، 1425هـ – 2004م.

132) محمد بن يوسف أطفيش، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، علّق عليه أبو إسحاق إبراهيم أطفيّش، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب سلطنة عمان.

133) محمد بن يوسف أطفيّش، شرح لغز الماء، إخراج، قيّم مكتبة القطب وحفيده محمد بن الحاج محمد بن الشّيخ أمحمّد أطفيّش، ط02، بلديّة الكرمة، وهران، الجزائر.

134) محمد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، مختصر كتاب الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، اختيار وترتيب، إبراهيم بن يوسف بازين، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط01، 1439هـ – 2018م.

135) محمد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، جامع الكتب الإسلامية، موقع التّفاسير والتّرجمات. https://ketabonline.com

136) محمد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، هميان الزاد ليوم المعاد، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

137) محمد بن يوسف أَطَّفْيِّشْ، هميان الزّاد، المكتبة الشاملة الإباضية، موقع التفاسير http://www.altafsir.com

138) محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، هيميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزراة التراث القومي والثقافة، 1409هـ – 1989م.

139) محمد بن يوسف الوهبي الإباضي المصعبي، هيميان الزاد إلى دار المعاد، سلطنة عمان، وزراة التراث القومي والثقافة، 1408هـ – 1988م.

140) محمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، الشّهير بقطب الأئمة، (1238هـ – 1821م / 1332هـ – 1914م)، دراسة وتحقيق، يحي بن بهون حاج أمحمد، العطف، غرداية، ط1، 2007م.

141) محمد بن يوسف بن عيسى أطفيّش، جامع الشمل في حديث خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، شرح أحاديثه وعلق عليه، محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1407هـ – 1987م.

142) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2010م.

143) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

144) محمد رأفت سعيد، تاريخ نزول القرآن، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط01، 1422هـ - 2002م.

145) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

146) محمد سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجالة، القاهرة، ط01، يناير 1997م.

147) محمد صابر الفاروقي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة، د، رفيق العجم، تحقيق، د، علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د، عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د، جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

148) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1417هـ - 1997م.

149) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

150) محمد مجاهد، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1949م.

151) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.

152) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.

153) محمود السيد شيخون، الأسلوب الكنائي، (نشأته – تطوره – بلاغته)، مكتبة الكليات الأزهرية، ط01، 1398هـ – 1978م.

154) محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط04، 1418هـ.

155) محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلامية العامة، مطابع التجاية قليوب، مصر، القاهرة، 1422هـ - 2001م.

156) محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة، دمشق، بيروت)، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ط04، 1415هـ.

157) مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871م - 1914م)، دار سنجاق الدين للكتاب، ط1، (1431هـ - 2010م).

158) مسلم بن الحجاج النّيسابوري، صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

159) مصطفى الجويني، أوساط البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

160) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي.

161) معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص658.

162) معز الدين محمد الحسيني، أسماء القبائل وأنسابها، شرح وتحقيق، كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1440هـ – 2000م.

163) معمر أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق، محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.

164) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط01، 1423هـ.

165) مناهج جامعة المدينة العالمية، البلاغة 1 – البيان والبديع، جامعة المدينة العالمية.

166) منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط01، 1418هـ – 1997م.

167) نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق، د، حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1420هـ – 1999م.

168) أبو نصر إسماعيل الفرابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م.

169) نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق، الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1416هـ.

170) أبو هلال العسكري، الصّناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصريّة، بيروت، ج01، 1419هـ.

171) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط02، 1418هـ.

172) أبو يعلى بن يحيى التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق، حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط01، 1404هـ - 1984م.

173) يوسف بن بكير الحاج سعيد، الهوية المزابيّة أهمّ عناصرها وتشكّلها عبر التّاريخ، المطبعة العربيّة، 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، ط2، 1435هـ 2014م.

174) يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.

ب/ الأطروحات الجامعية

175) إبراهيم بن علي، معتمد الصّواب من شواهد قواعد الإعراب لمحمّد بن يوسف أطفيّش (ت 1332هـ - 1914) دراسة وتحقيق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفكر النحوي واللسانيات، إشراف، د، أحمد بلخضر، 2014/2013م.

176) عبد الرؤوف قرناب، جهود علماء الجزائر في الرّد على التّنصير إبّان الاحتلال الفرنسيّ (1830هـ - 1962)، مذكّرة ماجستير في العلوم الإسلاميّة، إشراف، محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدّة، 1436هـ - 2015م.

177) سليمان بن علي بن عامر الشعيلي، منهج الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره "هميان الزاد" رسالة ماجستير، المشرف فضل حسن عباس، أيار1996م.

178) صباح مجاهدي، أثر التّوظيف الصّرفي في تيسير التّفسير لأحمد بن يوسف أطفيّش (ت 1332هـ – 1914م)، رسالة ماجستير في اللّغة العربيّة، المشرف، د، بوعناني مختار، جامعة وهران، السانية، 2008م.

179) فتحي دادي بابا، منهج الشيخ أطفيّش في التعامل مع السنة النبوية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الدين الحديث، إشراف، د، خير الدين سيب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية

والعلـوم الاجتماعيـة، قسـم العلـوم الإسـلامية، السـنة الجامعيـة: 1436 – 1437هـ/ 2015 – 2016م.

180) كريم داودي، التعارض والترجيح في المذهب الاباضي – دراسة مقارنة بالمذاهب الأخرى – بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الفقه وأصوله، اشراف د، لخضر لخضري، جامعة وهران1، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، 1433هـ – 2012م.

181) محمد جودي، "واجهات مساكن قصور سهل وادي مزاب"، دراسة تنميطية، إشراف، د، معروف بلحاج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار والمحيط، السنة الجامعية 2006 – 2007م.

182) أمحمّد لقدي، أمْحمد بن يوسف أطفيش وجهوده البلاغية مع تحقيق كتابه "ربيع البديع" في علم البديع، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، إشراف د، محمد ناصر بوحجّام، تخصص، تحقيق المخطوطات، جامعة الحاج لخضر باتنة1، 1437 – 1438هـ/ 2016 – 2017م.

183) محمد مصطفى درويش الخواجا، منهج الشيخ محمد بن أطفيّش في تفسيره تيسير التفسير، إشراف، د، أحمد فريد، رسالة ماجستير في التفسير بكلية لدراسات العليا في الجامعة الأردنية، أيار 1994م، 08 ذي الحجة 1404هـ الموافق لـ 18 ماي 1994م.

184) مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشّيخ أمحمد بن يوسف أطْفيّش العقديّة، (1239هـ – 1332هـ)، (1821م – 1914م)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر.

ج/ المجلات

185) أحمد جلايلي، من رواد النهضة الحديثة، محمد بن يوسف أطفيّش الجزائري (1238هـ - 1821م/1332هـ – 1914م)، مجلة كلية الآداب، ورقلة، م02، ع02، نوفمبر 2001م.

186) آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، مجلة دراسات نفسية وتربوية، ع07، ديسمبر 2011م.

187) بالحاج أوزايد، جهود الشّيخ أطفيش الإصلاحية ومواقفه الوطنية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، ع 12، 2011م،

188) براهيم زدك، معالم الحياة الثّقافيّة ببلدة قصر"بني يزقن" بوادي مزاب من خلال فهرست مخطوطات القطب أطفيّش، مجلة متون، جامعة الدكتور مولاي طاهر سعيدة، م01، ع02، 01 ديسمبر 2018م، ص203.

189) خير الدين شترة، إسهامات علماء الجزائر بالمهجر من أواخر القرن 19م إلى منتصف القرن 20م، "المشرق العربي أنموذجاً"، مجلة الحوار الفكري، ط11، ع12، ربيع الأول 1438هـ – ديسمبر 2016م.

190) راشد بن علي بن عبد الحارثي، قضايا اللغة في تفسير هميان الزاد للشيخ محمد بن يوسف أطفيّش – سورة البقرة أنموذجاً – كلية العلوم الشرعية، محافظة مسقط، سلطنة عمان، مجلة الصراط، م23، ع01، جويلية 2021م.

191) فاطمة جريو، محمد بن يوسف أطفيش (ت– 1332هـ) وآرائه النحوية من خلال كتابه "الكافي في التصريف"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، تصدر عن مركز جيل البحث العلمي، العام الرابع، ع 30 مايو 2017م.

192) قادة الأحمر، المنهج الإصلاحي في فكر الشّيخ بن يوسف أطفيّش القطب من خلال رحلاته العلمية وآرائه الفكرية، المشرف، عطلاوي عبد الرزاق، جامعة سيدي بلعباس، مجلة الحوار التوسطي، م09، ع01، 31 - 03 - 2018.

193) محمد صلاح حقي، صورة الجزائر في القرن19 من خلال المصادر التونسية "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، و"صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" نموذجاً، مجلة آفاق فكرية، تونس، ع05، خريف 2016م.

194)

د/ الملتقيات والمحاضرات والمقالات

195) إبراهيم بحاز، ملامح من المجتمع المزابي في بعض تراث الشيخ أَمْحمد بن يوسف أطفيش (ت1914م)، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنيين 13 و12هـ – 19 و18م، من خلال المصادر المحلية، يومي 19 صفر 01 ربيع الأول 1433هـ الموافق لـ 24 و25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي.

196) كروم الحاج أحمد بن حمو، محاضرة بعنوان "العلماء الوافدون إلى وادي مزاب ودورهم في التغيير الاجتماعي"، الجلسة العلمية الرابعة، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ثقافة – تربية – تراث، 2005م.

197) محمد العربي ولد خليفة، قطب الأئمة أطفيش (العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن)، جائزة المجلس الأعلى للّغة العربيّة، شارع ديدوش مراد، الجزائر، 2011م.

198) مصطفى بن الناصر وينتن، تاريخ تفاسير القطب، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، مقال على الانترنت، 30 جوان 2018م.

199) أبو ياسين محمد بن أحمد، العناية بالمخطوط في وادي ميزاب، ملتقى المخطوط لولايات شمال الصحراء.

الفهارس

الشخصية	الصفحة
الشّيخ إبراهيم بن يوسف أطفيّش	08
الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيّش	09
أمْحمّد أطفيّش	09
السّيدة مامّة ستيّ	10
الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عدّون	11
الشيخ عمر بن الحاج سعيد نتموسني	11
الشيخ عمر بن سليمان نوح	27
سعيد بن يوسف بن عدون اليسجني وينتين المعروف ب(الحاج سعيد أن بافو)	27
محمد بن عيسى ابن عبد الله آزبّار	27
إبراهيم أطفيش (شقيقه)	27
الشيخ عبد العزيز الثميني	27
سعيد بن تعاريت	28
الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي	28
الشيخ إبراهيم بن بكير حفار	28
إبراهيم بن محمد بن يوسف أطفيّش (أبو إسحاق)	28
سليمان باشا الباروني	28
سليمان بن صالح ابن ادريسو	28
إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان	28

المكان	الصفحة
وادي مزاب (ميزاب)	01 - 02
العطف (تاجنْيت)	03
بونورة (آت بونور)	03
مليكة (أتمليشت)	03
بني يزقن (آت يزجن)	03
غرداية (تاغردايت)	03
بريان	22
القرارة	23
ورجلان (ورقلة)	23
الحجاز	23 -24
تونس	25
مصر	25
عمان	26

الشاعر	البيت الشعري	الصفحة
الشّيخ أمحْمّد بن يوسف أطفيّش	وَنَاظِـــمُ الأَبْيَـــاتِ مِـــنْ بَـــنِي عَـــدَيِ يَتَّصِلُ اتِّصَالَ يَوْمٍ بِغَدِ محمـــدٌ بْـــنُ يُوســـفَ بْـــنُ عِيسَـــى نَجْلُ كِرَامِ سَادَةٍ وَكَيْسِيْ مَـــعَ اجْتِمَـــاعٍ فِي عَـــدَيْ يَعْمَـــرٍ وَبِالنَّبِي فِي لُؤْلُـــؤٍ وَزُمُرِ.	10
الشّيخ أمحْمّد بن يوسف أطفيّش	هَجَـرْنَا مَسَـاقِطَ الـرُّؤُوسِ وَمَـا نَـرَى سِوَى الحَجَّ إِنَّ الحَجَّ قَدْ حَانَ وَغَيْرَ اعْتِمَارٍ وَالزِّيَّارَةِ لِلنَّـــبِيْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَحَا فَلِلَّـهِ حَمْـدُ حَمْـدُ فَـإِنَّ لِـذِي البَـقَا وَحَمْدُ فَقِيرٍ لِلْمَعْزِيِّ عَنِ خَرَجْنَـا بِضَـحْوَةِ الخَمِـيسِ بِمِثْـلِ مَـا خَمِيسٍ وَنَحْنُ فِي خَلَاءٍ عَنِ	24
أبو مسلم ناصر بـن سـالم بـن عـديم الـبهلاني العمّاني	عِـشْ مَـا تَشَـأْ وَرَاقِـبْ فَجْعَـةَ الأَجَـلْ سَيَنقَضِي العُمرُ فِي بَطْءٍ وَفِي عَجَلْ يَا قَـوْمُ قُومُـوا فَـالثُّغُورُ كَثِـيرَةْ لَنَمْلَأَهَـا إِنَّ العَدُوَّ مُشَمِرْ وَيَا قَـوْمُ مَـا تِلْـكَ الخِلَافَـاتُ بَيْـنَكُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الخِلَافَ مُدَمِّـرْ	29
أبو عبيدة	عِفْتُ الدِّيَّارَ خِلاَفَهُمْ فَكَأَنَّمَا بَسِطَ الشَّوَاطِبِ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا	51
البحتري	فَأَتْبَعَتْهَـا أُخْـرَى فَأَضْـلَلَتْ نَصْـلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ وَالرُّعْبُ وَالحِقْدُ	191

أبـــو الطيـــب المتنبي	إِذاَ الجُـودُ لَمْ يَـرْزُقْ خَلاَصـاً مِـنَ الأَذَى فَلاَ الحَمْدُ مَكْسُوباً وَلاَ المالُ بَاقِيَا	192
البحتري	أَوَمَا رَأَيْتَ المجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّل	193
القريظ بن أنيف	يَجْـزُونَ مَـنْ ظُلْـمِ أَهْـلِ الظُّلْـمِ مَغْفِـرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَاناً	445
أبو الرقعمق	قَـالُوا اقْـتَرِحْ لَنَـا شَـيْئاً نُجِـدْ لَـكَ طَبْخَـهُ قُلْتُ: اطْبَخُوا لِي جَبَّةً وَقَمِيصاً	492

المصطلح	الصفحة
نظام العزابة	05
الحركة الإصلاحيّة (النّهضة الإسلاميّة)	17
المذهب الاباضي	21 - 20

مقدمة	أ – هـ
الفصل الأول: عصر الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أَطْفِيّش وترجمته	1 – 32
المبحث الأول: عصر الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أَطْفِيّش	1 – 9
المطلب الأوّل: البيئة الجغرافيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري	1 – 3
المطلب الثّاني: الحياة السياسيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري	4
المطلب الثّالث: الحياة الاجتماعيّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري	5 – 6
المطلب الرّابع: الحياة العلميّة في وادي ميزاب خلال القرن التّاسع عشر هجري	7 – 8
المبحث الثاني: ترجمة الشّيخ أَمْحمّد بن يوسف أطْفَيّش.	9 – 32
المطلب الأوّل: اسمه ونسبه، مولده ونشأته.	9 – 13
المطلب الثاني: طلبه للعلم ومكانته العلميّة	14 – 16
المطلب الثّالث: النهضة الإصلاحية ومحاربة الاستعمار	17 – 18
المطلب الرّابع: مذهبه	19 – 21
المطلب الخامس: رحلاته العلميّة (داخل الوطن وخارجه).	22 – 26
المطلب السّادس: شيوخه وتلاميذه	27 – 28
المطلب السّابع: وفاته	29
المطلب الثّامن: آثاره العلميّة (مؤلّفاته)	30 – 32
الفصل الثاني: مفهوم التوظيف البلاغي مع التعريف بكتاب (همیان الزاد)	34 – 67
المبحث الأول: مفهوم التّوظيف البلاغي لغة واصطلاحا	34
المطلب الأول: مفهوم التّوظيف لغة واصطلاحا	34 – 35

المطلب الثاني: مفهوم التوظيف البلاغي كلفظ مركّب	36
المبحث الثاني: التّعريف بكتاب (هميان الزّاد إلى دار المعاد)	37
المطلب الأوّل: بطاقة تعريف بالكتاب وسبب تأليفه	37 - 40
المطلب الثاني: مصادر كتاب (هميان الزاد)	41 - 43
المطلب الثالث: المنهجيّة المعتمدة في (هميان الزاد)	44 - 47
المطلب الرابع: المنهج المتّبع في (هميان الزاد)	48 - 54
الفصل الثّالث: توظيف علم البيان من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	57 - 238
تمهيد: مفهوم علم البيان لغة واصطلاحا	56
المبحث الأوّل: التّشبيه	57
المطلب الأوّل: مفهوم التّشبيه لغة واصطلاحا	57 - 61
المطلب الثاني: توظيف التّشبيه من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	62 - 112
المبحث الثّاني: التّمثيل	113
المطلب الأوّل: مفهوم التّمثيل لغة واصطلاحا	113
المطلب الثاني: توظيف التّمثيل من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	114 - 133
المبحث الثالث: الاستعارة	134
المطلب الأوّل: مفهوم الاستعارة لغة واصطلاحا	134 - 135
المطلب الثّاني: توظيف الاستعارة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	136 - 157
المبحث الرابع: المجاز	158
المطلب الأوّل: مفهوم المجاز لغة واصطلاحا	158 - 159
المطلب الثاني: توظيف المجاز من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من	160 - 189

القرآن –	
المبحث الخامس: الكناية	190
المطلب الأوّل: مفهوم الكناية لغة واصطلاحا	193 - 190
المطلب الثّاني: توظيف الكناية من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	252 - 194
الفصل الرابع: توظيف علم المعاني من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	254
تمهيد: مفهوم علم المعاني لغة واصطلاحا	254
المبحث الأوّل: الأسلوب الخبري	255
المطلب الأوّل: مفهوم الأسلوب الخبري لغة واصطلاحاً	258 - 255
المطلب الثّاني: توظيف الأسلوب الخبري من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	299 - 259
المبحث الثاني: الأسلوب الإنشائي	300
المطلب الأوّل: مفهوم الأسلوب الإنشائي لغة واصطلاحا	300
المطلب الثّاني: توظيف الأسلوب الإنشائي من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	352 - 322
المبحث الثالث: المسند إليه والمسند معرفة	353
المطلب الأول: مفهوم المسند إليه والمسند معرفة لغة واصطلاحاً	354 - 353
المطلب الثّاني: توظيف المسند إليه والمسند معرفة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	388 - 355
المبحث الرابع: المسند والمسند إليه نكرة	389
المطلب الأول: مفهوم المسند والمسند إليه نكرة لغة واصطلاحا	389
المطلب الثّاني: توظيف المسند والمسند إليه نكرة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	395 - 390

المبحث الخامس: الحذف والإيصال	396
المطلب الأول: مفهوم الحذف والإيصال لغة واصطلاحاً	396
المطلب الثّاني: توظيف الحذف والإيصال في القرآن من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	397 - 403
المبحث السادس: الإظهار والإضمار	404
المطلب الأول: الإظهار والإضمار لغة واصطلاحاً	404 - 405
المطلب الثّاني: توظيف الإظهار والإضمار في القرآن من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	406 - 420
المبحث السابع: الاستثناء	421
المطلب الأول: الاستثناء لغة واصطلاحاً	421
المطلب الثّاني: توظيف الاستثناء في القرآن من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	422 - 440
الفصل الخامس: توظيف علم البديع من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	442
تمهيد: مفهوم البديع لغة واصطلاحا	442 - 443
المبحث الأول: المقابلة	444
المطلب الأول: مفهوم المقابلة لغة واصطلاحاً	444 - 446
المطلب الثّاني: توظيف المقابلة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	447 - 451
المبحث الثّاني: تأكيد المدح بما يشبه الذم	452
المطلب الأوّل: مفهوم تأكيد المدح بما يشبه الذّم لغة واصطلاحاً	452
المطلب الثّاني: توظيف تأكيد المدح بما يشبه الذّم من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	453 - 455
المبحث الثّالث: حسن التّعليل	456

المطلب الأوّل: مفهوم حسن التّعليل لغة واصطلاحا	456
المطلب الثّاني: توظيف حسن التّعليل من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	468 - 457
المبحث الرابع: الالتفات	469
المطلب الأوّل: مفهوم الالتفات لغة واصطلاحاً	469
المطلب الثّاني: توظيف الالتفات من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	491 - 470
المبحث الخامس: المشاكلة	492
المطلب الأول: مفهوم المشاكلة لغة واصطلاحاً	492
المطلب الثّاني: توظيف المشاكلة من خلال (هميان الزاد) – الربع الثاني من القرآن –	496 - 493
خاتمة	500 - 498
قائمة المصادر والمراجع	552 - 523
فهرس الشخصيات المترجم لها	525
فهرس الأماكن المعرف لها	526
فهرس الشعراء وأشعارهم	528 - 527
فهرس المصطلحات	529
فهرس الموضوعات	534 - 530
الملخّص باللّغة العربيّة	535
الملخّص باللّغة الانجليزيّة	537 - 536

ملخّص باللّغة العربيّة

عرفت بيئة الشّيخ أطفيّش بين تغير جغرافيّ في كلّ فترة وبين تعدّد المستعمرين للوطن الجزائريّ، من نظام عثماني إلى نظام فرنسي اختلطت فيه الأوامر والمخططات، وتغيرت فيه السّبل والمهام والطّموحات، فكان يجب على كلّ جزائريّ أن يفكّر فقط كيف يتخلّص من القيود الجبريّة والتّعسفيّة، وكيفيّة استرداد وطنه وأرضه الطّاهرة، وأن يحافظ قدر المستطاع على هويّته العربيّة ويتمسّك بدينه الإسلامي الحنيف.

بالإضافة إلى أمر السّلاح والرّصاص فهما لم يكونان الوحيدان في استحقاق الانتصار والاستقلال، وإنّما استطاع القلم هو الأخر أن يكافح حتى ينال الحريّة فلم يأبى الفناء والانتهاء مادامت الحياة تدعوا إلى العلم والاجتهاد، وكان الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش من الأكابر الّذين تمسّكوا بالدّواية والقلم أشدّ تمسّك حتى لا تغيب عن النّاس أيّة شاردة وواردة، فقد جمع بين أوراقه جلّ العلوم وكلّها تصب في اتجاه الشّريعة والإسلام، وحتى يحافظ على القيّم الدّينيّة والأخلاقيّة للمجتمع وإخراجه من دائرة التّجهيل والتّنصير.

بهذا استطاع الشّيخ أمحَمد بن يوسف أطفيّش أن يستلهم أصحاب العقول والمفكّرين في الجلسات والاجتماعات قبل أن تستقطب رفوف المكتبات والمدارس والمعاهد والجامعات بمختلف العلوم والتّخصّصات.

له مؤلّفات في شتّى المجالات المعرفيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والأدبيّة والبلاغيّة وغيرها، واتخذ معهد البلاغة قسطاً أوفر في كتبه ومؤلّفاته وكان تفسيره (همیان الزّاد إلى دار المعاد) ملاذ بلاغي تجلّت فيه كلّ الألوان البلاغيّة من بيان ومعاني وبديع، فظهر في المؤلّف براعة التّفكير في عقل مستنبط فريد، وقد وظّف في البلاغة أحسن تخريج وتوظيف تناسب مع ما ذكر من الشّواهد القرآنيّة.

الكلمات المفتاحية: محمد بن يوسف أطّفيّش – التوظيف البلاغي – تفسير (هميان الزاد إلى دار المعاد) – الربع الثاني من القرآن الكريم – علم البيان – علم المعاني – علم البديع – بيان الغرض.

Summary in English:

I knew the environment of Sheikh Tfayesh Between geographical change in every period Among the multiplicity of colonizers of the Algerian homeland, From the Ottoman regime to the French regime Orders and plans were mixed up, The paths, tasks and ambitions changed, It was obligatory for every Algerian Just to think how to get rid of it Of coercive and arbitrary restrictions And, How to regain his homeland and land purity, And to preserve as much as possible On his Arab identity He adheres to his true Islamic religion.

In addition to the matter of weapons and bullets They were not the only ones deserving of victory and independence, But the pen was also able to struggle until it gained freedom, He did not refuse annihilation or end as long as life called for knowledge and diligence, Sheikh Muhammad bin Youssef Tfayesh was one of the greats, Those who cling most to the medicine and the pen, So that nothing stray or incoming may escape from people, He combined his papers with most of the sciences, all of which flowed in the direction of Sharia and Islam, And to preserve the religious and moral values of society And removing him from the circle of ignorance and Christianization.

Sheikh Amhamed bin Youssef Tfayesh was able to do this To be inspired by the minds of people and thinkers in sessions and meetings Before attracting the shelves of libraries, schools, institutes and universities with various sciences and specializations.

He has written works in a variety of literary, social, rhetorical, and other fields, The Rhetoric Institute took a greater part in its books and authors Its interpretation was (Hamyan Al-Zad to the House of Maad) A rhetorical haven in which all rhetorical colors were evident From statement, meanings and wonderful, The author demonstrated the ingenuity of thinking with a unique, inquisitive mind He used the best interpretation and employment in rhetoric that was consistent with the Qur’anic evidence mentioned.

key words:

Muhammad bin Youssef Atfayesh - Rhetorical employment - Interpretation of (Hamyan Al-Zad ila Dar Al-Maad) - The second quarter of the Holy Quran - Science of statement – Semantics - Badi science - Statement of purpose .

ملخّص باللّغة العربيّة

عرفت بيئة الشّيخ أطفّيّش بين تغير جغرافيّ في كلّ فترة وبين تعدّد المستعمرين للوطن الجزائريّ، من نظام عثماني إلى نظام فرنسي اختلطت فيه الأوامر والمخططات، وتغيرت فيه السّبل والمهام والطّموحات، فكان يجب على كلّ جزائريّ أن يفكّر فقط كيف يتخلّص من القيود الجبريّة والتّعسفيّة، وكيفيّة استرداد وطنه وأرضه الطّاهرة، وأن يحافظ قدر المستطاع على هويّته العربيّة ويتمسّك بدينه الإسلامي الحنيف. بالإضافة إلى أمر السّلاح والرّصاص فهما لم يكونان الوحيدان في استحقاق الانتصار والاستقلال، وإنّما استطاع القلم هو الأخر أن يكافح حتى ينال الحريّة فلم يأبى الفناء والانتهاء مادامت الحياة تدعوا إلى العلم والاجتهاد، وكان الشّيخ أمحمّد بن يوسف أطفيش من الأكابر الّذين تمسّكوا بالدّواية والقلم أشدّ تمسّك حتى لا تغيب عن النّاس أيّة شاردة وواردة، فقد جمع بين أوراقه جلّ العلوم وكلّها تصب في اتجاه الشّريعة والإسلام، وحتى يحافظ على القيّم الدّينيّة والأخلاقيّة للمجتمع وإخراجه من دائرة التّجهيل والتّنصير. لذا استطاع الشّيخ أمحَمد بن يوسف أطفيّش أن يستلهم أصحاب العقول والمفكّرين في الجلسات والاجتماعات قبل أن تستقطب رفوف المكتبات والمدارس والمعاهد والجامعات بمختلف العلوم والتّخصّصات. له مؤلّفات في شتّى ا لمالات المعرفيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والأدبيّة والبلاغيّة وغيرها، واتخذ معهد البلاغة قسطاً أوفر في كتبه ومؤلّفاته وكان تفسيره (هميان الزّاد إلى دار المعاد) ملاذ بلاغي تجلّت فيه كلّ الألوان البلاغيّة من بيان ومعاني وبديع، فظهر في المؤلّف براعة التّفكير في عقل مستنبط فريد، وقد وظّف في البلاغة أحسن تخريج وتوظيف تناسب مع ما ذكر من الشّواهد القرآنيّة.

الكلمات المفتاحية: محمد بن يوسف أطّفيّش ؛ التوظيف البلاغي ؛ تفسير (هميان الزاد إلى دار المعاد) ؛ الربع الثاني من القرآن الكريم ؛ علم البيان ؛ علم المعاني ؛ علم البديع ؛ بيان الغر

تاريخ المناقشة : 2024/02/13

بتقدير مشرف جدا